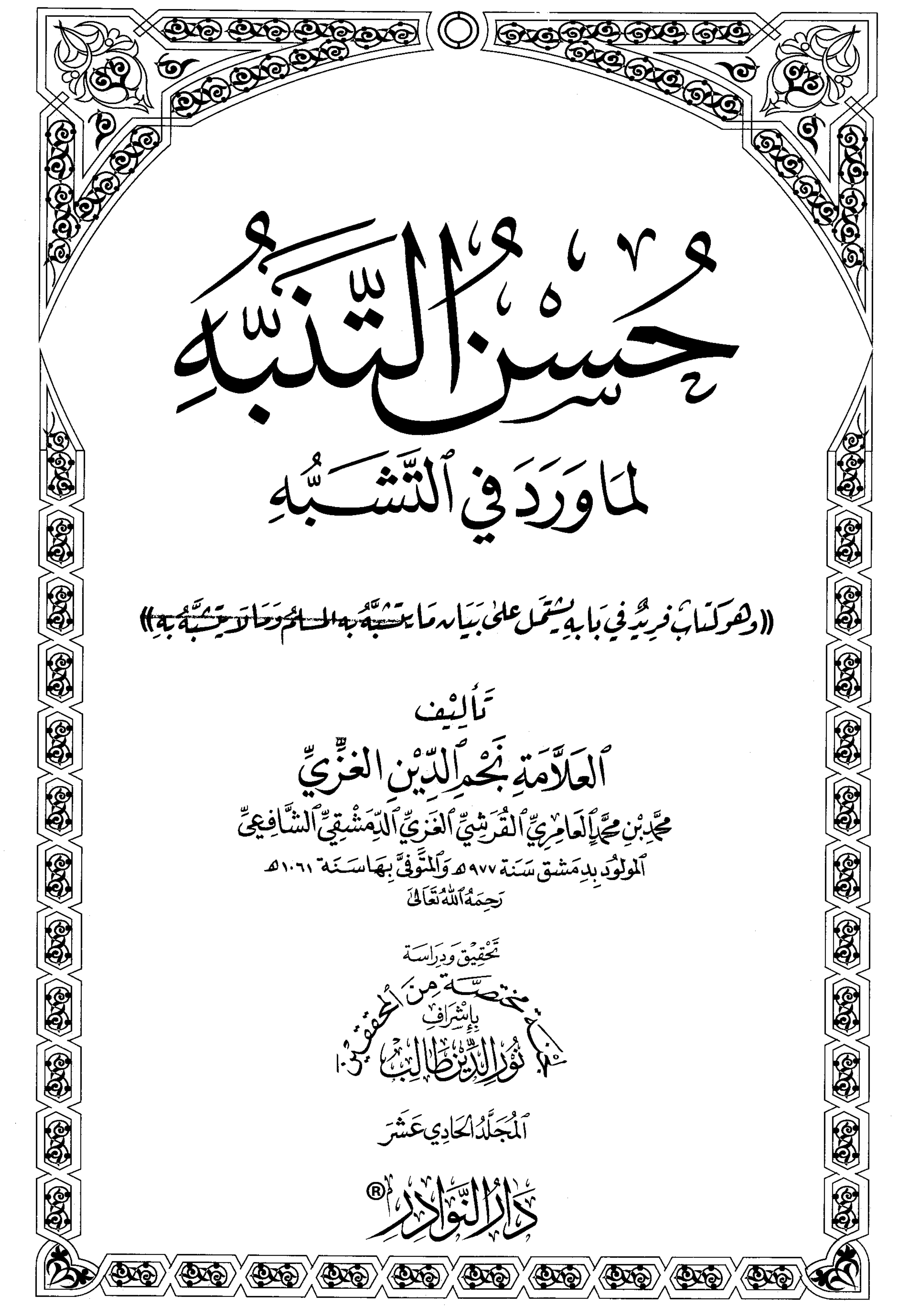


# حُسْنُ التَّنَبُّهِ

## لِمَا وَرَدَ فِي التَّشَبُّهِ

«وهو كتاب فريد في بابه يشتمل على بيان ما يتشبه به المسلم وما لا يتشبه به»


تأليف

العلامة نجم الدين الغزي

محمد بن محمد العامري القرشي الغزي الدمشقي الشافعي

المولود بدمشق سنة ٩٧٧ هـ والمتوفى بها سنة ١٠٦١ هـ

رحمه الله تعالى

تحقيق ودراسة

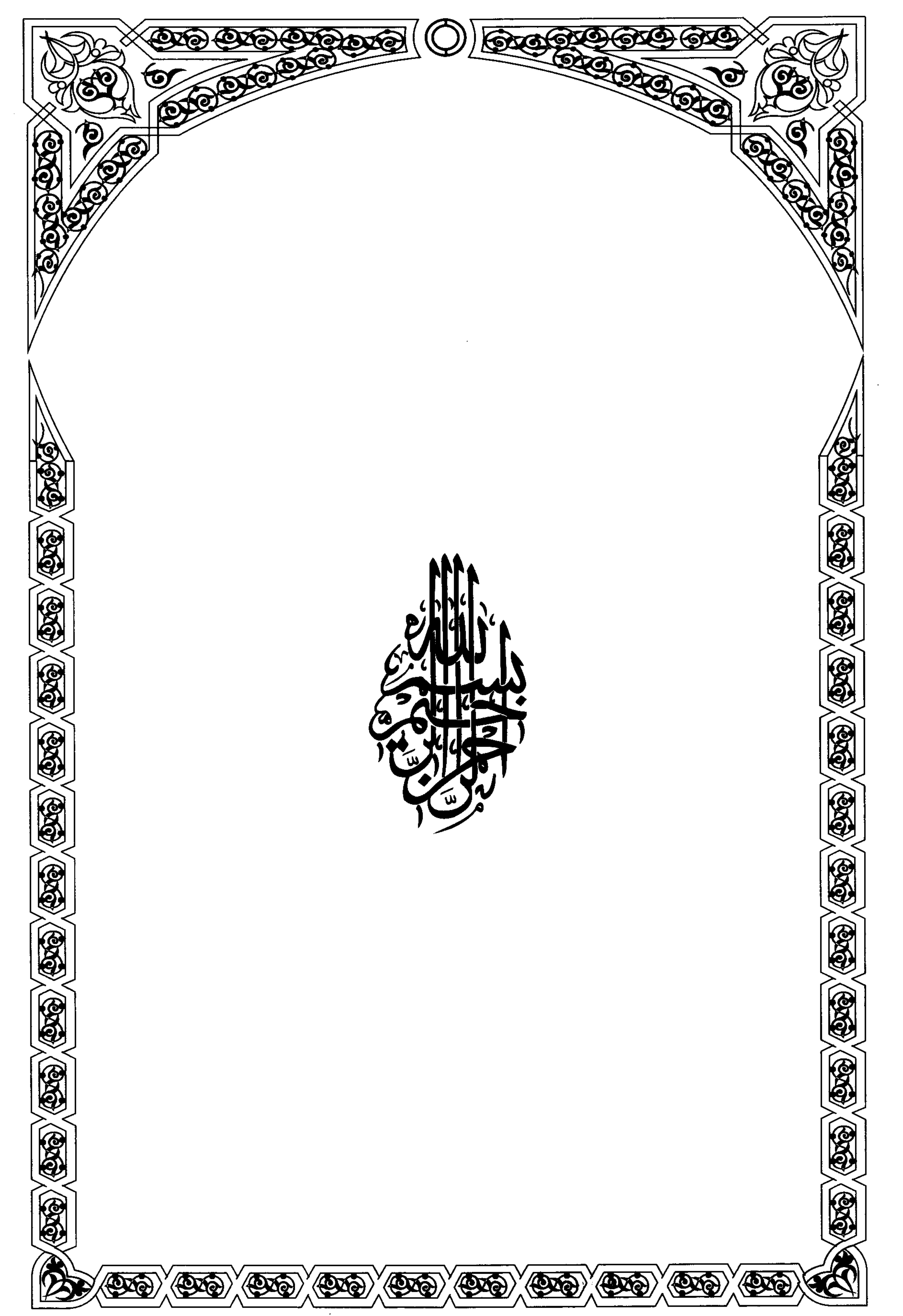
لجنة مختصة من المحققين

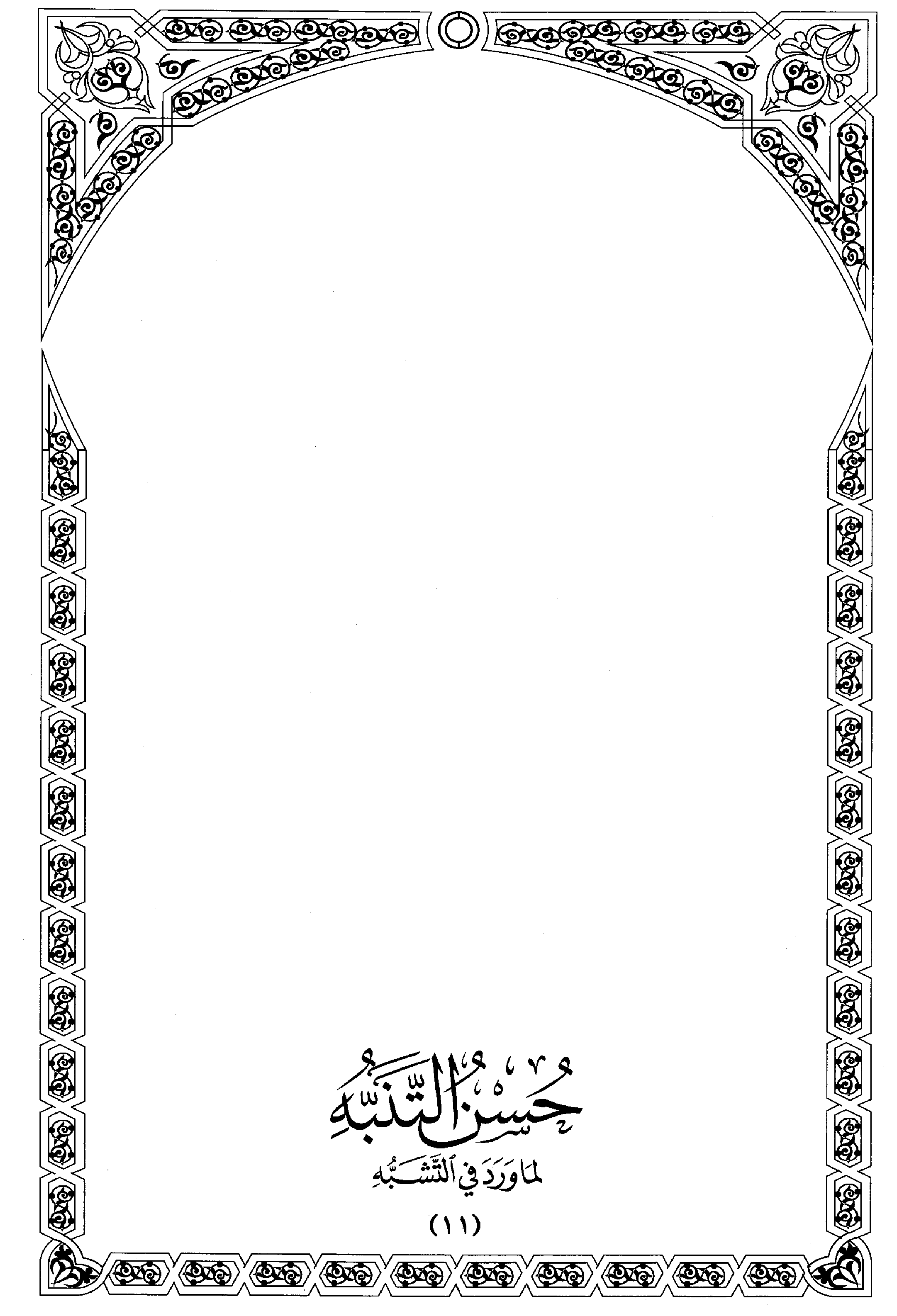
بإشراف

نور الدين طالب


المجلد الحادي عشر


دار النوادر ®


بسم الله الرحمن الرحيم



# حُسنُ التَّنبُّهِ

## لما ورد في التشبُّه

(١١)






الطَّبْعَةُ الأُولَى

١٤٣٢هـ - ٢٠١١م

ردمك: ٧ - ٨٤ - ٤١٨ - ٩٩٣٣ - ٩٧٨ : ISBN

9789933418847

سورية - لبنان - الكويت

مُؤَسَّسَة دَار النَّوَادِر م. ف - سُورِيَة * شَرِكَة دار النَّوادر اللُّبْنَانِيَّة ش. م. م - لُبْنَان * شَرِكَة دار النَّوادر الكُوَيْتِيَّة ذ. م. م - الكُوَيْت

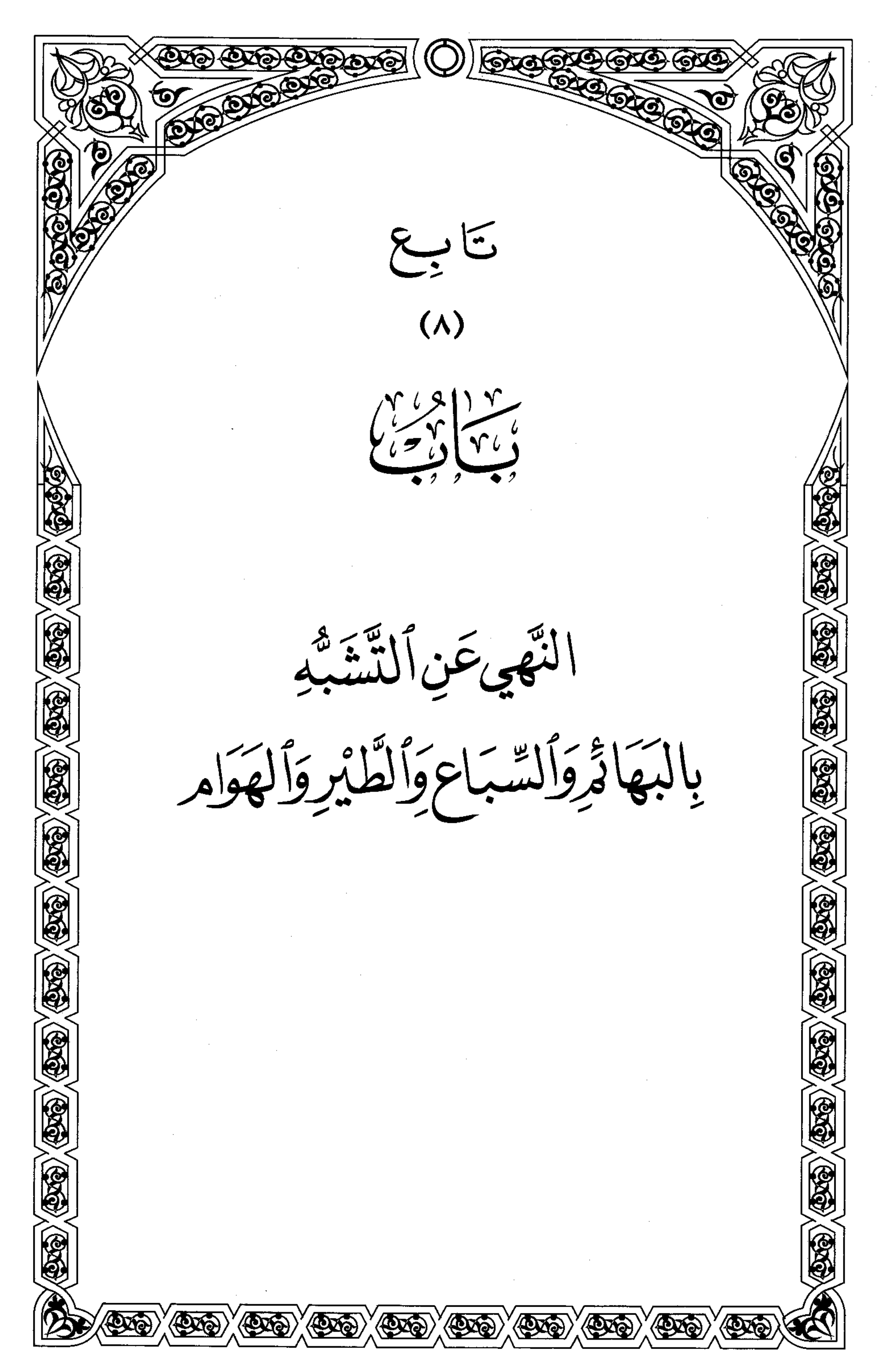
سورية - دمشق - ص. ب: ٣٤٣٠٦ - هاتف: ٢٢٢٧٠٠١ - فاكس: ٢٢٢٧٠١١ (٠٠٩٦٣١١)

لبنان - بيروت - ص. ب: ١٤/٥١٨٠ - هاتف: ٦٥٢٥٢٨ - فاكس: ٦٥٢٥٢٩ (٠٠٩٦١١)

الكويت - حولي - ص. ب: ٣٢٠٤٦ - هاتف: ٢٢٦٣٠٢٢٣ - فاكس: ٢٢٦٣٠٢٢٧ (٠٠٩٦٥)

www.daralnawader.com    info@daralnawader.com

أَسَّسَهَا سَنَة: ٢٠٠٦م نُورُ الدِّين طَالِب المُدِير العَام وَالرَّئِيس التَّنفِيذِي



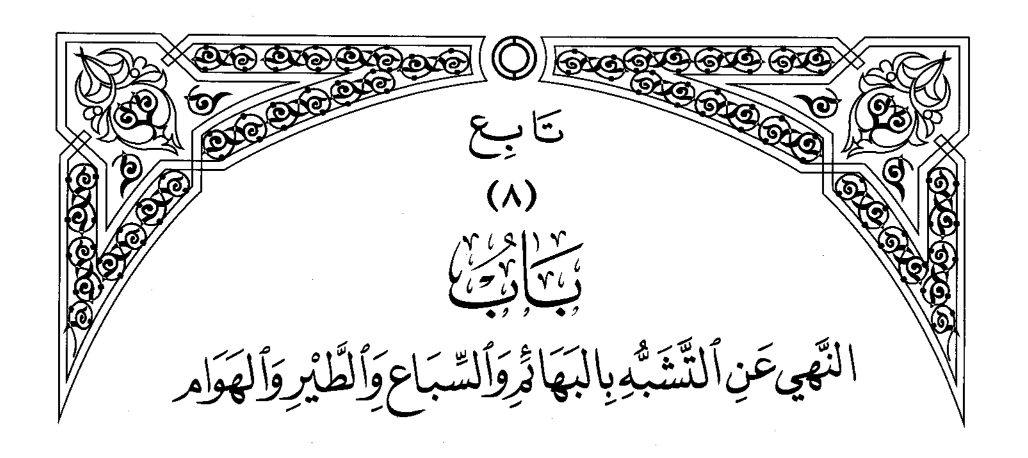
تابع

(٨)

# باب

## النَّهي عنِ التَّشبُّهِ بالبهائمِ والسِّباعِ والطَّيرِ والهوام





تابع

(٨)

# باب

# النهي عن التشبه بالبهائم والسباع والطير والهوام

**٥٠ ـ ومن الخصال الملحقة مرتكبها بالدواب: السرقة.**

فإن صاحبها شبيه بالذئب في اختلاس الشياه، والجرد، والزَّبَاب ـ كسحاب ـ وهو فأر بري يسرق كل شيء، أو فأر عظيم أصم، وأحمر الشعر، أو بلا شعر، والعقعق، وهو طائر في قدر الحمامة على شكل الغراب ذو لونين أبيض وأسود، طويل الذنب، لا يأوي تحت سقف، ولا يستظل به.

قال في «حياة الحيوان»: وفي طبعه الزنا والخيانة، ويوصف بالسرقة والخبث، ويضرب به المثل في كل ذلك.

قال الشاعر: [من المتقارب]

| | |
|---|---|
| إِذا بَـــارَكَ اللهُ فِـــي طَـــائِرٍ | فَـلا بَـارَكَ اللهُ فِـي العقعــقِ |
| طَويـلُ الـذُّنابا قَـصِيرُ الْجَنـاحِ | مَتَـى مـا يَجِـدْ غَفْلَـةً يَـسْرِقِ |
| يُقَلِّـــبُ عَيْنَيْـــهِ فِـــي رَأْسِـــهِ | كَأَنَّهُمـــا قَطْرَتـــا زَيْبَـــقِ[1] |

(١) انظر: «حياة الحيوان الكبرى» للدميري (٢/ ٢٠٢).

وروى الدينوري عن محمد بن سلام قال: ذم رجل رجلاً، فقال: اجتمع فيه ثلاثة أشياء: طبيعة العقعق؛ يعني: السرقة، وروغان الثعلب؛ يعني: الخب، ولمعان البرق؛ يعني: الكذب[1].

وكذلك الفأرة توصف باللصوصية؛ قالوا في المثل: ألص من فأرة[2].

وذكر السيوطي في «ديوان الحيوان» عن ابن خالويه: أن الفأرة يقال لها: سارقة الفتيلة من السراج.

قلت: ومن ثم سميت: الفويسقة لخروجها عن حد الاعتدال إلى الأذية.

وروى البخاري عن جابر رضي الله تعالى عنه، عن النبي ﷺ أنه قال: «خَمِّرُوْا الآنِيَةَ، وَأَوْكِئُوْا الأَسْقِيَةَ، وَأَجِيْفُوْا الأَبْوَابَ، وَكُفُّوْا صِبْيَانَكُمْ عِنْدَ المَسَاءِ؛ فَإِنَّ لِلْجِنِّ اِنْتِشَاراً وَخطْفَةً، وَأَطْفِئُوْا المَصَابِيْحَ عِنْدَ الرُّقَادِ؛ فَإِنَّ الفُوَيْسِقَةَ رُبَّمَا اجْتَرَّتْ الفَتِيْلَةَ فَأَحْرَقَتْ أَهْلَ البَيْتِ»[3].

قلت: وتقدم في التشبه بالشيطان أنه هو الذي يدلها على ذلك.

وينبغي أن يعد من الخصال المذكورة: **إحراق الآدمي مال غيره أو بيت غيره كما قد يفعله بعض أشقياء الأطراف، بل مطلق الأذية من هذا القبيل.**

---

(١) رواه الدينوري في «المجالسة وجواهر العلم» (ص٣٧٠).

(٢) انظر: «جمهرة الأمثال» للعسكري (٢/ ١٨٠).

(٣) رواه البخاري (٣١٣٨).

**٥١ ـ ومنها: اختطاف أمتعة الناس كالعمائم، تشبهاً بالعُقاب والحدأة ونحوها.**

ومن أمثالهم كما ذكره الزمخشري في «المستقصى»: أخطف من العُقاب[١].

وروى الإمام أحمد في «الزهد» عن وهب قال: قال عيسى عليه السلام لأحبار بني إسرائيل: لا تكونوا للناس كالذئب السارق، أو كالثعلب الخدوع، وكالحداء الخاطف[٢].

وذكر السيوطي في «ديوان الحيوان»: أنه في طبع الحدأة أنها لا تخطف إلا من يمين من تخطف منه، حتى يقال: إنها عسراء؛ لأنها لا تأخذ من شمال أحد شيئاً[٣].

وقال صاحب «الصحاح»: والخاطف الذئب[٤].

**٥٢ ـ ومنها: الخديعة والمكر والروغان عن الحق تشبهاً بالثعلب.**

كقول عيسى عليه السلام في كلامه المذكور آنفاً: لا تكونوا للناس كالذئب السارق، وكالثعلب الخدوع[٥].

وقالوا: في المثل: أحيل من ثعلب، وأخدع وأروغ.

---

(١) انظر: «المستقصى في أمثال العرب» للزمخشري (١/ ٢١).

(٢) انظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٢/ ٢٠٤).

(٣) وانظر: «حياة الحيوان الكبرى» للدميري (١/ ٣٢٦).

(٤) انظر: «الصحاح» للجوهري (٤/ ١٣٥٢) (مادة: خطف).

(٥) تقدم تخريجه قريباً.

قال الشاعر: [من السريع]

كُــلُّ خَلِيــلٍ كُنْــتُ خالَلْتُــهُ      لا يَتْــرُكِ اللهُ لَهُــمْ واضِــحةْ
كُلُّهُــمْ أَرْوَغُ مِــنْ ثَعْلَــبٍ      مــا أَشْــبَهَ اللَّيْلَــةَ بِالبارِحَــةْ[1]

وقال يعقوب بن أحمد النيسابوري: [من السريع]

وَزَنْــتُ إِخْــوانِي لا مَــرَّةً      بِكِفَّتَــيْ خُبْــرِي وَتَجْرِبِــي
فَكُلُّهُــمْ أَرْوَغُ مِــنْ ثَعْلَــبٍ      وَكُلُّهُــمْ أَغْــدَرُ مِــنْ ذِئْــبِ[2]

وروى سعيد بن منصور، وعبد بن حميد، والإمام أحمد في «الزهد» عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه أنه قال على المنبر: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ﴾[فصلت: ٣٠] قال: لم يروغوا روغان الثعلب[3].

**٥٣ ـ ومنها: التعاون على القبيح، وعلى الإثم والعدوان تشبهاً بالحمير.**

فإنها إذا كانت مجتمعة فبال واحد منها، بالت كلها.

وتقول العرب في أمثالها: بال حمار فاستبال أحمرة.

---

(١) البيتان لطرفة بن العبد. انظر: «جمهرة الأمثال» للعسكري (١/ ٦١).

(٢) انظر: «دمية القصر» للباخرزي (٢/ ٩٩٠).

(٣) ورواه الطبري في «التفسير» (٢٤/ ١١٥)، وانظر: «الدرالمنثور» للسيوطي (٧/ ٣٢٢).

قال الزمخشري: يضرب للوضيع يأتي أمراً فيتبعه أقرانه[1].

وقال في «حياة الحيوان»: يضرب في تعاون القوم على ما يكره[2].

وذكر السيوطي من الأمثال: بال حمار فبال عشرة، وترادفت الحمر بأبوالها[3].

ثم قال: يقال عند اقتداء الجهال بعضهم ببعض.

**٥٤ ـ ومنها: المسارعة إلى الشر والمعصية تشبهاً بالبغال.**

فقد روى ابن عساكر عن علي رضي الله تعالى عنه قال: إن البغال كانت تتناسل، وكانت أسرع الدواب في نقل الحطب لنار إبراهيم عليه السلام، فدعا عليها، فقطع نسلها[4].

**٥٥ ـ ومنها: سرعة التقلب في المودة، والانتقال من خلق سيىء إلى أسوأ منه تشبهاً بالبغال أيضاً.**

كما أنشد صاحب «التذكرة الحمدونية» لابن حازم الباهلي: [من مجزوء الكامل المرفل]

مَا لِي رَأَيْتُكَ لا تَدُو ... مُ عَلَى الْمَوَدَّةِ لِلرِّجَالِ

خُلُقٌ جَدِيدٌ كُلَّ يَوْ ... مٍ مِثْلَ أَخْلاقِ البِغَالِ[5]

---

(١) انظر: «المستقصى في أمثال العرب» للزمخشري (٢/ ٥).

(٢) انظر: «حيوان الحيوان الكبرى» للدميري (١/ ٣٥٧).

(٣) وانظر: «مجمع الأمثال» للميداني (١/ ١٤٤).

(٤) رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٦/ ١٨٥).

(٥) انظر: «التذكرة الحمدونية» لابن حمدون (٢/ ٢٥١).

**٥٦ ـ ومنها: معاداة أولياء الله تعالى تشبهاً بالحية في عداوة آدم، والوزغة في معاداة إبراهيم عليه السلام.**

وقد تقدم في التشبه بالشيطان حديث: «ما سالَمْناهُنَّ مُنْذ حارَبْناهُنَّ»[1]؛ يعني: الحيات.

وروى الإمام أحمد عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه: أن النبي ﷺ قال: «مَنْ قَتَلَ حَيَّةً فَكَأَنَّمَا قَتَلَ رَجُلاً مُشْرِكاً، وَمَنْ تَرَكَ حَيَّةً مَخَافَةَ عَاقِبَتِهَا فَلَيْسَ مِنَّا»[2].

فأنزلها ﷺ منزلة العدو في الدين، فجعل ثواب قتلها كثواب قتله.

وروى الإمام أحمد أيضاً عن عائشة رضي الله تعالى عنها: أنه كان في بيتها رمح موضوع، فقيل لها: ما تصنعين بهذا؟

فقالت: نقتل به الوزغ؛ فإن النبي ﷺ أخبرنا أن إبراهيم عليه السلام لما ألقي في النار لم يكن في الأرض دابة إلا أطفأت عنه النار غير الوزغ؛ فإنها كانت تنفخ عليه، فأمر بقتلها[3].

وقال بعضهم: لما نفخ الوزغ نار إبراهيم عليه السلام [قيل له]:

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١/ ٤٢١)، وكذا أبو يعلى في «المسند» (٥٣٢٠). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٤/ ٤٦): رواه أحمد وأبو يعلى والبزار بنحوه والطبراني، ورجال البزار رجال الصحيح.

(٣) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٦/ ٨٣)، وكذا النسائي (٢٨٣١)، وابن ماجه (٣٢٣١).

ماذا عسى أن تؤثر نفختك في هذه النار العظيمة ـ وكانوا قد جمعوا لها الأحطاب شهراً مع كثرة ما كانوا يجمعون حتى كانت المرأة تغزل وتشتري بغزلها حطباً، وأجَّجوا النار سبعاً ـ فقال الوزغ: إنما أفعل ذلك إظهاراً للعداوة.

وقد قلت في المعنى: [من الكامل]

قُولُوا لِمَنْ أَهْلَ الوِلايَةِ قَدْ سَلَخْ ... بِلِسانِهِ لَمَّا عَنِ الدِّينِ انْسَلَخْ

قَدْ قِيلَ لِلْوَزَغِ اللَّئِيمِ وَقَدْ نَفَخْ ... نارَ الْخَلِيلِ وَظَنُّهُ أَنْ قَدْ طَبَخْ

ماذا تَرَى نَفْخَ الْحَقِيرِ مُؤَثِّراً ... قالَ: اسْكُتُوا فَاللُّؤْمُ طَبْعٌ قَدْ رَسَخْ

ظَنَّ الْخَبِيثَ بِجَهْلِهِ لَمَّا طَغَى ... فِي فِعْلِهِ أَنَّ الْخَلِيلَ يَقُولُ: أَخْ

ما ضَرَّ أَهْلَ اللهِ كَيْدٌ إِنَّما ... مِقْدارُهُمْ عَنْ كَيْدِ كائِدِهِمْ بَذَخْ

مَنْ كادَهُمْ ما كادَ إِلاَّ نَفْسَهُ ... يا وَيْحَ شَخْصٍ قَلْبُهُ مِنْهُ انْمَسَخْ

وكذلك عداوة البغال لإبراهيم كما يؤخذ من أثر علي رضي الله عنه المتقدم دالٌّ على لؤمها.

وللوزغ قبيحة أخرى:

روى البيهقي وصححه، عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: كانت الأوزاغ يوم أحرق بيت المقدس تنفخ النار بأفواهها، والوطواط تطفئها بأجنحتها[1].

---

(١) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٩/ ٣١٨).

قال ابن حجر: وحكمُهُ الرفعُ، وما كانت عائشة تأخذ عن أهل الكتاب[1].

وروى البيهقي بإسناد صحيح، عن عبدالله بن عمرو رضي الله تعالى عنهما قال: لا تقتلوا الضفادع؛ فإن نقيقهنَّ تسبيح، ولا تقتلوا الخفاش؛ فإنه لما خرب بيت المقدس قال: يا رب! سلطني على البحر حتى أغرقهم[2].

هذا ـ وإن كان إسناده صحيحاً ـ فإنه لا يبلغ درجة ما قبله؛ لأن ابن عمرو كان يأخذ عن الإسرائليات كما قال ابن حجر[3].

**٥٧ ـ ومنها: التشبه في الانطواء على الخبث بالخنفساء.**

من أمثال العرب: إذا تحركت فست.

وقالوا: إذا مشت تننتت؛ أي: جاءت بالنتن الكثير[4].

قال الدميري: يضرب لمن انطوى على خبث؛ يقال: لا تفتشوا عما عنده؛ فإنه يؤذيكم بنتن معايبه[5].

قلت: حدثنا بعض مشايخنا عن مفتي الروم المولى أبي السعود: أنه كان مرة يبحث مع جماعة من الأعيان، وكان فيهم واحد ليس في الفضل

---

(١) انظر: «التلخيص الحبير» لابن حجر (٤/ ١٥٤).

(٢) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٩/ ٣١٨) وقال: موقوف صحيح.

(٣) انظر: «التلخيص الحبير» لابن حجر (٤/ ١٥٤).

(٤) انظر: «مجمع الأمثال» للميداني (١/ ٢٤٥).

(٥) انظر: «حياة الحيوان الكبرى» للدميري (١/ ٤٣٠).

بذاك، وكان شديد الجرأة على المفتي والمعارضة له بالجهل، وكان يعسر على المفتي أن يرجعه إلى الحق لتلدُّده ووجاهته، فعارضه يوماً، فأجابه فلم يقنع، وبدا منه ما يدل على الجهل مرة بعد أخرى، فاحتد المفتي منه وقال: سبحان الله! الجاهل كالخنفساء كلما تحرك فسا.

**٥٨ ـ ومنها: التشبه في اللجاج بالخنفساء أيضاً؛ فإنها لجوج كلما طردت عادت.**

وقالوا: ألج من فاسية، وألج من الفاسياء، وهي الخنفساء، وألج من ذباب[١].

وقال خلف النحوي: [من المتقارب]

لَنا صاحِبٌ مُوْلَعٌ بِالْخِلافِ ... كَثِيرُ الْخطاءِ قَلِيلُ الصَّوابِ
أَشَدُّ لِجاجاً مِنَ الْخُنْفُساءِ ... وَأَزْهى إِذا ما مَشى مِنْ غُرابِ[٢]

وأنشده الزمخشري:

أَشَدُّ لِجاجاً مِنَ الفاسِياءِ[٣]

قلت: ولعل تمثيل المفتي أبي السعود لذلك الجاهل من هذا

---

(١) انظر: «المستقصى من أمثال العرب» للزمخشري (١/ ٣٠٨).

(٢) انظر: «الحيوان» للجاحظ (٣/ ٥٠٠).

(٣) انظر: «المستقصى من أمثال العرب» للزمخشري (١/ ٣٠٨) لكنه ذكر المثل باللفظين لا الشعر. فقال: ألج من الخنفساء، ويروى: ألج من فاسية. ثم ذكر الأبيات كما هنا.

القبيل، وهو أقرب.

وقال في «الصحاح»: وفي المثل: أفحش من فاسية؛ يعني: الخنفساء[1].

وروى الإمام أحمد في «الزهد» عن وهب قال: قال الخضر لموسى عليه السلام حين لقيه: يا موسى! انزع عن اللجاجة، ولا تمش في غير حاجة، ولا تضحك من غير عجب، والزم بيتك، وابك على خطيئتك[2].

**٥٩ ـ ومنها: التشبه في اللؤم، وهو ضد الكرم؛ قال في «المصباح المنير»: ولؤم ـ بضم الهمزة ـ لؤماً، فهو لئيم، يقال ذلك للشحيح، والدنيء النفس، والمهين، ونحوهم[3].**

وقال الجوهري: اللئيم: الدني الأصل، الشحيح النفس[4] ـ بالكلب والذئب وغيرهما.

قالوا في أمثالهم: ألأم من كلب على عرق[5].

وقالوا: ألأم من الذئب؛ لأنه لا يتجافى عن التعرض لما يعرض له وقتاً من أوقاته، وربما عرض للإنسان ذئبان فيقبلان عليه إقبالاً

---

(١) انظر: «الصحاح» للجوهري (٦/ ٢٤٥٤) (مادة: فسا).

(٢) رواه الإمام أحمد في «الزهد» (ص: ٦١).

(٣) انظر: «المصباح المنير» للفيومي (٢/ ٥٦١) (مادة: لأم).

(٤) انظر: «الصحاح» للجوهري (٥/ ٢٠٢٥) (مادة: لأم).

(٥) العرق: العظم عليه لحم.

واحداً، فإذا أدمى أحدهما ترك الإنسان، وأقبل على رفيقه وأكله.

ومن أمثالهم كما ذكره القمي وغيره: ألأم من سقب ريان؛ لأنه إذا كان ريان فأدني إلى أمه، لم يدرها لأن الناقة لا يكاد تدر إلا إذا مري ضرعها الفصيل بلسانه[1].

* تَنْبِيهٌ:

صحبة اللئيم تفضي إلى الندامة، وهي أشبه شيء بصحبة الذئب للذئب؛ لأنها قد تؤول إلى التلف كما علمت.

وقد قلت: [من المجتث]

لا تُقَاطِعْ كَرِيْماً ... أَوْ تُصَاحِبْ لَئِيماً
تَعُدْ فِي ذا وَفِي ذا ... كَ مُسْتَلِيماً مَلِيماً

يقال: ألام: إذا أتى ما يلام عليه، واستلام إلى الناس: إذا استندم.

**٦٠ ـ ومنها: التشبه في الزهو والإعجاب بالنفس والتكبر بالطاوس، والثعلب، والقرنبى، وهي دويبة طويلة الرجلين مثل الخنفساء، أو أعظم منها فساء.**

وفي المثل: القرنبى في عين أمها حسنة[2].

---

(١) انظر: «جمهرة الأمثال» للعسكري (٢/ ٢٢٠).

(٢) انظر: «أدب الكاتب» لابن قتيبة (ص: ١٦٦)، و«مجمع الأمثال» للميداني (٢/ ٩٧).

ومن أمثالهم كما قال الزمخشري: أزهى من ثعلب، أزهى من ثور، أزهى من ديك، أزهى من ذباب، أزهى من طاوس، أزهى من غراب[1].

قال حسان: [من الكامل]

إِنَّ الفرافِصَةَ بْنَ الأَحْوَصِ عِنْدَهُ ... شجنٌ لأُمِّكِ مِنْ بَناتِ عُقابِ

أَجَمَعْتُ أَنَّكَ أَنْتَ أَلأَمُ مَنْ مَشى ... فِي فُحْشِ مُومِسَةٍ وَزَهْوِ غُرابِ

وقال الآخر كما تقدم: [من المتقارب]

أَشَدُّ لِجاجاً مِنَ الْخُنْفُساءِ ... وَأَزْهى إِذا ما مَشى مِنْ غُرابِ

وقالوا: أخيل من ثعالة، وهو الثعلب؛ من الخيلاء، وأخيل من ثعلب في استه عهنة[2].

قال الزمخشري: يقال: إذا علقت صوفة مصبوغة بذنب الثعلب أفرط عجباً بها، وشغل عن كل شأنه باستحسانها[3].

واعلم أن المفتخر بالدنيا، والمتكبر بما فيها ملعوب بعقله؛ لأنها لهو ولعب كما وصفها الله تعالى في كتابه العزيز.

ويقال: الدنيا داحة، والداح كما في «الصحاح»: نقش يلوح به

---

(١) انظر: «المستقصى من أمثال العرب» للزمخشري (١/ ١٥٠ ـ ١٥١).

(٢) انظر: «جمهرة الأمثال» للعسكري (١/ ٤٤٠).

(٣) انظر: «المستقصى من أمثال العرب» للزمخشري (١/ ١١٣).

للصبيان يعللون به[1].

فهو شبيه بالثعلب في استه عهنة من هذا القبيل، ثم يعود مآكلها ومشاربها عذرة وبول، وجميع ما فيها يبلى ويضمحل، وهي أشبه شيء بالجيفة كما سبق؛ فالمفتخر بها من هذا القبيل متشبه بالْجُعَل، ونحوه.

وروى الإمام أحمد عن الضحاك بن سفيان ﷺ: أن النبي ﷺ قال له: «يَا ضَحَّاكُ! مَا طَعَامُكَ؟».

قال: يا رسول الله! اللحم واللبن.

قال: «ثُمَّ يَصِيْرُ إلى [ماذا؟].

قال: إلى ما قَدْ عَلِمْتَ.

قال: «فَإِنَّ اللهَ تَعَالى ضَرَبَ مِمَّا يَخْرُجُ مِنْ اِبْنِ آدَمَ مَثَلاً لِلدُّنْيَا»[2].

فإذا فعل الإنسان ما ذكرناه كان متشبهاً بالخنفساء من حيث الفسو الذي هي فيه، كما أن من يأخذ الدنيا فقد أخذ جيفة وعذرة، ولا يتأذى منها، بل يلتذ بها كما يلتذ الكلب بالجيفة، والجُعَل بالعذرة، وهو ـ بضم الجيم، وفتح المهملة ـ وجمعه جِعلان ـ بكسر

---

(١) انظر: «الصحاح» للجوهري (١/ ٣٦١) (مادة: دوح).

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٣/ ٤٥٢)، وكذا الطبراني في «المعجم الكبير» (٨١٣٨). قال العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء» (٢/ ٨٨١): فيه علي بن زيد بن جدعان مختلف فيه.

الجيم ـ: دويبة لها ستة أرجل، وسنام مرتفع جداً، تمشي القهقرى، ويهتدي مع ذلك إلى وكره، وهو أكبر من الخنفساء، شديد السواد، وفي بطنه لون حمرة، للذكر منه قرنان، يوجد كثيراً في مراح البقر والجواميس، ومواضع الروث، إن دفن في الورد مات، وإذا دفن بعد ذلك في الزبل عاش كالخنفساء، ومن شأنه جمع العذرة وادخارها.

قال في «حياة الحيوان»: ومن عادته أن يحرس النيام، فمن قام منهم لقضاء حاجته تبعه، وذلك من شهوته للغائط[1].

وقد ورد تمثيل المفتخرين بما كانت الجاهلية تفتخر به من الآباء والأموال، ونحو ذلك بالخنافس والجعل.

وروى ابن عدي في «الكامل» عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه: أن النبي ﷺ قال: «لَيَدَعُ النَّاسُ فَخْرَهُمْ بِالجَاهِلِيَّةِ، أَوْ لَيَكُونُنَّ أَبْغَضَ إِلى اللهِ مِنَ الخَنَافِسِ»[2]؛ أي: يكون الله لهم أشد بغضاً لكم منكم للخنافس.

وروى أبو داود، وغيره، وحسنه الترمذي، وهو آخر حديث في «جامعه»، واللفظ له، عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أيضاً، عن النبي ﷺ قال: «لَيَنْتَهِيَنَّ أَقْوَامٌ يَفْتَخِرُوْنَ بِآبَائِهِمْ إِذَا مَاتُوْا، إِنَّمَا هُمْ لَحْمُ

(١) انظر: «حياة الحيوان الكبرى» (١/ ٢٨١).

(٢) رواه ابن عدي في «الكامل» (٧/ ٥٣) وأعله بأبي معشر، ثم قال: وهو مع ضعفه يكتب حديثه، وكذا الإمام أحمد في «المسند» (٢/ ٣٦٦).

جَهَنَّمَ، أَوْ لَيَكُوْنُنَّ أَهْوَنَ عَلَى اللهِ مِنَ الجُعَلِ الَّذِيْ يُدَهْدِهُ الخِرَاءَ بِأَنْفِهِ، إِنَّ اللهَ أَذْهَبَ عَنْكُمْ عِبِّيَّةَ الجَاهِلِيَّةِ وَفَخْرَهَا بِالآبَاءِ، إِنَّمَا هُوَ مُؤْمِنٌ تَقِيٌّ، وَفَاجِرٌ شَقِيٌّ، النَّاسُ بَنُوْ آدَمَ، وَآدَمُ خُلِقَ مِنْ تُرَابٍ».

وفي رواية: «أَوْ لَيَكُوْنُنَّ أَهْوَنَ عَلَى اللهِ مِنَ الْجِعْلانِ الَّذِيْ يَدْفَعُ بِأَنْفِهِ النتَنَ»[1].

وعبية الجاهلية ـ بكسر العين، وفتحها، وتشديد الموحدة ـ: نخوتها، وكبرها.

*** فائِدَةٌ:**

روى الطبراني في «الأوسط»، و«الصغير»، والبيهقي عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «إِذَا كَانَ يَوْمُ القِيَامَةِ أَمَرَ اللهُ مُنَادِياً يُنَادِي: أَلا إِنِّيْ جَعَلْتُ نَسَباً وَجَعَلْتُمْ نَسَباً، فَجَعَلْتُ أَكْرَمَكُمْ أَتْقَاكُمْ، وَأَبَيْتُمْ إِلاَّ أَنْ تَقُوْلُوْا: فُلانُ بنُ فُلانٍ خَيْرٌ مِنْ فُلانِ بنِ فُلانٍ، فَاليَوْمَ أَرْفَعُ نَسَبِي، وَأَضَعُ نَسَبَكُم؛ أَيْنَ المُتَّقُوْنَ؟»[2].

**٦١ ـ ومنها: تشبيه النَّمَّام في النميمة المفرقة بين الإخوان بالظَّرِبان ـ بفتح الظاء المعجمة، وكسر الراء كقَطِران ـ: وهو دابة**

---

(١) رواه أبو داود (٥١١٦)، والترمذي (٣٩٥٥) وحسنه.

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٤٥١١)، و«المعجم الصغير» (٦٤٢)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٥١٣٨) مرفوعاً وموقوفاً، وقال: المحفوظ الموقوف. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨/ ٨٤): رواه الطبراني، وفيه طلحة بن عمرو، وهو متروك.

**صغيرة كالهر لا يطاق فسوها.**

تقول العرب في أمثالها عند تفرق الجماعة: فسا بينهم الظربان[١].

وقال الجاحظ: الظربان أنتن خلق الله فسواً، وقد جعله سلاحاً له، فلا يقربه أحد إلا أرسل عليه ما لا يطيق شمه[٢].

وفي المثل: أفسى من ظربان[٣].

والعرب تسميه مفرِّق الإبل، وتقول: إنه إذا دخل في الإبل وفسى ثلاث فسوات، تفرقت وجفلت، ولا يردها الراعي إلا بجهد شديد[٤].

وقال غيره: وخاصية هذه الدويبة أنها إذا حصلت بين جماعة تفرقوا، وكذلك النمام إذا دخل بين الجماعة فرق بينهم بنميمته.

وفي الحديث: «لا يَدْخُلُ الجَنَّةَ قَتَّاتٌ»[٥]؛ أي: نمام.

ومن الحكمة في ذلك: أن النمام مفرق بين المتحابين، والجنة دار اجتماع المتقين، وضم المؤمنين إلى المؤمنين، وكما أن الجماعة إذا أقبل الظربان نحوهم طردوه واتقوا منه، كذلك ينبغي إخراج النمام من بين الجماعة، فإن لم يفعلوا يوشك أن يفرق بينهم ويفسد قلوب بعضهم على

---

(١) انظر: «جمهرة الأمثال» للعسكري (١/ ٢٢١).

(٢) انظر: «الحيوان» للجاحظ (١/ ٢٤٨).

(٣) انظر: «جمهرة الأمثال» للعسكري (١/ ١٠٥).

(٤) انظر: «الحيوان» للجاحظ (١/ ٢٤٨).

(٥) رواه البخاري (٥٧٠٩)، ومسلم (١٠٥) عن حذيفة ﷺ.

بعض، كما نبه على ذلك الطرطوشي في «سراج الملوك»[1].

**٦٢ ـ ومنها: التشبه بالظربان أيضاً في الفحش تشبهاً للفحش بالفسو.**

ذكر الزمخشري في «المستقصى من الأمثال»: الحدث حدثان: حدث من فيك، وحدث من فرجك.

ثم قال: يروى عن ابن عباس، وعائشة رضي الله تعالى عنهما: يضرب في مقالات السوء[2].

ومن الأمثال كما ذكره القمي، وغيره: هما يتشاتمان جلد الظربان؛ يقال للرجلين يقع بينهما الشر فيتفاحشان.

وأورده الزمخشري بلفظ: هما يتماشيان جلد الظربان، من امتشيت منه شيئاً؛ أي: أخذت؛ يضرب للمتفاحشين[3].

وأورد أيضاً: أفسى من الظربان.

وقال: إنها تفسو في الثوب، فتبقى فيه الريح إلى أن يبلى.

قال: وتقول العرب لمتفاحشين: يتجاذبان جلد الظربان، ويتماسان ظربان[4].

---

(١) انظر: «سراج الملوك» للطرطوشي (ص: ٩٠).

(٢) انظر: «المستقصى من أمثال العرب» للزمخشري (١/ ٣١٠).

(٣) انظر: «المستقصى من أمثال العرب» للزمخشري (٢/ ٣٩٢).

(٤) انظر: «المستقصى من أمثال العرب» للزمخشري (٢/ ٢٧٢).

وقلت: [من مجزوء الرمل]

قُــــلْ لِخِلَّـــيْنِ أَقامـــا ... فِـــي قَبــيحٍ يَجْرِيــانِ
أَنْتُمــا أَشْــبَهُ فِــي الفُحْـــ ... ـــشِ بِجِلْـــدِ الظَّرِبــانِ
أَنــا لِلْمُعْــرِضِ عَــنْ جَهْـــ ... ـــلِ بِخَيْــرٍ فِــي ضَــمانِ
فَمَتَـــى فاحَـــشَكَ الفـــا ... حِــشُ فَاذْهَــبْ فِــي أَمــانِ
حَـــدَثُ الأَفْــواه وَالاسْـــ ... ـــتاهِ بِـــئْسَ الْحَـــدَثانِ
فَــاعْفُ أَوْ لا إِنَّ مِــنْ خَلْـــ ... ـــفِكَ فِعْـــلَ الْحَـــدَثانِ
إِنَّ عَفْـــوَ العَبْـــدِ وَالإِعْـــ ... ـــراضَ نِعْـــمَ الْخُلَّتـــانِ

**٦٣ ـ ومنها: التشبه في الطمع في أكل أموال الناس ولا يشبع منها بالجدي.**

روى الطبراني، والبزار بإسناد حسن، عن عبدالله بن عمرو[١] رضي الله تعالى عنهما: أن النبي ﷺ قال: «كَانَ جَدْيٌ فِيْ غَنَمٍ كَثِيْرَةٍ تُرْضِعُهُ أُمُّهُ فَتُرْوِيْهِ، فَانْفَلَتَ يَوْماً، فَرَضِعَ الغَنَمَ كُلَّهَا، ثُمَّ لَمْ يَشْبَعْ»[٢].

قيل: إن هذا مثل أمة يأتون من بعدكم، فيعطى الرجل ما يكفي

---

(١) في «أ» و«ت»: «عبدالله بن عمر».

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٥٦١٠). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٢٤٣): رواه البزار والطبراني ورجاله وثقوا إلا أن عطاء بن السائب اختلط قبل موته.

القبيلة أو الأمة فلا يشبع[1].

**٦٤ ـ ومنها: تشبه أكثر الناس في الوقوع على الدنيا، والإكباب عليها بالفراش، والذباب، والجنادب.**

روى الإمام أحمد، والطبراني عن ابن مسعود رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «إِنَّ اللهَ لَمْ يُحَرِّمْ حُرْمَةً إِلاَّ وَقَدْ عَلِمَ أَنَّهُ سَيَطَّلِعُهَا مِنكُمْ مُطَّلِعٌ، أَلا وَإِنِّي مُمْسِكٌ بِحُجَزِكُمْ أَنْ تَتَهَافَتُوا في النَّارِ تَهَافُتَ الفَرَاشِ وَالذُّبَابِ»[2].

وروى الإمام أحمد، ومسلم عن جابر رضي الله تعالى عنه: أن النبي ﷺ قال: «مَثَلِي وَمَثَلُكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَوْقَدَ نَاراً، فَجَعَلَ الفَرَاشُ وَالجَنَادِبُ يَقَعْنَ فِيْهَا، وَهُوَ يَذُبُّهُنَّ عَنْهَا، وَأَنَا آخُذُ بِحُجَزِكُمْ عَنِ النَّارِ، وَأَنْتُمْ تَفَلَّتُوْنَ مِنْ يَدي»[3].

وروى عبدالله ابن الإمام أحمد عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما أنه قال: تقتتلون على الدينار والدرهم، تتهافتون على النار تهافتَ الذباب في المرق[4].

---

(١) هذا الكلام تتمة الحديث عند الطبراني في «المعجم الأوسط» إلا أن قبله: «فأوحي إلى رجل منهم: أن مثل هذا الجدي مثل قوم...».

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١/ ٤٢٤)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٠٥١١). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٢١٠): رواه أحمد وأبو يعلى، وفيه المسعودي، وقد اختلط.

(٣) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٣/ ٣٦١)، ومسلم (٢٢٨٥).

(٤) وروى نعيم بن حماد في «الفتن» (١/ ١٧٦)، وابن أبي الدنيا في «الزهد» (١/ ٤٩٤) بمعناه.

**٦٥ ـ ومنها: التشبه في التطفل والوقاحة والجرأة بالذباب.**

فإنه يقع على وجه الملك فمن دونه، وعلى مقلة الأسد ويذاد فيعود، ومن هنا قالوا: في المثل: أجرأ من ذباب، وأوقح من ذباب[١].

وقيل في طفيلي: [من الرجز]

أَوْغَلَ فِي التَّطْفِيلِ مِنْ ذُبابِ عَلى طَعامٍ وَعَلى شَرابِ
لَوْ أَبْصَرَ الرغفانَ فِي السَّحابِ لَطارَ فِي الْجَوِّ بِلا حِجابِ[٢]

وقالوا: أجرأ من ذئب، وأوقح من ذئب[٣].

وحقيقة الوقاحة قلة الحياء.

يقال: وقح ـ بالضم ـ فهو وقح، ووقاح: بيِّن القحة، والقِحَّة ـ بالكسر، والفتح ـ، والوقاحة ـ بالفتح ـ.

**٦٦ ـ ومنها: التشبه في الطيش والخفة بالفراش ونحوه.**

والأطيش طائر سمي بذلك لطيشه.

ومن الأمثال كما ذكر الزمخشري، وغيره: أطيش من برغوث، ومن ذباب، ومن فراشة، لا تزال واقعة طائرة لا تستقر في مكان[٤].

وروى عبدالله ابن الإمام أحمد في «زوائد الزهد» عن عبد

---

(١) انظر: «جمهرة الأمثال» للعسكري (١/ ٣٢٧).

(٢) انظر: «حياة الحيوان الكبرى» للدميري (١/ ٤٩٣).

(٣) انظر: «جمهرة الأمثال» للعسكري (٢/ ٣٢٩).

(٤) انظر: «المستقصى من أمثال العرب» للزمخشري (١/ ٢٣٠).

الواحد؛ يعني: ابن زيد رحمه الله تعالى قال: قال عيسى بن مريم عليهما السلام: بحق أقول لكم: يا معشر الحواريين! إن أطيش الناس لصاحب الدنيا، إن الدنيا ليست في مكان واحد، ولكن في أماكن كثيرة، حيثما طاشت طاش صاحبها معها.

**٦٧ ـ ومنها: التحامق، والرضا بالحمق تشبهاً بالرخم والضبع، وغيرهما مما وصف من البهائم بالحماقة.**

فإن العرب تقول في أمثالها: أحمق من الضبع، ومن أم عامر؛ وهي كنية الضبع، وأحمق من الرخم.

قال الزمخشري: سار المثل بحمقها لعيها واتباعها العذرات.

ويزعمون أنه قيل لها: انطقي بعد طول سكوتها، فقالت: قوه قوه، وهي العذرة بالفارسية[1].

وقال القمي: ليس من الطير شيء إلا وهو يزجر غير الرخم، فقيل لها: انطقي يا رخم؛ فإنك من طير الله ـ يهزأ بها ـ فصار مثلاً يضرب بمن لا يلتفت إليه، ولا يسمع منه[2].

وقال الكميت: [من مجزوء الكامل المرفَّل]

أَنْــشَأْتَ تَنْطِــقُ فِــي الْخُطُــو ... بِ كَوَافِــدِ الــرخمِ الْمُــداوِرْ

---

(١) انظر: «المستقصى من أمثال العرب» للزمخشري (١/ ٨١).

(٢) وانظر: «حياة الحيوان الكبرى» للدميري (١/ ٥١١).

أَوَ قِيلَ يا رَخْمُ انْطِقِي فِي الطَّيْرِ إِنَّكِ شَرُّ طائِرْ
فَأَتَتْ بِما هِيَ أَهْلُهُ وَالعَيُّ مِنْ شَكْلِ الْمُجاوِرْ[1]

وقالوا في المثل: أموق من الرخمة[2].

قال في «الصحاح»: والموق: الحمق في غباوة[3].

**٦٨ ـ ومنها: التشبه في المرح والبطر بالهر والجدي، ونحوهما من السباع والبهائم.**

ومن أمثالهم: [من الرجز]

إذا ارتَعَصَتْ كارتعاصِ الهِرَّةْ أوشكَ أنْ تسقُطَ في أُفُرَّةْ

ويروى: إذا اعترصت[4].

والمراد: النشاط.

وأصل الارتعاص: الاضطراب، والتحرك، والاعتراص من العرص بالتحريك، وهو النشاط.

والأفرة ـ بضم الهمزة، وفتحها، والفاء مضمومة فيهما ـ: الشدة.

---

(١) انظر: «غريب الحديث» لابن قتيبة (٢/ ٦٤٣)، و«المستقصى من أمثال العرب» للزمخشري (١/ ٨١).

(٢) انظر: «مجمع الأمثال» للميداني (٢/ ٣٢٣).

(٣) انظر: «الصحاح» للجوهري (٤/ ١٥٥٧) (مادة: موق).

(٤) انظر: «معجم مقاييس اللغة» لابن فارس (٤/ ٢٦٩)، و«مجمع الأمثال» للميداني (١/ ٢٦).

قال الجوهري: رجل أشران أفران؛ أي: بطر، وهو اتباع له[1].

وقال الزمخشري: يضرب لمن أوبقه مرحه[2].

**٦٩ ـ ومنها: التشبه بالفراش وغيره [في] معاودة الشيء الذي تأذى منه، وفي الإلقاء باليد إلى التهلكة.**

وفي الحديث: «لا يُلْدَغُ المُؤْمِنُ مِنْ جُحْرٍ مَرَّتَيْنِ»[3].

فالمعنى إذا عاود ما أوذي منه كان كالفراش، فإنه يلقي بنفسه في شعلة السراج، ويتأذى من حرارته المرة بعد الأخرى، ولا يزال كذلك حتى يحرق نفسه، والسبب في ذلك: ضعف بصره؛ فإنه يطلب ضوء النهار، فإذا رأى السراج بالليل ظن أنه في بيت مظلم، وأن السراج كوة في البيت، فيرمي بنفسه إليه ليخرج، والغبي ضعفه في بصيرته، والفراش ضعفه في بصره، فصار الغبي أسوأ حالاً من الفراش، والمؤمن تجلي بصيرته بقوة إيمانه.

ومن هنا جاء في الحديث: «المُؤْمِنُ كَيِّسٌ فَطِنٌ حَذِرٌ»[4].

وقال حجة الإسلام رحمه الله تعالى: من الحيوان ما إذا شاهد شيئاً حفظه وارتسمت صورته في ذهنه، فإذا رآه مرة أخرى عرفه؛ كالدابة ترى الشعير والعصا.

---

(١) انظر: «الصحاح» للجوهري (٢/ ٥٨٠) (مادة: أفر).

(٢) انظر: «المستقصى من أمثال العرب» للزمخشري (١/ ١٢٢).

(٣) رواه البخاري (٥٧٨٢)، ومسلم (٢٩٩٨) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) تقدم تخريجه.

ومنه ما إذا شاهد شيئاً لم يحفظه، ولم ترتسم عنده صورته كالفراش؛ فإنه يجد المصباح فيرمي نفسه فيه، ويجد حرارته، ثم يعود ويرمي نفسه إليه، ولو ارتسمت عنده صورته لما عاد إليه، انتهى.

ولقد أحسن من قال: [من الكامل]

فَضْلُ الْحِمارِ عَلى الْجَهُولِ بِخَصْلَةٍ مَعْرُوفَةٍ عِنْدَ الَّذِي يَدْرِي بِها
إِنَّ الْحِمارَ إِذا تَوَهَّمَ لَمْ يَسِرْ وَتُعاوِدُ الْجُهَّالُ ما تدر بِها

ويقال في المثل: من عثر بحجر وعاد إليه، فلا تسأل عما يجري عليه.

**٧٠ ـ ومنها: تشبه المرء في اختلاطه بكل قوم، وتخلقه بأخلاقهم وأوضاعهم لينال من كل ما ناله كل قوم من حطام الدنيا بالحرباء؛ فإنها تتلون بلون الشجرة التي تكون عليها حتى لا يراها ما تصطاده من ذباب ونحوه، [...] من الشجرة فيهرب ويفر عنها، فإذا قربت الذبابة ونحوها منها اختطفتها بلسانها في الحال.**

ومن هنا قالوا في المثل: فلان يتلون تلون الحرباء؛ يضرب لمن لا يثبت على حال[1].

وقريب من ذلك ما ذكره الدميري في «حياة الحيوان»: إن البغل يوصف برداءة الأخلاق والتلون لأجل التركيب.

قال: وينشد في ذلك: [من مجزوء الكامل المرفَّل]

---

(١) انظر: «حياة الحيوان الكبرى» للدميري (١/ ٣٣٠).

خُلُــقٌ جَدِيــدٌ كُــلَّ يَــوْ   مٍ مِثْــلَ أَخْــلاقِ البــِغالِ[1]

وروى الطبراني في «الكبير» عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله تعالى عنهما: أن النبي ﷺ قال: «إِيَّاكَ وَالتَّلَوُّنَ فِيْ دِيْنِ اللهِ»[2].

**٧١ ـ ومنها: التشبه في الشره والبخل بالحوت والتمساح والكلب.**

قالوا: أبخل من كلب؛ فإنه لا مطمع فيما يناله، وإن تعرض له هرش؛ ذكره الزمخشري[3].

وقال القمي: من أمثالهم: أَحْرَصُ من كلب على جيفة[4].

وذكره الزمخشري، وزاد: أَحْرَص من كلب على عقي صبي.

وقال: يزعمون أن الهرم من الكلاب إذا أكل العقي، وهو أول ما يخرج من المولود عاد شاباً، ولهذا يشتد حرصه عليه[5].

وذكر أيضاً من أمثالهم: أشره من الأسد لأنه يبتلع البضعة العظيمة من غير مضغ، وكذلك الحوت لأنهما واثقان بسهولة المدخل

---

(١) انظر: «حياة الحيوان الكبرى» للدميري (١/ ٢٠٠).

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٥٩٨٤)، وكذا ابن أبي الدنيا في «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» (ص: ٣٠). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٢٧٩): رواه الطبراني بإسنادين، رجال أحدهما ثقات.

(٣) انظر: «المستقصى من أمثال العرب» للزمخشري (١/ ١٢).

(٤) وانظر: «الحيوان» للجاحظ (١/ ٢٢٧).

(٥) انظر: «المستقصى من أمثال العرب» للزمخشري (١/ ٦٤).

وسعة المجرى[1].

قال الشاعر: [من الرجز]

كَالْحُوتِ لا يَرْوِيهِ شَيْءٌ يَلْهَمُـهُ  يُصْبِـحُ ظَمآنَ وَفِي البَحْرِ فَمُهْ[2]

قال في «حياة الحيوان»: اللَّهْمُ: الابتلاع؛ يضرب لمن عاش بخيلاً شرهاً، انتهى[3].

أنشد السيوطي في «ديوان الحيوان» ليعقوب بن أحمد النيسابوري:

[من الطويل]

يُرِي النَّاسَ زُهْداً كَالْمَسِيحِ بْنِ مَرْيَمِ  وَفِي ثَوْبِـهِ التِّمْساحُ أَوْ هُوَ أَغْدَرُ

أَغَـرَّكُمْ مِنْـهُ تَقَلُّـصُ ثَوْبِـهِ  وَذَلِكَ حبٌّ دُونَهُ الفَخُّ فَاحْذَرُوا[4]

**٧٢ ـ ومنها: تشبه الحريص في الاجتهاد على طلب الرزق بالنمل والحُبَارى، وغيرهم؛ فإن النمل عظيم الحيلة في طلب الرزق، ويبعد في طلبه كثيراً، ويحمل أضعافه.**

ولذلك قيل: أكسب من نملة، وأكسب من ذرة، وكنية النمل: أبو مشغول.

وقالوا: أضبط من نملة، وأضبط من ذرة[5].

---

(١) انظر: «المستقصى من أمثال العرب» للزمخشري (١/ ١٩٦).

(٢) البيت لرؤبة بن العجاج. انظر: «جمهرة الأمثال» للعسكري (١/ ٢٠١).

(٣) انظر: «حياة الحيوان الكبرى» للدميري (١/ ٣٧٨).

(٤) وانظر: «فوات الوفيات» للكتبي (٢/ ٦٤٧).

(٥) انظر: «جمهرة الأمثال» للعسكري (٢/ ١٢).

قال الزمخشري: تجر ما هو أضعافها، وربما سقطا من مكان مرتفع فلا ترسله.

وقالوا: أكسب من فأرة، ومن فهد.

قال الزمخشري: يقال: إن هذه الثلاث أدأب الحيوان في الكسب.

وقال: يقال: إن الفهود الهرمى العاجزة عن الصيد تجتمع إلى الفهد الفتي يتصيد لها كل يوم ما يكفيها[1].

وأما الحبارى - بضم المهملة، وتخفيف الموحدة - وهو طائر كبير العنق، طويل الذنب، رمادي اللون، في منقاره بعض طول.

وقال في «حياة الحيوان»: هي أكثر الطير حيلة في تحصيل الرزق، ومع ذلك تموت جوعاً لهذا السبب[2].

وقال أيضاً: هي من أشد الطير طيراناً، وأبعدها شوطاً، وذلك أنها تصاد بالبصرة، فتوجد في حواصلها الحبة الخضراء التي شجرها البطم، ومنابتها تخوم بلاد الشام، ولذلك قالوا في المثل: أطلب من الحبارى[3].

---

(١) انظر: «المستقصى في أمثال العرب» للزمخشري (١/ ٢١٤، ٢٩٥).

(٢) انظر: «حياة الحيوان الكبرى» للدميري (١/ ٣٢٢).

(٣) انظر: «حياة الحيوان الكبرى» للدميري (١/ ٣٢١).

**٧٣ ـ ومنها: التشبه في الإكباب على طلب الرزق بالوحش أيضاً، وهو كل شيء من دواب البر لا يستأنس كالظبي، والمَهَاة، والضبع، وغيرها.**

قال في «حياة الحيوان»: روي أن النبي ﷺ قال: «يَقُوْلُ اللهُ ﷻ: اِبْنَ آدَمَ! وَعِزَّتي وَجَلالي لَئِنْ رَضِيْتَ بِمَا قَسَمْتُ لَكَ أَرَحْتُكَ وَأَنْتَ مَحْمُوْدٌ، وَإِنْ لَمْ تَرْضَ بِمَا قَسَمْتُ لَكَ سَلَّطْتُ عَلَيكَ الدُّنْيَا تَرْكُضُ فِيْهَا رَكْضَ الوَحْشِ، ثُمَّ لا يَكُوْنُ لَكَ إِلاَّ مَا قَسَمْتُ لَكَ وَأَنْتَ مَذْمُوْمٌ»(١).

**٧٤ ـ ومنها: التشبه في الادخار بالنمل ونحوه.**

ذكر الزمخشري في «الكشاف»: وعن سفيان بن عيينة رحمه الله تعالى أنه قال: ليس شيء في الحيوان يخبأ قوته إلا الإنسان، والنملة، والفأرة، والعقعق.

ويقال: للعقعق مخابىء إلا أنه ينساها(٢).

وما أحسن قول أبي الوليد الوقتي من أدباء المغرب: [من مخلع البسيط]

الْحَمْدُ لِلَّهِ وَهْوَ أَهْلُ ... لَيْسَ لِخَلْقٍ عَلَيَّ فَضْلُ

وَلا رَكُوبٌ إِلَى أَمِيرٍ ... قَدَّمَهُ الدَّهْرُ وَهْوَ فَسْلُ

وَلا وُقُوفٌ بِبَابِ وَغْدٍ ... قِيلَ انْتَظِرْهُ عَلَيْهِ شُغْلُ

---

(١) انظر: «حياة الحيوان الكبرى» للدميري (١/ ٣٢١).

(٢) انظر: «الكشاف» للزمخشري (٣/ ٤٦٦).

أَبِـيْتُ مِثْـلَ الْحُـسام فَـرْداً جَــلاهُ لِلْحادِثــاتِ صَـــقْلُ
وَاللَّيْــثُ لَــمْ يَــدَّخِرْ طَعامــاً وَالــدَّاخِرُونَ الطَّعــامَ نَمْــلُ
قَنَّعْــتُ نَفْــسِي بِمــا أَتاهــا فَكُــلُّ صَــعْبٍ عَلَــيَّ سَــهْلُ

**٧٥ ـ ومنها: محبة دوام الصحة، وكراهية المرض إذا نزل.**

روى ابن أبي شيبة، وأبو نعيم، والبيهقي، وابن عبد البر في «الصحابة» عن أبي فاطمة الليثي قال: كنا جالسين عند رسول الله ﷺ، فقال: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَصِحَّ فَلا يَسْقَمُ؟».

فابتدرناها، وقلنا: نحن يا رسول الله.

فقال: «أَتُحِبُّوْنَ أَنْ تَكُوْنُوْا كَالحَمِيْرِ الصَّالَّةِ؟ أَلا تُحِبُّوْنَ أَنْ تَكُوْنُوْا أَصْحَابَ البَلاءِ وَأَصْحَابَ كَفَّارَاتٍ؟».

وفي رواية: «كَالحُمُرِ الصَّالَّةِ لا تَمْرَضُوْنَ وَلا تَسْقَمُوْنَ؟ وَالَّذِيْ نَفْسِيْ بِيَدِه! إِنَّ اللهَ لَيَبْتَلِي المُؤْمِنَ وَمَا يَبْتَلِيْهِ إِلاَّ لِكَرَامَتِهِ عَلَيْهِ، وَإِنَّ العَبْدَ لَتَكُوْنُ لَهُ الدَّرَجَةُ فِيْ الجَنَّةِ لا يَبْلُغُهَا شَيْءٌ مِنْ عَمَلِهِ حَتىَّ يَبْتَلِيَهُ بِالبَلاءِ لِيَبْلُغَ بِهِ تِلْكَ الدَّرَجَةَ»[1].

وأخرجه الطبراني في «الكبير» بنحوه وسنده جيد[2].

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في «المسند» (٦٣٨)، وأبو نعيم في «معرفة الصحابة» (٦/ ٢٩٨٧)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٩٨٥٦)، وابن عبد البر في «الاستيعاب» (٤/ ١٧٢٧)، وكذا البخاري في «التاريخ الكبير» (٧/ ٢٦٦).

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٢٢/ ٣٢٣). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٢/ ٢٩٣): فيه محمد بن أبي حميد، وهو ضعيف، إلا أن ابن عدي قال: وهو مع ضعفه يكتب حديثه.

وقوله: كالحمر الصالة؛ مِنْ صَلَّ: إذا صوت.

قال العسكري: هو بالصاد المهملة، وخَطَّأ من قال: الضالة ـ بالمعجمة ـ.

وأراد الحمر الوحشية.

يقال للحمار الوحشي الحاد الصوت: صال، وصلصال؛ كأنه يريد الصحيحة الأجساد، الشديدة الأصوات لقوتها ونشاطها[1].

وقال البيهقي: سألت عنه بعض أهل العلم، فزعم أنه أراد حمر الوحش.

وفي رواية: «كَالْحُمُرِ الصَّيَّالَةِ»[2].

قال في «الصحاح»: وصال العير: إذا حمل على العانة، والعانة: القطيع من حمر الوحش[3].

وروى الإمام أحمد في «الزهد» عن مسروق قال: قدمتِ الدهَّاقين الكوفة على عهد ابن مسعود رضي الله تعالى عنه، فجعلوا يعجبون من صحتهم وحسن ألوانهم، فقال ابن مسعود: ما تعجبون؟ تلقون المؤمن أصح شيء قلباً وأمرض شيء جسداً، وتلقون الفاجر والمنافق أصح شيء جسماً وأمرضه قلباً، والله لو صحت أجسادكم ومرضت قلوبكم لكنتم أهون على الله من الجِعلان[4].

---

(١) انظر: «حياة الحيوان الكبرى» للدميري (١/ ٣٦٠).

(٢) رواه الروياني في «مسنده» (٢/ ٥١٢).

(٣) انظر: «الصحاح» للجوهري (٥/ ١٧٤٧) (مادة: صول).

(٤) رواه الإمام أحمد في «الزهد» (ص: ١٦٣).

**٧٦ ـ ومنها: الصيال، والبطش؛ والصيالة تشبهاً بالحمر وغيرها: الاستطالة، والوثوب.**

وفي الحديث المذكور في الرواية المشار إليها: «أَتُحِبُّوْنَ أَنْ تَكُوْنُوْا كَالحَمِيْرِ الصَّيَّالَةِ»[١].

وفي المثل: أَصْوَلُ من جمل[٢].

وروى الطبراني في «الكبير» عن عائشة بنت قدامة رضي الله تعالى عنها: أن النبي ﷺ كان يقول: «اللّهُمَّ إِنِّيْ أَعُوْذُ بِكَ مِنْ شَرِّ الأَبْهَمَيْنِ: السَّيْلِ، وَالجَمَلِ الصَّؤُوْلِ»[٣].

وقال ابن السكيت: الأبهمان عند أهل البادية: السيل والجمل الصؤول الهائج يتعوذ منهما.

قال: وعند أهل الأمصار: السيل، والحريق[٤].

قال أبو عبيد: وإنما سمي أبهم لأنه ليس مما يستطاع دفعه، ولا ينطق فيكلم أو يستعتب، ولهذا قيل للفلاة التي لا يهتدى فيها الطريق: بهماء، وللبر: أبهم[٥].

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) انظر: «جمهرة الأمثال» للعسكري (١/ ٥٨٧).

(٣) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٢٤/ ٣٤٤)، وعنده: «الأعميين» بدل «الأبهمين». قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ١٤٤): فيه عبد الرحمن ابن عثمان الحاطبي وهو ضعيف.

(٤) انظر: «إصلاح المنطق» لابن السكيت (ص: ٣٩٦).

(٥) انظر: «غريب الحديث» لأبي عبيد (٣/ ١١٩).

فالإنسان إذا استشاط غضبه حتى حمله على البطش والصيال كان أشبه شيء بالبعير الهائج الصؤول، إلا أن البعير غير مكلف، والإنسان مكلف موصوف في ذلك بالجبروت والعدوان، كما قال هود عليه السلام لقومه: ﴿وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾[الشعراء: ١٣٠].

وقالوا في المثل: أبطش من دوسر[1]، وهو كما في «الصحاح»: الجمل الضخم[2].

وحقيقة البطش: السطوة، والأخذ بالعنف.

وقيل: دوسر في المثل: اسم كتيبة للنعمان بن المنذر، وهو غير منصرف، ولم يذكر الزمخشري غيره[3].

وكانت كتائب النعمان خمساً:

- الرهائن: وهم كانوا خمس مئة رجل رهائن لقبائل العرب يقيمون على بابه حولاً، ثم يذهبون ويجيء بدلهم.

- والضبائع: وهم خواصه لا يبرحون بابه.

- والوضائع: وهم ألف رجل كان يضعهم كسرى بالحيرة نجدةً لملك العرب.

- والأشابيب: وهم بنو عمه، وإخوته، وإخوانهم؛ سموا بذلك لبياض وجوههم.

---

(١) انظر: «جمهرة الأمثال» للعسكري (١/ ٢٣٥).

(٢) انظر: «الصحاح» للجوهري (٢/ ٦٥٧) (مادة: دسر).

(٣) انظر: «المستقصى في أمثال العرب» للزمخشري (١/ ٢٣).

ـ ودوسر: أحسنها، وأنكاها، وكانوا من قبائل شتى، وأكثرهم من ربيعة، واشتقاقها من الدسر؛ وهو الطعن[1].

**٧٧ ـ ومنها: القيام من المرض غير معتبر ولا تائب عما كان عليه من الزلل تشبهاً بالبعير، والحمار إذا عقل، أو رُبط ثم أُرسل.**

تقدم في التشبه بالمنافقين عن النبي ﷺ: أن المنافق إذا مرض ثم عوفي كان كالبعير عقله أهله، ثم أرسلوه، فلم يدر لم عقلوه، ولم يدر لم أرسلوه[2].

**٧٨ ـ ومنها: التشدق بالكلام والتخلل به كما تفعل البقر.**

قال في «الصحاح»: والمتشدق: الذي يلوي شدقيه للتفصح[3].

روى أبو داود، والترمذي عن عبدالله بن عمرو رضي الله تعالى عنهما: أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ اللهَ يُبْغِضُ البَلِيْغَ مِنَ الرِّجَالِ الَّذِي يَتَخَلَّلُ بِلِسَانِهِ كَمَا تَتَخَلَّلُ البَقَرَةُ». قال الترمذي: حديث حسن[4].

وهو الذي يتشدق بالكلام، ويفخم به لسانه، ويَلُفه كما تلف البقرة الكَلأ بلسانها.

وقلت ملمحاً بالحديث: [من الرجز]

---

(١) انظر: «جمهرة الأمثال» للعسكري (١/ ٢٣٥)، وعنده: «الأشاهب».

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) انظر: «الصحاح» للجوهري (٤/ ١٥٠٠) (مادة: شدق).

(٤) رواه أبو داود (٥٠٠٥)، والترمذي (٢٨٥٣) وقال: حسن غريب.

قَـدْ جـاءَ أَنَّ اللهَ جَـلَّ وَعَـلا ... لَيُبْغِضُ الْمَرْءَ الْبَلِيـغَ فِـي الْمَـلا

لَـفَّ الكَـلامَ بِلِسانِهِ كَمـا ... لَفَّتْ بَـواقِرُ البَـساتِينِ الكَـلا

وروى الإمام أحمد عن سعد بن أبي وقاص ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تَقُوْمُ السَّاعَةُ حَتىَّ يَخْرُجَ قَوْمٌ يَأْكُلُوْنَ بِأَلْسِنَتِهِمْ كَمَا تَأْكُلُ البَقَرُ بِأَلْسِنَتِهَا»[1].

**٧٩ ـ ومنها: التشبه بالثيران ونحوها في الفظاعة، وجهر الصوت، والتكلم بما لا يليق بالمكان والزمان.**

والناس يشبهون كل فظ غليظ بليد أكول بالبقر والثور.

وتقدم فيما أنشدناه عن عبد الحق الإشبيلي: [من السريع]

يـا راكـبَ الـرَّوْعِ لِلَذَّاتِـهِ ... كَأَنَّـهُ فِـي أتـنِ عَيْـرْ

يَأْكُـلُ أَكْـلَ الَّـذِي يَـشْتَهِي ... كَأَنَّـهُ فِـي كَـلاءِ ثَـوْرْ

وكنت يوماً في جماعة منهم العلامة المُلاَّ أسد بن معين الدين العجمي أحد تلاميذ والدي عند بعض الصوفية، فبينما الملا أسد يقرأ الفاتحة إذا فقير من فقراء ذلك الصوفي صرخ مثوراً، فانذعر الملا أسد وأزعج، ثم التفت إلينا وقال: والله لم أعرف قول الناس في فقراء الصوفية: ثَوَّروا من أي شيء اشتقاقه إلا في هذا الوقت، علمت أنه مشتق من لفظ الثور؛ فإني رأيت هذا الآن خار خواراً منكراً كأنه ثور.

وذكر أن بعض الوعاظ كان يعظ طائفة من الناس وهو يلك

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١/ ١٨٤).

الكلام، فنظر منهم إعراضاً عنه ولغطاً، فأراد أن يستنصتهم، فقال: ألا اسمعوا يا بقر! فقال بعضهم: قل يا ثور!

**٨٠ ـ ومنها: التغاير على المناصب ونحوها من ترهات الدنيا تشبهاً بالتيوس، ونحوها من الحيوانات.**

روى الأصبهاني في «الترغيب» عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما: أن النبي ﷺ قال: «يَأْتِي عَلَى أُمَّتِي زَمَانٌ يَحْسُدُ الفُقَهَاءُ بَعْضُهُمْ بَعْضاً، وَيَغَارُ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ كَتَغَايُرِ التُّيُوْسِ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ»[١].

**٨١ ـ ومنها: الاسترسال مع الغُلْمة تشبهاً بالجمل، والتيس، والكلب، والذئب، وغيرها.**

قال في «الصحاح»: والغلمة: شهوة الضِّراب، وقد غلم البعير ـ بالكسر ـ غلمة، واغتلم: إذا هاج من ذلك[٢].

وفيه إيماء إلى أن الغلمة في الأصل خاصة بالبهائم، ثم أطلقت في الأناس توسعاً أو مجازاً.

وروى مسلم عن جابر بن سمرة رضي الله تعالى عنه قال: أتي النبي ﷺ برجل قد زنى، فأمر به فرجم، ثم قال: «كُلَّمَا نَفَرْنَا غَازِيْنَ

---

(١) ورواه الخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (١٠/ ٣٠٢)، والديلمي في «مسند الفردوس» (٨٦٨٢). قال ابن الجوزي في «الموضوعات» (١/ ١٩٢): هذا حديث لا يصح عن رسول الله ﷺ، وإسحاق بن إبراهيم، متهم بوضع الحديث.

(٢) انظر: «الصحاح» للجوهري (٥/ ١٩٩٧) (مادة: غلم).

تَخَلَّفَ أَحَدُكُمْ يَنِبُّ نَبِيْبَ التَّيْسِ»[1].

يقال: نب التيس، ينب، نبيباً: إذا صاح وهاج.

وقالوا في المثل: استعسب استعساب الكلب.

قال الزمخشري: أي: طلب العسب، وهو السفاد؛ وذلك أنه إذا هاج طلب الكلبات على البعد لينزو عليهن.

يضرب للكثير النكاح الحريص عليه[2].

وقالوا: أسفد من ديك، أسفد من عصفور[3].

والسفاد: نزو الذكر على الأنثى.

قال في «الصحاح»: يقال ذلك في التيس، والبعير، والثور، والسباع، والطير[4].

**٨٢ ـ ومنها: أن تصرح المرأة لزوجها بطلب الجماع لا على سبيل الملاعبة والمداعبة، بل على سبيل الشَّبَق، أو يظهر عليها التشوف إلى الوقاع لغيبة الحليل، أو تحملها الشهوة ـ والعياذ بالله ـ على الزنا؛ فإنها تكون في ذلك شبيهة بالسنورة، والكلبة، والأتان الحائل، والبقرة الصارف؛ فإنها إذا اشتاقت إلى الذكر نفرت،**

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) انظر: «المستقصى في أمثال العرب» للزمخشري (١/ ١٥٧).

(٣) انظر: «مجمع الأمثال» للميداني (١/ ٣٥٦).

(٤) انظر: «الصحاح» للجوهري (٢/ ٤٨٩) (مادة: سفد).

**وأعيت الرعاة كما ذكره في «حياة الحيوان»**[1].

وفي «الصحاح»: كلبة صارف: إذا اشتهت الفحل، وقد صرفت ـ يعني: من باب ضرب ـ تصرف، صروفاً، وصِرافاً[2].

وكذلك الأنثى من الذئاب شديدة الشبق بحيث تدعو إلى وطئها.

وإنما ينبغي للمرأة أن تلزم الحياء الذي ميزها الله تعالى به عن سائر الحيوانات، وجعل حظها منه أجزل وأوفر من حظ الرجال.

روى الديلمي عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «الحَيَاءُ عَشْرَةُ أَجْزَاءَ؛ فَتِسْعَةٌ في النِّسَاءِ، وَوَاحِدٌ في الرِّجَالِ»[3].

وروى البيهقي في «الشعب» عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «سِتَّةُ أَشْيَاءَ حَسَنَةٌ، وَلَكِنْ فِيْ سِتَّةٍ مِنَ النَّاسِ أَحْسَنُ: العَدْلُ حَسَنٌ، وَلَكِنْ في الأُمَرَاءِ أَحْسَنُ، وَالسَّخَاءُ حَسَنٌ، وَلَكِنْ في الأَغْنِيَاءِ أَحْسَنُ، وَالوَرَعُ حَسَنٌ، وَلَكِنْ في العُلَمَاءِ أَحْسَنُ، وَالصَّبْرُ حَسَنٌ، وَلَكِنْ في الفُقَرَاءِ أَحْسَنُ، وَالتَّوْبَةُ حَسَنٌ، وَلَكِنْ في الشَّبَابِ أَحْسَنُ، وَالحَيَاءُ حَسَنٌ، وَلَكِنْ في النِّسَاءِ أَحْسَنُ»[4].

---

(١) انظر: «حياة الحيوان الكبرى» للدميري (١/ ٢١٤).

(٢) انظر: «الصحاح» للجوهري (٤/ ١٣٨٦) (مادة: صرف).

(٣) رواه الديلمي في «مسند الفردوس» (٢٧٦٥) عن أنس رضي الله عنه.
ورواه أبو نعيم في «تاريخ أصبهان» (١/ ٣٨٧) عن ابن عمر رضي الله عنه.

(٤) رواه الديلمي في «مسند الفردوس» (٤٢٥٨) عن علي رضي الله عنه.

فإن قلت: مقتضى ما رواه البيهقي في «الشعب» أيضاً عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ أنه قال: «فُضِّلَتِ المَرْأَةُ عَلَى الرَّجُلِ بِتِسْعَةٍ وَتِسْعِيْنَ جُزْءاً مِنَ اللذَّةِ، وَلَكِنَّ اللهَ أَلْقَىْ عَلَيْهِنَّ الحَيَاءَ»[1] من حيث إن اللذة إنما تكون على قدر الشهوة أن تكون شهوتها أكثر من حيائها؛ لأن التسعين جزءاً من الشهوة التي فضلت بها تعادل التسعة الأجزاء التي جعلت فيها من الحياء، فتبقى تسعة أجزاء من الشهوة زائدة فيها عما لها من الحياء، فهل يكون ذلك عذراً لها في غلبة الشهوة؟

قلت: لا يكون ذلك عذراً لها لأن الحياء غريزة يساعدها العقل، ويقويها الإيمان بخلاف الشهوة؛ فإن العقل يضادها ويعارضها، ولا يساعدها، وهي في نفسها ليست بغريزة، بل حالة عارضة تنشأ عن كثرة الطعام والشراب، والنعيم، والرفاهية، فجزء من الحياء يعارض أضعافه من الشهوة، وهو في نفسه حلية مقبولة ممدوحة عند كل عاقل من نفسه ومن غيره، محمودة العاقبة، جميلة الصورة، طيبة الثمرة، وليست الشهوة كذلك.

وقد روى الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» عن جابر رضي الله تعالى عنه: أن النبي ﷺ قال: «الحَيَاءُ زِيْنَةٌ، وَالتُّقَىْ كَرَمٌ، وَخَيْرُ

---

(١) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٧٧٣٧). وفيه أبي داود مولى أبي مكمل؛ قال البخاري: منكر الحديث، كذا نقله عنه الذهبي في «ميزان الاعتدال» (٧/ ٣٦٣).

المَرْكبِ الصَّبْرُ، وَانْتِظَارُ الفَرَجِ مِنَ اللهِ تَعَالى عِبَادَةٌ»[1].

وروى الشيخان عن عمران بن حصين رضي الله تعالى عنهما أن النبي ﷺ قال: «الحَيَاءُ لا يَأْتي إلاَّ بِخَيْرٍ»[2].

**٨٣ ـ ومنها: الإكثار من النكاح، وصرف الهمة فيه، والافتخار به وبكثرته على حد قضاء وطر النفس، والقيام بحظها على مقتضى الشهوة.**

وإنما اللائق بحال الإنسان أن يكون النكاح منه بنية التحصُّن والتحصين، وطلب الولد للطاعة ومكاثرة الأمة، وغير ذلك مما ذكرناه في التشبه بالأنبياء عليهم السلام، لا طلب الولد للاستكثار من زهرة الدنيا والمباهاة.

أما الوقاع لداعية الشهوة الحيوانيَّة، والغُلْمة البهيمية، فذاك لا فضل فيه؛ إذ يشارك فيه الحمار، والحصان، والثور، والبكر، والخنزير، والذئب، والكلب، والسنور، وغير ذلك من الحيوانات.

وفي ملازمة الإنسان لفروج النساء شبه ظاهر بخصوص الكلاب؛ فإن الكلب إذا سافد الكلبة لزمها ولزمته حتى لو بالغتَ في زجرهما وضربهما مهما بالغتَ لم ينجع ذلك فيهما، وكذلك يحصل بين الذئب وأنثاه حتى لو أدركهما أحد على تلك الهيئة صادهما كيف

---

(١) رواه الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» (٢/ ٢٢٠).

(٢) رواه البخاري (٥٧٦٦)، ومسلم (٣٧).

شاء، لكن ذلك لا يكاد يشاهد من الذئبين لتوحشهما وبعدهما عن الناس، ويوجد ذلك بين الكلبين كثيراً.

ومن هنا قيل في المثل: استعسب استعساب الكلب، كما تقدم.

**٨٤ ـ ومنها: التشبه في ترك الاستتار عند قضاء الحاجة وعند الجماع، وترك التحري فيه بالحمار والكلب والسنور وغيرها.**

وكذلك جماع إحدى الحليلتين في حضور الأخرى، والنكاح في حضور كائن من البشر، وكذلك تقبيل الزوجة والأمة، وعضّها، ونحو ذلك في حضرة أحد؛ كل ذلك يكون الإنسان فيه متشبهاً بما ذكرنا من الحيوانات.

وإن فعل ذلك مع غير حليلته من أجنبية، أو غلام أمرد كان أسوء حالاً، وأعظم وبالاً، وأوجب نكالاً.

روى النسائي عن عبدالله بن سرجس رضي الله تعالى عنه: أن النبي ﷺ قال: «إِذَا أَتَى أَحَدُكُمْ أَهْلَهُ فَلْيُلْقِ عَلَىٰ عَجُزِهِ وَعَجُزِهَا شَيْئاً، وَلا يَتَجَرَّدَانِ تَجَرُّدَ العَيْرَيْنِ»[1].

وروى ابن أبي شيبة، والطبراني في «الكبير»، والبيهقي في «السنن»، وإسناده حسن، عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه، وابن ماجه عن عتبة بن عبد، والطبراني في «الكبير» أيضاً عن أبي أمامة

---

(١) رواه النسائي في «السنن الكبرى» (٩٠٢٩) وقال: هذا حديث منكر، وصدقة بن عبدالله ضعيف.

رضي الله تعالى عنهم قالوا: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا أَتَى أَحَدُكُمْ أَهْلَهُ فَلْيَسْتَتِرْ، وَلا يَتَجَرَّدَانِ تَجَرُّدَ العَيْرَيْنِ»[1].

والعير ـ بفتح المهملة ـ: الحمار الوحشي، وقد يطلق على الأهلي.

وروى الطبراني عن أبي أمامة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا أَتَى أَحَدُكُمْ أَهْلَهُ فَلْيَسْتُرْ عَلَيْهِ وَعَلَىْ أَهْلِهِ، وَلا يَتَعَرَّيَانِ تَعَرِّيَ الحَمِيْرِ»[2].

وروى البزار، والطبراني عن ابن عمرو[3] رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تَقُوْمُ السَّاعَةُ حَتىَّ يَتَسَافَدُوْا في الطَّرِيْقِ تَسَافُدَ الحَمِيْرِ»[4].

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في «المسند» (٣٣٥)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٠٤٤٣)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٧/ ١٩٣) عن ابن مسعود رضي الله عنه.
وقال البيهقي: تفرد به مندل بن علي وليس بالقوي، وهو وإن لم يكن ثابتاً فمحمود في الأخلاق.
وابن ماجه (١٩٢١)، وكذا الطبراني في «المعجم الكبير» (١٧/ ١٢٩) عن عتبة بن عبد رضي الله عنه.
والطبراني في «المعجم الكبير» (٧٦٨٣) عن أبي أمامة رضي الله عنه.

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٧٦٨٣) عن أبي أمامة رضي الله عنه. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٤/ ٢٩٤): فيه عفير بن معدان وهو ضعيف.

(٣) في «أ» و«ت»: «ابن عمر».

(٤) رواه البزار في «المسند» (٢٣٥٣)، وكذا ابن حبان في «صحيحه» (٦٧٦٧)، وانظر: «الخصائص الكبرى» للسيوطي (٢/ ٢٧١).

وروى الطبراني عن أبي أمامة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ لِهَذَا الدِّيْنِ إِقْبَالاً وَإِدْبَاراً، أَلا وَإِنَّ إِقْبَالَ هَذَا الدِّيْنِ أَنْ تَفْقَهَ القَبِيْلَةُ بِأَسْرِهَا حَتَّىٰ لا يَبْقَى فِيْهَا إِلاَّ الفَاسِقُ أَوْ الفَاسِقَانِ، إِنْ تَكَلَّمَا قُهِرَا وَاضْطُهِدَا.

وَإِنَّ مِنْ إِدْبَارِ هَذَا الدِّيْنِ أَنْ تَجْفُوَ القَبِيْلَةُ بِأَسْرِهَا فَلا يَبْقَىٰ فِيْهَا إِلاَّ الفَقِيْهُ وَالفَقِيْهَانِ، فَهُمَا ذَلِيْلانِ إِنْ تَكَلَّمَا قُهِرَا وَاضْطُهِدَا، وَيَلْعَنُ آخِرُ هَذِهِ الأُمَّةِ أَوَّلَهَا، أَلا وَعَلَيْهِمْ حَلَّتْ اللَعْنَةُ حَتَّىٰ يَشْرَبُوْا الخَمْرَ عَلانِيَةً، وَحَتَّىٰ تَمُرَّ المَرْأَةُ بِالقَوْمِ فَيَقُوْمَ إِلَيْهَا بَعْضُهُمْ فَيَرْفَعُ بِذَيْلِهَا كَمَا يُرْفَعُ بِذَنَبِ النَّعْجَةِ فَقَائِلٌ يَقُوْلُ: أَلا وَارَيْتَهَا وَرَاءَ الحَائِطِ، فَهُوَ يَوْمَئِذٍ فِيْهِمْ مِثْلُ أَبِيْ بَكْرٍ وَعُمَرَ فِيْكُمْ، فَمَنْ أَمَرَ يَوْمَئِذٍ بِالمَعْرُوْفِ وَنَهَىٰ عَنِ المُنْكَرِ فَلَهُ أَجْرُ خَمْسِيْنَ مِمَّن رَآنِيْ وَآمَنَ بِي، وَأَطَاعَنِي وَبَايَعَنِي»[1].

والاضطهاذ ـ بالضاد المعجمة، والطاء المهملة، وبالذال المعجمة آخره ـ: الظلم والقهر؛ يقال: ضهذته فهو مضهوذ، ومضطهذ؛ أي: مقهور مضطر.

**٨٥ ـ ومنها: التشبه بالبهائم في إتيان الحليلة من غير تقدم مؤانسة وملاعبة، وضم وتقبيل، ونحو ذلك.**

روى الديلمي عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يَقَعْ أَحَدُكُمْ عَلَى أَهْلِهِ كَمَا تَقَعُ البَهِيْمَةُ، لِيَكُنْ بَيْنَهُمَا رَسُوْلٌ».

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٧٨٠٧). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٢٧١): فيه علي بن يزيد، وهو متروك.

قالوا: يا رسول الله! وما الرسول؟

قال: «القُبْلَةُ، وَالكَلامُ».

قال العراقي: وهو حديث منكر[1].

قلت: معناه مقبول، ولمؤانسة الزوجة وملاعبتها وفضلها أصلٌ من السنة أصيل.

ففي «الصحيحين» عن جابر ﷺ: أن النبي ﷺ قال: «هَلاَّ تزَوَّجْتَ بِكْراً تُلاعِبُهَا وَتُلاعِبُكَ».

وقال مسلم في رواية: «تُضَاحِكُكَ وَتُضَاحِكُهَا، وَتُلاعِبُكَ وَتُلاعِبُهَا».

وفي رواية: «أَيْنَ أَنْتَ عَنْ العَذَارَىْ وَلِعَابِـهَا»[2].

قال القاضي عياض: الرواية: «وَلِعابِـها» ـ بالكسر لا غير ـ وهو من اللعب.

قال: وقد ثبت لبعض رواة البخاري بضم اللام؛ أي: ريقها[3].

وروى ابن أبي خيثمة من حديث كعب بن عجرة رضي الله تعالى

---

(١) قال العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء» (١/ ٤٠٢): رواه الديلمي في «مسند الفردوس» من حديث أنس، وهو منكر.

(٢) رواه البخاري (٤٧٩٢)، ومسلم (٧١٥).

(٣) انظر: «شرح مسلم» للنووي (١٠/ ٥٢)، و«التلخيص الحبير» لابن حجر (٣/ ١٤٥).

عنه: أنه ﷺ قال لرجل، وذكر نحو حديث جابر، وفيه: «فَهَلاَّ بِكْراً تَعَضُّهَا وَتَعَضُّكَ»[1].

وروى أبو داود، والنسائي، وابن ماجه بإسناد صحيح: أن النبي ﷺ سابق عائشة رضي الله تعالى عنها فسبقته، ثم سبقها، فقال: «هَذِهِ بِتِلْكَ»[2].

وروى الإمام أحمد، وأبو داود، والنسائي عن عائشة رضي الله تعالى عنها: أن النبي ﷺ كان يقبل بعض أزواجه، ثم يصلي ولا يتوضأ[3].

وروى التوقيعي في «جزئه» كما ذكره السيوطي في «الجامع الصغير» من حديثها: أنه ﷺ كان يمص اللسان[4].

وقال الإمام الوالد رحمه الله تعالى في كتابه «فصل الخطاب»:

[من الرجز]

---

(١) ورواه البخاري في «التاريخ الكبير» (٣/ ٢٧٢) وقال: موسى بن دهقان يقولون تغير بأخرة، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٩/ ١٤٩).

(٢) رواه أبو داود (٢٥٧٨)، والنسائي في «السنن الكبرى» (٨٩٤٤)، وابن ماجه (١٩٧٩).

(٣) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٦/ ٢١٠)، وأبو داود (١٧٨)، والنسائي (١٧٠)، وكذا الترمذي (٨٦). وقال أبو داود والترمذي: إبراهيم التيمي لم يسمع من عائشة رضي الله عنها.

(٤) انظر: «الشمائل الشريفة» (ص: ٣٧١)، و«جامع الأحاديث» (٥/ ٥٦٠) كلاهما للسيوطي.

| | |
|---|---|
| وَذَكَــرَتْ عائِــشَةٌ أَنَّ النَّبــِيْ | كــانَ إِذا قَبَّــلَ حــالَ اللَّعِــبِ |
| بَعْــضَ نِــسائِهِ يَمُــصُّ مِنْهــا | لِــسانَها أَخْــرَجَ هَــذا عَنْهــا |
| ابْــنُ عَــدِيٍّ وَكَــذا أُخْــرِجَ عَــنْ | أَبــِي هُرَيْــرَةٍ بِإِسْــنادٍ حَــسَنْ |
| رَفَعَــــهُ أَنَّ الإِلَــــهَ يَعْجَــــبُ | مِــنْ رَجُــلٍ لأَهْلِــهِ يُلاعِــبُ |
| فَيَكْتُــــبُ اللهُ لَــــهُ أَجْــــرَيْنِ | وَيَجْعَــــلُ اللهُ بِــــهِ رِزْقَــــيْنِ |
| لَــهُ وَلِلزَّوْجَــةِ ثُــمَّ قِيــلَ لا | حَيــوانَ غَيْــرَ بَــشَرٍ قَــدْ قَــبَّلا |
| إِلاَّ الْحَمــــامَ إِنَّــــهُ يُقَبِّــــلُ | وَمَعَــهُ رَشْــفاً وَمَــصّاً يَفْعَــلُ |

وما ذكره الشيخ من أنه ليس في الحيوانات ما يقبل عند السفاد نقله ابن قتيبة في «عيون الإخبار» عن المثنى بن زهير(١).

**٨٦ ـ ومنها: إعجال الرجل أهله عند قضاء وطره؛ فإنه يكون بذلك متشبهاً بالبهيمة؛ فإن الحصان، والحمار، والثور، ونحوها تضرب إناثها حتى إذا أنزلت نزعت، ولم تلتفت إلى حاجة الإناث.**

وقد نص على ذلك ابن الحاج في «المدخل» فقال: وينبغي أنه يراعي حق زوجته في الجماع، وأن يأتيها ليصون دينها، ويكون قضاء حاجته تبعاً لغرضها، فيحصل إذ ذاك عموم قوله عليه الصلاة والسلام: «وَاللهُ فِيْ عَوْنِ العَبْدِ مَا دَامَ العَبْدُ فِيْ عَوْنِ أَخِيْهِ»(٢). انتهى؛ يعني: الحديث.

---

(١) انظر: «حياة الحيوان الكبرى» للدميري (ص: ٣٦٥).

(٢) رواه مسلم (٢٦٩٩) عن أبي هريرة ﷺ.

قال: وكثير من الناس لا يعرف السنة في ذلك، فيأتي زوجته فيقضي حاجته منها، وهي لم تقض منه وطراً كما تفعل البهائم، فيكون ذلك سبباً لأحد شيئين: إما فساد دينها، وإما تبقى مشوشة ومتشوقة إلى غيره، انتهى[1].

قلت: وقد نص صاحب الشرع ﷺ على هذا الأدب بعينه، وقال عليه الصلاة والسلام فيما رواه أبو يعلى من حديث أنس رضي الله عنه: «إِذَا جَامَعَ أَحَدُكُمْ أَهْلَهُ فَلْيَصْدُقْهَا، فَإِنْ سَبَقَهَا فَلا يُعْجِلْهَا»[2].

وفي رواية: «إِذَا جَامَعَ أَحَدُكُمْ أَهْلَهُ فَلْيَصْدُقْهَا، ثُمَّ إِذَا قَضَىٰ حَاجَتَهُ قَبْلَ أَنْ تَقْضِيَ حَاجَتَهَا فَلا يُعْجِلْهَا حَتىَّ تَقْضِيَ حَاجَتَهَا»[3].

وروى ابن عدي عن طلق رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «إِذَا جَامَعَ أَحَدُكُمْ امْرَأَتَهُ فَلا يَتَنَحَّى حَتىَّ تَقْضِيَ حَاجَتَهَا كَمَا يُحِبُّ أَنْ يَقْضِيَ حَاجَتَهُ»[4].

---

(١) انظر: «المدخل» لابن الحاج (٢/ ١٨٦).

(٢) رواه أبو يعلى في «المسند» (٤٢٠١)، وكذا ابن أبي الدنيا في «العيال» (٢/ ٥٧٥).

(٣) رواه أبو يعلى في «المسند» (٤٢٧٠)، وكذا عبد الرزاق في «المصنف» (١٠٤٦٨). وهذه الروايات إما أن فيها راو مجهول، أو أن فيها انقطاعاً.

(٤) رواه ابن عدي في «الكامل» (٦/ ١٥٠) وأعله بمحمد بن جابر اليمامي.

**٨٧ ـ ومنها: أن لا يتقيد من له زوجتان فأكثر بالقسم، فيبيت عند من يشاء منهن، فيكون متشبهاً بالفحل إذا خلي بينه وبين الشول يضرب ما يشاء منها، وكالتيس والثور.**

ومن هنا استحب التسوية بين الزوجتين في النكاح - وإن لم يجب -.

وبالجملة فإن الإنسان البالغ فرق ما بينه وبين سائر الحيوانات ربطه، وارتباطه بقيد الشرع ورِبْقة التكليف، فلا يختص تشبهه المذموم بالبهائم بنوع من الأنواع كترك التقيد بالقسم بين الزوجات، بل كل ما خرج فيه عن باب من أبواب الشرع في معاشه فهو به بالبهائم أشبه.

وما أحسن ما قيل: [من الكامل]

أَبُنَـيَّ إِنَّ مِـنَ الرِّجـالِ بَهِيمَـةً ... فِي صُورَةِ الرَّجُلِ السَّمِيعِ الْمُبْصِرِ

وأقول: [من المحدث]

مَـنْ لَـيْسَ بِـشَرْعِ اللهِ لَـهُ ... قَيْـدٌ يَحْمِيـهِ عَـنِ الأَشَـرِ

لا يَكْـذِبُ مَـنْ قَـدْ قـالَ لَـهُ ... مـا ذَلِـكَ مِـنْ جِـنْسِ البَـشَرِ

مَـنْ خـالَفَ فِـيْ خُلُـقٍ بَـشَراً ... يُلْحَـقُ بِالـشَّاءِ وَبِـالبَقَرِ

**٨٨ ـ ومنها: التشبه في التقذر وترك النظافة والطهارة بالعِفْر ـ بكسر المهملة، وسكون الفاء ـ وهو ذكر الخنازير، وبإناثها، وبالجرد، والجعل، والكلاب، والحمر، والإوز، والدجاج، وغيرهم.**

وفي المثل كما ذكره الزمخشري: أطفس من عفر: من الطفس، وهو الخبث والقذر؛ يضرب لمن لا يتعاهد الغسل، ولا يتنظف[1].

وقال في «الصحاح»: الطفس ـ بالتحريك ـ: الوسخ، والدَّرن[2].

روى الترمذي عن سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه: أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ اللهَ طَيِّبٌ يُحِبُّ الطَّيِّبَ، نَظِيْفٌ يُحِبُّ النَّظَافَةَ، كَرِيْمٌ يُحِبُّ الكَرَمَ، جَوَادٌ يُحِبُّ الجُوْدَ؛ فَنَظِّفُوْا أَفْنِيَتَكُمْ وَلا تَشَبَّهُوْا بِالْيَهُوْدِ»[3].

وروى البيهقي في «الشعب» عن عائشة رضي الله تعالى عنها: أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ اللهَ يُبْغِضُ الوَسِخَ وَالشَّعِثَ»[4].

وروى ابن أبي شيبة، والطبراني في «الكبير» عن سليمان بن صرد رضي الله تعالى عنه: أنه سمع النبي ﷺ يقول: «اسْتَاكُوْا، وَتَنَظَّفُوْا، وَأَوْتِرُوْا؛ فَإِنَّ اللهَ وِتْرٌ يُحِبُّ الوِتْرَ»[5].

---

(١) انظر: «المستقصى في أمثال العرب» للزمخشري (١/ ٢٢٣).

(٢) انظر: «الصحاح» للجوهري (٣/ ٩٤٤) (مادة: طفس).

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٦٢٢٦). وفيه خالد بن نجيح كذاب.

(٥) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (١٨٠٦)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٧٤٤٢). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٢/ ٢٤٠): رواه الطبراني، وفيه إسماعيل بن عمرو البجلي، ضعفه أبو حاتم والدارقطني وابن عدي، ووثقه ابن حبان، وإبراهيم بن أورمة ذكره فأحسن الثناء عليه.

وروى ابن عساكر عن علي رضي الله تعالى عنه: أن النبي ﷺ قال: «اغْسِلُوْا ثِيَابَكُمْ، وَخُذُوْا مِنْ شُعُوْرِكُمْ، وَاسْتَاكُوْا، وَتَزَيَّنُوْا، وَتَنَظَّفُوْا؛ فَإِنَّ بَنِيْ إِسْرَائِيْلَ لَمْ يَكُوْنُوْا يَفْعَلُوْنَ ذَلِكَ فَزَنَتْ نِسَاؤُهُمْ»[1].

**٨٩ ـ ومنها: التشبه بالبهائم والطير في ترك تقليم الأظفار وإزالة الشعور التي إزالتها من السنة، وترك السواك.**

روى الإمام أحمد، والطبراني عن أبي أيوب رضي الله تعالى عنه: أن النبي ﷺ قال لرجل: «تَسْأَلُنِي عَنْ خَبَرِ السَّمَاءِ وَتَدَعُ أَظْفَارَكَ كَأَظْفَارِ الطَّيْرِ يَجْتَمِعُ فِيْهَا الخَبَاثَةُ وَالخبثُ وَالتَّفَثُ؟»[2].

وروى الدارقطني في «الأفراد» عن العباس رضي الله تعالى عنه: أن النبي ﷺ قال: «اسْتَاكُوْا، اسْتَاكُوْا، اسْتَاكُوْا؛ تَأْتُوْنِي قُلْحاً؟»[3].

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٥/ ٤١٧) وقال: لم يقل وكيع مرة: الأنصاري، وقال غيره: أبو أيوب العتكي ـ وهو تابعي ـ قال أبو عبد الرحمن: قال أبي يسبقه لسانه، يعني وكيعاً، فقال: لقيت أبا أيوب الأنصاري، وإنما هو أبو أيوب العتكي.
والطبراني في «المعجم الكبير» (٤٠٨٦). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٥/ ١٦٨): رواه أحمد والطبراني باختصار، ورجالهما رجال الصحيح، خلا أبا واصل، وهو ثقة.

(٣) رواه الدارقطني في «الأفراد» كما في «أطراف الغرائب والأفراد» لابن طاهر المقدسي (٤/ ٢٠٧). =

وأخرجه الحكيم الترمذي عن تمام بن عباس يرفعه: «اسْتَاكُوْا؛ مَا لَكُمْ تَدْخُلُوْنَ عَلَيَّ قُلْحاً؟»[1].

والقلح ـ بضم القاف، وإسكان اللام ـ: جمع أَقْلُح، والقلح: صفرة في الأسنان.

**٩٠ ـ ومنها: التشبه بالبهائم في ترك الاغتسال من الجنابة خصوصاً إذا حضرت الصلاة.**

كذلك إذا لم تغتسل المرأة من الحيض، فإنها تشبه ما يحيض من الدواب كالأرنب.

بل مهما حضر وقت تؤدى فيه طاعة وتأخر عنها العبد، ولم يؤدها فهو أشبه شيء بالبهيمة؛ كترك الصلاة، والاشتغال عنها في وقتها، وترك التسمية عند الأكل والشرب، والنكاح، ودخول المسجد، والبيت، والخلاء، وترك الحمد عند الفراغ من الأكل والشرب، وعند لبس الثوب الجديد، وعند العطاس، وترك تشميت إذا حمد، وترك السلام ورده، وكذلك ترك سائر الآداب كل أدب في

---

= وروى البزار في «المسند» (١٣٠٢)، وأبو يعلى في «المسند» (٦٧١٠)، والضياء المقدسي في «الأحاديث المختارة» (٤٨٧). قال ابن حجر في «التلخيص الحبير» (١/ ٦٩): قال ابن السكن: فيه اضطراب.

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١/ ٢١٤)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٣٠١). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ٢٢١): رواه أحمد والطبراني، وفيه أبو علي الصيقل، وهو مجهول.

محله، وترك الاستغفار والتوبة من الذنب؛ فإن البهائم لا تعقل شيئاً من ذلك، ولا تفعله، ولا هي مكلفة به، فإذا تشبه بها في ذلك كسب النزول إلى حضيض البهيمة، وحرم ثواب ما ترك من هذه الآداب، وباء بإثم ما ترك من الفرائض.

وكذلك الجزع عند المصيبة، وترك الاسترجاع يكون العبد متشبهاً فيه بالبهيمة، وإن انضم إلى ذلك نواح أو ولولة أو صراخ كان في ذلك شبيهاً بالكلاب العاوية.

ولذلك قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ هَذِهِ النَّوَائِحَ يُجْعَلْنَ يَوْمَ القِيامَةِ صَفَّيْنِ في جَهَنَّمَ: صَفٌّ عَنْ يَمِيْنِهِمْ، وَصَفٌّ عَنْ يَسَارِهِمْ، فَيَنْبَحْنَ عَلَىْ أَهْلِ النَّارِ كَمَا تَنْبُحُ الكِلابُ». رواه الطبراني في «الأوسط» من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه[1].

وكذلك إذا كان العبد في نعمة ـ خصوصاً إذا فجأته ـ فلم يشكر الله تعالى، أو أحسن إليه محسن من الناس بإنعام أو إكرام، فلم يشكره، كان في ذلك كالبهيمة التي يعلفها صاحبها، ويحسن الكَلأ رعيها، فلا يكون له منها شكر ولا مكافأة.

فإن قابل الإحسان بالإساءة كان كالبغل بالخصوص يهيىء له سائِسُه العلف، وهو يهيىء له الرفس، بل هو شيطان مريد.

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٥٢٢٩). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٣/ ١٤): فيه سليمان بن داود اليمامي، وهو ضعيف.

**٩١ ـ ومنها: تشبه المرأة في الصخب على زوجها، والتنكيد بالوع والوعوع، وهو ابن آوى.**

قال في «القاموس»: والثعلب من الوعوعة، وهي أصوات الكلب ونحوها[١].

روى الخطيب عن علي ﷺ قال: النساء أربع: القرثع، والوعوع، والغل الذي لا ينزع، وجامعة تجمع؛ فأما القرثع فالسمجة، وأما الوعوع فالسخابة، وأما الغل الذي لا ينزع فالمرأة السوء لرجل منها أولاد لا يدري كيف يتخلص، وأما الجامعة التي تجمع فهي التي تجمع الشمل وتلم الشعث[٢].

والقرثع ـ بضم القاف، والمثلثة، بينهما راء ساكنة ـ: فسرت في الحديث بالسمجة؛ أي: القبيحة.

وقال في «القاموس»: المرأة الجريئة القليلة الحياء، والبلهاء[٣].

قال صاحب «الصحاح»: وسئل أعرابي عنها، فقال: هي التي تكحل إحدى عينيها وتترك الأخرى، وتلبس قميصها مقلوباً[٤].

**٩٢ ـ ومنها: تشبه المرأة أيضاً في الضَّراوة والسَّلاطة على**

---

(١) انظر: «القاموس المحيط» للفيروز آبادي (ص: ٩٩٧) (مادة: وعع).

(٢) رواه الخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (٥/ ٣٠٠).

(٣) انظر: «القاموس المحيط» للفيروز آبادي (ص: ٩٦٧) (مادة: قرثع).

(٤) انظر: «الصحاح» للجوهري (٣/ ١٢٦٤) (مادة: قرثع).

**زوجها، أو ضرتها، أو جارتها بالذئبة ونحوها.**

قال القمي: من أمثالهم: أسلط من سِلقة، وهي الذئبة[1].

قال الزمخشري: من السلاطة، وهي شدة الصخب، وسوء اللسان[2].

وقلت: [من الرجز]

| | |
|---|---|
| وَامْــرَأَةٌ أَسْــلَطُ مِــنْ سِــلْقَةْ | أَصْبَحَ مِنْهـا البَعْـلُ فِـي رِبْقَـةْ |
| أَوْلادُهُ مِنْهـــا فَمـــا إِنْ لَـــهُ | مِنْهـــا خَـــلاصٌ لا وَلا فُرْقَـــةْ |
| لا إِنْ شَكى يُـشْكَى وَلا إِنْ بَكـا | يُرْثَـى لَـهُ مِـنْ هَـذِهِ الْحُرْقَـةْ |
| تَقْـــرُصُ كَـــالأَفْعَى وَلَكِنَّهـــا | تَـرْقُصُ رَقْـصَ الـذِّئْبِ وَالإِنْقَـةْ |

هذا البلاء المستعاذ برب العرش منه هي من حقه.

والإنقة مؤنث الإنق ـ بكسر الهمزة فيهما ـ، وهو الذئب.

قال في «الصحاح»: وربما قالوا للقرد: إلقة، ولا يقال للذكر ـ أي: من القرود ـ إلقة، ولكن قرد رُبَّاح؛ أي: كَرُمَّان، وهذا المعنى الثاني هو الذي أردته في البيت[3].

وقد وقع تشبيه المرأة السوء بالذئبة الغبشاء، وهي التي تغبش في الغبش في شعر الأعشى المازني الذي أنشده للنبي ﷺ فيما رواه عبد

---

(١) وانظر: «جمهرة الأمثال» للعسكري (١/ ٥٣٤).

(٢) انظر: «المستقصى في أمثال العرب» للزمخشري (١/ ١٧٠).

(٣) انظر: «الصحاح» للجوهري (٤/ ١٤٤٦) (مادة: ألق).

الكريم بن السمعاني في «ذيل تاريخ بغداد» عن الجنيد بن أمين بن ذروة بن نضلة بن طريف بن بهضل، عن أبيه، عن أبيه، عن أبيه نضلة ابن طريف: أن رجلاً منهم يقال له: الأعشى، واسمه: عبدالله بن الأعور، كان عنده امرأة منهم يقال لها: معاذة، فخرج يَمير أهله من هجر، فهربت امرأته من بعده، فأنشزت عليه، فعاذت برجل منهم يقال له: مطرف بن بهضل، فأتاه فقال له: يا ابن عم! عندك امرأتي معاذة فادفعها إلي.

قال: ليست عندي، ولو كانت عندي لم أدفعها إليك.

وكان مطرف أعز منه، فخرج حتى أتى النبي ﷺ، فعاذ به، فأنشأ يقول: [من الرجز]

يا سَيِّدَ النَّاسِ وَديَّانَ العَرَبْ ... إِلَيْكَ أَشْكُو ذِرْبَةً مِنَ الذِّرَبْ

كَالذِّئْبَةِ الغَبْشاءِ فِي ظِلِّ السَّرَبْ ... خَرَجْتُ أَبْغِيها الطَّعامَ فِي رَجَبْ

فَخَلَّفَتْنِي بِنِزاعٍ وَهَرَبْ ... أَخْلَفَتِ الوَعْدَ وَلَطَّتْ بِالذَّنَبْ

وَهُنَّ شَرُّ غالِبٍ لِمَنْ غَلَبْ

فقال النبي ﷺ: «وَهُنَّ شَرُّ غَالِبٍ لِمَنْ غَلَبْ».

فشكا إليه امرأته، وأنها عند رجل منهم يقال له: مطرف بن بُهضُل، فكتب إليه النبي ﷺ كتاباً: «انْظُرِ امْرَأَةَ هَذا مُعاذَةَ فَادْفَعْها إِلَيْهِ».

قال: فقرىء عليه كتاب النبي ﷺ، فقال: يا معاذة! هذا كتاب النبي ﷺ فيك، وأنا دافعك إليه.

قالت: فخذ لي عليه العهد والميثاق، وذمة نبيه ﷺ أن لا يعاقبني فيما صنعت.

فأخذ لها ذلك عليه، ودفعها مطرف إليه.

أخرجه أبو الفتح بن سيد الناس في كتابه «منح المدح» بنحوه[1].

وفي «الصحاح»: امرأة ذربة صخابة، وذِرْبة أيضاً مثل قربة، وأنشد البيت[2].

وقال في «القاموس»: الذِربة ـ بالكسر ـ: السليطة[3].

وأنشد الشيخ تاج الدين السبكي في «طبقاته» لأعرابي قيل له: من لم يتزوج امرأتين لم يذق حلاوة العيش، فتزوج امرأتين، فندم، ثم أنشأ يقول: [من الوافر]

تَزَوَّجْتُ اثْنَتَيْنِ لِفَرْطِ جَهْلِي ... بِما يَشْقَى بِهِ زَوْجُ اثْنَتَيْنِ

فَقُلْتُ أَصِيرُ بَيْنَهُما خَرُوفاً ... أُنَعَّمُ بَيْنَ أَكْرَمِ نَعْجَتَيْنِ

فَصِرْتُ كَنَعْجَةٍ تُضْحِي وَتُمْسِي ... تُداوَلُ بَيْنَ أَخْبَثِ ذِئْبَتَيْنِ

رِضَى هَذِي يُهيِّجُ سُخْطَ هَذِي ... فَما أَعْرَى مِنْ إِحْدى السَّخْطَتَيْنِ

وَأَلْقَى فِي الْمَعِيشَةِ كُلَّ بُؤْسٍ ... كَذاكَ الضَّرُّ بَيْنَ الضَّرَّتَيْنِ

---

(١) ورواه الإمام أحمد في «المسند» (٢/ ٢٠٢)، والبخاري في «التاريخ الكبير» (٢/ ٦١)، وأبو يعلى في «المسند» (٦٨٧١) كلاهما مختصراً.

(٢) انظر: «الصحاح» للجوهري (١/ ١٢٧) (مادة: ذرب).

(٣) انظر: «القاموس المحيط» للفيروز آبادي (ص: ١٠٩) (مادة: ذرب).

لِهَـذِي لَيْلَـةٌ وَلِتِلْـكَ أُخْـرَى عِتَـابٌ دائِـمٌ فِـي اللَّيْلَتَـيْنِ[1]

*** تَنْبِـيهٌ:**

المرأة ـ وإن كانت الغيرة مكتوبة عليها، وأقيم للغيراء العذر بقوله ﷺ: «مَا تَدْرِيْ الغَيْرَاءُ أَعْلَىْ الوَادِي مِنْ أَسْفَلِهِ» كما ذكره التجاني في «تحفة الفردوس»[2]؛ حتى قال مالك، وغيره من علماء المدينة بإسقاط الحد عن المرأة إذا قذفت زوجها على وجه الغيرة ـ فإن الأكمل في حقها الصبر والتسلي؛ فإن تزوُّج الرجل بأكثر من واحدة شيء رخص فيه للرجال لتكون راضية بحكم الله تعالى، حاصلة على الثواب الذي أعده الله تعالى لها على ذلك.

روى الطبراني في «الكبير» عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه: أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ اللهَ تَعَالى كَتَبَ الغَيْرَةَ عَلَىْ النِّسَاءِ وَالجِهَادَ عَلَى الرِّجَالِ؛ فَمَنِ صَبَرَ مِنْهُنَّ إِيمَاناً وَاحْتِسَاباً كَانَ لَهَا مِثْلُ أَجْرِ الشَّهِيْدِ»[3].

ولمَّا كانت الغيرة من المرأة مكدرة بينها وبين الرجل، منغصة لعيشتهما، شاغلة لقلوبهما قال النبي ﷺ حين قالوا: يا رسول الله! ألا تتزوج من الأنصار؟

---

(١) انظر: «طبقات الشافعية الكبرى» للسبكي (٩/ ٤٢٤).

(٢) ورواه عبد الرزاق في «المصنف» (١٣٢٦٤) عن الحسن مرسلاً.

(٣) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٠٠٤٠). قال ابن حجر في «فتح الباري» (٩/ ٣٢٥): أخرجه البزار، وأشار إلى صحته، ورجاله ثقات، لكن اختلف فيه في عبيد بن الصباح.

قال: «إِنَّ فِيْهِمْ لَغَيْرَةً شَدِيْدَةً». رواه النسائي عن أنس رضي الله تعالى عنه[1].

ولما كانت الغيرة قل أن يسلم منها امرأة بشهادة حديث ابن مسعود المتقدم قال الفقهاء: يستحب للرجل ألا يزيد على امرأة واحدة إلا إذا لم يتحصن إلا بأكثر من واحدة.

**٩٣ ـ ومنها: التشبه بالعضرفوط في قلة الأدب مع القِبلة، وترك الآداب؛ وهي دويبة لا خير فيها.**

وقيل: هي ذكر العظاه، تذكر الأعراب أنها لا تبول قط إلا شغرت ببولها تلقاء القبلة[2].

ومن عادة الكلب أنه إذا بلغ السفاد بال كذلك شاغراً برجله لأي جهة كانت، لا يبالي معظمة كانت تلك الجهة أو غير معظمة.

ويشبه الكلب في ذلك من يبول إلى جدران المساجد ولو من ظاهرها، أو يستجمر بها، وذلك حرام.

**٩٤ ـ ومنها: التبختر في المشي تشبهاً بالديك، والغراب، والطاوس لأنها تتبختر في مشيها.**

ولذلك قالوا في المثل: أخيل من ديك، ومن غراب، وأزهى من طاوس؛ كما تقدم.

---

(١) رواه النسائي (٣٢٣٣).

(٢) انظر: «حياة الحيوان الكبرى» للدميري (٢/ ١٦٦).

وقال الراجز: [من الرجز]

سُبْحانَ مَنْ مِنْ خَلْقِهِ الطَّاوُوسُ ... طَيْـرٌ عَلـى أَشْـكالِهِ رَئِـيسُ

فِي الوَشْـيِ مِنْـهُ ركبـتْ فلـوسُ ... كَأَنَّـهُ فِـي مَـشْيِهِ عَـرُوسُ[1]

**٩٥ ـ ومنها: مصاحبة أهل الشر، ومجامعتهم على الظلم، ومجالستهم في غير طاعة الله تعالى تشبهاً بالغراب، والذئب في وقوعها على الجيف مع أنهما غير متجانسين.**

وقد قالت العرب في أمثالها: كالغراب والذئب؛ يضرب للرجلين بينهما موافقة لا يختلفان[2]، وإذا اتفقا على المكروه كان المثل فيهما أظهر؛ لأن الذئب إذا أغار على الغنم تبعه الغراب ليأكل ما فضل منه.

وأتباع الظلمة أشبه الناس بالغربان إذا لحقوا بهم لينالوا مما ينالونه من غصب الناس وظلمهم.

**٩٦ ـ ومنها: أن يحاول الإنسان مرتبة لا تليق به التحاقاً بأرباب المراتب، فربما رين به دون بلوغ مطلوبه، وربما أراد العود إلى مرتبته فلا يطيقها، وهو في ذلك متشبه بالعلق والغراب.**

وفي أمثال العامة: إن العلقة إذا أرادت مطاولة الحية تقطعت ولم تبلغ طولها.

---

(١) انظر: «حياة الحيوان الكبرى» للدميري (١/ ٤٥٥).

(٢) انظر: «مجمع الأمثال» للميداني (٢/ ١٦٠).

وتزعم العرب أن الغراب نظر إلى الحمامة تمشي، فأراد محاكاتها في مشيه، فنسي مشيه، ولم يبلغ مشيها حتى قال الشاعر:

[من الكامل]

إِنَّ الغُرابَ وَكانَ يَمْشِي مَشْيَهُ ... فِيما مَضَى مِنْ سالِفِ الأَحْوالِ
حَسَدَ القَطاةَ وَكانَ يَمْشِي مَشْيَها ... فَأَصابَهُ ضَرْبٌ مِنَ التَّعْقالِ
فَأَضَلَّ مِشْيَتَهُ وَأَخْطَأَ مَشْيَها ... فَلِذاكَ سَمَّوْهُ أَبا الْمِرْقالِ[1]

**٩٧ ـ ومنها: التشبه في سرعة الغضب بالخنفساء، وفي شدته بالنمر.**

ومن أمثالهم: هو أسرع غضباً من فاسية وهي الخنفساء؛ وذلك لأنها إذا تحركت فست وفاح نتنها[2].

وقالوا: إن النمر أخبث من الأسد؛ فإنه لا يملك نفسه عند الغضب حتى يبلغ من شدة غضبه أنه يقتل نفسه[3].

ويقال: إنه أشد السباع حَرَداً إذا حرب.

وقال الأصمعي: يقال: تنمر فلان له؛ أي: تنكر، وتغير، وأوعده؛ لأن النمر لا تلقاه أبداً إلا متنكراً غضبان[4].

والللائق بالإنسان المفضَّل بالعقل عن سائر الحيوان أن يملك

---

(١) انظر: «العقد الفريد» لابن عبد ربه (٢/ ١٦٣).
(٢) انظر: «مجمع الأمثال» للميداني (١/ ٣٥٠).
(٣) انظر: «حياة الحيوان الكبرى» للدميري (٢/ ٤٩٥).
(٤) انظر: «حياة الحيوان الكبرى» للدميري (٢/ ٤٩٥).

بعقله نفسه عند الغضب، وإلا كان سبعاً كاسراً، أو شيطاناً مريداً كما تقدم في التشبه بالشيطان.

روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رجل: يا رسول الله! مرني بعمل، وأقلل.

قال: «لا تَغْضَبْ».

ثم أعاد عليه، فقال: «لا تَغْضَبْ»[1].

وروى أبو يعلى بسند حسن، عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قلت لرسول الله ﷺ: قل لي قولاً، وأقلل لعلي أعقله.

فقال: «لا تَغْضَبْ».

فأعدت عليه مرتين؛ كل ذلك يرجع إلي: «لا تَغْضَبْ»[2].

وروى ابن أبي الدنيا، والطبراني في «معجمه الكبير»، و«الأوسط» بإسناد حسن، عن أبي الدرداء رضي الله تعالى عنه قال: قلت: يا رسول الله! دُلَّني على عمل يدخلني الجنة.

قال: «لا تَغْضَبْ»[3].

وروى الإمام أحمد عن عبدالله بن عمرو[1] رضي الله تعالى

---

(١) رواه البخاري (٥٧٦٥)، وعنده: «أوصني» بدل «مرني بعمل وأقلل».

(٢) رواه أبو يعلى في «المسند» (٥٦٨٥). وحسن العراقي إسناده في «تخريج أحاديث الإحياء» (٢/ ٨٤١).

(٣) رواه «المعجم الأوسط» (٢٣٥٣). قال العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء» (٢/ ٨٤٢): رواه ابن أبي الدنيا والطبراني في «الكبير» و«الأوسط» وإسناده حسن.

عنهما: أنه سأل النبي ﷺ، وأخرجه الطبراني في «مكارم الأخلاق»، وابن عبد البر في «التمهيد» بإسناد حسن، عنه قال: سأل رجل رسول الله ﷺ: ما يبعدني من غضب الله؟

قال: «لا تَغْضَبْ»[2].

وروى الشيخان عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه: أن النبي ﷺ قال: «مَا تَعُدُّوْنَ الصُّرَعَةَ فِيْكُمْ؟».

قلنا: الذي لا يصرعه الرجال.

قال: «لَيْسَ ذَلِكَ، وَلَكِنْ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الغَضَبِ»[3].

وروى البيهقي في «الشعب» بإسناد جيد، عن عبد الرحمن بن عجلان مرسلاً: أن النبي ﷺ قال: «أَشَدُّكُمْ مَنْ مَلَكَ نَفْسَهُ عِنْدَ الغَضَبِ»[4].

وهو عند ابن أبي الدنيا بسند ضعيف، من حديث علي ﷺ،

---

(١) في «أ» و«ت»: «عبدالله بن عمر».

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢/ ١٧٥)، والطبراني في «مكارم الأخلاق» (ص: ٤٧)، وابن عبد البر في «التمهيد» (٧/ ٢٥١). وحسن العراقي إسناد ابن عبد البر في «تخريج أحاديث الإحياء» (٢/ ٨٤١).

(٣) رواه مسلم (٢٦٠٨). وقد عده الحميدي في «الجمع بين الصحيحين» (١/ ٢٤٦) من أفراد مسلم.

(٤) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٨٢٧٤). وحسن العراقي إسناده في «تخريج أحاديث الإحياء» (٢/ ٨٤٨).

وزاد فيه: «وَأَحْلَمُكُمْ مَنْ عَفَا بَعْدَ القُدْرَةِ»[1].

وروى البيهقي بسند ضعيف، من حديث علي رضي الله تعالى عنه: أن النبي ﷺ قال: «خَيْرُ أُمَّتي أَحِدَّاؤهَا؛ الَّذِيْنَ إِذَا غَضِبُوْا رَجعُوْا»[2].

وروى ابن أبي الدنيا في «الصمت»، والبيهقي في «الشعب» بإسناد حسن، عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما: أنه سمع النبي ﷺ يقول: «مَنْ كَفَّ لِسَانَهُ سَتَرَ اللهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ مَلَكَ غَضَبَهُ وَقَاهُ اللهُ عَذَابَهُ، وَمَنِ اعْتَذَرَ إِلى اللهِ قَبِلَ اللهُ عُذْرَهُ»[3].

وروى البزار، وابن عدي في «الكامل» بإسناد ضعيف، عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «لِلنَّارِ بَابٌ لا يَدْخُلُهُ إِلاَّ مَنْ شَفَىْ غَيْظَهُ بِمَعْصِيَةِ اللهِ»[4].

---

(١) قال العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء» (٢/ ٨٤٨): رواه ابن أبي الدنيا من حديث علي ﷺ بسند ضعيف.

(٢) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٨٣٠١)، وكذا الطبراني في «المعجم الأوسط» (٥٧٩٣). وضعف العراقي إسناده في «تخريج أحاديث الإحياء» (٢/ ٨٤٣).

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في «الصمت وآداب اللسان» (ص: ٥٥) عن ابن عمر ﷺ. وحسن العراقي إسناده في «تخريج أحاديث الإحياء» (٢/ ٧٦٨). والبيهقي في «شعب الإيمان» (٨٣١٢) عن ابن عمرو ﷺ.

(٤) رواه البزار في «المسند» (٥١٨٠)، وابن عدي في «الكامل» (٦/ ٥١) وقال: حديث غير محفوظ.

وروى ابن السني في «عمل اليوم والليلة» من حديث عائشة رضي الله تعالى عنها: أن النبي ﷺ كان إذا غضبت عائشة أخذ بأنفها، وقال: «يَا عُوَيْشُ! قُوْلي: اللهُمَّ رَبَّ مُحَمَّدٍ! اغْفِرْ لي ذَنْبي، وَأَذْهِبْ غَيْظَ قَلْبي، وَأَجِرْني مِنْ مُضِلاَّتِ الفِتَنِ»[1].

**٩٨ ـ ومنها: التشبه بالحمار ونحوه في عدم التأثر من الكلام الفاحش، وفي الإقامة على الذل، والرضا به في غير حق.**

روى أبو نعيم عن الربيع قال: سمعت الشافعي رضي الله تعالى عنه يقول: من استغضب فلم يغضب فهو حمار، ومن استرضي فلم يرض فهو شيطان.

وفي رواية: ومن غضب، فاسترضي، فلم يرض فهو شيطان.

وفي راوية: ومن استغضب فلم يغضب فهو حمار، ومن استرضي فلم يرض فهو شيطان[2].

وفي رواية: ومن غضب، فاسترضي ولم يرض فهو جبار[3].

قال الباخرزي: [من المنسرح]

مالِي أَرى النَّاسَ يَأْخُذُونَ وَيُعْـ ـطُونَ وَيَسْتَمْتِعُونَ بِالنَّشَبِ

---

(١) رواه ابن السني في «عمل اليوم والليلة» (ص: ٥٧٨). وضعف العراقي إسناده في «تخريج أحاديث الإحياء» (٢/ ٢٩٦).

(٢) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٩/ ١٤٣).

(٣) انظر: «سراج الملوك» للطرطوشي (ص: ٦٩).

وَأَنْتَ مِثْلَ الْحِمارِ أَبْكَمُ لا تَشْكُو جِراحاً بِأَلْسُنِ العَرَبِ[1]

وقال آخر: [من البسيط]

وَلا يُقِيمُ عَلى ضَيْمٍ يُسامُ بِهِ إِلاَّ الأَذَلاَّنِ عَيْرُ الْحَيِّ وَالوَتَدُ

هَذا عَلى الْخشفِ مَرْبُوطٌ بِرُمَّتِهِ وَذا يُشَجُّ فَلا يَرْثِي لَهُ أَحَدُ[2]

وروى الإمام أحمد، والترمذي، وابن ماجه عن حذيفة رضي الله تعالى عنه، والإمام أحمد، والطبراني في «الأوسط»، والبيهقي في «الشعب» عن علي، وابن عمر رضي الله تعالى عنهم: أن النبي ﷺ قال: «لا يَنْبَغِي لِلْمُؤْمِنِ أَنْ يُذِلَّ نَفْسَهُ».

قالوا: كيف يذل [نفسه].

قال: «يَتَعَرَّضُ مِنَ البَلاءِ مَا لا يُطِيْقُ»[3].

**٩٩ ـ ومنها: أن يعجب الإنسان بعقله ومعرفته، وهو من البلادة على جانب لا يتنبه، وإن نبه فيكون في جهله المركب أشبه شيء بالحمار.**

وقال الزمخشري: يقال: أبلد من ثور، ومن سُلَحْفاة.

وذكر من أمثالهم: إنما طعام فلان القفعاء والتأويل؛ قال: وهما نَبْتان يأكلهما الحمار، يضرب لمن استبلد فهمه[4].

---

(١) انظر: «الحيوان» للجاحظ (٥/ ٢٩٤).

(٢) البيتان للمتلمس. انظر: «أدب الدنيا والدين» للماوردي (ص: ٢٦٥).

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) انظر: «مجمع الأمثال» للميداني (١/ ٧٦).

وفي أمثال العامة: ماذا يعرف الحمير بأكل الزنجبيل.

وقيل في توما الحكيم، وكان يأتي من يطبهم على حمار: [من مخلع البسيط]

قَالَ حِمَارُ الْحَكِيمِ توما ... لَوْ أَنْصَفُونِي لَكُنْتُ أَرْكَبْ

لأَنَّنِي جاهِلٌ بَسِيطٌ ... وَصاحِبِي جاهِلٌ مُرَكَّبْ[1]

**١٠٠ ـ ومنها: التشبه بالحمار في رد الكرامة.**

روى سعيد بن من منصور في «سننه» عن محمد بن علي؛ وهو محمد بن الحنفية قال: أُلقي لعلي رضي الله تعالى عنه وِسادة فقعد عليها، وقال: لا يأبى الكرامةَ إلا حمارٌ[2].

وأخرجه الديلمي عن ابن عمر ـ رضي الله تعالى عنهما ـ مرفوعاً[3].

وهذا الأثر دائر على الألسنة بلفظ: إلا لئيم، والمعنى متقارب.

وذكر حجة الإسلام في «الإحياء»: أن أنس بن مالك ﷺ اجتمع هو وثابت البناني على طعام، فقدم أنس بن مالك الطست إليه، فامتنع، فقال: إذا أكرمك أخوك فاقبل كرامته، ولا تردَّها؛ فإنما يُكْرِم اللهَ تعالى[4].

---

(١) انظر: «نهاية الأرب» للنويري (١٠/ ٦١).

(٢) ورواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٢٥٥٨٧).

(٣) رواه الديلمي في «مسند الفردوس» (٧٦٨١).

(٤) انظر: «إحياء علوم الدين» للغزالي (٢/ ٨).

**١٠١ - ومنها: التشبه بالحمار وغيره من البهائم في عدم الانزجار عن الشيء إلا بالإهانة، والضرب بالسَّوط ونحوه.**

روى عبدالله ابن الإمام أحمد في «زوائد الزهد» عن سفيان بن عيينة قال: قال أمير المؤمنين علي - رضي الله تعالى عنه - للناس: عاقبتكم بالدِّرَّة التي يعاقب بها أولي النهى، وعاقبتكم بالسوط الذي يعدل به الإبل.

وذكر ابن سعد في «طبقاته»: أن أول من اتخذ الدِّرَّة عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

قال: ولقد قيل بعده: لَدِرَّةُ عمر أَهيبُ من سوطكم[١].

قلت: وإنما كان لأمرين:

**الأول:** قوة عمر رضي الله عنه وصلابته في الدين، وخوفه من الله تعالى، فكانت له هيبة تكفيه معها الدِّرَّة.

**والثاني:** أن الناس كانوا قريبي عهد من الإسلام، وكان للإسلام حدة ووقار، وللناس إذ ذاك حياء موفر، فكانت دِرَّة عمر تكفيهم في رد من انحرف منهم عن جادة الاستقامة.

ثم لما تبدت في الناس مَخَايل الخلاف وأوائل الانحراف احتاجوا إلى زيادة في التخويف والعقوبة.

وقد روى عبدالله ابن الإمام أحمد عن ابن جدعان قال: كان عمر

---

(١) انظر: «الطبقات الكبرى» لابن سعد (٣/ ٢٨٢).

رضي الله تعالى عنه قد اتخذ دِرَّة، فلما جاء عثمان رضي الله تعالى عنه اتخذ دِرَّة أشد منها[1] ـ وذلك لما بيناه ـ ثم لما تفاقم الأمر في زمن علي رضي الله تعالى عنه اتخذ دِرَّة كدِرَّة عمر وعثمان رضي الله تعالى عنهما، واتخذ مع ذلك سوطاً كما تقدم عن ابن عيينة.

قلت: وما زال الشر يزداد ويتقاحم الناس فيه حتى اتخذ لهم الملوك والأمراء أنواع العقوبات، وألوان العذاب والتمثيلات، وتجاوزوا أحكام الشريعة في ذلك، وتعدوا حدودها؛ فإن الشرع ينهى عن المُثْلة، ولم يرجع الناس عن مثل ما صدر ممن مثل به منهم عليه.

ولقد ذاكرت بعض الأمراء في السياسات التي أحدثوها وتفننوا في تلوينها، فاعتذر عن ذلك بأنهم قصدوا بذلك الزيادة في الردع.

فقلت: لو اتبعوا الشرع في الحدود والتأديب لكان أبلغ من هذه المُثُل التي أحدثوها وسمَّوها سياسة.

فقال لي: لم أفهم كون الشرع أبلغ من السياسة.

فقلت له: يظهر لك هذا بمثالين:

**الأول**: إنكم تأخذون الزاني فتغرِّمونه المال أو تقتلونه، ولو جلد البكر وغُرِّب عن وطنه عاماً، ورجم المحصن بمشهد من الناس حتى يموت، لكان أبلغ في الزجر عن الزنا.

فتأمل، ثم قال لي: صدقت.

---

(١) رواه عبدالله ابن الإمام أحمد في «زوائد الزهد» (ص: ١١٥).

قلت: **والمثال الثاني**: أنكم تأخذون السارق فتغرمونه أو تقتلونه، ولا تأمرونه برد السرقة إلى صاحبها، ولو فعلتم بالشرع فقطعت يده اليمنى، وإن عاد قطعت رجله اليسرى، بقي في الناس عَجَباً كل من يراه ينزجر عن مثل فعله، فإن هذا أبلغ من القتل؛ فإن المقتول يوارى عن الأعين سريعاً فينساه الناس، وهذا يبقى بين الناس.

فقال لي: صدقت.

وكان هذا الأمير أمير الحاج الشامي، وكانت هذه المذاكرة في الطريق ذهاباً، فلما رجعنا من الحج ثبت على رجل سرقة نصاب، فلما عرض على الأمير تذكَّر ما ذاكرته، فقال: اذهبوا فاقطعوا يده.

فألقى السارق نفسه على قدمي الأمير يقبل خفيه، ويقول له: أنت في حل من دمي، فاقتلني، لا تقطع يدي فأبقى مشهوراً بين الناس.

فقال له: هذا حكم الشرع.

ثم رأيت هذا الأمير بعد مدة، فقال لي: لقد ظهر لي حقيقة ما ذكرتم من أن الشرع أبلغ من السياسة، وذكر لي قصة السارق.

**١٠٢ ـ ومنها: التشبه بالحمار ونحوه بالنعاس عند مذاكرة العلم، واستماع الموعظة، وتلاوة القرآن.**

روى الدينوري في «المجالسة» عن خالد بن صفوان رحمه الله تعالى: أن رجلاً قال له: إني إذا رأيتكم تتذاكرون الأخبار، وتتدارسون الآثار، وتتناشدون الأشعار؛ وقع عليَّ النعاس.

قال: لأنك حمار في مثال إنسان[1].

**١٠٣ ـ ومنها: التشبه بالحمار ونحوه أيضاً في التكلم والخطيبُ على المنبر.**

فإن ذلك لا يمنع الحمـــار من النهيق، ولا الثـور من الخُـوار، ولا البعير من الرُّغاء، ولا الكلب من النباح، فمن لم يمتنع حينئذ من الكلام أشبه الناس بهذه الدواب.

روى الإمام أحمد بإسناد حسن، عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «مَثَلُ الَّذِي يَتَكَلَّمُ يَوْمَ الجُمُعَةِ وَالإِمَامُ يَخْطُبُ كَمَثَلِ الحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً، وَالَّذِي يَقُوْلُ لَهُ: أَنْصِتْ، لا جُمُعَةَ لَهُ»[2].

وروى ابن أبي شيبة عن علقمة: أن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال لرجل كلَّمَ صاحبه يوم الجمعة والإمامُ يخطب: أما أنت فحمار، وأما صاحبك فلا جمعة له[3].

**١٠٤ ـ ومنها: التشبه بالحمار في مسابقة الإمام في أفعال الصلاة من حيث إنه لم يتقيد في أفعاله، كما أن الحمار لم يتقيد في أفعاله.**

---

(١) رواه الدينوري في «المجالسة وجواهر العلم» (ص: ٢٩٩).

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١/ ٢٣٠)، وكذا البزار في «المسند» (٥٣٤٥)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٢٥٦٣).

(٣) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٢٦١٠٣).

روى الأئمة الستة عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه: أن النبي ﷺ قال: «أَمَا يَخْشَى أَحَدُكُمْ إِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ قَبْلَ الإِمَامِ أَنِ يَجْعَلَ اللهُ رَأْسَهُ رَأْسَ حِمَارٍ، أَوْ يَجْعَلَ اللهُ صُوْرَتَهُ صُوْرَةَ الحِمَارِ»[1].

**١٠٥ ـ ومنها: التشبه بالكلب، وسائر السباع، والقرد، والكلب، والحمار، والبعير، والديك في أفعالٍ نهى النبي ﷺ في الصلاة.**

روى الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: نهاني رسول الله ﷺ عن ثلاث: نَقْرة كنقرة الديك، وإقعاء كإقعاء الكلب، والتفات كالتفات الثعلب[2].

وروى أبو داود، والنسائي، وابن ماجه عن عبد الرحمن بن شبل رضي الله تعالى عنه ـ وليس له في الكتب الستة سوى هذا الحديث[3] ـ أن النبي ﷺ نهى المصلي عن نقرة الغراب[4].

وأخرجه الحاكم، ولفظه: نهى عن نقرة الغراب، وافتراش السبع،

---

(١) رواه البخاري (٦٥٩)، ومسلم (٤٢٧)، وأبو داود (٦٢٣)، والترمذي (٥٨٢)، والنسائي (٨٢٨)، وابن ماجه (٩٦١).

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢/ ٣١١). وحسن الهيثمي إسناده في «مجمع الزوائد» (٢/ ٨٠).

(٣) لكن له عند أبي داود (٣٧٩٦) حديث آخر: «أن رسول ﷺ نهى عن أكل لحم الضب».

(٤) رواه أبو داود (٨٦٢)، والنسائي (١١١٢)، وابن ماجه (١٤٢٩).

وأن يُوطِّن المكان كما يوطنه البعير[1].

قال البغوي في «شرح السنة»: نقرة الغراب: هي أن لا يتمكن من السجود ولا يطمئن فيه، بل يمس بأنفه وجبهته الأرض، [ثم يرفعه كنقرة الطائر، وافتراش السبع: أن يمد ذراعيه على الأرض] ولا يرفعهما، انتهى[2].

وروى الإمام أحمد، والأئمة الستة عن أنس ﵁ قال: قال النبي ﷺ: «اعْتَدِلُوْا في سُجُوْدِكُمْ، وَلا يَبْسُطْ ذِرَاعَيْهِ انْبِسَاطَ الكَلْبِ»[3].

وفي الباب عن عائشة، وجابر، وغيرهما[4].

وأما إيطان البعير، فقال أبو سليمان الخطابي: فيه وجهان:

**أحدهما**: أن يَأْلَف الرجل مكاناً معلوماً من المسجد لا يصلي إلا فيه، كالبعير لا يأوي من عَطَنه إلا إلى مَبْرَك رمث قد أوطنه.

**والوجه الآخر**: أن يبرك على ركبتيه إذا أراد السجود بروك البعير على المكان الذي أوطئه، ولا يهوي فيثني ركبتيه حتى يضعهما

---

(١) رواه الحاكم في «المستدرك» (٨٣٣). واللفظ الذي ذكره المؤلف لم ينفرد به الحاكم، بل هو في مصادر التخريج السابقة أيضاً.

(٢) انظر: «شرح السنة» للبغوي (٣/ ١٦٢).

(٣) رواه الإمام أحمد (٣/ ٢٧٩)، والبخاري (٧٨٨)، ومسلم (٤٩٣)، وأبو داود (٨٩٧)، والترمذي (٢٧٦)، والنسائي (١١٠٣)، وابن ماجه (٨٩٢).

(٤) انظر: «فتح الباري» لابن حجر (٢/ ٢٩٤).

بالأرض على سكون ومَهَل، انتهى[1].

قلت: وقد صرح النبي ﷺ بهذا المعنى الأخير فيما رواه أبو داود، والنسائي عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا سَجَدَ أَحَدُكُمْ فَلا يَبْرُكْ كَمَا يَبْرُكُ البَعِيرُ، وَلْيَضَعْ يَدَيْهِ قَبْلَ رُكْبَتَيْهِ»[2].

وقوله: وإقعاء كإقعاء الكلب؛ وَرَدَ النهيُ عنه في أحاديث أُخر.

روى الترمذي عن علي رضي الله تعالى عنه: أن النبي ﷺ قال له: «يَا عَلِيُّ! أُحِبُّ لَكَ مَا أُحِبُّ لِنَفْسِيْ؛ لا تُقْعِ بَيْنَ السَّجْدَتَيْنِ»[3].

ورواه ابن ماجه، ولفظه: «لا تُقْعِ إِقْعَاءَ الكَلْبِ»[4].

وروى ابن أبي شيبة عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: نهاني خليلي ﷺ أن أقعي كإقعاء القرد[5].

وروى الإمام أحمد، وأبو داود، والحاكم وصححه، والبيهقي

---

(١) انظر: «شرح السنة» للبغوي (٣/ ١٦٢).

(٢) رواه أبو داود (٨٤٠)، والنسائي (١٠٩١)، وبنحوه عند الترمذي (٢٦٩) وقال: غريب، وفيه عبدالله بن سعيد المقبري، ضعفه يحيى بن سعيد القطان وغيره.

(٣) رواه الترمذي (٢٨٢) وقال: وقد ضعف بعض أهل العلم الحارث الأعور.

(٤) رواه ابن ماجه (٨٩٥). وفيه الحارث الأعور أيضاً.

(٥) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٢٩٣٢)، والإمام أحمد في «المسند» (٢/ ٢٦٥).

في «السنن» عن سمرة رضي الله تعالى عنه قال: نهى رسول الله ﷺ عن الإقعاء في الصلاة[1].

وذهب جماعة من أهل العلم إلى استحباب الإقعاء.

فرواه ابن أبي شيبة عن جابر، وأبي سعيد الخدري، وعن طاوس، ومجاهد[2].

ورواه هو وعبد الرزاق عن العبادلة؛ ابن عمر، وابن عباس، وابن الزبير[3].

ورويا عن عكرمة: أنه سمع ابن عباس يقول: الإقعاء في الصلاة هو السنة[4].

والحق أن الإقعاء على نوعين:

**أحدهما**، ويقال له: الافتراش: وضع الأَليتين بباطن القدمين، وهو الذي كان يفعله هؤلاء، وهو الذي أراده ابن عباس بقوله: هي السنة.

بدليل ما رواه عبد الرزاق، وابن أبي شيبة بسند صحيح، عن

---

(١) رواه الحاكم في «المستدرك» (١٠٠٥)، وكذا الطبراني في «المعجم الكبير» (٦٩٥٧).

(٢) انظر: «المصنف» لابن أبي شيبة (١/ ٢٥٥).

(٣) انظر: «المصنف» لابن أبي شيبة (١/ ٢٥٦)، و«المصنف» لعبد الرزاق (٢/ ١٩١).

(٤) رواه عبد الرزاق في «المصنف» (٣٠٣٢).

طاوس، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: من السنة أن تضع أليتيك على عقبيك في الصلاة[1].

وفي رواية لعبد الرزاق بإسناد صحيح، عن طاوس قال: قلنا لابن عباس: ما الإقعاء على القدمين؟

فقال: هي السنة.

فقلنا: إنا لنراه جفاء بالرجل.

قال ابن عباس: بل هي سنة نبيك ﷺ[2].

والثاني: الجلوس على الوَركين مع نصب الفخذين، وهو المراد بالنهي، كما يفهم من تقييد الإقعاء بإقعاء الكلب، وإقعاء القرد.

واشترط أبو عبيدة أن يضع يديه مع ما تقدم بالأرض؛ إذ بذلك يتم التشبه بإقعاء الكلب، والقرد[3].

والأصح: لا يشترط ذلك، وهذه الهيئة هي المكروهة؛ كرهها علي، وأبو هريرة، والنخعي، وأبو حنيفة، ومالك، والشافعي، وأحمد، وإسحاق، وغيرهم[4].

---

(١) رواه عبد الرزاق في «المصنف» (٣٠٣٠)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٢٩٤٠).

(٢) رواه عبد الرزاق في «المصنف» (٣٠٣٥).

(٣) انظر: «غريب الحديث» لأبي عبيد (٢/ ١٠٩).

(٤) انظر: «التمهيد» لابن عبد البر (١٦/ ٢٧٣)، و«شرح مسلم» للنووي (٥/ ١٩).

ورُفع إلى شيخ الإسلام الوالد ـ رحمه الله تعالى ـ في ذلك سؤال صورته : [من الكامل]

مـا قَـوْلُكُمْ يـا سَـيِّدَ الفُقَهـاءِ ... فِي العَصْرِ بَلْ يا أَوْحَدَ العُلَمـاءِ
فِـي مُـشْكِلٍ أَمْـرِ النَّبـِيِّ وَنَهْيِـهِ ... جـاءا مَعـاً فِـي جِلْـسَةِ الإِقْعـاءِ
ما الْجَمْعُ بَيْنَهُما وَهَلْ صَحَّا مَعاً ... أَوْ لا فَبَـيِّنْ ذاكَ يـا مَـولاءِ
لا زِلْـتَ كَهْفـاً لِلأَنـامِ وَمَلْجَـأً ... مـا عُوقِـبَ الإِصْباحُ بِالإِمْساءِ
وَبَقِيـتَ فِـي عِـزٍّ وَسَـعْدٍ دائِـمٍ ... وَسَـعادَةٍ لا تَنْقَـضِـي وَهَنـاءِ

فأجاب عنه بقوله رحمه الله تعالى : [من الكامل]

مِـنْ بَعْـدِ حَمْـدِ اللهِ ذِي الآلاءِ ... حَمْداً كَثِيـراً جَـلَّ عَـنْ إِحْـصاءِ
قَدْ صَحَّ عَنْ هادِي الأَنامِ مُحَمَّدٍ ... أَمْـرٌ وَنَهْـيٌ مِنْـهُ عَـنْ إِقْعـاءِ
وَالْجَمْعُ بَيْنَهُما بِـأَنَّ الأَمْـرَ فِـي ... شَـيْءٍ وَأَنَّ النَّهْـيَ فِـي أَشْـياءِ
فَالأَمْرُ وَضْعُ الأَلْيَتَيْنِ بِـباطِنِ الـ ... أَقْـدامِ وَافْرُشْـها كَالاسْـتِلْقاءِ
وَالنَّهْيُ لِلوَرْكَيْنِ تَجْلِسُ ناصِـباً ... فَخِـذَيْكَ مِثْـلَ الـذِّئْبِ وَالعَـوَّاءِ
وَأَبُو عُبَيْدَةَ زادَ وَضْعَ يَدَيْـهِ مَـعْ ... هَـذا بِـأَرْضٍ أَوْ بِنَحْـوِ وِطـاءِ
أَوْ غَيْرِ هَذا وَالْكَراهَةَ قَدْ حَكَـوْا ... فِي الْكُلِّ عَنْ جَمْعٍ مِنَ الفُضَلاءِ
هَذا جَوابُ مُحَمَّـدِ الغَـزِّيِّ مَـنْ ... يَرْجُو مِنَ الـرَّحْمَنِ خَيْـرَ عَطـاءِ
ثُـمَّ الـصَّلاةُ عَلـى النَّبـِيِّ وَآلِـهِ ... وَالـصَّحْبِ وَالأَتْبـاعِ وَالْعُلَمـاءِ

* لَطِيفَةٌ:

ذكر ابن قتيبة في «عيون الأخبار»: أن مَّما يُتحاجى به: ما شيءٌ إذا قام أقصر منه إذا قعد؛ يريدون الكلب لأن قعوده إقعاء[1].

وقلت في المعنى: [من الهزج]

أَلا قُــــلْ لِلَّـــــذِي أَضْـــحَى لِنُــــورِ الْعِلْـــــمِ مُقْتَبِـــــسا
فَمــــا شَـــيْءٌ يُـــرى إِنْ قـــا مَ أَقْـــصَرَ مِنْـــهُ إِنْ جَلَـــسا

أو يقال، وهو أفقه: [من الهزج]

أَلا قُــــلْ لِلَّـــــذِي أَضْـــحى بِـــرُكْنِ العِلْـــمِ مُعْتَمِـــــدا
فَمــــا شَـــيْءٌ يُـــرى إِنْ قـــا مَ أَقْـــصَرَ مِنْـــهُ إِنْ قَعَـــدا

وقوله في الحديث السابق: «والتفات كالتفات الثعلب»؛ فيه إشارة إلى أن الالتفات المنهي عنه في الصلاة هو ما كان لغير حاجة، بل لمجرد العبث والتلهي كما يلتفت الثعلب، فلو كان الالتفات لحاجة لم يكره؛ لما رواه أبو داود عن سهل بن الحنظلية رضي الله تعالى عنه قال: ثُوِّبَ في الصلاة؛ يعني: صلاة الصبح، فجعل النبي ﷺ يصلي وهو يلتفت إلى الشعب.

قال أبو داود: كان أرسل فارساً إلى الشِّعب من الليل يحرس[2].

---

(١) انظر: «غريب الحديث» لابن قتيبة (١/ ١٨٢).

(٢) رواه أبو داود (٩١٦).

وروى الدارقطني عن أبي سعيد رضي الله تعالى عنه: أن النبي ﷺ قال: «إِذَا رَكَعَ أَحَدُكُمْ فَلا يدبحُ كَمَا يدبحُ الحِمَارُ، وَلَكِنْ لِيُقِمْ صُلْبَهُ»[1].

وروى نحوه عن علي، وأبي موسى رضي الله تعالى عنهما[2].

والتدبيح ـ بالدال المهملة، والمعجمة أيضاً ـ هو: أن يقبب ظهره، ويطأطئ رأسه.

وحكى صاحب «الصحاح» في فصل الدال المهملة: دبخ ـ بالخاء المعجمة، والمهملة ـ عن أبي عمرو، وابن الأعرابي[3].

والمراد: أن يطأطئ رأسه في الركوع حتى يكون أخفض من ظهره، والسنة أن يسوي بين ظهره ورأسه.

ففي «مسلم» عن عائشة رضي الله تعالى عنها: أن النبي ﷺ كان إذا ركع لم يُشْخِصْ رأسه، ولم يُصَوِّبه، ولكن بين ذلك[4].

وفي «البخاري» عن أبي حميد رضي الله تعالى عنه: أن النبي ﷺ

---

(١) ورواه البيهقي في «السنن الكبرى» (٢/ ٨٥). قال ابن حجر في «تلخيص الحبير» (١/ ٢٤١): رواه الدارقطني، وفي إسناده أبو سفيان، طريف بن شهاب، وهو ضعيف.

(٢) رواه الدارقطني في «السنن» (١/ ١١٨) عن أبي موسى ﷺ. قال ابن حجر في «التلخيص الحبير» (١/ ٢٤١): رواه الدارقطني من حديث الحارث عن علي، ومن حديث أبي بردة عن أبيه، وفيه أبو نعيم النخعي، وهو كذاب.

(٣) انظر: «الصحاح» للجوهري (١/ ٤٢٠) (مادة: دبخ).

(٤) رواه مسلم (٤٩٨).

كان إذا ركع أمكن يديه على ركبتيه، ثم هَصَرَ[1] ظهره[2]؛ أي: ثناه إلى بطنه.

وفي حديث سعد رضي الله تعالى عنه، عن النبي ﷺ أنه قال: «لا تَخْبُطُوْا خَبْطَ الجَمَلِ، وَلا تَمُطُّوْا يَاءَ آمِيْنَ». ذكره البغوي في «شرح السنة»، ثم قال: وأصل الخبط: ضرب البعير الشيء بخفه، انتهى[3].

والسنة أن ينهض في الصلاة على صدور قدميه، ولا يقدم إحدى الرجلين على الأخرى عند النهوض كما يقوم البعير ويخبط بيده.

وروى عبد الرزاق عن ابن مسعود رضي الله عنه: أنه كان يقول: إذا سلم الإمام فانصرف حيث كانت حاجتك يميناً أو شمالاً، ولا تستدر استدارة الحمار[4].

والسنة أن ينصرف المصلي حيث يكون له حاجة يميناً أو شمالاً، فإذا استوى الجانبان انصرف حيث شاء، واليمين أولى.

*** فائِدَةٌ:**

في الحديث عن أبي بكرة رضي الله تعالى عنه: أنه دخل المسجد والنبي ﷺ راكع، فركع دون الصف، ثم مشى إلى الصف، فلما قضى

---

(١) في «أ» و«ت»: «يقصي» بدل «هصر».

(٢) رواه البخاري (٧٩٤).

(٣) انظر: «شرح السنة» للبغوي (٣/ ١٦٧).

(٤) رواه عبد الرزاق في «المصنف» (٢/ ٢٤٠).

النبي ﷺ صلاته قال: «أَيُّكُمُ الَّذِي رَكَعَ دُوْنَ الصَّفِّ ثُمَّ مَشَى إِلى الصَّفِّ؟».

فقال أبو بكرة: أنا.

فقال النبي ﷺ: «زَادَكَ اللهُ حِرْصاً، وَلا تَعُدْ»[1].

اختلف في قوله: «وَلا تَعُدْ» فقيل: إلى الإحرام خارج الصف.

وأنكره ابن حبان، وقال: لا تعد إلى الإبطاء في المجيء إلى الصلاة[2].

وقال غيره: لا تعد إلى إتيان الصلاة مسرعاً، واحتج له بما رواه ابن السكن[3] في «صحيحه» عنه، ولفظه: أقيمت الصلاة فانطلقت أسعى حتى دخلت الصف، فلما قضى النبي ﷺ الصلاة قال: «مَنِ السَّاعِيْ آنِفاً؟».

قال أبو بكرة رضي الله تعالى عنه: فقلت: أنا.

فقال: «زَادَكَ اللهُ حِرْصاً، وَلا تَعُدْ»[4].

وقال ابن القطان الفاسي ـ تبعاً للمهلَّب بن أبي صُفرة ـ: لا تعد إلى دخولك إلى الصف وأنت راكع؛ فإنها مِشْية البهائم.

---

(١) رواه البخاري (٧٥٠).

(٢) انظر: «صحيح ابن حبان» (٥/ ٥٧٠) (٢١٩٥).

(٣) في «أ» و«ت»: «ابن السني».

(٤) انظر: «التلخيص الحبير» لابن حجر (١/ ٢٨٥).

قال ابن حجر: ويؤيده ما رواه حماد بن سلمة في «مصنفه» عن الأعلم، عن الحسن، عن أبي بكرة رضي الله تعالى عنه: أنه دخل المسجد ورسول الله ﷺ يصلي وقد ركع، فركع، ثم دخل الصف وهو راكع، فلما انصرف النبي ﷺ قال: «أَيُّكُمْ دَخَلَ الصَّفَّ وَهُوَ رَاكِعٌ؟».

فقال له أبو بكرة: أنا.

فقال: «زَادَكَ اللهُ حِرْصاً، وَلا تَعُدْ»[1].

قلت: وإنما قال له: «زَادَكَ اللهُ حِرْصاً» قبل أن ينهاه عن العَوْدِ إشارةً إلى الاعتذار عنه بأنه إنما حمله على ذلك حرصه على الخير.

ولا بد من تقييد الحرص الذي دعا له به بالحرص على الخير كما رواه الطبراني في «الكبير» بلفظ: «زَادَكَ اللهُ عَلَى الخَيْرِ حِرْصاً، وَلا تَعُدْ».

والمعنى: أن العبد ـ وإن كان حريصاً على الخير ـ ينبغي أن يتقيد في طلبه بالمشروع من أَنَاة وغيرها، ولا تحمله شدة الحرص على العجلة التي تخل بأدب من آداب الشريعة كما حمل أبا بكرة حرصه على تحصيل الجماعة مع النبي ﷺ والمبادرة إليها على أنْ عَجِل، فأحرم، أو ركع دون الصف، ثم مشى إلى الصف راكعاً، فأشبه ذوات الأربع في مشيها، وهي هيئة مباينة للأدب، فإن مشى الإنسان راكعاً

---

(١) انظر: «فتح الباري» (٢/ ٢٦٨)، و«التلخيص الحبير» كلاهما لابن حجر (١/ ٢٨٥).

نظراً إلى حالته المكرَّم بها من انتصاب القامة، وحسن هيئته ماشياً مع انتصاب قامته مثله لا يليق بحال المصلي؛ فإنه بحضرة الله تعالى ماثل بين يديه في خدمته، فاللائق أن يكون على أكمل الهيئات.

وقد علم من ذلك أن الإنسان إذا مشى منحنياً من غير علة أو ضرورة كان ذلك خلاف الأولى به؛ لأنه يشبه بذلك ذوات الأربع في مشيها.

ولو قيل بكراهة لم يبعُدْ.

ولا يشك في كراهة ذلك في الصلاة؛ فافهم!

**١٠٦ ـ ومن الخصال التي لا تليق بالعبد لأنها مما تلحقه بالبهائم: التشبه بالدابة الشَّموس.**

وهي التي تمنع ظهرها في الامتناع عن الخير.

ومنه قيل للرجل الصعب الخلق: شموس، كما في «الصحاح»[١].

ومن أفراد ذلك: أن لا يطاوع من يشير إليه في تسوية الصف ونحوها.

روى ابن أبي شيبة بإسناد صحيح ـ وأصله في «صحيح البخاري»ـ عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «اعْتَدِلُوْا في صُفُوْفِكُمْ، وَتَرَاصُّوْا؛ فَإِنِّيْ أَرَاكُمْ مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِيْ».

قال أنس: لقد رأيت أحدنا يَلْزِق منكِبه بمنكب صاحبه، وقدمه

---

(١) انظر: «الصحاح» للجوهري (٣/ ٩٤٠) (مادة: شمس).

بقدمه، ولو ذهبت تفعل ذلك لترى أحدهم كأنه بغل شموس[1].

وإنما شبه بالبغل لأن شماس البغل أشد من شماس غيره.

فينبغي لمن كان في صلاته وأمر بتسوية الصف، أو أشير إليه بذلك، أو جذبه منفرد خلفه ليكونا صفاً ثانياً، ولا يبقى الجاذب منفرداً وحده خلف الصف، أن يسارع إلى المطاوعة، ولا يمتنع.

فقد روى عبد الرزاق عن زيد بن أسلم رحمهما الله تعالى - مرسلاً - قال: قال رسول الله ﷺ: «خِيَارُكُمْ أَلْيَنُكُمْ مَنَاكِبَ فِي الصَّلاَةِ»[2].

وهو في «سنن أبي داود» متصلاً مرفوعاً[3].

وأخرجه ابن حبان في «صحيحه»، والبزار بسند حسن، عن ابن عمر[4] رضي الله عنهما[5].

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٥٢٤)، وأصله عند البخاري (٦٩٢).

(٢) رواه عبد الرزاق في «المصنف» (٣٤٨٠).

(٣) رواه أبو داود (٦٧٢) عن ابن عباس رضي الله عنه.

(٤) في «أ» و«ت»: «ابن عمرو».

(٥) رواه ابن حبان في «صحيحه» (١٧٥٦) عن ابن عباس رضي الله عنها. وكأن المصنف تبع المنذري في «الترغيب والترهيب» (١/ ١٩٠) في عزوه الحديث لابن حبان عن عمر رضي الله عنهما، وإنما هو عنده عن ابن عباس رضي الله عنهما.
ورواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٣٤٩٤) عن ابن عمر رضي الله عنهما. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٢/ ٩٠): رواه الطبراني والبزار، وإسناد البزار حسن.

وفي الحديث: «المُؤْمُنُوْنَ هَيِّنُوْنَ لَيِّنُوْنَ». أخرجه البيهقي في «الشعب» من حديث ابن عمر رضي الله تعالى عنهما[1].

**١٠٧ ـ ومنها: العبث بالشيء، والولوع به خصوصاً في الصلاة، ومجالس الذكر، ودروس العلم تشبهاً بالقرد، والهر، ونحوها من الحيوانات العابثة.**

وفي المثل ـ كما ذكره الزمخشري ـ: أعبث من قرد، وأولع من قرد[2].

وقال النبي ﷺ وقد رأى رجلاً يعبث في صلاته: «لَوْ خَشَعَ قَلْبُ هَذَا خَشَعَتْ جَوَارِحُهُ». رواه الحكيم الترمذي عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه[3].

وروى ابن عساكر عن أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه: أن النبي ﷺ قال: «مِنْ تَمَامِ الصَّلاَةِ سُكُوْنُ الأَطْرَافِ»[4].

---

(١) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٨١٢٩) عن ابن عمر رضي الله عنه، ورواه (٨١٢٨) مرسلاً عن مكحول، وقال: المرسل مع إرساله أصح.

(٢) انظر: «المستقصى في أمثال العرب» للزمخشري (١/ ٢٣٤، ٤٣٩).

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٥٦/ ٢٣٦)، وكذا ابن عدي في «الكامل» (٢/ ٢٠٣) وأعله بالحكم بن عبدالله الأيلي، وقال: ضعفه بين على حديثه.

**١٠٨ ـ ومنها: التشبه بالفرس الصافن في الصلاة، أو الفرس المقيد.**

فقد ذكر رزين العبدوي في «صحيحه» عن النبي ﷺ أنه نهى عن الصفن والصفد في الصلاة، وعزاه إلى الترمذي.

قال العراقي: ولم أجده عنده ولا عند غيره، وإنما ذكره أصحاب الغريب كابن الأثير في «النهاية»[١].

والذي في «النهاية»: نهي عن صلاة الصافد ـ بالدال المهملة ـ؛ وهو أن يقرن[٢] بين قدميه معاً كأنه في قيد[٣].

ونهى عن صلاة الصافن ـ بالنون ـ؛ قال: وهو الذي يجمع بين قدميه.

وقيل: هو أن يثني قدمه إلى ورائه، كما يفعل الفرس إذا ثنى حافره[٤].

قال في «الصحاح»: والصافن من الخيل: القائم على ثلاث قوائم، وقد أقام الرابعة على طرف الحافر، انتهى[٥].

ويتحقق الصفن من المصلي وغيره بأن يقف على إحدى رجليه

---

(١) انظر: «تخريج أحاديث الإحياء» للعراقي (١/ ١٠٨).

(٢) في «أ» و«ت»: «يفرق».

(٣) انظر: «النهاية في غريب الحديث» لابن الأثير (٣/ ٣٥).

(٤) انظر: «النهاية في غريب الحديث» لابن الأثير (٣/ ٣٩).

(٥) انظر: «الصحاح» للجوهري (٦/ ٢١٥٢) (مادة: صفن).

ممكّناً لها من الأرض، ويقف على أصابع الأخرى، أو يرفعها مثنية إلى ورائه، وهو خلاف الأدب في الصلاة؛ إن الأدب أن يقف على قدميه معاً مفرجاً بينهما قدر أربع أصابع.

وأما الحديث الذي أورده الجوهري: كنا إذا صلينا خلفه فرفع رأسه من الركوع قمنا خلفه صفوناً تبعناه، فالصفن فيه ليس على المعنى المتقدم المنهي عنه، بل هو بمعنى صف القدمين كما فسره به الجوهري، فلا تعارض بينه وبين حديث النهي، وحقيقة صف القدمين: مساواتهما في الوقوف عليهما معاً[1].

وروى سعيد بن منصور في «سننه»: أن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه رأى رجلاً صافداً، أو صافناً قدميه، فقال: أخطأ هذا السنة[2].

**١٠٩ ـ ومنها: أن يفترش ذراعيه في السجود افتراشاً كافتراش الكلب.**

روى الشيخان عن أنس رضي الله تعالى عنه: أن النبي ﷺ نهى أن يفترش الرجل ذراعيه كما يفرش الكلب[3].

---

(١) انظر: «غريب الحديث» لأبي عبيد (٣/ ٨)، و«المخصص» لابن سيده (٢/ ١٠٨)، و«الفائق» للزمخشري (٢/ ٣٠٢).

(٢) انظر: «تخريج أحاديث الإحياء» للعراقي (١/ ١٠٨).

(٣) رواه البخاري (٧٨٨)، ومسلم (٤٩٣).. ولفظهما: «اعتدلوا في السجود، ولا يبسط أحدكم ذراعيه انبساط الكلب».

وهو عند مسلم (٤٩٨) من حديث عائشة رضي الله عنها بلفظ: «وينهى أن يفترش الرجل ذراعيه افتراش السبع».

وهو كما في «النهاية»: أن يبسط ذراعيه في السجود، ولا يرفعهما عن الأرض[1].

**١١٠ ـ ومنها: أن يشم الطعام قبل أكله تقذراً لأنه يشبه بذلك السباع والبهائم.**

روى الطبراني في «الكبير»، والبيهقي في «الشعب» عن أم سلمة رضي الله تعالى عنها: أن النبي ﷺ قال: «لا تَشَمُّوْا الطَّعَامَ كَمَا تَشَمُّهُ السِّبَاعُ»[2].

**١١١ ـ ومنها: التشبه بالبهائم في تناول الطعام بالفم من الإناء ونحوه.**

قال ابن عباس رضي الله تعالى عنه في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾[الإسراء: ٧٠]: إن كل حيوان يتناول طعامه بفيه إلا ابن آدم؛ فإنه يرفعه إلى فيه بيده[3].

قلت: فإذا تناول الطعام بفيه دون يده كسائر الحيوانات فكأنه أبى تلك الكرامة، وكَفَر تلك النعمة.

---

(١) انظر: «النهاية في غريب الحديث» لابن الأثير (٣/ ٤٣٠).

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٦٢٥)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٦٠٠٧) وقال: إسناد ضعيف. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٥/٢٠): رواه الطبراني، وفيه عباد بن كثير الثقفي وكان كذاباً متعبداً.

(٣) انظر: «تفسير الثعلبي» (٦/ ١١٤).

## ١١٢ ـ ومنها: التشبه بالكلب ونحوه في الولوغ.

قال أهل اللغة: وَلَغ يَلِغ ولُوغاً: إذا شرب بطرف لسانه، وأكثر ما يكون في السباع.

وفي المثل: أولغ من كلب. ذكره الزمخشري[1].

وروى ابن ماجه عن عمر رضي الله تعالى عنه: أن النبي ﷺ قال: «لا يَلَغْ أَحَدُكُمْ كَمَا يَلَغُ الكَلْبُ، وَلا يَشْرَبْ بِاليَدِ الوَاحِدَةِ كَمَا يَشْرَبُ القَوْمُ الَّذِيْنَ سَخِطَ اللهُ عَلَيهِمْ، وَلا يَشْرَبْ بِاللَّيْلِ في إِنَاءٍ حَتىَّ يُحَرِّكَهُ إلاَّ أَنْ يَكُوْنَ إِنَاءً مُخَمَّرَاً، وَمَنْ شَرِبَ بِيَدِهِ وَهُوَ يَقْدِرُ عَلَىْ إِنَاءٍ يُرِيْدُ التَّوَاضُعَ كَتَبَ اللهُ لَهُ بِعَدَدِ أَصَابِعِهِ حَسَنَاتٍ، وهو إناء عيسى بن مريم عليهما السلام إذا طرح القدح، فقال: إن هذا من الدنيا»[2].

## ١١٣ ـ ومنها: التشبه بالبهائم في كَرْع الماء ونحوه.

قال أهل اللغة: كرع الماء يَكْرَعه كَرْعاً: إذا تناوله بفيه من غير أن يشرب بكفيه، ولا بإناء كما تشرب البهائم لأنها تُدخل أكارعها في الماء.

روى ابن ماجه عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: مررنا

---

(١) انظر: «المستقصى في أمثال العرب» للزمخشري (١/ ٤٣٩).

(٢) رواه ابن ماجه (٣٤٣١). فيه بقية بن الوليد وهو مدلس، وقد عنعن، وعنده: «إذا طرح»، و«مع الدنيا».

على بِركة، فجعلنا نكرع منها، فقال رسول الله ﷺ: «لا تَكْرَعُوْا، وَلَكِن اغْسِلُوْا أَيْدِيَكُمْ ثُمَّ اشْرَبُوْا فِيْهَا؛ فَإِنَّهُ لَيْسَ إِنَاءٌ أَطْيَبَ مِنَ اليَدِ»[1].

وحكي عن بعض العلماء: أنه مر برجل يكرع الماء ولا يشرب بيديه، فقال له: اشرب بحافريك، اشرب بحافريك.

**١١٤ ـ ومنها: التشبه بالبعير ونحوه في الشرب في نَفَس واحد.**

وقد تقدم أنه من شرب الشيطان أيضاً.

روى الترمذي، والبيهقي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تَشْرَبُوْا نَفَساً وَاحِداً كَشُرْبِ البَعِيْرِ، وَلَكِنْ اشْرَبُوْا مَثْنَىَ وَثُلاثَ، وَسَمُّوْا إِذَا شَرِبْتُمْ، وَاحْمَدُوْا إِذَا فَرَغْتُمْ»[2].

قال الحافظ زين الدين العراقي في وجه تشبيه من شرب مرة بشرب البعير مع أن البعير يشرب بنفس ونفسين وثلاثة وأكثر باعتبار شدة عطشه، وكونه له مدة لم يشرب.

قال: والجواب أن البعير إذا عرض على الماء يشرب حاجته، وإن تنفس فإنما يتنفس في الحوض الذي يشرب منه بخلاف المكلف؛ فإنه منهي عن التنفس في الإناء.

---

(١) رواه ابن ماجه (٣٤٣٣)، وكذا أبو يعلى في «المسند» (٥٧٠١). قال أبو حاتم: هذا حديث منكر. انظر: «علل الحديث» لابن أبي حاتم (٢/ ٢٥٦).

(٢) رواه الترمذي (١٨٨٥) وقال: غريب، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٦٠١٥).

**١١٥ ـ ومنها: التشبه بالبعير أيضاً ونحوه في التنفس، كما يؤخذ من كلام العراقي المذكور آنفاً.**

وينبغي أن يعدَّ هذا من المعاني التي لأجلها كره التنفس في الإناء؛ كذا خطر لي، ثم رأيت البغوي صرح بذلك في «شرح السنة»، فذكر في سبب النهي عن التنفس في الإناء وجوهاً:

ـ **منها**: أنه من فعل الدواب إذا كرعت في الأواني جرعت، ثم تنفست، ثم عادت فشربت.

ـ **ومنها**: أنه ربما حصل للإناء تغير من التنفس فيه[1].

وروى الشيخان، وغيرهما عن قتادة بن النعمان رضي الله تعالى عنه: أن النبي ﷺ قال: «إِذَا شَرِبَ أَحَدُكُمْ فَلا يَتَنَفَّسْ فِيْ الإِنَاءِ»[2].

واحترز بقوله: «فِي الإِنَاءِ» عما لو تنفس خارج الإناء؛ فإنه هو السنة كما في قوله: «وَلَكِنِ اشْرَبُوا مَثْنَى وَثُلاثَ»[3].

وأما حديث مسلم عن أنس: أن النبي ﷺ كان يتنفس في الإناء ثلاثاً، ويقول: «هُوَ أَمْرَأُ وَأَرْوَىْ»[4]؛ فمعناه: يتنفس على الإناء، كما في قوله تعالى: ﴿فِي جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾[طه: ٧١]؛ أي: عليها، وليس

---

(١) انظر: «شرح السنة» للبغوي (١١/ ٣٧٣).

(٢) رواه البخاري (١٥٢) واللفظ له، ومسلم (٢٦٧).

(٣) تقدم تخريجه قريباً.

(٤) رواه مسلم (٢٠٢٨)، وعنده: «هو أروى وأبرأ وأمرأ».

المراد أنه يتنفس في نفس الإناء قبل أن يرفع رأسه عنه لأنه قد صح النهي عنه.

وصحح الترمذي حديث أبي سعيد رضي الله تعالى عنه: أن النبي ﷺ نهى عن النفخ في الشراب، فقال رجل: القَذَاة أراها في الإناء؟

قال: «أَهْرِقْهَا».

قال: فإني لا أروى من نفس واحد.

قال: «فَأَبِـنِ القَدَحَ إِذاً عَنْ فِيْكَ»[1].

**١١٦ ـ ومنها: أكل المرء وشربه قائماً كالبهائم.**

وهو خلاف الأولى، والأفضل أن يأكل ويشرب قاعداً غير متكىء.

روى الضياء في «المختارة» عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: نهى رسول الله ﷺ عن الشرب قائماً والأكل قائماً[2].

**١١٧ ـ ومنها: التشبه بالكلب في فتح الفم عند التثاؤب.**

روى ابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال

---

(١) رواه الترمذي (١٨٨٧) وصححه.

(٢) رواه الضياء المقدسي في «الأحاديث المختارة» (٢٥٥٨)، وأصله عند مسلم (٢٠٢٤).

رسول الله ﷺ: «إِذَا تَثَاءَبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَضَعْ يَدَهُ عَلَى فِيْهِ وَلا يَعْوِيْ؛ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَضْحَكُ مِنْهُ»(١).

قال العراقي في «شرح الترمذي»: شَبَّه ﷺ حال الذي يتثاءب ولا يكظم ذلك بِعِواء الكلب تنفيراً عن ذلك واستقباحاً له؛ فإن الكلب يرفع رأسه ويفتح فاه، وكذلك التثاؤب.

والسنة لمن تثاءب أن يكظم فاه، فإن لم يرتد عنه التثاؤب وضع يده على فيه منفتحاً، أو بعد إطباقه مبالغة في الكظم.

**١١٨ ـ ومنها: التشبه بالكلاب النابحة في الصخب، والصياح لغير ضرورة ولا فائدة، وفي الاستطالة باللسان على الناس خصوصاً على الأخيار، وبها وبالضفادع والغربان في الجَلَبة، والاجتماع على اللغط من غير فائدة ولا حاجة.**

بل قد يفرق بين ذلك وبين نقيق الضفادع، وأصوات الطير بأن نقيقها وأصوات الطير تسبيح، فيكون الإنسان بذلك أسوء حالاً من الحيوانات المذكورة.

وفي وصف النبي ﷺ في التوراة: ليس بفظٍّ ولا غليظٍ، ولا صَخَّاب في الأسواق(٢).

وروى ابن أبي الدنيا بسند ضعيف، عن جابر رضي الله عنه قال: قال

---

(١) رواه ابن ماجه (٩٦٨)، ورواه أبو داود (٥٠٢٨)، والترمذي (٢٧٤٧) بمعناه.

(٢) تقدم تخريجه.

رســـول الله ﷺ: «إِنَّ اللهَ لا يُحِبُّ الفَاحِشَ المُتَفَحِّــشَ الصَّيَّاحَ فِيْ الأَسْوَاقِ»[1].

قلت: وما أشبهه بالكلاب السوقية والسلوقيَّة.

**١١٩ ـ ومنها: التشبه بالحمر الناهقة بالنطق فيما لا يعنيه، أو فيما لا يفهم.**

قال الله تعالى: ﴿وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ﴾[لقمان: ١٩].

وروى ابن أبي الدنيا في «الصمت» بسند رواته ثقات، عن عمرو ابن دينار رحمه الله تعالى ـ مرسلاً ـ قال: تكلم رجل عند رسول الله ﷺ فأكثر، فقال ﷺ: «كَمْ دُوْنَ لِسَانِكَ مِنْ بَابٍ؟».

قال: شفتاي وأسناني.

فقال: «أَمَا فِيْ ذَلِكَ مَا يَرُدُّ كَلامَكَ؟»[2].

وفي رواية أنه قال ذلك في رجل أثنى عليه فاستحفز في الكلام، ثم قال: «مَا أَتَى رَجُلٌ بِشَرٍّ مِنْ فَضْلِ لِسَانٍ»[3].

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في «الصمت وآداب اللسان» (ص: ١٩٠)، وكذا البخاري في «الأدب المفرد» (٣١٠). وضعف العراقي إسناد ابن أبي الدنيا في «تخريج أحاديث الإحياء» (٢/ ٧٨٣).

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في «الصمت وآداب اللسان» (ص: ٨٦). قال العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء» (٢/ ٧٧٥): مرسل ورجاله ثقات.

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في «الصمت وآداب اللسان» (ص: ٨٧) عن عبدالله بن أبي غياث مرسلاً، وعنده: «ما أوتي رجل شراً».

**١٢٠ ـ ومنها: الضحك من غير عجب، والطرب لما لا يفهم معناه تشبهاً بالقرد والدب.**

قال في «الصحاح»: يقال: القرد يضحك إذا صوت[1].

والذي ذكره الدميري، والسيوطي أنه يضحك، ويقهقه، ويطرب، ويقعي[2].

قال السيوطي في «ديوان الحيوان»: ناظر الإمام أبو زيد الدبوسي من أئمة الحنفية بعض الفقهاء، فكان كلما ألزمه أبو زيد إلزاماً تبسم أو ضحك، فأنشده أبو زيد: [من السريع]

مـــا لِـــي إذا أَلْزَمْتُـــهُ حُجَّـــةً  قـــابَلَنِي بِالـــضَّحِكِ وَالقَهْقَهَـــةْ

إنْ كانَ ضِـحْكُ الْمَرْءِ مِنْ فِقْهِهِ  فَالدُّبُّ فِي الصَّحْراءِ ما أَفْقَهَهْ[3]

**١٢١ ـ ومنها: التشبه بالثعلب والقرد في محاكاة الناس.**

ذكر الزمخشري، والدميري، والسيوطي: أن من أمثال العرب: أولع من قرد لأنه إذا رأى الإنسان يولع بفعل شيء أخذ يفعل مثله[4].

---

(١) انظر: «الصحاح» للجوهري (٤/ ١٥٩٧) (مادة: ضحك).

(٢) انظر: «حياة الحيوان الكبرى» للدميري (٢/ ٣٣٠).

(٣) وانظر: «وفيات الأعيان» لابن خلكان (٣/ ٤٨).

(٤) انظر: «المستقصى في أمثال العرب» للزمخشري (١/ ٤٣٩)، و«حياة الحيوان الكبرى» للدميري (٢/ ٣٣٤).

وقالوا: أحكى من قرد؛ لأنه يحكي الناس في أفعاله سوى النطق[1].

قال أبو الطيب المتنبي: [من الطويل]

يَرُومُــونَ شَــأْوِيَ فِــي الكَــلامِ وَإِنَّمــا

يُحاكِي الفَتَـى فِيمـا سِـوى النُّطُـقِ القِـرْدُ[2]

وفي «حياة الحيوان»، وغيره عن الشعبي أنه قيل له: يقال في المثل: إن شريحاً أدهى من الثعلب وأحيل؛ فما هذا؟

فقال: خرج شريح أيام الطاعون إلى النجف، وكان إذا قام يصلي يجيء ثعلب فيقف تجاهه، فيحاكيه ويحيل بين يديه، فلما طال ذلك عليه نزع قميصه، وجعله فوق قصبة، وأخرج كميه، وجعل قَلَنْسُوته وعمامته عليه، فأقبل الثعلب فوقف على عادته، فأتاه شريح من خلفه وأخذه بَغْتة، فلذلك يقال: أدهى من الثعلب وأحيل[3].

**١٢٢ ـ ومنها: محاكاة الناس في الأقوال تشبهاً بالببغاء وأبي زريق.**

قال السيوطي: ويقال له: الزرياب، والقوقاء: طائر ألوف يقبل

---

(١) انظر: «المستقصى في أمثال العرب» للزمخشري (١/ ٧٠)، و«حياة الحيوان الكبرى» للدميري (٢/ ٣٣٤).

(٢) انظر: «مجمع الأمثال» للميداني (١/ ٢٢٩)، و«حياة الحيوان الكبرى» للدميري (٢/ ٣٣٤).

(٣) انظر: «حياة الحيوان الكبرى» للدميري (١/ ٢٥٨).

التعليم، سريع الإدراك، يزيد على الدرة إذا انتُحبَ وإذا تكلم جاء بالحروف مبينة حتى لا يشك سامعه أنه إنسان، انتهى[1].

واعلم أن محاكاة الإنسان للطير وغيره من الحيوانات من قبيل العبث الذي لا يليق بالعقلاء الاشتغال به.

وأما محاكاة الناس في الأقوال والأفعال وتقليدهم في أمورهم على سبيل الاستهزاء ليعجب السامعين وإضحاكهم؛ فإنه من الغيبة المحرمة لإيذائه.

وروى أبو داود، والترمذي وصححه، عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: حكيت إنساناً، فقال النبي ﷺ: «مَا يَسُرُّنِيْ أَنِّيْ حَكَيْتُ إِنْسَانَاً وَلي كَذَا وَكَذَا»[2].

يقال: حكيت، وحكيت فعله، وحاكيت: إذا فعلت مثل فعله.

وأكثر ما تستعمل المحاكاة في القبح كما في «النهاية»[3].

**١٢٣ ـ ومنها: التشبه بالثعلب والخنزير في الرَّوغان، وعدم الاستقامة؛ فإن لهما روغاناً يُضرب به المثل.**

قال السيوطي: والخنزير أروغ من الثعلب[4].

---

(١) انظر: «حياة الحيوان الكبرى» للدميري (٢/ ١٥).

(٢) رواه أبو داود (٤٨٧٥)، والترمذي (٢٥٠٢).

(٣) انظر: «غريب الحديث» لابن الأثير (١/ ٤٢١).

(٤) وانظر: «الحيوان» للجاحظ (٤/ ٩٣).

روى الإمام أحمد في «الزهد»، وعبد بن حميد، والدينوري عن عمر رضي الله تعالى عنه: أنه قال على المنبر: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ﴾[فصلت: ٣٠] قال: لم يروغوا روغان الثعلب[1].

وأنشد ابن قتيبة: [من الكامل]

خَيْرُ الصَّدِيقِ هُوَ الصَّدُوقُ مَقالَةً ... وَكَذاكَ شَرُّهُمُ الْمَنُونُ الأَكْذَبُ

وَإِذا غَدَوْتَ لَهُ تُرِيدُ نِجازَهُ ... بِالوَعْدِ راغَ كَما يَرُوغُ الثَّعْلَبُ[2]

وأنشد الدميري في «حياة الحيوان» من قصيدة يقال: إنها لعلي ابن أبي طالب رضي الله تعالى عنه، ولا يصح: [من الكامل]

لا خَيْرَ فِي وِدِّ امْرِىءٍ مُتَمَلِّقٍ ... حُلْوِ اللِّسانِ وَقَلْبُهُ يَتَلَهَّبُ

يَلْقاكَ يَحْلِفُ أَنَّهُ لَكَ وامِقٌ ... وَإِذا تَوَلَّى عَنْكَ فَهْوَ العَقْرَبُ

يُعْطِيكَ مِنْ طَرَفِ اللِّسانِ حَلاوَةً ... وَيَرُوغُ عَنْكَ كَما يَرُوغُ الثَّعْلَبُ[3]

وقال آخر: [من السريع]

كُلُّ خَلِيلٍ كُنْتُ خالَلْتُهُ ... لا تَرَكَ اللهُ لَهُمْ واضِحَةْ

كُلُّهُمُ أَرْوَغُ مِنْ ثَعْلَبٍ ... ما أَشْبَهَ اللَّيْلَةَ بِالبارِحَةْ[4]

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) وانظر: «الصداقة والصديق» لأبي حيان التوحيدي (ص: ٨٤).

(٣) انظر: «حياة الحيوان الكبرى» للدميري (١/ ٥١).

(٤) انظر: «حياة الحيوان الكبرى» للدميري (١/ ٥١)، والبيتان لطرفة، انظر: «ديوانه» (ص: ١٥).

**١٢٤ ـ ومنها ـ وهو قريب مما قبله ـ: تشبه المتردد بين الحق والباطل بالشاة العائرة بين الغنمين.**

قال الله تعالى فيهم: ﴿مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ﴾[النساء: ١٤٣].

وروى البخاري في «تاريخه»، ومسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «مَثَلُ المُنَافِقِ مَثَلُ الشَّاةِ العَائِرَةِ بَيْنَ الغَنَمَيْنِ؛ تَصِيْرُ إِلىٰ هَذِهِ مَرَّةً وَإِلىٰ هَذِهِ مَرَّةً لأَنَّهَا لا تَدْرِيْ أَيَّهَا تَتْبَعُ، وَكَذَلِكَ حَالُ المُنَافِقِ في الآخِرَةِ»[١].

روى الإمام أحمد، والبيهقي عن ابن عمر أيضاً رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ مَثَلَ المُنَافِقِ يَوْمُ القِيَامَةِ كَالشَّاةِ بَيْنَ الغَنَمَيْنِ؛ إِنْ أَتَتْ هَؤُلاَءِ نَطَحَتْهَا، وَإِنْ أَتَتْ هَؤُلاَءِ نَطَحَتْهَا»[٢].

يعني: إن أهل الإيمان يذمونهم بتخلفهم عن الإيمان، وأهل النار يلعنونهم؛ لأن أهل النار يتلاعنون ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا﴾[الأعراف: ٣٨].

**١٢٥ ـ ومنها: التشبه بالثعلب في الكذب.**

وقالوا: أكذب من فاختة[٣].

---

(١) رواه البخاري في «التاريخ الكبير» (٥/ ٣٣١)، ومسلم (٢٧٨٤).

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢/ ٦٨)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٨٤٣٧).

(٣) انظر: «جمهرة الأمثال» للعسكري (٢/ ١٧٣).

روى ابن أبي شيبة عن عامر ـ يعني: الشعبي ـ قال: أتى رجل أبا بكر رضي الله تعالى عنه قال: إني رأيت في المنام كأني أجري ثعلباً.

قال: أنت رجل كذوب[1].

ورواه صاحب «الغيلانيات» عن الشعبي، عن جابر رضي الله تعالى عنه قال: جاء رجل إلى أبي بكر الصديق ﷺ فقال: رأيت كأني أجري مع الثعلب أحسن جري.

فقال: أجريت ما لا يجري؟ أنت رجل في لسانك كذب؛ فاتَّقِ الله ﷻ[2].

والعرب تصف الفاختة بالكذب لأن صوتها عندهم: هذا أوان الرُّطَب، وتقول ذلك والنخل لم يطلع.

قال الشاعر: [من مجزوء الرجز]

أَكْذَبُ مِنْ فاخِتَةٍ ... تَقُولُ وَسْطَ الكُرَبِ
وَالطَّلْعُ لَمْ يَبْدُ لَها ... هَذا أَوانُ الرُّطَبِ[3]

**١٢٦ ـ ومنها: التشبه في الفرار من الموت كفرار الثعلب.**

روى العسكري في «الأمثال»، والبيهقي في «الشعب» عن سمرة

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٠٤٩٩).

(٢) انظر: «حياة الحيوان الكبرى» للدميري (١/ ٥١).

(٣) انظر: «جمهرة الأمثال» للعسكري (٢/ ١٧٣).

رضي الله تعالى عنه: أن النبي ﷺ قال: «مَثَلُ الَّذِيْ يَفِرُّ مِنَ المَوْتِ كَالثَّعْلَبِ تَطْلُبُهُ الأَرْضُ بِدَيْنٍ، فَجَعَلَ يَسْعَىٰ حَتىَّ إِذَا عَيَّ وَابْتَهَرَ دَخَلَ جُحْرَهُ، فَقَالَتْ لَهُ الأَرْضُ عِنْدَ سبلتِهِ: أَبَا ثَعْلَبَةَ! دَيْنِيْ دَيْنِيْ، فَخَرَجَ، فَلَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ حَتىَّ انْقَطَعَتْ عُنُقُهُ فَمَاتَ»[1].

**١٢٧ ـ ومنها: التشبه في منازعة الرئاسة والمناصب بالكِباش المتناطحة.**

كما وقع ذلك في كلام الزاهد المشهور شعيب بن حرب المدائني أحد الأفراد حيث قال: من طلب الرئاسة ناطحته الكباش، ومن رضي أن يكون ذَنَباً أبى الله إلا أن يجعله رأساً. رواه الخطيب، وغيره[2].

والعرب تسمي السيد كبشاً.

وقلت عاقداً للمثل:

| | |
|---|---|
| دَعِ الْمَنَاصِبَ لِمَنْ | نَازَعَ فيها تَسْتَرِحْ |
| فَإِنَّ [..] لَهُمْ | دَعِ الكِبَاشَ تَنْتَطِحْ |

**١٢٨ ـ ومنها: طلب الرئاسة قبل حينها؛ فإنه لا يسلمها له من هو أحق بها منه، فيصير مغلوباً مدحوراً، فيكون متشبهاً بذلك بالكبش أو**

---

(١) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (١٠٦٩٥)، وكذا العقيلي في «الضعفاء» (٤/ ٢٠٠) وقال: رواه معاذ بن محمد الهذلي، ولا يتابع على رفعه، وهذا أشبه من حديث معاذ وأولى، وإسحاق فيه لين أيضاً.

(٢) رواه الخطيب البغدادي في «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع» (١/ ٣٢١).

التيس الأجم الذي لا قرن له.

وكذلك من يخاصم أشد منه، أو يصارع أشد منه.

ومن أمثال العرب: عند النطاح يغلب الكبش الأجم[1].

ويروى: التيس الأجم كما ذكره الزمخشري، وقال: يضرب للاستعداد للنوائب قبل حلولها[2].

قلت: ويضرب لمن خاصم من هو أشد منه وأقوى منه.

ومن أمثال العوام: لا يقاتل موضع يقتل إلا الكلب.

ولمنصور الفقيه: [من مجزوء الكامل المرفل]

الْكَلْبُ أَغْلا قِيمَةً ... وَهْوَ النِّهَايَةُ فِي الْخَساسَة

مِمَّنْ يُنازِعُ فِي الرِّئا ... سَةِ قَبْلَ إِبَّانِ الرِّئاسَة[3]

وقال بعض الحكماء: من طلب الشيء قبل أوانه عوقب بحرمانه.

وقال لي بعض العارفين: لا تطلب الرتبة حتى تطلبك الرتبة.

وقال الشافعي رضي الله تعالى عنه: إذا تصدَّر الحَدَث فاته علمٌ كثير[4].

---

(١) انظر: «جمهرة الأمثال» للعسكري (١/ ٤٤٤).

(٢) انظر: «المستقصى في أمثال العرب» للزمخشري (٢/ ١٦٩).

(٣) انظر: «العزلة» للخطابي (ص: ٨٣)، و«شعب الإيمان» للبيهقي (٨٢٦٤).

(٤) انظر: «صفة الصفوة» لابن الجوزي (٢/ ٢٥٢).

وقلت: [من الرجز]

لا تَطْلُبِ الرُّتْبَةَ قَبْلَ حِينِها ... خَشْيَةَ أَنْ تَنالَها فَتُتْعِبَكْ
فَقَدْ سَمِعْتُ عارِفاً يَقُولُ لِي ... لا تَطْلُبِ الرُّتْبَةَ حَتَّى تَطْلُبَكْ

وقلت: [من الرجز]

مَنْ طَلَبَ الرُّتْبَةَ قَبْلَ حِينِها ... فَرُبَّما يُصِيبُهُ ما أَتْعَبَهْ
وَإِنَّما يَهْنَأُ بِالرُّتْبَةِ مَنْ ... لا يَطْلُبُ الرُّتْبَةَ حَتَّى تَطْلُبَهْ

**١٢٩ - ومنها: التشبه بالتيس في الاكتفاء بطول اللحية على اكتساب العلوم ومحاسن الآداب.**

ذكر الحافظ المزي في كتابه «تهذيب الكمال في أسماء الرجال» في ترجمة عبد العزيز بن مسيب القرشي - وكان طويل اللحية - أن علي ابن حجر السعدي نظر إليه وقال: [من مجزوء المنسرح]

لَيْسَ بِطُولِ اللِّحا ... يَسْتَوْجِبُونَ القَضا
إِنْ كانَ هَذا كَذا ... فَالتَّيْسُ عَدْلٌ رِضا

قال: ومكتوب في التوراة: لا يغرنك طول اللحى؛ فإن التيس له لحية[1].

ومن كلام بعض الحكماء: من طالت لحيته تكوسَج عقلُه[2].

---

(١) انظر: «تهذيب الكمال» للمزي (١٨/ ٢١٢).

(٢) الكلام للجاحظ، كما في «محاضرات الأدباء» للأصفهاني (٢/ ٣٤٢)، أو للشافعي، كما في «الكليات» لأبي البقاء (ص: ٨٤٤).

وروى الخطيب في «تلخيص المتشابه» عن الرياشي قال: روي عن كعب الأحبار أنه قال: مكتوب في بعض الكتب: إن اللحية مخرجها من الدماغ، فمن كثر شعر لحيته قلَّ دماغه، ومن قل دماغه قل عقله، ومن قل عقله كان أحمق، ومن كان أحمق فلا مستمتع فيه[1].

وقلت: [من البسيط]

إِنَّ الَّذِي يَكْتَفِي عَنْ حِلْيَةِ الأَدَبِ ... وَالْعِلْمِ بِاللِّحْيَـةِ الطُّـولَى وَبِالنَّـشَبِ

كَالتَّيْسِ ذا لِحْيَةٍ طُولَى وَذا شَعَرٍ ... لا يَبْتَغِي ما سِوى الْمَرْعَى مِنَ الأَدَبِ

إِنَّ الْجَمالَ التُّقَى وَالدِّينُ لا [. .] ... وَلا أَناقَـةُ ثَـوْبٍ أَوْ عُـلا نَـسَبِ

لَوْ كانَ ذا كانَ أَوْلَى بِالْجَمالِ وَبِالـ ... حُسْنِ الأَباقِرُ ذاتُ الرَّوْقِ وَالغببِ

إِنَّ الكَمالَ بِلُبِّ الْمَرْءِ تَبْصِرَةٌ ... وَبِـالبرى تكمـل [. . .] وَاللبـبِ

**١٣٠ ـ ومنها: التشبه في الحماقة والخرق بالضبع والكروان وغيرهما.**

وقد علمت أن العقل والنطق هما الفارق بين الإنسان وسائر أنواع الحيوان.

قالوا في المثل: أحمق من الضبع، ومن أم عامر؛ وهي كنيتها.

وفي المثل أيضاً: خامري أم عامر؛ يضرب للأحمق.

---

(١) انظر: «أخبار الحمقى والمغفلين» لابن الجوزي (ص: ٢٩).

وذلك لأن الصائد يدخل عليها وجارها ـ بفتح الواو، وكسرها ـ: جحرها، فيقول: خامري أم عامر، أم عامر ليست في وجارها، أم عامر أبشري بكمر الرجال، أبشري بشاء هَزْلى وجراد عظلى، وهو في خلال ذلك يشد عراقيبها فلا تتحرك[1].

وخامري: أي: الجئي إلى أقصى وجارك.

قال الكميت: [من مجزوء الكامل المرفل]

أَمَّـــا أَخُـــوكَ أَبُـــو الوَلِيـــــدِ فَلابِـــسٌ ثَـــوْبَي مُخـــامِرْ

فعــــلَ المقـــرةِ لِلْمَقالَـــةِ خــــامِري يـــا أُمَّ عــــامِرْ[2]

وقالوا: أحمق من جهيزة؛ قال الزمخشري: وهي الذئبة لأنها تترك أولادها وترضع أولاد الضبع؛ فعلَ النعامة بالبيض.

ويقال: إذا صيدت الضبع تكفل الذئب بأولادها[3].

وقوله: فعلَ النعامة بالبيض؛ أشار إلى ما نقله الدميري والسيوطي: أن النعامة تخرج لطلب الطعم، فمتى وجدت بيض نعامة أخرى تحضنه وتنسى بيضها؛ قالا: ولهذا توصف بالحمق، ويضرب بها المثل في ذلك.

قال ابن هرمة: [من المتقارب]

---

(١) انظر: «مجمع الأمثال» للميداني (١/ ١٠٠).

(٢) انظر: «المستقصى من أمثال العرب» للزمخشري (١/ ٧٥).

(٣) انظر: «المستقصى من أمثال العرب» للزمخشري (١/ ٧٥).

فَــإنِّي وتَرْكــي نَــدَى الأَكْــرَمِينَ وَقَــدحِي بِكَفِّــي زِنــداً شَــحاحا

كَتارِكَـــةٍ بَيْـــضِـها بِـــالعراءِ وَمُلْبِسَةٍ بَيْضٍ أُخْرى جَناحـا[1]

قال السيوطي في «ديوان الحيوان»: ومن أمثالهم: أطرق كرا يجلب لك؛ يضرب للأحمق الذي يمنى أمنية بباطل، فيصدق بذلك.

وقالوا: أخرق من حمامة.

قال الزمخشري: تعتش بثلاثة أعواد في مهب الريح، فبيضها أضيع شيء.

قال عبيد بن الأبرص: [من مجزوء الكامل المرفل]

عَيَّـــوْا بِـــأَمْرِهِمْ كَمـــا عَيَّـــتْ بِبَيْـــضَتِها الْحَمامَـــة

جَعَلَـــتْ لَهـــا عُـــودَيْنِ مِـــنْ نَــشم وَآخَــرَ مِــنْ ثمامَــة[2]

ومن لطائف المجاز قولهم في المثل: أحمق من رجلة، ويقال لها: الحية الحمقاء؛ سميت بذلك، ووصفت بالحمق لأنها تنبت في مسيل الماء، فيقلعها السيل.

قال الزمخشري: والرجلة: المسيل، فسميت باسمه.

وكانت عائشة رضي الله تعالى عنها تسميها السيدة حُبّاً لها، انتهى[3].

---

(١) انظر: «حياة الحيوان الكبرى» للدميري (٢/ ٤٨٥)، وكذا «الحيوان» للجاحظ (١/ ١٩٩).

(٢) انظر: «المستقصى من أمثال العرب» للزمخشري (١/ ٧٨).

(٣) انظر: «المستقصى من أمثال العرب» للزمخشري (١/ ٨١)، وعنده: «البقلة الحمقاء» بدل «الحية الحمقاء».

وفي «القاموس»: الرجلة: مسيل الماء من الحَرَّة إلى السهلة[1].

**١٣١ ـ ومنها: التشبه في الجبن، والوهن بالضبع، والقرد، والصافر، والقرد، والكروان، وغيرها من البهائم والطير.**

قالوا في المثل: أجبن من رباح، وهو من أسماء القرد؛ لأنه لا ينام إلا منتصباً لكي ينتبه إذا سقط من يده عند استثقاله في النوم[2].

وقالوا: أجبن من صافر؛ لأن الصفير في نعاب الطير دون سباعها.

وقيل: هو طائر يتعلق برجليه، وينكس رأسه، ويصفر طول الليل لئلا ينام فيؤخذ[3].

وقالوا: أجبن من الكروان ـ بفتحتين ـ.

قال الزمخشري: اشتقاقه من الكَرَى، وهو النعاس؛ سمي بضد ما يفعله لأنه لا ينام طولَ الليل جُبناً.

قيل: كانوا يصيدونه بهذه الرقية: [من مجزوء الرجز]

أَطْـرِقْ كَـرا، أَطْـرِقْ كَـرا، إِنَّ النَّعـامَ فِـي القُـرى

أَطْـرِقْ كَـرا، فَـلا تُـرى مـا إِنْ أَرَى هُنـا كَـرا

إذا سمعها تلبد بالأرض فيلقى عليه ثوب فيصاد[4].

---

(١) انظر: «القاموس المحيط» للفيروز آبادي (ص: ١٢٩٨) (مادة: رجل).

(٢) انظر: «جمهرة الأمثال» للعسكري (١/ ٣٢٦).

(٣) انظر: «جمهرة الأمثال» للعسكري (١/ ٣٢٥).

(٤) انظر: «المستقصى من أمثال العرب» للزمخشري (١/ ٤٥).

وفي المثل: أجبن من ليل؛ قال الزمخشري: وهو فرخ الكروان، ومن نهار؛ قال: وهو فرخ الحُبارى[1].

قال السيوطي في «ديوان الحيوان»: وقالوا: أسلح من حُبارى حالة الخوف، ومن الدجاج حالة الأمن[2].

والحبارى تصاد ولا تصيد، وسِلاحها سُلاحها.

قال الشاعر: [من الوافر]

وَهُمْ تَرَكُوهُ أَسْلَحَ مِنْ حُبارى رَأَى صَقْراً وَأَشْرَدَ مِنْ نَعامِ[3]

وقلت: [من المديد]

قَدْ غَلَبَ الْجُبْنُ فِيكَ حَتَّى إِنَّكَ أَوْهَى مِنَ الزُّجاجِ

فَأَنْتَ فِي الْخَوْفِ كَالْحُبارَى وَأَنْتَ فِي الأَمْنِ كَالدَّجاجِ

وقد يحمل الجبن الجبان عند الخوف على الحبق والضراط والسلح.

ومنه حُصاص الشيطان ـ قبحه الله تعالى ـ عند الأذان لذعره منه.

وفي المثل: أجبن من المنزوف ضرطاً؛ أورده في «الصحاح»[4].

---

(١) انظر: «المستقصى من أمثال العرب» للزمخشري (١/ ٤٥).

(٢) وانظر: «حياة الحيوان الكبرى» للدميري (١/ ٣٢٢).

(٣) البيت لأوس بن غلفاء، كما في «المفضليات» للضبي (ص: ٣٨٨).

(٤) انظر: «الصحاح» للجوهري (٤/ ١٤٣١) (مادة: نزف).

قيل: وهو دابة بين الكلب والذئب: إذا صيح به أخذه الضراطُ من الجبن.

وقيل: جبان تزوجته أعرابية، وكان ينام الصبحة، فكانت إذا نبهته قال لها: لو لغادية نبهتني، فامتحنه النسوة ذا صباح بأن قلن له: هذه نواصي الخيل، فجعل يقول: الخيل الخيل، ويضرط حتى مات.

وقيل: سافر رجلان فلاحت لهما شجرة، فقال أحدهما: أرى قوماً قد رصدونا.

وقال الآخر: إنما هي عُشَرَة ـ على وزن همزة ـ فظنه يقول: عَشَرة، فجعل يقول: وما عناء اثنين في عشرة؟ ويضرط حتى مات[1].

ومن أمثالهم: روغي جَعار، وانظري أين المفر.

قال الزمخشري: يضرب في فرار الجبان وخضوعه[2].

**١٣٢ ـ ومنها: التشبه في الحقد بالجمل.**

قالوا في المثل: أحقد من جمل.

قال الزمخشري: يصفون الجمل بالحقد وغلظ الكبد.

قال بلعاء بن قيس الكناني: [من البسيط]

يُبْكَى عَلَيْنا وَلا نَبْكِي عَلى أَحَـدٍ ... إنَّـا لأَغْلَـظُ أَكْبـاداً مِـنَ الإبِـلِ

---

(١) انظر: «المستقصى من أمثال العرب» للزمخشري (١/ ٤٣).

(٢) انظر: «المستقصى من أمثال العرب» للزمخشري (٢/ ١٠٥).

قالوا: ويزعمون أنه ينطوي على الحقد سنين حتى يتشفى منه[1].

وحقيقة الحقد الانطواء على العداوة والبغضاء.

قيل: وأوله الحسد.

روى ابن أبي الدنيا في كتاب «ذم الحسد»، والطبراني في «الأوسط» بإسناد جيد، عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه: أنه سمع رسول الله ﷺ أنه قال: «سَيُصِيْبُ أُمَّتِيْ دَاءُ الأُمَمِ قَبْلَهُمْ».

قالوا: وما داء الأمم؟

قال: «الأشرُ، وَالبَطَرُ، وَالتَّكَاثُرُ، وَالتَّنَافُسُ فِيْ الدُّنْيَا، وَالتَبَاعُدُ، وَالتَّحَاسُدُ حَتىَّ يَكُوْنَ البَغْيُ، ثُمَّ يَكُوْنُ الهَرْجُ»[2].

وروى الترمذي عن الزبير رضي الله تعالى عنه: أن النبي ﷺ قال: «دَبَّ إِلَيْكُمْ دَاءُ الأُمَمِ قَبْلَكُمْ: الحَسَدُ وَالبَغْضَاءُ، وَالبُغْضَةُ هِيَ الحَالِقَةُ، لا أَقُوْلُ حَالِقَةُ الشَّعْرِ، وَلَكِنْ حَالِقَةُ الدِّيْنِ.

وَالَّذِيْ نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لا تَدْخُلُوْنَ الجَنَّةَ حَتىَّ تُؤْمِنُوْا، وَلَنْ تُؤْمِنُوْا حَتىَّ تَحَابُّوْا، أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِمَا يُثْبِتُ لَكُمْ ذَلِكَ؟ أَفْشُوْا السَّلامَ بَيْنَكُمْ»[3].

---

(1) انظر: «المستقصى من أمثال العرب» للزمخشري (١/ ٦٩).

(2) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب «ذم البغي» (ص: ٥)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٩٠١٦). وحسن العراقي إسناده في «تخريج أحاديث الإحياء» (٢/ ٨٦٣).

(3) رواه الترمذي (٢٥١٠) وقال: اختلفوا في روايته عن يحيى بن أبي كثير، وبعضهم لم يذكروا فيه: عن الزبير.

والـلائق بالإنسان الكامل سلامة صدره على أخيه، وأن يحب له مثل ما يحب لنفسه، وأن يعفو عن زلته؛ فإن ذلك يريح جسده ويكسب راحته.

قال الشافعي رحمه الله تعالى: [من البسيط]

لَمَّا عَفَوْتُ وَلَمْ أَحْقِدْ على أَحَدٍ ... أَرَحْتُ نَفْسِي مِنْ حَمْلِ الْمَشَقَّاتِ[1]

روى الإمام أحمد بإسناد صحيح، عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: كنا جلوساً عند رسول الله ﷺ فقال: «يَطْلُعُ عَلَيْكُمْ مِنْ هَذَا الفَجِّ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ».

قال: فطلع رجل من الأنصار تَنْطُف لحيته من وضوئه، قد علَّق نعله في يده الشمال، فسلم، فلما كان الغد قال النبي ﷺ مثل ذلك، فطلع ذلك الرجل، وقاله في اليوم الثالث، فطلع ذلك الرجل، فلما قام تبعه عبدالله بن عمرو بن العاص، فقال: إني لاحيت أبي، فأقسمت أن لا أدخل عليه ثلاثاً، فإن رأيت تؤويني إليك حتى تمضي فعلت.

فقال: نعم.

فبات عنده ثلاث ليال، فلم يره يقوم من الليل شيئاً، غير أنه إذا انقلب على فراشه ذكر الله تعالى، ولم يقم حتى قام لصلاة الفجر.

قال: غير أني ما أسمعه يقول إلا خيراً.

---

(١) انظر: «أدب الدنيا والدين» للماوردي (ص: ٢٢٤).

فلما مرت الثلاث وكدت أن أحتقر عمله، قلت: يا عبدالله! لم يكن بيني وبين والدي غضب ولا هجرة، ولكني سمعت رسول الله ﷺ يقول كذا وكذا، فأردت أن أعرف عملك، فلم أرك تعمل عملاً كثيراً، فما الذي بلغ بك ذلك؟

قال: ما هو إلا ما رأيت.

فلما وليت دعاني فقال: ما هو إلا ما رأيت، غير أني لا أجد على أحد من المسلمين في نفسي غشاً ولا حسداً على خيرٍ أعطاه الله إياه.

قال عبدالله: هي التي بلغت بك، وهي التي لا نطيق[1].

* تَنْبِيهٌ:

قال بعض العلماء: خمسة من الناس اعتادوا أكل خمسة من الحيوانات فاكتسبوا منها طباعها:

- الفرنج اعتادوا أكل لحم الخنزير، فغلبت عليهم الأُبنة.

- والتتار اعتادوا أكل لحم الخيل، فغلبت عليهم السياسة والجماح.

- والترك اعتادوا أكل لحم الغنم، فغلب عليهم الحرن.

- والأعراب اعتادوا أكل لحم الإبل، فغلب عليهم الحقد.

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٣/ ١٦٦)، والضياء المقدسي في «الأحاديث المختارة» (٧/ ١٨٧).

ـ والسودان اعتادوا أكل لحم الفئران، فاكتسبوا الرقاعة والخلاعة.

قلت: وعلى هذا فمن أتى بشيء من ذلك فهو متشبه بما ذكر.

**١٣٣ ـ ومنها: التشبه في الحسد بالتيس.**

والحسد أن تتمنى زوال النعمة المحسود وانتقالها إليك.

روى الأصبهاني في «الترغيب» عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما، عن النبي ﷺ قال: «يَأْتِيْ عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يَحْسُدُ الفُقَهَاءُ بَعْضُهُمْ بَعْضَاً، وَيَغَارُ بَعْضُهُمْ عَلَىْ بَعْضٍ كَتَغَايُرِ التُّيُوْسِ»[1].

وروى الخطابي في «العزلة» عن مالك بن دينار رحمه الله تعالى قال: أجيز شهادة القراء في كل شيء إلا بعضهم على بعض.

قال: وجدتهم أشد تحاسداً من التيوس، توثق الشاة فيرسل عليها التيس، فيهب هذا ويهب هذا[2].

**١٣٤ ـ ومنها: التشبه بالتيوس في اجتماع رجال على امرأة يتناوبون الزنا بها كما يشير إليه كلام مالك بن دينار.**

وهم في ذلك أشبه شيء بالفحول من الدواب تتناوب الإناث كالكلاب، والهررة، والخيل، والحمير، والخنازير.

والزنا فاحشة بنص القرآن العظيم، وبذلك يتضاعف فحشه

---

(١) ورواه الخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (١٠/ ٣٠٢)، والديلمي في «مسند الفردوس» (٨٦٩٩).

(٢) رواه الخطابي في «العزلة» (ص: ٨٩).

ويتكاثف قبحه.

روى ابن أبي الدنيا في «ذم الملاهي» عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه أنه سأل رسول الله ﷺ متى الساعة؟

فقال: «عِنْدَ حَيْفِ الأَئِمَّةِ، وَتَكْذِيْبٍ بِالقَدَرِ، وَإِيمَانٍ بِالنُّجُوْمِ، وَقَوْمٍ يَتَّخِذُوْنَ الأَمَانَةَ مَغْنَماً، وَالزَّكَاةَ مَغْرَماً، وَالفَاحِشَةَ زِيَارَةً».

قال: فسألته عن الفاحشة زيارة.

قال: «الرَّجُلانِ مِنْ أَهْلِ الفِسْقِ يَصْنَعُ أَحَدُهُمَا لِلآخَرِ طَعَاماً وَشَرَاباً، وَيَأْتِيْهِ بِالمَرْأَةِ، وَيَقُوْلُ: اصْنَعْ لِيْ كَمَا صَنَعْتُ لَكَ، قَالَ: فَيَتَزَاوَرَانِ عَلَىْ ذَلِكَ، قَالَ: فَعِنْدَ ذَلِكَ هَلَكَتْ أُمَّتِيْ يَا بْنَ الخَطَّابِ»[1].

**١٣٥ ـ ومنها: التشبه في تحليل المطلقة ثلاثاً بالتيس المستعار، وهو من الكبائر.**

روى ابن ماجه بإسناد حسن، والحاكم وصححه، عن عقبة بن عامر رضي الله تعالى عنه: أن النبي ﷺ قال: «أَلا أُخْبِـرُكُم بِالتَّيْسِ المُسْتَعَارِ؟».

[قالوا: بلى يا رسول اللّه.

قال: «هو الْمُحَلِّلُ، لَعَنَ الله الْمُحَلِّلَ وَالْمُحَلَّلَ له»[2].

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في «ذم الملاهي» (٢٦) (ص: ٧٦). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٣٢٨): رواه البزار، وفيه من لم أعرفهم.

(٢) رواه ابن ماجه (١٩٣٦)، والحاكم في «المستدرك» (٢٨٠٥).

قال الدميري: قيل: إنما لعنه النبي ﷺ مع حصول التحليل؛ لأن التماس ذلك هتك للمروءة والملتمس ذلك هو المحلل له، وإعارة التيس للوطء لغرض الغير أيضاً رذيلة.

ولذلك شبهه بالتيس المستعار وإنما يكون كالتيس المستعار][1] إِذَا سَبَقَ التِمَاسٌ مِنَ المُطَلِّقِ.

قال: والعرب تعير بإعارة التيس[2].

قلت: لعلهم إنما يعيرون باستعارة التيس للغنم لا بإعارته؛ لأن استعارته تدل على الشح والخسة من حيث إن صاحب الغنم الكثير لا صاحب الواحدة والثلاث لم يدع لها فحلاً للضراب مع أن قيمته قليلة، ولا كلفة له حتى إذا جاء وقت الضراب التمس تيساً يستعيره لغنمه، فأما إعارة الفحل فإنها من الجود والكرم، وهي مستحبة، فلا ينافي التعيير بها.

هذا، وعندي أن وجه تشبيه المحلل بالتيس المستعار أن نكاح المحلل لا يقصد به حصول المودة والرحمة بينه وبين المنكوحة كما في الأنكحة المقصودة للدوام، بل يقصد لتعود فائدة التحليل على المطلق بالاستمتاع، وكذلك التيس المستعار لا يقصده المستعير للتربية والقُنية، بل للاستنتاج يوماً من الدهر ثم يرده إلى أهله.

---

(١) ما بين معكوفتين زيادة من «حياة الحيوان الكبرى».

(٢) انظر: «حياة الحيوان الكبرى» للدميري (١/ ٢٤٠).

وعلى هذا فالمحلل تيس مستعار سواء التمسه المطلق لذلك أم لا، وإنما خصه الدميري بالملتمس؛ لظهور المعنى فيه أكثر من غيره.

وعلى ما ذكره الدميري فالذي يتزوج المطلقة لتحل لمطلقها لم تنفك عنه صفة التيسية، وإنما ينفك عنه كونه مستعاراً فقط.

قال الجوهري: وقد قيل مستعار بمعنى متداول[1].

وعليه فإنما كان المحلل تيساً مستعاراً لأنه متى رضي بالتحليل مرة تداوله المطلقون ثلاثاً، فإنه يعرف بذلك فيقصد له، ويصير كالتيس الذي اعتاد الناس طلبه واستعارته فيتداولونه.

وهذا الحديث أصل قول الناس: فلان كالتيس المستعار.

واعلم أن التشبيه بالتيس من التمثيل بأمثال السوء، حتى يمثل به أهل اللؤم والجهل والوقاحة.

ومن لطائف حسان بن ثابت رضي الله تعالى عنه قوله: [من البسيط]

أَمَّا الْحماسُ فَإِنِّي غَيْرُ شاتِمِهِمْ
لا هُمْ كِرامٌ وَلا عِرْضي لَهُمْ خَطَرُ
قَوْمٌ لِئامٌ فَلَنْ تَلْقَى لَهُمْ شَبَهاً
إِلاَّ التُّيوسَ عَلى أَكْتافِها الشَّعَرُ

---

(١) انظر: «الصحاح» للجوهري (٢/ ٧٦١) (مادة: عور).

إِنْ سـابَقُوا سَـبَقُوا أو نـافَروا نَفَـرُوا
أَوْ كـاثَرُوا أَحـداً مِـنْ غَيْـرِهِمْ كَثـرُوا
شِـبْهَ الـدَّعاعِيكِ لا دِيـنٌ ولا حَـسَبٌ
لَـوْ قـامَرُوا الـرِّيحَ عَـنْ أَحْسابِهِمْ قَمـرُوا
تَلْقَـى الْحماسِـيَّ لا يَمْنَعْـكَ حُرْمَتُـهُ
شِـبْهَ النبـيطِ إِذا اسْـتَعْبَدْتَهُم صَـبَرُوا
قَـدْ رَفَـعَ اللهُ قَـوْلِي فَـوْقَ قَـوْلِهِمُ
كَمـا النُّجُـومُ تَعَلَّـى فَوْقَهـا القَمَـرُ
قَـوْمٌ لِئـامٌ أَقَـلَّ اللهُ جُنْـدَهُمُ
كَمـا تَـساقَطَ حَـوْلَ النَّعْجَـةِ البعـرُ
كَـأَنَّ رِيْحَهُـمْ فِـي النَّـاسِ إِذْ بَـرَزُوا
رِيـحُ الْكِـلابِ إِذا مـا بَلَّهـا الْمَطَـرُ

الدعاعيك: السفلة.

**١٣٦ ـ ومنها: التشبه في سوء الخلق بالكلب الضاري الهار.**

والهر صوت الكلب دون نباحه لقلة صبره على البرد؛ قاله في «القاموس»[١].

---

(١) انظر: «القاموس المحيط» للفيروز آبادي (ص: ٦٣٩) (مادة: هرر).

وقد يطلق الهر على التعرض على الناس باللوم والعتب، وغيرهما لضيق الخلق.

قال بعض بني طيء: [من الرمل]

خـالِقِ النَّـاسَ بِخُلْـقٍ واسِـعٍ لا تَكُنْ كَلْبـاً عَلـى النَّـاسِ يَهِـرّْ
وَالْقَهُـمْ مِنْـكَ بِبِـشْرٍ ثُـمَّ كُـنْ لِلَّـذِي تَـسْمَعُ مِـنْهُمْ مُغْتَفِـرْ

وقال شيخ الإسلام جدي رحمه الله تعالى:

كَلْـبٌ عَلـى لَيْـثٍ يهـرُّ دائِمـاً مِنْ ضَعْفِ قَلْبِـهِ تُرى أَوْ مِنْ حَسَدْ
فَـلا تَلُمْـهُ إِنْ سَـطا بِـهِ فَـذا جَزاءُ كَلْبٍ اجْتَرى عَلـى الأَسَـدِ

وروى ابن السمعاني في «أماليه» عن محمد بن علي، عن أبيه، عن آبائه، عن علي رضي الله تعالى عنه: أنه قال لنَوف الشامي مولاه وهو معه على سطح: يا نوف! أنائم أم نبهان؟

قال: نبهان أرمقك يا أمير المؤمنين.

قال: تدري من شيعتي؟

قال: لا والله.

قال: شيعتي إن شهدوا لم يعرفوا، وإن غابوا لم يفتقدوا، وإن خطبوا لم يزوجوا، وإن مرضوا لم يعادوا.

شيعتي من لم يهر هرير الكلب، ولم يطمع طمع الغراب، ولم يسأل الناس وإن مات جوعاً، وإن رأى مؤمناً أكرمه، وإن رأى فاسقاً هجره.

شيعتي الذين هم في قبورهم يتزاورون، وفي أموالهم يتواسون، وفي الله يتباذلون، خفيفة أنفسهم، عفيفة قلوبهم.

يا نوف! أما الليل فصافون أقدامهم، مفترشون جباههم، تجري دموعهم على خدودهم، يناجون في فكاك رقابهم، وأما النهار فحلماء نجباء، كرام أتقياء[1].

**١٣٧ ـ ومنها: التشبه بالبكر في الكت عند الغضب.**

يقال: كت البعير يكت ـ بالكسر ـ إذا صاح صياحاً ليناً.

والكتيت صوت البكر، وهو فوق الكشيش.

ويقال: كت الرجل من الغضب كتيتاً، وهو كما في «القاموس»: صوت في صدر الرجل كصوت البكر من شدة الغيظ.

قال في «القاموس»: والكتكات الكثير الكلام، انتهى[2].

ومن هذا القبيل قول الناس: ما لفلان يكت ويهر: إذا همهم وهينم من شيء لم يعجبه، أو من شيء فاته من الدنيا، أو طلبه فلم يتيسر له.

**١٣٨ ـ ومنها: التشبه في سؤال الناس الشيء وتحسين طعامهم بالكلب والهر.**

وفي المثل: أسأل من فَلْحَس ـ وهو على وزن جعفر ـ: الكلب،

---

(١) ورواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٦٢/ ٣٠٦).

(٢) انظر: «القاموس المحيط» للفيروزآبادي (ص: ٢٠٣) (مادة: كتت).

والحريص، ومن يتحين طعام الناس[1].

ومنه قولهم: تفلحس إذا تطفل، كما حكاه في «القاموس»[2].

وقال الزمخشري: في المثل: أسأل من فلحس، وهو الذي يتحين طعام الناس كالطفيلي؛ يقال: جاءنا يتفلحس.

قال: والفلحس الحريص، وبه سمي الكلب.

قال: وقيل: كان رجلاً عزيزاً من شيبان يسأل الغزاة سهماً لنفسه ولامرأته ولناقته، فيعطى وهو في بيته لعزه[3].

وقال صاحب «الصحاح»: زعموا أنه كان يسأل سهماً في الجيش وهو في بيته، فيعطى لعزه وسؤدده، فإذا أعطيه سأل لامرأته، فإذا أعطيه سأل لبعيره[4].

**١٣٩ ـ ومنها: التشبه بالكلب والبعير والحمار، ونحوها في العض والقضم، وبالكلب والأفعى في النهش.**

والنهش ـ بالمعجمة ـ: اللسع.

والعض: الأخذ بالأضراس، وبالمهملة: الأخذ بأطراف الأسنان.

روى الأئمة الستة إلا أبا داود عن عمران بن حصين رضي الله

---

(١) انظر: «جمهرة الأمثال» للعسكري (١/ ٥٣٢).

(٢) انظر: «القاموس المحيط» للفيروز آبادي (ص: ٧٢٧) (مادة: فلحس).

(٣) انظر: «المستقصى من أمثال العرب» للزمخشري (١/ ١٥٢).

(٤) انظر: «الصحاح» للجوهري (٣/ ٩٥٩) (مادة: فلحس).

تعالى عنهما: أن رجلاً عض رجلاً على ذراعه، فنزع يده فوقعت ثنيتاه، فرفع إلى النبي ﷺ، فأبطلهما، وقال: «يَقْضِـمُ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ كَمَا يَقْضِـمُ الفَحْلُ؟ لا دِيَةَ لَكَ»[1].

وروى ابن ماجه عن يعلى، وسلمة ابني أُمية رضي الله تعالى عنهما قالا: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى غزوة تبوك ومعنا صاحب لنا، فاقتتل هو ورجل آخر ونحن بالطريق؛ قال: فعض الرجل يد صاحبه، فجذب يده من فيه، فطرح ثنيته، فأتى رسول الله ﷺ يلتمس عقل ثَنيته، فقال رسول الله ﷺ: «يَعْمِدُ أَحَدُكُمْ إِلىْ أَخِيْهِ يَعَضُّهُ كَعِضَاضِ الفَحْلِ ثُمَّ يَأْتِيْ يَلْتَمِسُ العَقْلَ؟ لا عَقْلَ لهَا»، فأبطلها رسول الله ﷺ[2].

**١٤٠ ـ ومنها: التشبه في التظالم والتغاضب، وبطش القوي بالضعيف، والضعيف بأضعف منه، بالبراذين، والبغال، والحمير لأنها تتكادم، وبالكلاب لأنها تتناهش، وغيرها.**

روى الحاكم في «المستدرك» عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه: أنه مر بمروان وهو يبني داره بالمدينة قال: فجلست إليه والعمال يعملون، فقلت: ابنوا شديداً، وأمِّلوا بعيداً، وموتوا قريباً.

---

(١) رواه البخاري (٦٤٩٧)، ومسلم (١٦٧٣)، والترمذي (١٤١٦)، والنسائي (٤٧٥٩)، وابن ماجه (٢٦٥٧).

(٢) رواه ابن ماجه (٢٦٥٦).

يا معشر قريش! ـ ثلاث مرات ـ اذكروا كيف كنتم أمس وكيف أصبحتم اليوم، تختدمون أرقاءكم فارس والروم.

كلوا خبز السميد واللحم السمين، لا يأكل بعضكم بعضاً، ولا تكادموا تكادم البراذين.

وكونوا اليوم صغاراً تكونوا غداً كباراً، والله لا يرفع رجل منكم درجة إلا وضعه الله يوم القيامة[1].

التكادم ـ دالُهُ مهملة ـ من الكدم: وهو العض بأدنى الفم كما يكدم الحمار[2].

**١٤١ ـ ومنها: التشبه بالكلب في ترويع المؤمنين كما تفعل الشُّرَطةُ وأعوان الظلمة.**

روى الخطيب في «تلخيص المتشابه» عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما: إنما أمرني رسول الله ﷺ أن أقتل الكلاب الأهلية لأنها تروع المؤمنين.

قال ابن عمر: فالشُّرَطي والجاسوس بمنزلة الكلب الأهلي.

وروى أبو داود عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، عن أصحاب النبي ﷺ: أنه قال: «لا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يُرَوِّعَ مُسْلِماً»[3].

وأخرجه الطبراني في «الأوسط» ـ ورواته ثقات ـ عن النعمان بن

---

(١) رواه الحاكم في «المستدرك» (٨٤٣١).

(٢) انظر: «لسان العرب» لابن منظور (١٢/ ٥٠٩) (مادة: كدم).

(٣) رواه أبو داود (٥٠٠٤)، وكذا الإمام أحمد في «المسند» (٥/ ٣٦٢).

بشير رضي الله تعالى عنهما، والبزار عن عبدالله بن عمر رضي الله تعالى عنهما[1].

**١٤٢ ـ ومنها: التشبه في التعدي واستلاب مال الغير منه واختطافه بالحدأة.**

وهي من الفواسق؛ فإنها لا تصيد، وإنما تخطف اللحم وغيره.

فأشبه الناس بها من يخطف العمائم وغيرها من الناس، وربما أشبه في ذلك بعض السنانير والكلاب.

روى الإمام أحمد في «الزهد» عن وهب قال: قال عيسى عليه السلام لأحبار بني إسرائيل: لا تكونوا للناس كالذئب السارق، وكالثعلب الخدوع، وكالحداء الخاطف[2].

**١٤٣ ـ ومنها: التشبه بالحية في غصب بيوت الناس وأرضيهم وأمتعتهم.**

وفي المثل: أظلم من أفعى[3].

قال في «حياة الحيوان»: وذلك لأنها لا تحفر جحراً، وإنما تأتي

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (١٦٧٣) عن النعمان بن بشير رضي الله عنه. قال العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء» (٢/ ٧٤٤): رواه الطبراني في «الكبير»، و«الأوسط» من حديث النعمان، ورواه البزار عن ابن عمر رضي الله عنه، وسنده ضعيف.

(٢) انظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٢/ ٢٠٤).

(٣) انظر: «جمهرة الأمثال» للعسكري (٢/ ٣٠).

إلى الجحر وقد احتفره غيرها، فتدخل فيه.

وقال الشاعر: [من الرجز]

وَأَنْتَ كَالأَفْعَى الَّتِي لا تَحْتَفِر ... ثُمَّ تَجِيْءُ سادِراً فَتَجْتَحِر[1]

وأنشده الزمخشري: ثُمَّ تَجِيْءُ سادِراً فَتَنْحَجِر[2].

قال الدميري: وكل بيت قصدت إليه هرب أهله منها وتتركه لها.

قلت: وهذا حال الينكجرية والبلوكباشية الذين في زماننا هذا إلا قليلاً منهم؛ يغتصبون بيوت الناس، ويستولون عليها وعلى سائر ما يشاؤون من عقار وإقطاع إلا ما وقى الله تعالى منهم؛ وحسبنا الله ونعم الوكيل!

ولعلهم يلينون، وما أشبههم في ذلك بلين الحية، ويحلون ألسنتهم لمن يطمعون فيه حتى يزوجهم أو يشاركهم، فإذا تمكنوا منهم طردوهم وأهانوهم، وربما أغرموهم أو قتلوهم، فما أشبه حالهم بما ذكره الزمخشري في «المستقصى» في قولهم في المثل: أظلم من حية[3].

وروي: أظلم من حية الوادي.

قال: يزعمون أن رجلاً أخذ حية وقد خمدت من البرد حتى لا

(١) انظر: «جمهرة الأمثال» للعسكري (٢/ ٣٠).

(٢) انظر: «المستقصى في أمثال العرب» للزمخشري (١/ ٢٣١).

(٣) انظر: «المستقصى في أمثال العرب» للزمخشري (١/ ٢٣١).

حراك بها، فلم يزل يدفئها تحت ثيابه حتى تحركت، فنهشته، فقال لها: ويحك! هذا جزائي منك؟

قالت: لا، ولكنه طبعي[1].

وقالوا: من أظلم من ذئب.

قال الزمخشري: ربَّى بدوي ذئباً، فلما كبر وشب فرس سخلة له، فقال: [من الوافر]

فَرَسْتَ شُوَيْهَتِي وَفَجَعْتَ طِفْلاً ... وَنِسْواناً وَأَنْتَ لَهُمْ رَبِيبُ

نَشَأْتَ مَعَ السِّخالِ وَأَنْتَ طِفْلٌ ... فَمَنْ أَدْراكَ أَنَّ أَباكَ ذِئْبُ

إِذا كانَ الطِّباعُ طِباعَ سُوءٍ ... فَلَيْسَ بِمُصْلِحٍ طَبْعاً أَرِيبُ

قال: وقال آخر: [من الطويل]

وَأَنْتَ كَذِئْبِ السَّوْءِ إِذْ قالَ مَرَّةً ... لِعمروسةٍ وَالذِّئْبُ غَرثانُ مُرْسَلِ

أَأَنْتَ الَّذِي مِنْ غَيْرِ جُرْمٍ سَبَبْتَنِي ... فَقالَ مَتَى ذا قالَ ذا عامَ أَوَّلِ

فَقالَ وُلِدْتُ العامَ قَدْ رُمْتَ ظُلْمَنا ... فَدُونَكَ كُلْنِي لا هَنا لَكَ مَأْكَلي

قال: وقال آخر: [من الطويل]

وَأَنْتَ كَجَرْوِ الذِّئْبِ لَيْسَ بِآلِفٍ ... أَبَى الذِّئْبُ إِلاَّ أَنْ يَخُونَ وَيَظْلِما[2]

وروى البيهقي في «الشعب» عن الأصمعي: قال: دخلت البادية

---

(١) انظر: «المستقصى في أمثال العرب» للزمخشري (١/ ٢٣٢).

(٢) انظر: «المستقصى في أمثال العرب» للزمخشري (١/ ٢٣٣).

فإذا أنا بعجوز يبن يديها شاة مقتولة وجرو ذئب، فقالت: أتدري ما هذا؟

قلت: لا.

قالت: جرو ذئب، أخذناه وأدخلناه بيتنا، فلما كبر قتل شاتنا، وقلت في ذلك شعراً.

قلت ما هو؟

فأنشدت: [من الطويل]

قَتَلْتَ شُوَيْهَتِي وَفَجَعْتَ قَوْماً ... وَأَنْتَ لِشاتِنا وَلَدٌ رَبِيبُ
غُذِيتَ بِدِرِّها وَرُبِيتَ فِينا ... فَمَنْ أَنباكَ أَنَّ أَباكَ ذِئْبُ
إِذا كانَ الطِّباعُ طِباعَ سَوْءٍ ... فَلَيْسَ بِنافِعٍ أَدَبٌ أَدِيبُ[1]

وأنشد السيوطي في «ديوان الحيوان» لبعضهم: [من الكامل]

وَإِذا الذِّئابُ اسْتَنْعَجَتْ لَكَ مَرَّةً ... فَحَذارِ مِنْها أَنْ تَعُودَ ذِئابا
وَالذِّئْبُ أَخْبَثُ ما يَكُونُ إِذا اكْتَسَى ... مِنْ جِلْدِ أَوْلادِ النِّعاجِ ثِيابا

ولطف الصفي الحلي في قوله مضمناً: [من مجزوء الكامل المرفل]

وَإِذا العُداةُ أَرَتْكَ فَرْ ... طَ مَوَدَّةٍ فَإِلَيْكَ عَنْها
وَإِذا الذِّئابُ اسْتَنْعَجَتْ ... لَكَ مَرَّةً فَحَذارِ مِنْها

وقالوا في المثل: الذئب يأدو للغزال؛ أي: يختله ليوقعه ويأكله؛

---

(١) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٧/ ٤٥٤).

يضرب للماكر الخدَّاع[1].

يقال: أدوت له، وأديت له بمعنىً، والدال مهملة فيهما.

أنشد في «الصحاح» عن أبي زيد:

أَدَوْتُ لَــــــهُ لآخُـــــذَهُ          وَهَيْهَـــاتَ الفَتَـــى حَـــذِرا[2]

في الحديث: «المَكْرُ وَالخَدِيْعَةُ فِيْ النَّارِ»[3].

**١٤٤ ـ ومنها: التشبه في أذية الناس بالعقرب، والحية، والسبع، والزنابير، والدبر.**

وفي الحديث: «مَنْ عَضَّ عَلَىْ شِبْدِعِهِ ـ بكسر الشين المعجمة، والدال المهملة؛ أي: عقربه ـ سَلِمَ مِنَ الآثَامِ»[4].

أي: من عض على لسانه؛ يعني: سكت، ولم يخض مع الخائضين، ولم يلسع به الناس؛ لأن العاض على لسانه لا يتكلم، فشبه اللسان بالعقرب الضارب؛ ذكره في «حياة الحيوان»[5].

روى الأصبهاني في «الترغيب» عن الفضيل بن عياض قال: قيل

---

(١) انظر: «المستقصى من أمثال العرب» للزمخشري (١/ ٣٢٠).

(٢) انظر: «الصحاح» للجوهري (٦/ ٢٢٦٥) (مادة: أدو).

(٣) رواه ابن حبان في «صحيحه» (٥٦٧)، والطبراني في «المعجم الصغير» (٧٣٨)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (٢٥٣) عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه.

(٤) ذكره ابن قتيبة في «غريب الحديث» (٣/ ٧٦١).

(٥) انظر: «حياة الحيوان الكبرى» للدميري (٢/ ٦٨).

لحذيفة رضي الله تعالى عنه: ما لك لا تتكلم؟

قال: إن لساني سَبُعٌ أتخوف إن تركته يأكلني[1]؛ أي: أخاف أن يأكلني إذا تركته منطلقاً في الكلام ولم أحبسه.

وروى البيهقي في «الشعب» عن معن بن عيسى رحمه الله تعالى قال: قيل لراهب: ما لك لا تتكلم؟

قال: لساني سَبُعٌ إن أرسلته أكلني[2].

وروى أبو نعيم عن منصور بن حوشب قال: قيل لقيس بن السكن: ألا تتكلم؟

قال: لساني سَبُعٌ أخاف أن أدعه فيعقرني[3].

وروى الأصبهاني عن أبي عمران الجوني رحمه الله تعالى قال: إنما لسان أحدكم كلب؛ فإذا سلطته على نفسك أكلك[4].

وقيل لراهب: يا راهب!

قال: لست براهب، إنما أنا حابس كلب عقور[5]؛ يعني: لسانه، أو نفسه.

---

(١) ورواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١٢/ ٢٩٢).

(٢) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٥٠٦٢).

(٣) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١٠/ ١٤٠).

(٤) ورواه ابن أبي الدنيا في «الصمت وآداب اللسان» (ص: ٦٧).

(٥) روى نحوه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٨/ ٣٠) عن إبراهيم بن أدهم.

قال الشاعر: [من الكامل]

احْفَـظْ لِـسانَكَ أَيُّهـا الإِنْـسانُ ... لا يَلْـدَغَنَّكَ لَدْغَـةَ الثُّعْبـانِ

وأنشد القاضي الماوردي لبعض أهل العلم: [من البسيط]

لا تَرْكَنَنَّ إِلَى ذِي مَنْظَرٍ حَسَنٍ ... فَرُبَّ رائِقَةٍ قَدْ ساءَ مَخْبَرُها

ما كُلُّ صَفْراءَ دِينارٌ تُصَرِّفُهُ ... صُفْرُ العَقارِبِ أَنْكاها وَأَنْكَرُها[1]

وأنشد ابن أبي الدنيا، والأصبهاني بإسناديهما لسفيان بن عيينة رحمه الله تعالى: [من مجزوء الرمل]

خَلِّ جَنْبَيْكَ لِرامِ ... وَامْضِ عَنْهُ بِسَلامِ

مُتْ بِداءِ الصَّمْتِ خَيْرٌ ... لَكَ مِنْ داءِ الكَلامِ

إِنَّما السَّالِمُ مَنْ أَلْـ ... ـجَمَ فاهُ بِلِجامِ

وَالْمَنايا آكِلاتٌ ... شارِباتٌ لِلأَنامِ

شبه اللسان بالدابة السريعة التي تحتاج إلى اللجام والفدام.

**١٤٥ ـ ومنها: التشبه في إطلاق اللسان في كل زمان ومكان بالعقرب؛ فإنها تضرب ما وجدت حتى الحجر والمدر.**

ومن أحسن ما قيل في ذلك: [من المتقارب]

رَأَيْتُ عَلَى صَخْرَةٍ عَقْرَبا ... وَقَدْ جَعَلَتْ ضَرْبَها دَيْدَنا

---

(١) انظر: «أدب الدنيا والدين» للماوردي (ص: ٢٠٧).

فَقُلْــتُ لَهَــا إِنَّهَــا صَــخْرَةٌ وَطَبْعُــكِ مِــنْ طَبْعِهَــا أَلْيَنَــا

فَقالَــتْ صَــدَقْتَ وَلَكِنَّنِــي أُرِيْــدُ أُعَرِّفُهَــا مَــنْ أَنــا[1]

وهذا الشاعر أراد وصف العقرب بالأذى في كل وقت وبالجهل؛ فإن جهلها أدى إلى مداومة ضرب الصخرة وهي لا تتأثر من ضربها، وهذا أشبه شيء بحال الطَّعَّان على الأئمة، وهو مقصر عن بلوغ شأوهم في الفضل والعلم، أو على الأكابر والأشراف والأكارم، وهو من الأراذل الذي لا يعتنى بمدحه، ولا يلتفت إلى ذمه.

ونظير ذلك الكلاب تنبح السحاب.

وفي المثل: لا يضر السحاب نبيح الكلاب[2].

ومن كلام بعض الأدباء في زجل له:

إِنْ عَـوى عَلـى القَمَـرِ الكَلْـبُ يخـس مِـنْ بَعِيـد

وقال الفرزدق: [من الطويل]

وَقَدْ يَنْبَحُ الكَلْبُ السَّحابَ وَدُونَهَا مَهامِهُ تُعـشي نَظْـرَةَ الْمُتَأَمِّـلِ[3]

وقال الكميت: [من البسيط]

فَــإِنَّكُمْ وَنِــزاراً فِــي عَــداوَتِنا كَالْكَلْبِ هرَّ مدى وَطفاء مِدْرارُ

(١) انظر: «حياة الحيوان الكبرى» للدميري (٢/ ١٨٧).

(٢) انظر: «مجمع الأمثال» للميداني (٢/ ٢١٥).

(٣) انظر: «الحيوان» للجاحظ (٢/ ٧٥)، و«المستقصى في أمثال العرب» للجاحظ (٢/ ٢٧٢).

وفي رواية في المثل: هل يضر السحاب نباح الكلاب؟ ذكره الزمخشري.

وأنشد مع الكلام للفرزدق: [من الطويل]

وَما لِـي لا أَغْـزُو وَلِلـدَّهْرِ كَـرَّةٌ ... وَقَدْ نَبَحَتْ نَحْوَ السَّحابِ كِلابُها[1]

**١٤٦ ـ ومنها: التشبه بالكلب العقور في العقر والجراحة.**

وقد سبق قول الراهب: أنا لست براهب، إنما أنا حابس كلب عقور؛ يعني: نفسه.

والكلب العقور من الفواسق التي تُقتل في الحِلِّ والحرم.

وقد سميت فواسق وأمر بقتلها وهي لا تعقل، فكيف بمن يتشبه بها من المكلفين؟

وفي كتاب الله تعالى: ﴿وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾ [المائدة: ٤٥].

وروى الشيخان، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أَوَّلُ مَا يُقْضَى بَيْنَ النَّاسِ يَوْمَ القِيامَةِ فِيْ الدِّمَاءِ»[2].

وروى البخاري عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «لَنْ يَزَالَ الرَّجُلُ فِيْ فُسْحَةٍ مِنْ دِيْنِهِ مَا لَمْ يُصِبْ

---

(١) انظر: «المستقصى في أمثال العرب» للزمخشري (٢/ ٢٧٢).

(٢) رواه البخاري (٦١٦٨)، ومسلم (١٦٧٨) واللفظ له، الترمذي (١٣٩٧)، والنسائي (٣٩٩١)، وابن ماجه (٢٦١٥).

دَمَاً حَرَاماً»[1].

وقال ابن عمر: من ورطات الأمور التي لا مخرج لمن أوقع نفسه فيها سفك الدم الحرام بغير حد[2].

والورطات: الهلكات، والأمور التي يعسُر التخلص منها.

**١٤٧ ـ ومنها: التشبه بالعقرب في التظلم مع الظلم.**

فإن العرب تقول في المثل: العقرب تضرب وتصيء؛ يضربونه للظالم في صورة المتظلم. ذكره في «حياة الحيوان»[3].

قال في «الصحاح»: ومثل: تلدغ العقرب: تضرب وتصيء.

أورد المثل الزمخشري: تلدغ المرأة[4] وتصيء؛ قال: والمعنى: أنها تظلم بعلها، وتزعم أنه يظلمها؛ يضرب لمن يؤذي ويشتكي[5].

قلت: روى الخطابي في «الغريب» بإسناده، عن أبي طلق: أن امرأة حدثته أن امرأة وطئت صبياً مولداً فشدخته، فشهد عليها نسوة عند علي رضي الله تعالى عنه أنها قتلته، فأجاز شهادتهنَّ، فلما رأت

---

(١) رواه البخاري (٦٤٦٩).

(٢) رواه البخاري (٦٤٧٠)، وعنده: «بغير حله» بدل «بغير حد».

(٣) انظر: «حياة الحيوان الكبرى» للدميري (٢/ ١٩٦)، و«مجمع الأمثال» للميداني (١/ ١٢٦).

(٤) في «أ» و«ت»: «يضرب المرأة» بدل «تلدغ للمرأة».

(٥) انظر: «المستقصى في أمثال العرب» للزمخشري (٢/ ٣١).

المرأة قالت: إني جزعت، فقال لها: أنت مثل العقرب تلدغ وتصيء[1].

**١٤٨ ـ ومنها: التشبه بالإفساد في الأرض بالأرَضة، والجراد، والجرد، والفأرة، والدب، والضبع، وغيرها.**

والمفسد مع كونه متشبهاً بهذه المفسدات ملحق بالمنافقين.

قال الله تعالى في ما حكاه عنهم: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ﴾[البقرة: ١١ ـ ١٢].

وكذلك تلك المفسدات لا شعور لها بأن ما هي فيه فساد، بل هو عندها صلاح.

وفي المثل: أعيث من جِعَار ـ وهي كقطام: الضبع ـ[2].

قال في «الصحاح»: العيث: الإفساد، يقال: عاث الذئب في الغنم، انتهى[3].

[قال الزمخشري]: ويقال: إن الضبع أفسد حيوان[4].

وأنشد قول الشاعر: [من الطويل]

---

(١) انظر: «غريب الحديث» للخطابي (٢/ ١٦٦).

(٢) انظر: «جمهرة الأمثال» للعسكري (٢/ ٧٢).

(٣) انظر: «الصحاح» للجوهري (١/ ٢٨٧) (مادة: عيث).

(٤) انظر: «المستقصى في أمثال العرب» للزمخشري (١/ ٢٥٦).

فَقُلْتُ: أَلَا عِيثِي جِعَارُ وَأَبْشِرِي    بِلَحْمِ امْرِئٍ لَمْ يَشْهَدِ اليَوْمَ ناصِرَه[1]

وقال الزمخشري أيضاً: هي فوق الذئب في العيث إذا وقعت في الغنم، ولإفراطها في الفساد استعاروا اسمها للأزمة فقالوا: أكلتنا الضبُع ـ كرَجُل ـ: السنة المجدبة[2].

وفي المثل أيضاً: أفسد من خُلد، وهو ـ بضم الخاء المعجمة، وكسرها ـ كما ذكره صاحب «الكفاية» عن الخليل، ونبه عليه السيوطي في «ديوان الحيوان»: دويبة عمياء تشبه الفأر، أو هو نوع منه[3].

وفي المثل أيضاً: أفسد من الأَرَضة[4]، وهي دويبة بيضاء كالنمل تأكل الخشب.

وأفسد من الجرد، ومن الفأر، ومن السوس، ومن الجراد، وليس في الحيوان أفسد لما يتقوت به الإنسان من الجراد[5].

وقالوا في المثل: كالجراد لا يبقي ولا يذر[6].

---

(١) انظر: «المستقصى في أمثال العرب» للزمخشري (٢/ ١٧٣).

(٢) انظر: «المستقصى في أمثال العرب» للزمخشري (١/ ٢٧١).

(٣) انظر: «حياة الحيوان الكبرى» للدميري (١/ ٤٢٠).

(٤) انظر: «جمهرة الأمثال» للعسكري (٢/ ٨٩).

(٥) انظر: «مجمع الأمثال» للميداني (٢ / ٨٣)، و«المستقصى في أمثال العرب» للزمخشري (١/ ٢٧١).

(٦) انظر: «مجمع الأمثال» للميداني (٢/ ١٦٢)، و«حياة الحيوان الكبرى» للدميري (١/ ٢٧٣).

وقال [الزمخشري]: أجرد من الجراد، يقال: جرد الأرض الجراد: أكل ما عليها؛ من هذا اشتقاق اسمه[1].

وروى الحاكم في «تاريخ نيسابور»، والبيهقي عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما: أن جرادة وقعت بين يدي النبي ﷺ، فإذا مكتوب على جناحها بالعبرانية: نحن جند الله الأكبر، ولنا تسعة وتسعون بيضة، ولو تمت لنا لأكلنا الدنيا بما فيها.

فقال النبي ﷺ: «اللهُمَّ أَهْلِكِ الجَرَادَ، اقْتُلْ كِبَارَهَا، وَأَمِتْ صِغَارَهَا، وَأَفْسِدْ بَيْضَهَا، وَشُدَّ أَفْوَاهَهَا عَنْ مَزَارِعِ المُسْلِمِيْنَ وَمَعَاشِهِمْ؛ إِنَّكَ سَمِيْعُ الدُّعَاءِ».

قال: فجاء جبريل عليه السلام فقال: قد استجيب لك في بعضه[2].

وفي هذا الحديث دليل على أنه يجوز الدعاء على المفسدين والظلمة، وقد عدَّ هلاك الظالم والمُفسد نعمة.

قال الله تعالى: ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[الأنعام: ٤٥].

---

(١) انظر: «المستقصى في أمثال العرب» للزمخشري (١/ ٤٨)، و«جمهرة الأمثال» للعسكري (١/ ٣٣٥).

(٢) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (١٠١٣٠) وقال: محمد بن عثمان القيسي مجهول، وهذا حديث منكر.

وفيه دليل على أنه يُحمد ويُشكر عند هلاك الظالم والمفسد، والله يعلم المفسد والمصلح.

**١٤٩ ـ ومنها: الغدر، وهو ترك الوفاء تشبهاً بالذئب والضبع، ونحوهما.**

وفي المثل: أغدر من الذئب، وأغدر من أم أدراص، وهي اليربوع.

قال طفيل: [من الطويل]

وما أمُّ أدراصٍ بِأَرْضٍ مُضِلَّةٍ بِأَغْدَرَ مِنْ قَيْسٍ إِذا اللَّيْلُ أَظْلَما[1]

روى مسلم عن أبي سعيد رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لِكُلِّ غَادِرٍ لِوَاءٌ عِنْدَ اسْتِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ»[2].

وروى الإمام أحمد، ومسلم عن ابن مسعود، وهما والبخاري عن أنس، ومسلم عن ابن عمر؛ قالوا رضي الله تعالى عنهم: قال رسول الله ﷺ: «لِكُلِّ غَادِرٍ لِوَاءٌ يُعْرَفُ بِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ»[3].

---

(١) انظر: «المستقصى في أمثال العرب» للزمخشري (١/ ٢٥٨).

(٢) رواه مسلم (١٧٣٨).

(٣) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١/ ٤١٧)، ومسلم (١٧٣٦) عن ابن مسعود رضي الله عنه.

والإمام أحمد في «المسند» (٣/ ١٤٢)، ومسلم (١٧٣٧)، والبخاري (٣٠١٥) عن أنس رضي الله عنه.

ومسلم (١٧٣٥)، وكذا البخاري (٦٥٦٥) عن ابن عمر رضي الله عنهما.

**١٥٠ ـ ومنها: التشبه في الضلال، وهو نقيض الهدى والرشد بالبعير الضَّال، وبالضب، واليربوع.**

في المثل: أضل من ضب.

ذكر الدميري والسيوطي: أن الضَّب يُضرب به المثل في الحيرة وعدم الهداية، ولذلك لا يحفر جحره إلاَّ عند أكمة أو صخرة لئلا يضلَّ عنه إذا خرج لطلب الطعم(١).

وقالوا في المثل: ضل ضريس نَفَقَهُ؛ أي: جحره(٢).

قال الجوهري: تقول: إنك تهدي الضَّال، لا تهدي المتضال(٣).

وهو مثل معناه: وإن من ضلاله من غير قصد منه؛ فإنك إذا أهديته اهتدى واتبع الهدى، بخلاف من يسلك مسالك الضلال عن قصد ويتبع غير سبيل الهداية مستحسناً لها؛ فإنه لا يهتدي وإن هديته.

قال الله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمۡ وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ﴾[البقرة: ١٦].

وروى الإمام أحمد، والترمذي وصححه، وابن ماجه، والحاكم وصححه، عن أبي أمامة رضي الله عنه: أنَّ النبي ﷺ قال: «مَا ضَلَّ قَوْمٌ بَعْدَ

---

(١) انظر: «حياة الحيوان الكبرى» للدميري (٢/ ١١٠).

(٢) انظر: «المستقصى في أمثال العرب» للزمخشري (٢/ ١٤٩)، وعنده: «الدريص» بدل «ضريس».

(٣) انظر: «الصحاح» للجوهري (٥/ ١٧٤٩) (مادة: ضلل).

هُدَىً كَانُوْا عَلَيْهِ إِلاَّ أُوْتُوْا الجَدَلَ»[1].

**١٥١ ـ ومنها: التشبه بضعاف الحيوانات المؤذية في الأذى مع الضعف.**

ومن ثمَّ قيل في المثل: فلان ضعيف جبار.

وإذا كان للضعيف أذى فلا ينبغي أن يهمل الحذر منه لضعفه.

ولقد أحسن البهاء زهير في قوله: [من الطويل]

تَوَقَّ الأَذى مِنْ كُلِّ نَذْلٍ وَساقِطٍ ... فَكَمْ قَـدْ تَـأَذَّى بـِالأَراذِلِ سَـيِّدُ

أَلَـمْ تَـرَ أَنَّ اللَّيْـثَ تُؤْذِيـهِ بَقَّـةٌ ... وَيَأْخُـذُ مِـنْ حَـدِّ الْمُهَنَّـدِ مِبْـرَدُ

وقال آخر: [من البسيط]

لا تَحْقِرَنَّ صَغِيراً فِي مُخاصَـمَةٍ ... إِنَّ الذُّبابَةَ أَدْمَتْ مُقْلَةَ الأَسَدِ[2]

**١٥٢ ـ ومنها: التشبه في الصولة عند الجوع بالأسد والسباع، وعند الشبع بالبغال والحمير.**

روى الدينوري في «مجالسته» عن الأصمعي قال: قال بزرجمهر الحكيم: احذروا صولة اللئيم إذا شبع، والكريم إذا جاع[3].

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٥/ ٢٥٢)، والترمذي (٣٢٥٣) وصححه، وابن ماجه (٤٨)، والحاكم في «المستدرك» (٣٦٧٤).

(٢) انظر: «حياة الحيوان الكبرى» للدميري (١/ ١٨٥).

(٣) رواه الدينوري في «المجالسة وجواهر العلم» للدينوري (ص: ٤٦).

واعلم أنَّ الكريم ـ وإن كان في طبعه الغضب عند الجوع ـ فإنه إذا استرسل مع غضبه حتى يبطش، فقد خدش كرمه، وأُلحق بعالَم الضباع، والأكمل في حقه أن يصبر كما قال بعض العارفين: إذا وجدنا أَكْلنا أكل الرجال، وإذا فقدنا صبرنا صبر الأبطال[1].

فالكريم يغضب عند الجوع، لكنه يملك نفسه عند الغضب.

ولا يُلام على أصل الغضب والضجر كما قال الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى: ثلاثة لا يلامون على الضجر: الصائم، والمسافر، والمريض. أخرجه ابن أبي الدنيا في «التوبة»[2].

**١٥٣ ـ ومنها: تشبه السفيه في إتلافه ماله على مَنْ لا نَفْعَ له من الناس، وما لا فائدة فيه من الأمور الدنيوية والأغراض النفسانية مع منعه الحقوق اللازمة كترك العيال بلا نفقة، والتقتير عليهم ليصرف ما يمنعهم منه على غيرهم بالذئبة والنعامة؛ فإنها تنسى بيضها وتَحْضُن بيض غيرها، والذئبة ربما تركَتْ أولادها وأَرْضعت أولاد الضَّبع.**

ولهذا قالت العرب في أمثالهم: أحمق من جهيزة[3]، وهي أنثى الذئب كما تقدم.

وهذا حال أكثر الناس الآن؛ ربما شحَّ أحدهم على ولده وزوجته وأقربائه، وصرف أمواله على أهل هواه، بل ربَّما أنفق في

(١) هو إبراهيم بن أدهم، كما في «قوت القلوب» لأبي طالب المكي (٢/ ٢٩٨).

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في «التوبة» (ص: ٢٨٩).

(٣) انظر: «الحيوان» للجاحظ (١/ ١٩٧).

تُرَّهاته في اليوم الواحد ما يكفي عياله لو أنفقه عليهم أياماً كثيرة.

**١٥٤ ـ ومنها: التشبه بالضباع ونحوها في نبش القبور.**

إلاَّ أنَّ الضبع ينبش القبر رغبةً في لحم ابن آدم، والنباش من بني آدم نَبْشُهُ رغبةً في الكفن، وهذا من أقبح الحرام؛ فإنه سرقة، وقسوة قلب، وانتهاك حُرمة، وجُرأة على الله تعالى، وانكلاب على الدنيا.

وفي الحديث: «أَبْعَدُ القُلُوْبِ عَنِ اللهِ القَلْبُ القَاسِيْ»(١).

وفي المثل: أنبش من جَيْأَل ـ على وزن فيعل ـ وهي اسم الضبع(٢)، معرَّفة بلا ألف ولام.

**١٥٥ ـ ومنها: التشبه بالخيل الجامحة في اتباع الهوى، والبغال الرامحة في الحركات التي لا تختار ولا تجتبى.**

وكذلك تشبه المرأة في الخروج من بيت زوجها بغير إذنه بالفرس الجموح.

قال الجوهري: جمحت المرأة من زوجها، وهو خروجها من بيتها إلى أهلها قبل أن يُطلقها.

قال: والجموح من الرجال الذي يركب هواه فلا يمكن رده.

قال الشاعر: [من الطويل]

---

(١) روى نحوه الترمذي (٢٤١١) عن ابن عمر رضي الله عنهما، وحسنه، ولفظه: «إن أبعد الناس من الله القلب القاسي».

(٢) انظر: «جمهرة الأمثال» للعسكري (٢/ ٣١٨).

خَلَعْتُ عَذاري جامِحاً ما يَرُدُّنِي عَنِ البِيضِ أَمْثالِ الدُّمى زَجْرُ زاجِرِ

قال: وأصله من جموح الفرس، وهو اعتزازه صاحبه، وغلبته عليه[1].

وقال البوصيري: [من البسيط]

مَنْ لِي بِرَدِّ جِمَاحٍ مِنْ غَوايَتِها كَما يُرَدُّ جِماحُ الْخَيْلِ بِاللُّجُمِ

**١٥٦ ـ ومنها: التشبه في العجز والقصور عن طلب المنازل العلية والمراتب السنيَّة بدواب الجُحَر كالضب، وغيره.**

والجُحَر ـ بضم الجيم، وفتح المهملة ـ جمع جُحر ـ بالضم ـ: وهو ما تحتفره السباع والهوام لأنفسها.

قال الطرطوشي في «سراج الملوك»: وقد كان جُهيل رئيس القندهاريين يرى من تصديق القدر وتكذيب الطلب دون أهل زمانه من الملوك ما حجزه عن الطلب والتدبير، فأخرجه إخوته من سلطانه، وقهروه على مملكته، فقال له بعض الحكماء: إنَّ ترك الطلب يُضعف الهمَّة ويُذل النفس، وصاحبه صائر إلى أخلاق ذوي الأجحرة من الحيوان كالضب.

وسائر الحشرات تنشأ في أجحرتها وفيها يكون موتها.

قال الطرطوشي: ثم جمعوا بين الطلب والقدر، وقالوا: إنهما كالعدلين على ظهر الدابة؛ إنْ يُحمل في واحدٍ منهما أرجح مما يُحمل

---

(١) انظر: «الصحاح» للجوهري (١/ ٣٦٠) (مادة: جمح).

في الآخر سقطا جملة. . . إلى آخر كلامِهِ[1].

وقلت: [من الرجز]

أَلا اعْمَلُوا كُلٌّ مُيَسَّرٌ لِما ... خَلَقَهُ اللهُ لَهُ مِنَ العَمَلْ

وَما كَسَبْتَهُ وَإِنَّ قُدْرَةَ اللـ ... ـهِ تَعالَى مُسْقِطٌ عَنْكَ العَذَلْ

وَرُبَّما نالَ الفَتَى مَأْمُولَهُ ... وَرُبَّما نُوِّلَ مِنْ غَيْرِ أَمَلْ

إِنَّ النَّشاطَ لَمْ يُذَمَّ وَهْوَ لا ... يُعارِضُ القَضاءَ بَلْ ذُمَّ الكَسَلْ

وَلَكَ أَجْرُ الاكْتِسابِ نِلْتَ ما ... حاوَلْتَهُ مُوَفَّراً أَوْ لَمْ تَنَلْ

**١٥٧ ـ ومنها: تشبه الإنسان في مشاركة أخيه في الرَّفاهية، ومفارقته في الحزن والشدائد بالجَمَل والجدي يرتع، وغيره في الشدة.**

والأخ الحق والصديق الصدق هو الذي لا يُفارق أخاه في الشدة كما لا يفارقه في الرخاء.

وقد قيل: [من الرجز]

أَخُوكَ مَنْ واسَاكَ عِنْدَ الشِّدَّةْ ... فَذاكَ عِنْدَ النَّائِباتِ عُدَّةْ

وفي المثل: يربض حجرة ويرتعي وسطاً.

وربما قالوا: يأكل خضرة ويربض حجرة.

والحجرة: الناحية.

---

(١) انظر: «سراج الملوك» للطرطوشي (ص: ١٥٢).

قال الزمخشري: وأصله الجمل أو الجدي يرتع في الروضة، فإذا شبع ربض ناحية.

يضرب لمشاركة الرجل أخاه في الرفاهية، وخذلانه إياه في الشدائد[1].

**١٥٨ ـ ومنها: تشبه الإنسان بالجمل والجدي في إيثار الدعة والراحة على الاهتمام بما يعنيه.**

كما يشير إليه المثل المتقدم: يربض حجره ويرتعي وسطاً.

ومن الأمثال كما ذكره الدميري، والسيوطي: فلان كالخروف يتقلب على الصوف؛ يضرب للرجل المكفي المؤنة[2].

ومن أمثال العوام: فلان كالجدي يصيح الناس الغرق، وهو يقرض الحبال.

**١٥٩ ـ ومنها: تربص الدوائر بالمؤمن، وتمني السوء له، وإشاعة ما يُحزنه تشبهاً بالبوم.**

وذلك من خصال المنافقين كما تقدم في التشبه بهم.

ومن أمثال العوام: فلان كالبوم لا يصيح إلا بالخراب.

وروى ابن عساكر عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه: أنَّ النبي ﷺ

---

(١) انظر: «المستقصى في أمثال العرب» للزمخشري (٢/ ٤١١).

(٢) انظر: «حياة الحيوان الكبرى» للدميري (١/ ٤٠٩).

قال: «الرَّجُلُ الصَّالِحُ يَأْتي بِالخَبَرِ الصَّالِحِ، وَالرَّجُلُ السُّوْءُ يَأْتي بِالخَبَرِ السُّوْءِ»[1].

**١٦٠ ـ ومنها: التشبه في صرف العمر الطويل في غير اكتساب العلوم والمعارف بالنسر، والحية، والقراد، والحِسل ـ بكسر الحاء المهملة ـ وهو ولد الضب.**

يُقال: إنه يعيش ثلاث مئة سنة، والنسر يعيش ثمانين سنة، ويُقال: خمس مئة سنة، ويُقال: ألف سنة.

وروي أنه يقول في صياحه: عش ما شئت؛ فإنك ميت.

وقالوا في المثل: أعمر من نسر[2].

وقالوا: أعمر من لبد، وهو آخر أنسُر لقمان العادي، تزعم العرب أنَّ لقمان هو الذي بعثته عاد في وفدها إلى الحرم ليَسْتقي لها، فلمَّا هلكوا خُيِّر لقمان بين بقاء سبع بقرات سمر مراظب عُفر في جبل وَعر لا يمسها القطر، وبقاء سبعة أنسر كلما هلك نسر خَلَفَ بعده نسر، فاختار النسور، وكان آخر نسوره يُسمى لبداً؛ قاله في «الصحاح»[3].

وقال الزمخشري في «المستقصى»: سمَّاه لبداً معتقداً فيه أنه لبد فلا يموت ولا يذهب.

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) انظر: «مجمع الأمثال» للميداني (٢/ ٥٠).

(٣) انظر: «الصحاح» للجوهري (٢/ ٥٣٤) (مادة: لبد).

قال: ويزعمون أنه حين كبر قال له: اذهب لبد، فأنت نسر الأبد[1].

وقالوا: أعمر من القراد؛ قيل: إنه يعيش سبع مئة سنة، يضرب لمن استطيل عمره ضجراً منه[2].

وروى الإمام أحمد، والترمذي، والحاكم وصححاه، والطبراني بإسناد صحيح، وغيرهم عن أبي بكر رضي الله تعالى عنه: أن رجلاً قال: يا رسول الله! أي الناس خير؟

قال: «مَنْ طَالَ عُمْرُهُ وَحَسُنَ عَمَلُهُ».

قال: فأيُّ الناس شر؟

قال: «مَنْ طَالَ عُمْرُهُ وَسَاءَ عَمَلُهُ»[3].

وفي الحديث: «عِشْ مَا شِئْتَ؛ فَإِنَّكَ مَيِّتٌ»[4].

وقال العجاج: [من الرجز]

إِنَّكَ لَوْ عُمِّرْتَ عُمْرَ الْحِسْلِ ... أَوْ عُمْرَ نُوحٍ زَمَنَ الفِطَحْلِ

وَالصَّخْرُ مُبْتَلٌّ كَطِينِ الوَحْلِ ... كُنْتَ رَهِينَ هَرَمٍ وَقَتْلِ[5]

---

(١) انظر: «المستقصى في أمثال العرب» للزمخشري (١/ ٢٥٣).

(٢) انظر: «جمهرة الأمثال» للعسكري (٢/ ٧٤).

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٤٢٧٨) عن سهل بن سعد رضي الله عنه عن النبي ﷺ أن جبريل قال له، فذكره. وحسن الهيثمي إسناده في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٢١٩).

(٥) انظر: «جمهرة الأمثال» للعسكري (١/ ٣١٥).

**١٦١ ـ ومنها: التشبه في الإساءة إلى مَنْ أحسن إليه بالبغل، والضبع، والكلب، والذئب، والحية.**

ومن أمثال العوام: كالبغل تُهيء له العَلَف وهو يُهيء لك الرَّفْسة.

وتقول العرب فيمن عمل المعروف مع غير أهله: مُجيرُ أُمِّ عامر، وهي كنية الضبع[1].

روى البيهقي في «الشعب» عن أبي عبيدة: أنه سأل يونس بن حبيب عن المثل المشهور: كمجير أم عامر؛ قال: كان من حديثه أنَّ قوماً خرجوا إلى العيد في يومٍ حار، فرأوا ضبعاً فطردوها، فاقتحمت حيَّ أعرابي، فأجارها منهم، وسقاها ماءً ولبناً، فبينما هو نائم إذ وثَبَتْ فبقرَتْ بطنه وشربَتْ دمه، وأكلَتْ حشوته، فجاء ابن عم له فرآها فاتبعها حتى قتلها، وأنشأ يقول: [من الطويل]

ومَــنْ يَــصْنَعِ المعــروفَ مَــعْ غَيْــرِ أَهْلِــهِ
يُلاقِــي الَّــذِي لاَقَــى مُجِيــرُ امِّ عــامِرِ

أَدَامَ لَهَـــا حِـــينَ اسْـــتَجارَتْ بقُربـــهِ
قِراهــا مِــنْ أَلْبــانِ اللِّقــاحِ الغَرائِــرِ

(١) انظر: «جمهرة الأمثال» للعسكري (١/ ٥٢٥).

فَقُـلْ لِـذَوِي الْمَعْـرُوفِ: هَـذا جَـزاءُ مَـنْ

غَـدَا يَـصْنَعُ الْمَعْـرُوفَ مَـعْ غَيْـرِ شـاكِرِ[1]

وذكره الزمخشري بنحوه، وأنشد البيت الثاني مضموماً إليه هكذا: [من الطويل]

أَدَامَ لهـا حـينَ اسـتجارَتْ بِقُرْبِـهِ

لَهـا مَحْـضَ أَلْبـانِ اللِّقـاحِ الـدَّرائرِ

وَأَسْـمَنَها حَتَّـى إذا مـا تَكامَلَـتْ

فَرَتْـهُ بِأَنْيـابٍ لَهـا وَأَظَـافرِ

فَقُـلْ لِـذَوِي الْمَعْـرُوفِ هَـذا جَـزاءُ مَـنْ

بَـدَا يَـصْنَعُ الْمَعْـرُوفَ مَـعْ غَيْـرِ شـاكرِ[2]

وقالوا: سَمِّنْ كلبك يأكلْك.

قال الزمخشري: يُضرب للئيم يجازي بالإحسان إساءة، والنهي عن بره.

وقال: كان لرجلٍ من طسم كلبٌ يُربيه رجاء الصيد به، فضرب، فجاع يوماً، فوثب عليه حتى افترسه، وفيه يقول طرفة: [من المنسرح]

---

(١) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٧/ ٤٥٣).

(٢) انظر: «المستقصى في أمثال العرب» للزمخشري (٢/ ٢٣٣).

كَكَلْبِ طسْمٍ وَقَدْ تَرَبَّيهِ ... يَعُلُّهُ بِالْحَليبِ فِي الغَلَسِ

ظَلَّ عَلَيْهِ يَوماً يُفَرْفِرُهُ ... إِنْ لا يَلِغْ فِي الدِّماءِ يَنْتَهِسِ

قال: وأنشد أبو زيد: [من البسيط]

مَنْ ذا يُسَمِّنُ كَلباً سَوْفَ يَأكلُهُ ... يَعْدُو عَلَيهِ كَعَدْوِ الباسِلِ الضَّارِي

قال: وقال حاجب بن دينار المازني: [من الطويل]

وَكَمْ مِنْ عَدُوٍّ قَدْ أَعَنْتُمْ عَلَيْكُمُ ... بِمالٍ وَسُلْطانٍ إِذا أَسْلم الْحبلُ

كَذِي الكَلْبِ لَمَّا أَسْمنَ الكَلْبَ رابَهُ ... بِإِحْدى الدَّواهي حِينَ فارَقَهُ الْهزلُ[1]

وقالوا في المثل: لا تقتن من كلب سوءٍ جرواً.

قال الزمخشري: يضرب في النهي عن اصطناع من لا عرق له[2].

وروى ابن السمعاني في «أماليه» عن عبد الملك بن قُريب؛ هو الأصمعي رحمه الله تعالى قال: دخلت البادية، فإذا أنا بأعرابية ترعى، وهي تقول: [من الوافر]

قَتَلْتَ شُويْهَتِي، وَفَجَعْتَ قَوْمِي ... مَحاوِيْجاً وَأَنْتَ لَهُمْ رَبِيبُ

غُذِيتَ بِدِرِّها وَنَشَأْتَ فِينا ... فَمَنْ أدْراك أنَّ أَباكَ ذِئْبُ

إِذا كانَ الطِّباعُ طِباعَ سَوْءٍ ... فَلَيْسَ بِنافِعٍ أَدَبٌ أَدِيبُ

فقلت: يا خالة! ما هذا الكلام؟

---

(١) انظر: «المستقصى في أمثال العرب» للزمخشري (٢/ ١٢١).

(٢) انظر: «المستقصى في أمثال العرب» للزمخشري (٢/ ٢٥٨).

فقالت: لا والله إني التقطت فرخ ذئب، فألفيته على شويهتي، فلم تزل ترضعه حتى اشتد وقوي، فخرجتُ يوماً لبعض حوائجي ثم رجعت، فإذا هو يَلَغ في دمها، فقلت ما قلت.

وروى البيهقي في «الشعب» قريباً من هذه القصة، وتقدمت.

وروى أبو نعيم عن يحيى بن عبد الحميد قال: كنت في مجلس سفيان بن عُيينة رحمه الله تعالى، فاجتمع عليه ألف إنسان أو يزيدون أو ينقصون، فالتفت في آخر مجلسه إلى رجل كان عن يمينه، فقال: قم حدث القوم حديث الحية.

فقال الرجل: أسندوني.

فأسندناه، وشال جفون عينيه، فقال: ألا فاسمعوا وعُوا:

حدثني أبي عن جدي: أن رجلاً كان يُعرف بابن حمير، وكان له ورع، يصوم النهار ويقوم الليل، فخرج ذات يومٍ يتصيد إذ عرضت له حية، فقالت: يا محمد بن حمير! أجرني أجارك الله.

قال لها: ممن؟

قالت: من عدوٍّ قد ظلمني.

قال لها: وأين عدوك؟

قالت له: من ورائي.

قال لها: ومن أمة مَنْ أنت؟

قالت: من أمة محمد ﷺ.

قال: ففتحت ردائي، وقلت: ادخلي فيه.

قالت: يراني عدوي.

قال: فشلت طمري، وقلت: ادخلي بين طمري وبطني.

قالت: يراني عدوي.

قلت: فما الذي أصنع بك؟

قالت: إنْ أردْتَ اصطناع المعروف فافتح لي فاك حتى أنساب فيه.

قلت: أخشى أن تقتليني.

قالت: لا والله لا أقتلك، الله شاهدٌ عليَّ بذلك، وملائكتُه، وأنبياؤه، وحملة عرشه، وسكان سماواته إنْ أنا قَتَلْتُك.

قال محمد: ففتحت فيَّ، فانسابَتْ فيه ثم مَضَيْتُ، فعارضني رجلٌ معه صمصامة، فقال لي: يا محمد!

قلت: وما تشاء؟

قال: لقيت عدوي؟

قلت: ومَنْ عدوك؟

قال: حية.

قلت: اللهم لا، واستغفرت ربي من قولي (لا) مئةَ مرة، ثم مضيت قليلاً، فأَخْرَجَتْ رأسها من فيَّ، وقالت: انظر مضى هذا العدو؟

فالتفت، فلم أرَ أحداً، قلت: لم أرَ أحداً، إنْ أردْتِ أن تخرجي فاخرجي.

فقالت: الآن يا محمد! فاختر واحدةً من اثنتين: إما أن أُفَتِّتْ كبدك، أو أثقب فؤادك وأَدَعُكَ بلا روح.

فقلت: سبحان الله! أين العهد الذي عهدت، واليمين الذي حلفت؟ ما أسرع ما نسيت!

قالت: يا محمد! لِمَ نسيت العداوة التي كانت بيني وبين أبيك آدم عليه السلام حيث أخرجته من الجنة؟

على أي شيءٍ أردت اصطناع المعروف مع غير أهله؟

قلت لها: لا بدَّ أن تقتليني؟

قالت: لا بدَّ من ذلك.

قلت لها: فأمهليني حتى أصير تحت هذا الجبل فأُمَهِّد لنفسي موضعاً.

قالت: شأنَك.

فمضيت أريدُ الجبل وقد أيست من الحياة، فرفعت رأسي إلى السماء، وقلت: يا لطيف! يا لطيف! يا لطيف! الطف بي بلطفك الخفي، يا لطيف! بالقدرة التي استويت بها على العرش، فلم يعلم العرش أين مستقرك منه، إلاَّ كفيتني هذه الحية، ثم مشيت، فعارضني رجل طيب الرائحة نقي الدرن، فقال لي: سلامٌ عليكم.

قلت: وعليك السلام يا أخي.

قال لي: ما لي أراك قد تغير لونك؟

قلت: من عدو قد ظلمني.

قال: وأين عدوك؟

قال: في جوفي.

قال لي: افتح فاك.

قال: ففتحت فمي، فوضع فيه مثل ورقة زيتونة خضراء، ثم قال لي: امضغ وابلع.

قال: فمضغت وبلعت، فلم ألبث إلا يسيراً حتى مغصني بطني، ودارَتْ في بطني، فرميْتُ بها من أسفلَ قطعةً قطعةً، فتعلَّقْت بالرجل، وقلت: يا أخي! مَنْ أنت الذي مَنَّ الله عليَّ بك؟

فضحك، ثم قال: ألا تعرفني؟

قلت: اللهم لا.

قال: يا محمد بن حمير! إنه لما كان بينك وبين الحية ما كان دَعَوْتَ الله بذلك الدعاء، فضجت ملائكة السَّبعِ سماوات إلى الله تعالى، فقال: وعزتي وجلالي! بعيني كل ما صنعت الحية بعبدي.

وأمرني سبحانه وتعالى ـ وأنا يقال لي: المعروف، مستقري في السماء الرابعة ـ أنِ انطلق إلى الحية، وخذ ورقة خضراء، والحق بها عبدي محمد بن حمير.

يا محمد! عليك باصطناع المعروف؛ فإنه يقي مصارع السوء،

وإنه ـ وإن ضيَّعه المصطنع إليه ـ لم يضع عند الله تعالى[1].

قلت: وفي هذا المعنى ما أسنده ابن السمعاني في «أماليه» عن أبي العباس أحمد بن يحيى: [من الوافر]

يَدُ الْمَعْرُوفِ غُنْمٌ حَيثُ كانَتْ ... تَحَمَّلَها شَكُورٌ أَوْ كَفُورُ

فَفِي شُكْرِ الشَّكُورِ لَها جَزاءٌ ... وَعِنْدَ اللهِ ما كَفَرَ الكَفُورُ[2]

وروى ابن أبي الدنيا في «اصطناع المعروف» عن أبي سعيد ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «فِعْلُ المَعْرُوْفِ يَقِي مَصَارِعَ السُّوْءِ، وَعَلَيْكُمْ بِصَدَقَةِ السِّرِّ؛ فَإِنَّهَا تُطْفِىءُ غَضَبَ الرَّبِّ عَزَّ وَجَلَّ»[3].

وروى أبو الشيخ في «الثواب» عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «المَعْرُوْفُ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الجَنَّةِ، وَهُوَ يَقِي مَصَارِعَ السُّوْءِ»[4].

والحية في قصة محمد بن حمير يحتمل أنها كانت شيطاناً في صورة حية، والله تعالى يُهلك مَنْ يشاء من الشياطين.

---

(١) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٧/ ٢٩٣ ـ ٢٩٤).

(٢) وانظر: «أدب الدنيا والدين» للماوردي (ص: ٢٤٨).

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في «قضاء الحوائج» (ص: ٢٢)، وكذا البيهقي في «شعب الإيمان» (٣٤٤٢).

(٤) ورواه ابن أبي حاتم في «علل الحديث» (١/ ٤٢٢) وقال: قال أبي: منكر.

والذي سأل النظرة إبليس.

ويحتمل أنها كانت حية على أصل خَلْقها، وإنما أنطقها الله تعالى لتكون عبرة لابن حمير، ولِيُتِمَّ ابتلاؤه بها.

وقد اختلف الناس في اصطناع المعروف، هل يتعين أن يكون مع أهله أم لا؟

**فمنهم مَنْ قال بالأول**، وقال:

وَمَنْ صَنَعَ الْمَعْرُوفَ مَعْ غَيْرِ أَهْلِهِ ... أَضَاعَهُ كَمُجِيرِ أُمِّ عَامِرِ

وروى أبو نعيم عن علي بن أبي حملة قال: قال لي زياد بن صخر اللخمي: إذا صنعت يداً فاصنعها إلى ذي دين وحسب(١).

وروى البيهقي عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «لا يَصْلُحُ المَعْرُوْفُ إلاَّ عِنْدَ ذِيْ حَسَبٍ وَدِيْنٍ، كَمَا لا تَصْلُحُ الرِّيَاضَةُ إلاَّ فِيْ نَجِيْبٍ»(٢).

وروى أبو نعيم عن الربيع قال: سمعت الشافعي رضي الله تعالى عنه يقول: إذا أخطأتك الصنيعة إلى مَنْ يتقي الله، فاصنعها إلى مَنْ يتَّقي العار.

قال: وسمعت الشافعي ﷺ يقول: ما رفعت أحداً فوق منزلته

---

(١) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٦/ ٩١).

(٢) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (١٠٩٦٥) وقال: هكذا رواه جماعة من الضعفاء عن هشام.

إلا وضع مني بمقدار ما رفعت منه[1].

وروى الإمام أحمد، وأبو داود، والترمذي، وابن حبان، والحاكم، وصححوه، عن أبي سعيد رضي الله تعالى عنه: أنَّ النبي ﷺ قال: «لا تُصَاحِبْ إِلاَّ مُؤْمِناً، وَلا يَأْكُلْ طَعَامَكَ إِلاَّ تَقِيٌّ»[2].

وقيل:

ضاعَ مَعْرُوفُ واضـعِ العُرفِ في غَيرِ أَهْلِهِ.

ـ **ومنهم من قال بالثاني**: إن ضاع المعروف عند مَنْ صنعته إليه فهو لا يضيع عند الله تعالى، كما تقدم في قصة ابن حمير عن المَلَك المسمى بالمعروف.

وروى الإمام الشافعي، والبيهقي في «المعرفة» عن محمد بن علي مرسلاً قال: قال رسول الله ﷺ: «افْعَلِ المَعْرُوْفَ إِلىْ مَنْ هُوَ أَهْلُهُ وَإِلىْ مَنْ لَيْسَ هُوَ أَهْلُهُ؛ فَإِنْ أَصَبْتُمْ أَهْلَهُ فَقَدْ أَصَبْتُمْ أَهْلَهُ، وَإِنْ لَمْ تُصِيْبُوْا أَهْلَهُ فَأَنْتُمْ أَهْلُهُ»[3].

وقال محمود الوراق رحمه الله تعالى: [من البسيط]

---

(١) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٩/ ١٤٦).

(٢) رواه الإمام أحمد (٣/ ٣٨)، وأبو داود (٤٨٣٢)، والترمذي (٢٣٩٥) وحسنه، وابن حبان في «صحيحه» (٥٥٤)، والحاكم في «المستدرك» (٧١٦٩).

(٣) رواه الشافعي في «السنن المأثورة» (ص: ٣٣٤)، والبيهقي في «معرفة السنن والآثار» (٢٦٢٤).

مَنْ يَفْعَلِ الْخَيْرَ لا يَعْدَمْ جَوائِزَهُ     لا يَذْهَبُ العُرْفُ بَيْنَ اللهِ والناسِ

وهذا أليق بالجود؛ فإن فِعْل المعروف سواءً كان ببذل مالٍ، أو شفاعة، أو مساعدة في حمل متاع، أو حمل هم، أو دفع عدو، أو نحو ذلك كله من أحوال الدنيا، وهي لا قيمة لها حتى يتوقف باذلها على أن يجد أهلاً للمعروف أو لا يجد.

وقد روى ابن أبي شيبة عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه أنه قال: إن الله تعالى يعطي الدنيا لمن يحب ومَنْ لا يحب[1].

وصدق؛ ألا ترى أن الله تعالى يرزق في الدنيا الكافر، والمنافق، والفاسق، والشياطين، والأفاعي، والهوام؟

والعبد ينبغي أن يتخلق بأخلاق الله تعالى.

وأمَّا إذا كان المعروف من متعلقات الآخرة كالعلم، فهل يعلِّمه لكل أحدٍ، أم ينظر في نية الطالب إنْ كان طلبه للعلم لله علَّمه أو للدنيا لم يعلمه؟

- **فمنهم مَنْ قال:** لا بدَّ من حسن نية الطالب، وإلا كان واضع الدُّرَّ في أعناق الخنازير.

- **ومنهم مَنْ قال:** يعلمه مطلقاً - وإنْ كانت نيته الدنيا - فعسى أن يكون علمه داعياً إلى حُسن نيته.

وقد قال جماعة من السَّلف: طلبنا العلم لغير الله، فأبى أن

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٤٥٤٥).

يكون إلاَّ لله.

وعلى كل قول: لا بدَّ أن يكون المعروف مع من لم يمنع الشرع من اصطناعه معه، فلا تجوز الشفاعة في حدود الله عند الحاكم، ولا الحماية من إقامة الحد كأن يشفع في سارق أنْ لا تُقْطَع يده، أو يمنع من قطعه وكذلك بقية الحدود.

وكذلك ليس من اصطناع المعروف أن تشفع في هذا الزمان في تولية القضاء والحكم والإمارة؛ إذ تعلم يقيناً أنَّ القضاة يمنعون الحكم، ويأخذون عليه الجُعَل، والأمراء يظلمون.

وليس من المعروف تحليل المطلقة، ولا السعي في تحصيل ما يسميه القضاة الآن محصولاً، ولا جهد المفتي في تحصيل وجه للمستفتي يحتال فيه على إضاعة حق الغير، أو التوصل إلى مال الغير بالباطل، فليس منه [. . .] حية، أو عقرب، أو نحوهما وقد قدرت عليه؛ لأنَّ الشرع قد أمر أن تقتل الحيات والعقارب، وبقية الفواسق والمؤذيات.

وأما قصة ابن حمير فلعله لم يكن فقيهاً.

وكذلك لا يحتج بقصة مالك بن خزيم، ونحوها مما حُكي عن أهل الجاهلية.

وإنما نذكر هذه القصص ونحوها للاعتبار فقط، وإنما القدوة بالنبي ﷺ والخلفاء بعده.

وقصة ابن خزيم رواها ابن أبي الدنيا في «اصطناع المعروف» عن

أعشى همدان الشاعر قال: سمعت رجلاً منا يحدث قال: خرج مالك ابن خزيم الهمداني الشاعر في الجاهلية ومعه نفر من قومه يريدون عكاظ، فاصطادوا ظبياً في طريقهم وقد أصابهم عطش، فانتهوا إلى مكان يُقال له: أجيرة، فجعلوا يفصدون دم الظبي ويشربونه من العطش حتى إذا نفد ذبحوه، ثم تفرقوا في طلب الحطب، ونام مالك في الخباء، وأتى أصحابه فإذا بشجاع، فانساب حتى دخل خباء مالك، فأقبلوا فقالوا: يا مالك! عندك الشجاع فاقتله، فاستيقظ مالك، فقال: أقسمت عليكم لمَّا كففتم عنه، فكفوا، فانساب الأسود فذهب، وأنشأ مالك يقول: [من الوافر]

وَأَوْصَانِي الْخُزيمُ بِعِزٍّ جارِي ... فَأَمْنَعَهُ، وَلَيْسَ بِهِ امْتِناعُ
وَأَدْفَعُ ضَيْمَهُ وَأَذُودُ عَنْهُ ... وَأمْنَعُهُ إذا مُنِعَ الْمَتاعُ
فَذَلِكُمُ فَإِنِّي لَسْتُ أَسْخُو ... بِشَيْءٍ ما اسْتَجارَ بِيَ الشُّجاعُ
وَلا تتحمَّلوا دَمَ مُسْتجيرٍ ... تَضَمَّنَهُ أجيْرة فَالقِداعُ
فَإِنَّ لِما تَرَوْنَ خَفِيَّ أَمْرٍ ... لَهُ مِنْ دُونِ أَمْرِكُم قِناعُ

ثم ارتحلوا وقد أجهدهم العطش، فإذا هاتف يهتف بهم، ويقول: [من البسيط]

يا أَيُّها القَومُ لا ماءٌ أَمامَكُمْ ... حَتَّى تَسُومُوا الْمَطايا يَوْمَها تَعَبا
ثُمَّ اعْدِلُوا شامَةً فَالْماءُ عَنْ كَثَبٍ ... عَيْنٌ رواءٌ وَماءٌ يُذْهِبُ اللَّغبا
حَتَّى إذا ما أَصَبْتُمْ مِنْهُ رَيَّكُمُ ... فَاسْقُوا الْمَطايا وَمِنْهُ فَامْلَؤُوا القِرَبا

قال: فعدلوا شامة، فإذا هم بعين خرارة، فشربوا وسقوا إبلهم، وحملوا منه ريهم، وأتوا عكاظ، ثم انصرفوا إلى موضع العين فلم يروا شيئاً، فإذا هاتفٌ يقول: [من البسيط]

يَــا مَــالُ عَنِّــي جَــزاكَ اللهُ صَــالِحَةً
هَــذا وَداعٌ لَكُــمْ مِنِّــي وَتَــسْليمُ

لا تَزْهَـدُوا فِـي اصْطِناعِ العُـرْفِ مِـنْ أَحَـدٍ
إِنَّ الَّــذِي حُــرِمَ الْمَعْــرُوفَ مَحْــرومُ

أَنــا الــشُّجاعُ الَّــذِي أَنْجَيْــتَ مِــنْ رَهَــقٍ
شَــكَرْتُ ذَلِــكَ إِنَّ الــشُّكْرَ مَقْــسُومُ

مَــنْ يَفْعَــلِ الْخَيــرَ لا يَعْــدَمْ جَــوائِزَه
ما عاشَ، وَالْكُفْرُ بَعْـدَ الغَـبِّ مَـذْمُومُ(١)

**١٦٢ ـ ومن الخصال الملحقة ذويها بالبهائم ـ وهو خاتمتها ـ: أن لا يحمل الإنسان الغيرة الإنسانية على التشبه بأهل الكمال، ولا ينهض به الحِجى عن حضيض أحوال أهل الزيغ والإضلال.**

وقد قالوا: مَنْ لا يغار حمار، والمراد: غيرة العقل، لا غيرة الشهوة؛ فافهم!

وقد قلت: [من المجتث]

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في «قضاء الحوائج» (ص: ٧٦).

لَــــوْلا يَهِيْجُــــكَ عَقْـــلٌ إلَـــى اكْتِــسَابِ الْمَعَـــالِي

إنَّ الَّـــذِي لَـــمْ يَكُـــنْ سَـــا لِكَـــاً إلَـــى طَرِيـــقِ الكَمَـــالِ

قَـــدِ انتُهَـــى الـــنَّقْصُ فِيـــهِ وَبَـــــــاءَ بِالابْتِـــــــذالِ

مَـــــنْ لا يَغـــــارُ حِمـــــارٌ وَلَـــــوْ يُـــــسامُ بِغـــــالِ

على أنهم قالوا في المثل السائر في تهييج أهل البصائر إلى تحصيل أفضل المطالب، وطلب أرفع المراتب: العاشية تهيج الأبية[1]؛ أي: إذا رأت التي تأبى العشاء من الإبل التي تتعشى، تبعتها فتعشت معها.

يُقال: عشت الإبل ـ من باب رضي ـ يعشي عشاءً: إذا نفشت، فهي عاشية.

كما يُقال: أَبَيت الإبل، فرضيَتْ، فهي أَبِـية إذا لم ترد العشاء.

قال في «القاموس»: أبيت الطعام، كرضيت، أبيَّ: انتهيت عنه من غير شبع[2].

والمثل المذكور قال الزمخشري: يضرب في نشاط الرجل للأمر إذا رأى غيره يفعله ـ وإن لم ينشط له قبل ذلك ـ. انتهى[3].

---

(١) انظر: «المستقصى من أمثال العرب» للزمخشري (١/ ٣٣١).

(٢) انظر: «القاموس المحيط» للفيروز آبادي (ص: ١٦٢٣) (مادة: أبى).

(٣) انظر: «المستقصى من أمثال العرب» للزمخشري (١/ ٣٣٢).

فإذا كان الإنسان لا يهيجه النظر إلى أصحاب الأحوال المحمودة والأخلاق الممدوحة لأن يتحلى بها، ولا تحمله على الاتصاف بها، كان أسوأ حالاً من الإبل الأبية، كما أنه إذا هاجه ما يراه من غيره مما يشتهى طبعاً ويذم عقلاً وشرعاً كان كالحمار الذي رأى حماراً آخر يَبُول فبال، أو بالكلب إذا رأى كلباً آخر يعدو إلى جِيْفة، فعدا إليها ومال.

وقد تقدم أنهم قالوا في الأمثال: بال حمَار فاستبال أحمرة؛ يضرب للوضيع يأتي أمراً قبيحاً، فيتبعه أقرانه فيه.

وهذه الجملة كافية لأهل العقول الصافية، والعافية من الله، فنحن نسأله العافية؛ فإنها هي الكافية الشافية.

**وهذه فوائد، وتتمات فوائد لهذا الباب الذي ذكرناه في النهي عن التشبه بالبهائم والسباع والهوام.**

روى الإمام عبدالله بن المبارك في «الزهد» عن أبي الدرداء رضي الله تعالى عنه: أنه دخل المدينة فقال: يا أهل المدينة! ما لي لا أرى عليكم حلاوة الإيمان؟ والذي نفسي بيده لو أنَّ دُبَّ الغابة طَعِمَ الإيمان لرئي عليه حلاوة الإيمان[1].

وروى أبو داود عن جندب رضي الله تعالى عنه قال: جاء أعرابي فأناخ راحلته، ثم عقلها، ثم دخل المسجد وصلَّى خلف رسول الله ﷺ،

---

(١) رواه ابن المبارك في «الزهد» (١/ ٥٤١).

فلمَّا سلَّم رسول الله ﷺ أتى راحلته فأطلقها، ثم ركب، ثم نادى: اللهم ارحمني ومحمداً، ولا تشرك في رحمتنا أحداً.

فقال رسول الله ﷺ: «أَتَقُوْلُوْنَ: هُوَ أَضَلُّ أَمْ بَعِيْرُهُ، أَلَمْ تَسْمَعُوْا إِلىْ مَا قَالَ؟».

قالوا: بلى[1].

وروى ابن أبي شيبة عن كعب الأحبار رحمه الله تعالى قال: إنَّ لكل قومٍ كلباً؛ فاتق الله لا يضرُّ بك شره[2].

وروى البيهقي في «الشعب» عن الحسنِ ـ مرسلاً ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «ثَلاثُ خِصَالٍ مَنْ لَمْ يَكُنْ فِيْهِ وَاحِدَةٌ مِنْهُنَّ كَانَ الكَلْبُ خَيْرَاً مِنْهُ: وَرَعٌ يَحْجُزُهُ عَنْ مَحَارِمِ اللهِ ﷻ، أَوْ حِلْمٌ يَرُدُّ بِهِ جَهْلَ جَاهِلٍ، أَوْ حُسْنُ خُلُقٍ يَعِيْشُ بِهِ فِيْ النَّاسِ»[3].

وروى محمد بن خلف المرزباني في كتاب «فضل الكلاب على كثير ممن لبس الثياب» عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده رضي الله عنه قال: رأى النبي ﷺ رجلاً مقتولاً، فقال: «مَا شَأْنُهُ؟».

فقالوا: إنه وثب على بني زهرة، فأخذ منها شاة، فوثب عليه كلب الماشية، فقتله.

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٧٣١٢).

(٣) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٨٤٢٣).

فقال ﷺ: «قَتَلَ نَفْسَهُ وَأَضَاعَ دِيْنَه، وَكَانَ الكَلْبُ خَيْرَاً مِنْهُ»[1].

قلت: وجه ذلك أنَّ الكلب نصح لصاحبه مالك الماشية، وحفظ له وده، وحرس ماشيته، وهذا السارق خان أخاه المسلم، ولم يحفظ فيه ذمة الإسلام، فكان الكلب خيراً منه من هذا الوجه.

قال المرزباني: وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: كلبٌ أمين خيرٌ من صاحب خؤون[2].

وكان للحارث بن صعصعة نُدَماء لا يفارقهم، وكان شديد المحبة، فخرج في بعض منتزهاته ومعه ندماؤه، فتخلف واحدٌ منهم، فدخل على زوجته، فأكلا وشربا، ثم اضطجعا، فوثب الكلب عليهما فقتلهما، فلما رجع الحارث إلى منزله وجدهما ميتين، فعرف الأمر، فأنشأ يقول: [من الطويل]

فيا عَجَبَاً للخلِّ يَهْتِكُ حُرْمَتِي ... وَيا عجباً للكَلْبِ كَيْفَ يَصُونُ

وما زالَ يَرْعَى ذِمَّتي ويَحُوطُنِي ... ويَحْفَظُ عِرْسِي والخليلُ يَخُونُ[3]

وذكر ابن قتيبة في كتاب «مختلف الحديث» عن أبي عبيدة: أنه كان يذكر أنَّ رجلين سافرا فوقع عليهما اللصوص، فقاتل أحدهما حتى غلب، فأخذ، فدفن وترك رأسه بارزاً، وجاءت الغربان وسباع الطير

---

(١) رواه المرزباني في «فضل الكلاب على كثير ممن لبس الثياب» (ص: ١٢).

(٢) انظر: «فضل الكلاب» للمرزباني (ص: ١٣).

(٣) انظر: «فضل الكلاب» للمرزباني (ص: ٣٠).

فحامت حوله تريد أن تنتهشه، ورأى ذلك كلب كان معه، فلم يزل ينبش التراب حتى استخرجه، ومن قبل ذلك قد فرَّ صاحبه وأسلمه.

قال: ففي ذلك يقول الشاعر: [من الطويل]

يعـــردُ عَنْـــهُ جـــارُهُ ورفيقُـــهُ ... ويَنْبُشُ عَنْهُ كَلْبُهُ وَهْوَ ضَـارِبه[1]

وروى الإمام أحمد في «الزهد» عن جعفر بن سليمان قال: رأيت مع مالك بن دينار كلباً فقلت: ما تصنع بهذا؟

قال: هذا خيرٌ من جليس السوء[2].

وروى أبو داود عن عبدِالله بن عمرو رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «مَثَلُ الَّذِيْ يَسْتَرِدُّ مَا وَهَبَ كَمَثَلِ الكَلْبِ يَقِيْءُ فَيَأْكُلُ قَيْئَهُ، فَإِذَا اسْتَرَدَّ الوَاهِبُ فَلْيُوَقَّفْ فَلْيُعَرَّفْ بِمَا اسْتَرَدَّ، ثُمَّ لِيُدْفَعْ إِلَيْهِ مَا وَهَبَ»[3].

وروى الشيخان عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه: أنَّ النبي ﷺ قال: «الَّذِي يَعُوْدُ فِيْ هِبَتِهِ كَالكَلْبِ يَعُوْدُ فِيْ قَيْئِهِ».

وفي رواية: «كَمَثَلِ الكَلْبِ يَقِيْءُ، ثُمَّ يَعُوْدُ فِيْ قَيْئِهِ»[4].

---

(١) انظر: «تأويل مختلف الحديث» لابن قتيبة (ص: ١٣٥).

(٢) رواه المرزباني في «فضل الكلاب» (ص: ١٣)، وكذا الطبراني في «المعجم الأوسط» (٦٤١).

(٣) رواه أبو داود (٣٥٤٠).

(٤) رواه ابن ماجه (٢٣٨٤).

وروى مسلم، والنسائي، وابن ماجه عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «مَثَلُ الَّذِيْ يَتَصَدَّقُ ثُمَّ يَرْجِعُ فِيْ صَدَقَتِهِ كَمَثَلِ الكَلْبِ يَقِيْءُ، ثُمَّ يَعُوْدُ فِيْ قَيْئِهِ فَيَأْكُلُهُ»[1].

وروى ابن عساكر عن محمد بن عمرو بن حسن قال: كنا مع الحسين رضي الله تعالى عنه بنهر كربلاء، فنظر إلى شمر بن ذي الجوشن فقال: صدق الله ورسوله؛ قال رسول الله ﷺ: «كَأَنِّيْ أَنْظُرُ إِلَىْ كَلْبٍ أَبْقَعَ يَلَغُ فِيْ دِمَاءِ أَهْلِ بَيْتِيْ»، وكان شمر أبرص[2].

وذكر ابن عبد البر في كتاب «بهجة المجالس»: أنه قيل لجعفر الصادق رضي الله تعالى عنه: كم تتأخر الرؤيا؟

فقال: خمسين سنة؛ لأن النبي ﷺ رأى كلباً أبقع يلغ في دمه، فأوَّله بأن رجلاً يقتل الحسين ابن بنته، فتأخرت الرؤيا بعدُ خمسين سنة.

وقريبٌ من هذا ما رواه ابن أبي شيبة عن عبدالله بن الحارث الخزاعي قال: سمعت عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه يقول في خطبته: إني رأيت البارحة ديكاً ينقرني، ورأيته يُجليه الناس عني، فلم يلبث إلا ثلاثاً حتى قتله عبد المغيرة أبو لؤلؤة[3].

وروى ابن أبي شيبة أيضاً عن زيد بن أسلم، عن أبيه قال: خطب

---

(١) رواه مسلم (١٦٢٢)، والنسائي (٣٦٩١)، وابن ماجه (٢٣٨٥)، وكذا البخاري (٢٤٧٩) بلفظ قريب، وأبو داود (٣٥٣٩)، والترمذي (١٢٩٨).

(٢) رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٢٣/ ١٩٠).

(٣) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٠٥٠٣).

عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه الناس فقال: إني رأيت في منامي ديكاً أحمر نقرني في معقد إزاري ثلاث نقرات، فاستعبر لها أسماء بنت عُميس، وقالت: إنْ صَدَقَتْ رؤياك قتلك رجلٌ من العجم[1].

وروى ابن أبي الدنيا عن عمار الكراع قال: رأيت بيتي مملوءاً حيَّات في النوم، فأتيت ابن سيرين فقصصتها عليه، فقال: ليتق الله هذا الرجل، ولا يولجن عدواً للمسلمين.

قال: وكان الخوارج وأهل الأهواء يختصمون في بيته.

وتقدم نظير ذلك عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه في التشبه بالثعلب في الكذب.

وروى الخطابي في «العزلة»، والبيهقي في «الشعب»: أنَّ الفقيه منصور التميمي الشافع كان ينشد لنفسه: [من مجزوء الكامل المرفل]

الْكَلْــــبُ أَغْلَــــى قِيْمَــــةً ... وَهُــوَ النِّهايَــةُ فِــي الْخَــسَاسَةْ

مِمَّــــنْ يُنَــــازِعُ فِــــي الرِّئَـــا ... سَــةِ قَبْــلَ أَوْقَــاتِ الرِّئَاسَــةْ[2]

ونقل المطوعي في «عيون المجالس» عن الجاحظ أنه قال: منْ طلب الرئاسة صبر على الدراسة، ومَنْ لم يُواظب على الدراسة فهو كالثور في الدياسة.

وقلت في المعنى: [من الرجز]

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٠٥٠٦).

(٢) رواه الخطابي في «العزلة» (ص: ٨٣)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٨٢٦٤).

مَنْ ليسَ يَصْبِرُ على الدِّراسَة    فَلَيْسَ تَكْمُلُ لَهُ الرِّئاسَة
وَالعالِمُ التَّارِكُ للدِّراسَة    كَأَنَّهُ الثَّوْرُ بِلا دِياسَة

وروى أبو نعيم من طريق الطبراني عن عمر رضي الله تعالى عنه أنه قال: يا أيها الناس! تواضعوا فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ تَوَاضَعَ للهِ رَفَعَهُ اللهُ، وَقَالَ: انْتَعِشْ رَفَعَكَ اللهُ؛ فَهُوَ فِيْ نَفْسِهِ صَغِيْرٌ وَفِيْ أَعْيُنِ النَّاسِ عَظِيْمٌ، وَمَنْ تَكَبَّرَ خَفَضَهُ اللهُ، وَقَالَ: اخْسَأْ خَفَضَكَ اللهُ؛ فَهُوَ فِيْ نَفْسِهِ كَبِيْرٌ وَفِيْ أَعْيُنِ النَّاسِ صَغِيْرٌ حَتىَّ يَكُوْنَ أَهْوَنَ مِنْ كَلْبٍ»[1].

ولمحمد بن أبي الصقر الواسطي: [من الخفيف]

أَبَداً ما يُقاسُ بِالْكَلْبِ إِلاَّ الـ    ـبُخَلاءُ الأَراذِلُ السُّفَهاءُ
وَمَتَى قُلْتُ أَنْتَ كَلْبٌ فَلِلْكَلْـ    ـبِ وَفاءٌ، وَلَيْسَ فِيكَ وَفاءُ[2]

وذكر الشيخ محيي الدين بن العربي في «مُسامراته»: أنَّ رجلاً وقف على واعظٍ من وعاظ العجم، فقال له: أيها الشيخ! أنت خيرٌ من الكلب أم الكلب خير منك؟

فأطرق ساعةً، ثم قال: إنْ دخلت الجنة فأنا خيرٌ من الكلب،

---

(١) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٧/ ١٢٩)، وكذا البيهقي في «شعب الإيمان» (٨١٤٠). وفيه سعيد بن سلام العطار كذاب. قال ابن حجر في «الأمالي المطلقة» (ص: ٨٧): هذا حديث غريب، ورفعه منكر.

(٢) انظر: «خريدة العصر وجريدة العصر» للأصبهاني (٥/ ٣٢٤).

وإن دخلت النار فالكلب خيرٌ مني.

وروى عبدالله ابن الإمام أحمد في «زوائد الزهد» عن أبي عمران الجوني رحمه الله تعالى قال: حُدِّثت أنَّ البهائم إذا رأت بني آدم يوم القيامة قد تصدعوا بين يدي الله تعالى صنفين؛ صنف في الجنة، وصنف في النار، نادتهم: الحمد لله يا بني آدم الذي لم يجعلنا اليوم مثلكم؛ فلا جنة نرجو، ولا عقاباً نخاف[1].

وروى الثعلبي عن عبدالله بن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: إذا كان يوم القيامة مدَّت الأرض مدَّ الأديم، وحُشرت الدواب والبهائم والوحوش، ثم يُجعل القصاص بين الدواب حتى تقتص للشاة الجَمَّاء من القَرْناء تنطحها، فإذا فرغ من القصاص قال لها: كوني تراباً، فعند ذلك يقول الكافر: يا ليتني كنتُ تراباً[2].

وروى ابن جرير، وابن أبي حاتم، والبيهقي في «الشعب» عن أبي هريرة ـ رضي الله تعالى عنه ـ نحوه[3].

وذكر الثعلبي عن مقاتل رحمه الله تعالى أنه قال: إنَّ الله ﷻ يجمع الوحوش، والهوامَّ، والطير، وكل شيء غير الثقلين، فيقول: مَنْ ربكم؟

---

(١) ورواه ابن أبي الدنيا في «الأهوال» (ص: ١٨٥)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢/ ٣١١).

(٢) انظر: «تفسير الثعلبي» (١٠/ ١٢٠).

(٣) رواه الطبري في «التفسير» (٣٠/ ٢٦)، وابن أبي حاتم في «التفسير» (٤/ ١٢٨٦)، والبيهقي في «البعث والنشور» (٢/ ١٣٧).

فيقولون: الرحمن الرحيم.

فيقول لهم الرب تبارك وتعالى بعد ما يقضي بينهم حتى يقتص من القرناء للجماء: أنا خلقتكم، وسخرتكم لبني آدم، وكنتم مطيعين أيام حياتكم، فارجعوا إلى الذي كنتم منه، كونوا تراباً، فيكونون تراباً.

فإذا التفت الكافر إلى شيء صار تراباً يتمنى فيقول: يا ليتني كنت في الدنيا صورة خنزير، رزقه كرزقه، وكنتُ اليوم تراباً.

قلت: ومن شعر الإمام الكبير عبدالله بن المبارك رضي الله تعالى عنه كما رواه عنه أبو الحسن بن جهضم في «بهجة الأسرار»، وغيره:

[من البسيط]

وَكَيْفَ قَرَّتْ لأَهْلِ العِلْمِ أَعْيُنُهُمْ
أَوِ اسْتَلَذُّوا لَذِيذَ النَّوْمِ أَوْ هَجَعُوا

وَالْمَوْتُ يُنذِرُهُمْ دَهْراً عَلانِيَةً
لَوْ كانَ لِلْقَوْمِ أَسْماعٌ لَقَدْ سَمِعُوا

وَالنَّارُ ضاحِيَةٌ لا بُدَّ مَوْرِدُهُمْ
وَلَيْسَ يَدْرُون مَنْ يَنْجُو وَمَنْ يَقَعُ

قَدْ أَمْسَتِ الطَّيْرُ وَالأَنْعامُ آمِنَةً
وَالنونُ فِي البَحْرِ لا يَخْتالُها فَزَعُ

وَالآدَمِيُّ بِهَذا الكَسْبِ مُرْتَهَنٌ
لَهُ رَقِيبٌ عَلى الأَمْرارِ يَطَّلِعُ

حَتَّـــى يُوافِيْـــهِ يَـــومَ الْجَمْـــعِ مُنفَـــرِداً

وَخَـــصْمُهُ الْجِلْـدُ والأَبْـصارُ وَالـسَّمَعُ

إِذِ النَّبِــــــيُّونَ وَالأَشْـــــهادُ قائِمــــــةٌ

وَالْجِنُّ وَالإِنْـسُ وَالأَمْـلاكُ قَـدْ خَـشَعُوا

وَطــارَتِ الــصُّحْفُ فِـي الأَيْـدِي مُنَـشَّرةً

فِيهـــا الـــسَّرائِرُ وَالأَخبـــارُ تُطَّلَـــعُ

يَـــوَدُّ قَـــومٌ ذَوُو عِـــزٍّ لَـــوْ انَّهُـــم

هُـمُ الْخَنـازِيرُ كَـيْ يَنْجُـو أو الـضَّبعُ

طــالَ البُكــاءُ فَلَــمْ يُــرحَمْ تَــضَرُّعُهُم

هَيْهـــاتَ لا رِقَّـــةٌ تُغْنِـــي وَلا جَـــزَعُ

لِيَنْفَـــعِ العِلـــمُ قَبْـــلَ الْمَـــوْتِ عالِمَـــهُ

قَدْ سَالَ قومٌ بِها الرُّجْعى فَما رَجَعُوا(١)

وروى ابن أبي الدنيا في «ذم المسكر» عن سويد بن سعيد قال: حدثني بعض أصحابنا قال: السكر على ثلاثة:

- منهم: مَنْ إذا سَكِرَ تقيأ وسلح، فهذا الخنزير.

- ومنهم: مَنْ إذا سَكِرَ كدم وجرح، فمثله مثل الكلب.

---

(١) ورواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣٢/ ٤٧٤).

ـ والثالث: إذا سَكِر تغنى ورقصَ، فمثله مثل القرد[1].

وعن الحكم بن هشام: أنه قال لابنِ ابنٍ له وكأنه يتعاطى الشراب: أي بني! إيَّاك والنبيذ؛ فإنه قيءٌ في شدقك، وسلح في عقبك، وحد في ظهرك، وتكون ضحكة للصبيان، وأميراً للذبان[2].

وروى الدينوري في «المجالسة» عن مبشر بن بشير: أنَّ رجلاً هرب من الحجاج، فمرَّ بساباط فيه كلبٌ بين جبين يقطر عليه ماؤها، فقال: يا ليتني كنت مثل هذا الكلب.

فما لبث أن مرَّ بالكلب في عنقه حبل، فسأل عنه.

فقالوا: جاء كتاب الحجاج يَأمر بقتل الكلاب[3].

قال الجوهري في المثل: أَجِعْ كلبك يتبعْكَ[4].

وكذلك أورده الزمخشري، ويُروى: جَوِّع كلبك يتبعْك[5].

وكذلك أورده الدميري، والسيوطي، وقالا: يضرب في معاشرة اللئام[6].

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في «ذم المسكر» (ص: ٧٥).

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في «ذم المسكر» (ص: ٧٦).

(٣) رواه الدينوري في «المجالسة وجواهر العلم» (ص: ٣٦١).

(٤) انظر: «الصحاح» للجوهري (٣/ ١٢٠١) (مادة: جوع).

(٥) انظر: «المستقصى في أمثال العرب» للزمخشري (١/ ٥٠).

(٦) انظر: «حياة الحيوان الكبرى» للدميري (٢/ ٤٢٠).

والمعنى كما قال الزمخشري: اضطر اللئيم إليك بالحاجة ليقر عندك؛ فإنه إذا استغنى عنك تركك.

قال الزمخشري: ويُحكى أنَّ المنصور قال ذات يومٍ لقواده: لقد صدق الأعرابي حيث قال: جوع كلبك يتبعك.

فقال له أحدهم: يا أمير المؤمنين! أخشى إنْ فعلتُ ذلك أن يلوح له غيرك برغيف فيتبعه ويتركك.

[فأمسك المنصور، ولم يُحِرْ جواباً]، انتهى[1].

وقال بعضهم: إنما جرى للمنصور مع أبي بكر بن عياش رحمه الله تعالى، وهو الذي أجاب المنصور بذلك، وكان جريئاً عليه.

قلت: وكيفما اعتبرت حال الكلب اعتبرته لئيماً؛ إنْ جوعته تبعك، وإنْ أطعمه غيرك تركك وأَقْبل على غيرك، ثم هو لا يقبل حقيقة إلاَّ على طمعه؛ ألا تراه إذا استوفى ما طمع فيه عاد إلى صاحبه؟

ومن هنا قيل في المثل: كلب غيرك ما تبعك، وولد غيرك ما نفعك؛ أي: وإن تبعك كلب غيرك مرَّة، أو نفعك ولد غيرك مرَّة لا يدوم ذلك لك؛ فكأن الكلب لم يتبع، والولد لم ينفع.

وقد مثلوا اللئيم بالكلب بأمثال أخرى، فقالوا: أحبَّ الكلب خانقه؛ كما أورده الزمخشري[2].

---

(١) انظر: «المستقصى في أمثال العرب» للزمخشري (١/ ٥٠).

(٢) انظر: «المستقصى في أمثال العرب» للزمخشري (١/ ٥٩).

وأورده غيره: أحبُّ أهلِ الكلب إليه خانقه؛ يُضرب للئيم؛ فإنك إذا أكرمته تعدى طوره، فإذا مسَّه غيرك بالسوء انقاد له ومال إليه[1].

قال الزمخشري: يضرب في صحبة اللئيم المسيء إليه.

قال ابن عادية السلمي: [من الكامل]

رَكِبُـــوكَ مُــــرْتَحَلاً فَظَهْـــرُكَ مِـــنْهُمْ
دُبْـــرُ الْحَراقِـــفِ وَالفقـــارُ مُوْقَّـــعُ

كَالْكَلْـــبِ يَتْبَـــعُ خانِقِيْـــهِ ويَنْتَحِـــي
نَحْـــوَ الَّـــذِي بِهِـــمُ يُعَـــزُّ وَيُمْنَـــعُ[2]

وقالوا: سَمِنَ كلب ببؤس أهله.

ويروى: نَعِمَ كلبٌ ببؤس أهله.

وذلك أنهم إذا أصاب أموالهم السنون، وقعوا في البأساء والضَّراء، وهزلَتْ مواشيهم، فتكثر فيهم الجيف، وفي ذلك نعيم الكلاب.

وأنشد الزمخشري لامرأة من الأعراب: [من الطويل]

أَتُهْـدِي لِـيَ الْقِرطـاسَ وَالْخُبْـزُ حَـاجَتِي
وَأَنْـــتَ عَلَـــى بـــابِ الأَمِيـــرِ بَطِـــينُ

---

(١) انظر: «مجمع الأمثال» للميداني (١/ ٢٠١).

(٢) انظر: «المستقصى في أمثال العرب» للزمخشري (١/ ٥٩).

إِذا غِبْـتَ لَـمْ تَـذْكرْ صَـدِيقاً وَإِنْ تُقِـمْ

فَأَنْـتَ علـى مـا فِـي يَـدَيْكَ ضَـنِيْنُ

فَأَنْـتَ كَكَلْـبِ الـسَّوْءِ فِـي جُـوعِ أَهْلِـهِ

فيُهْـزَلُ أَهْـلُ البَيْـتِ وَهْـوَ سَـمِينُ[1]

وقولها: فيُهزل ـ بضم الياء ـ: من أُهزل القوم: إذا أصاب مواشيهم سنة، فهَزُلَتْ.

ويُناسب المثل من يفرح بعيشه ونعيمه ـ وإن كان الناس في شدة وبؤس ـ وخصوصاً إذا كانت معيشته مترتبة على مصائبهم كالمحتكر في زمن الغلاء، وبائع الأكفان والحنوط في زمن الطاعون والوباء، وهو مخالف في حاله لما أرشده إليه النبي ﷺ بقوله: «مَنْ لَمْ يَهْتَمَّ بِأَمْرِ المُسْلِمِيْنَ فَلَيْسَ مِنْهُمْ». أخرجه الطبراني، وأبو نعيم، والبيهقي عن أنس رضي الله تعالى عنه، والحاكم في «المستدرك» نحوه عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه[2].

---

(1) انظر: «المستقصى في أمثال العرب» للزمخشري (٢/ ١٢٠ ـ ١٢١).

(2) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٣/ ٤٨) وقال: وهب بن راشد وفرقد غير محتج بحديثهما وتفردهما، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٠٥٨٦) وضعفه، عن أنس رضي الله عنه.

والحاكم في «المستدرك» (٧٩٠٢) نحوه عن ابن مسعود رضي الله عنه.

ورواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٧٤٧٣) عن حذيفة رضي الله عنه، و(٤٧١) عن أبي ذر رضي الله عنه.

وقلت في المعنى: [من مخلَّع البسيط]

مَـنْ لَـيْسَ لِلْمُـسْلِمينَ يَهْـتَمُّ     نـــابَهُم دَهْـــرُهُم بذُلِّـــهْ
فَلَـــيْسَ مِـــنْهُمْ كَمـــا رَواهُ     مُوَثَّــقٌ فِـــي صَـحِيحِ نَقْلِـــهْ
يَـــنْعُمُ وَالْبُـــؤْسُ فِـــي ذَوِيـــهِ     نَعِـــيمَ كَلْـــبٍ بـــبُؤْسِ أَهْلِـــهْ

وروى الدينوري في «المجالسة» عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: تكلَّم ملك من الملوك [بكلمة بغي] وهو على سريره، فمسخه الله تعالى، فما يدرى أيَّ شيءٍ مُسِخَ، أذباب أم غير ذلك، إلا أنه ذهب فلم يُرَ[1].

وحاصل ما ذكره ابن عباس: أنَّ هذا الملك مُسِخَ شيئاً تافهاً حقيراً، وذلك من باب معاملته بضد ما أراد أن يتظاهر به من القوة والكبرياء.

ومن هذا القبيل ما رواه الإمام أحمد، والترمذي وحسنه، والنسائي عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده رضي الله تعالى عنه: [أن النبي ﷺ] قال: «يُحْشَرُ المتكبرونَ يومَ القيامةِ أمثالَ الذَّرِّ في صُورة الرِّجالِ، يَغْشَاهُمُ النَّاسُ من كلِّ مكانٍ، يُساقُون إلى سجنٍ في جهنم يُقال له: بُولَس، تعلُوهُم نارُ الأنيارِ، يُسقَون من عُصارة أهلِ النار؛ طينة الخَبَالِ»[2].

---

(١) رواه الدينوري في «المجالسة وجواهر العلم» (ص: ٢٢١)، وكذا ابن أبي الدنيا في «ذم البغي» (ص: ٤٥).

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢/ ١٧٩)، والترمذي (٢٤٩٢) وقال: حسن صحيح.

وبولس؛ بضم الموحدة، وفتح اللام.

ونار الأنيار: نار النيران؛ جَمَعَ ناراً على أنيار، وإن كان واوياً؛ للفرق بين جمع النار وجمع النور؛ كما قالوا في عيد: أعياد، وحقها الواو، إلا أنه فرَّق بينه وبين جمع عود.

وفي الباب حديث أبي هريرة المتقدم.

وروى ابن السمعاني في «أماليه» عن أبي العالية قال: قال عمر رضي الله تعالى عنه: إذا أتى العالم السلطان فهو فاسق، وإذا زار الأغنياء فهو ذئب.

والمراد أنْ يأتيهم ويزورهم لغير غرض صحيح، أو لغير ضرورة، بل لمجرد التعزز بهم، والقرب منهم، والطمع فيما عندهم.

وروى أبو نعيم عن عبدالله عمرو رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «الجَلاوِزَةُ وَالشُرَطُ وَأَعْوَانُ الظَّلَمَةِ كِلابُ النَّارِ»[1].

وقرأت بخط الشيخ برهان الدين بن جماعة: أنَّ عمر رضي الله عنه خرج يمشي وبين يديه رجل عظيم يقول: أنا ابن بطحاء مكة، فوقف عليه عمر رضي الله تعالى عنه، وقال له: إن يكن لك دين فلك كرم، وإنْ يكن لك عقل فلك مروءة، وإن يكن لك مالٌ فلك شرف، وإلاَّ أنت والحمار سواء.

---

(١) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٤/ ٢١).

ورأيت أنَّ الخرائطي رواه في أول باب من «مكارم الأخلاق»، والعسكري في «أمثاله» عن محمد بن سلام قال: بينما عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه يمشي ورجل يخطر بين يديه ويقول: أنا ابن بطحاء مكة؛ كداها وكدائها، فقال عمر: إنْ يكن لك... إلى آخره[1].

وقريب من هذا قول علي بن عبد الواحد البغدادي ـ عُرف بصريع الدلاء ـ وأجاد: [من الرجز]

مَنْ فاتَهُ الْعِلْمُ وأَخْطَأَهُ الغِنَا
فَذاكَ وَالْكَلْبُ عَلى حَدٍّ سَوا[2]

وأنشد الدينوري في «المجالسة» عن محمد بن سلام الجمحي:

[من الطويل]

إذا أنْتَ لَم تَسَلِ اصْطِباراً وَحِسْبَةً
صَبَرْتَ عَلى الأَيّامِ مِثْلَ البَهائِمِ[3]

---

(١) ورواه ابن أبي الدنيا في «الإشراف في منازل الأشراف» (ص: ٢١١)، والدينوري في «المجالسة وجواهر العلم» (ص: ٣٥٧).

(٢) انظر: «وفيات الأعيان» لابن خلكان (٣/ ٣٨٤) وقال: وله قصيدة في المجون ختمها ببيت، لو لم يكن له في الجد سواه لبلغ به درجة الفضل وأحرز معه قصب السبق. وذكر هذا البيت.

(٣) رواه الدينوري في «المجالسة وجواهر العلم» (ص: ١٣٣)، وعنده: «سلوت على الأيام».

وأنشد أيضاً لعبدالله بن مصعب الزبيري: [من البسيط]

مَـــالِي مَرِضْـــتُ وَلَـــمْ يَعُـــدْنِي عائِـــدٌ

مِـــنْكُمْ وَيَمْـــرَضُ كَلْـــبُكُمْ فَـــأَعُودُ[1]

كنى بالكلب هنا عن أدنى القوم، وخَدَمَتِهم.

وقال الحاكم في «تاريخه»: أنشد البخاري: [من الرمل]

خَـــالِقِ النَّـــاسَ بِخُلْـــقٍ واسِـــعٍ

لا تَكُـــنْ كَلْبـــاً علـــى النَّـــاسِ يَهِـــرُّ

قال: وأنشد أبو عبدالله؛ يعني: البخاري: [من الكامل]

مِثْـــلَ البَهـــائِمِ لا تَـــرى آجالَهـــا

حَتَّـــى تُـــسَاقَ إِلَـــى الْمَجـــازِرِ تُنْحَـــرُ[2]

وروى أبو نعيم عن الشعبي رحمه الله تعالى أنه كان يقول: [من الطويل]

إِذا أَنْـتَ لَـمْ تَعْـشَقْ وَلَـمْ تَـدْرِ مـا الْهَـوى

فَأَنْـــتَ وَعيْـــرٌ فِـــي الفَـــلاَةِ سَـــواءُ[3]

---

(١) رواه الدينوري في «المجالسة وجواهر العلم» (ص: ٢٤٨).

(٢) وانظر: «طبقات الشافعية الكبرى» للسبكي (٢/ ٢٣٥).

(٣) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٤/ ٣٢٨).

ومن لطائف ابن الجوزي أنه وعظ يوماً، فقال في أثناء كلامه:

[من البسيط]

أَصْبَحْتُ أَلْطَفَ مِنْ مَرِّ النَّسِيمِ على

مَتْنِ الرِّياضِ يَكادُ الوَهْمُ يُؤْلِمُنِي

مِنْ كُلِّ مَعْنًى لَطِيفٍ أَجْتَنِي قدحاً

وَكُلُّ ناطِقَةٍ فِي الكَوْنِ تُطْرِبُنِي

فنهض إليه حسودٌ فقال له: فإذا نطق الحمار، قال: أقول له: اسكت يا حمار.

قرأته من خط البرهان بن جماعة.

وقال حجة الإسلام في «الإحياء»: كانت نساء العرب يعلمن بناتهن اختبار الأزواج؛ كانت المرأة تقول لابنتها: اختبري زوجك قبل الإقدام والجرأة، انزعي زُجَّ رمحه، فإنْ سكت لذلك فقطِّعي اللحم على تُرسه، فإنْ سكت فكسّري العظام بسيفه، فإنْ صبر فاجعلي الإكاف على ظهره، ثم امتطيه؛ فإنما هو حمارك[1].

وقال مسكين الدارمي كما أنشده ابن قتيبة: [من الرمل]

---

(١) انظر: «إحياء علوم الدين» للغزالي (٢/ ٤٥).

وَإِذا الفــاحِشُ لاقَــى فاحِــشاً فَهُنــاكُمْ وافــقَ الــشَّنُ الطَّبَــقْ

إِنَّمــا الفــاحشُ مَــنْ يَعْتــادُهُ كَغُــرابِ البَـيْنِ مـا شـاءَ نعَـقْ

أو حِمــارِ الــسَّوْءِ إنْ أَشْــبعتهُ رَمَــحَ النَّــاسَ وَإِنْ جــاعَ نَهَــقْ

أَوْ غــلامِ الــسَّوْءِ إنْ جَوَّعْتــهُ سَرَقَ الناسَ، وإنْ يَـشْبَعْ فَـسَقْ

أَوْ كَعَنْـزى رَفَعَـتْ عَـنْ ذَيْلِهـا ثُـمَّ أَرْخَتْـهُ ضِـراراً فَـانْمَزَقْ

أَيُّهـا الـسَّائلُ عَمَّـا قَـدْ مَـضى هَلْ جَدِيدٌ مِثْلُ مَلْبُوسٍ خَلَـقْ[1]

وأنشد الدينوري في «المجالسة» لسويد بن أبي كاهل: [من الرمل]

كَيْـفَ يَرْجُـونَ سِـقاطِي بَعْـدَما جَلَّـلَ الـرأسَ بيـاضٌ وَصَـلَعْ

رُبَّ مَـنْ أَنْـضَجْتُ غَيْظـاً قَلْبَـهُ قَـدْ تَمَنَّـى لِـي غَيْظـاً لَـمْ يُطَـعْ

وَيَرانِــي كَالــشَّجا فِــي صَــدْرِهِ عَــسِراً مَخْرَجُــهُ مــا يُنْتَــزَعْ

جُــرَدٌ يَخْطُــرُ مــا لَــمْ يَرَنِــي وَإِذا أَسْــمَعْتُهُ صَــوْتِي انْقَمَــعْ

لَمْ يَـضِرْنِي غَيْـرَ أَنْ يَحْـسُدَنِي فَهْوَ يَزْقُو مِثْلَ مـا يَزْقُـو الـضُّوَعْ

وَيُحَيــــــيِّنِي إِذا لاقَيْتُــــــهُ وَإِذا يَخْلُــو لَــهُ لَحْمــي رَتَــعْ

قَــدْ كَفــانِي اللهُ مــا فِــي نَفْــسِهِ وَإِذا ما يَكْفِ شَـيْئاً لَـمْ يَـضع[2]

الضوع ـ بضاد معجمة مضمومة، وواو مفتوحة، وعين مهملة ـ

---

(١) انظر: «الشعر والشعراء» لابن قتيبة (ص: ١١٩).

(٢) انظر: «المجالسة وجواهر العلم» للدينوري (ص: ٣٧٥).

قال النووي: الأشهر أنه من جنس البهائم.

وقال المفضل: هو ذكر البوم، وجمعه أضواع، وضيعان، والضواع صوته[1].

وقد اشتمل كلام سويد على تمثيل الحاسد بالضوع، وبالجرد، وبالسبع.

ومن لطائف معاوية رضي الله تعالى عنه تشبيه المتلدد في الخصومة، المُتَلَون في الجدال بالحرباء التي تتلون كما ذكر الخطابي في «الغريب» عن ثعلب، عن ابن الأعرابي: أنَّ رجلين تقدما إلى معاوية رضي الله تعالى عنه، فادعى أحدهما على صاحبه مالاً، وكان المدَّعى قبلَه حوَّلاً قُلَّباً مخلطاً مزيلاً، فأنشأ معاوية يقول:

أَنَّـى أُتِـيحُ لَـهُ حرْبـاءَ تَنـضبهُ لا تُرْسِلِ السَّاقَ إِلاَّ مُمْسِكاً سَاقاً

ثم دعا بمالٍ فأعطى المدعي، وفرَّق بينهما[2].

والقُلَّب ـ بضم القاف، وفتح اللام المشددة ـ: الذي يقلب الأمور ظهراً لبطن.

والْحُوَّل ـ بضم المهملة، وفتح الواو المشددة ـ: ذو التصرف والاحتيال.

والمِخْلَط ـ بكسر الميم، وإسكان المعجمة، وفتح اللام ـ:

---

(١) انظر: «المجموع» للنووي (٩/ ٢١).

(٢) انظر: «غريب الحديث» للخطابي (٢/ ٥٢٧).

الذي يَخْلِط شيئاً بشيء فَيَلْبِسهُ عن السامعين.

والمِزْيَل ـ بكسر الميم، وإسكان الزاي، وفتح المثناة تحت ـ: الجَدِل في الخصومات، الذي يزول من حجة إلى حجة.

وأنشد ثعلب: [من الخفيف]

أَلْمَعِيُّ الظُّنونِ مُتَّقِدُ الذِّهْـ ... ـنِ أَعانَتْهُ فِطْنَةٌ وَذَكاءُ

مِخْلَطٌ مِزْيَلٌ مِعَنٌّ مِفَنٌّ ... كُلِّ داءٍ لَدَيْهِ مِنْهُ دَواءُ(١)

والمعن ـ بكسر الميم، وفتح المهملة، مشدد النون ـ: الخطيب، أو: الذي يدخل فيما لا يعنيه، ويعرض في كل شيء.

والمفن ـ بالفاء على وزنه ـ: الذي يأتي بالعجائب، ويقال: امرأة مِفنة.

وروى الخطيب في «تاريخه» عن أحمد بن أبي طاهر طيفور أنه أنشد لنفسه: [من البسيط]

يا مَنْ تَلَبَّسُ أَثْواباً يَتِيهُ بِها ... تَيْهَ الْمُلوكِ عَلى بَعْضِ الْمَساكِينِ

ما غَيَّبَ الجلُّ أَخْلاقَ الْحِمارِ وَلا ... تَحْمِي البَراقِعُ أَخْلاقَ البَراذِينِ(٢)

وأنشد السيوطي في «ديوان الحيوان» ليعقوب بن أحمد

---

(١) انظر: «جمهرة الأمثال» للعسكري (١/ ١٤٥).

(٢) ونسبت الأبيات للمبرد، كما في «وفيات الأعيان» لابن خلكان (٤/ ٣٢٠)، و«النجوم الزاهرة» لابن تغري (٣/ ١١٧)، وعندهما: «نقش البراذع» بدل «تحمي البراقع».

النيسابوري: [من الطويل]

يُرِي النَّاسَ زُهْداً كَالْمَسِيحِ بْنِ مَرْيَمٍ ... وَفِي ثَوْبِـهِ التِّمْساحُ أَوْ هُوَ أَغْدَرُ
أَغَـرَّكُمْ مِنْـهُ تَقَلُّـصُ ثَوْبِـهِ ... وَذَلِكَ حبٌّ دُونَهُ الفَخُّ فَاحْذَرُوا

وروى الدينوري في «المجالسة» عن ابن قتيبة قال: قرأتُ في كتب الهند: ذو المروءة يُكرم وإنْ كان معدماً؛ كالأسد يُهاب وإنْ كان رابضاً، ومَنْ لا مروءة له يهان وإنْ كان موسراً؛ كالكلب وإنْ طوق وحُلي[1].

وروى الزجاجي في «أماليه» عن الأصمعي قال: سمعت أعرابياً يُنشد: [من الوافر]

كلابُ النَّـاسِ إِنْ فَكَّـرْتَ فِـيهِمْ ... أَضَرُّ عَلَيْكَ مِنْ كَلْـبِ الْكِـلابِ
لأَنَّ الْكَلْـبَ لا يُـؤْذِي صَـدِيْقاً ... وَإِنَّ صَـدِيقَ هَـذا فِـي عَـذابِ
وَيَـأْتِي حِـيْنَ يَـأْتِي فِـي ثِيـابٍ ... وَقَدْ حُزِمَتْ عَلى حدِّ النِّصابِ
فَـأَخْزَى اللهُ أَثْوابـاً عَلَيْـهِ ... وَأَخْزَى اللهُ ما تَحْـتَ الثِّيـابِ[2]

ومن لطائف الحكايات قصة يحيى بن لوغان ملك تلمسان؛ قال الشيخ محي الدين بن العربي في «المسامرات» ـ وهو من خؤولتنا ـ:

---

(١) انظر: «المجالسة وجواهر العلم» للدينوري (ص: ٣٦١)، و«عيون الأخبار» لابن قتيبة (ص: ١٠٥).

(٢) انظر: «الأمالي» للقالي (٢/ ١٢٠)، وعنده: «على رجل مصاب» بدل «على حد النصاب».

حدثني أخوالي ووالدتي قالوا: كان بتلمسان الملك يحيى، فنزل يوماً في موكبه من مدينة أقادره يُريد المدينة الوسطى، بينهما بقيع فيهِ قبور، فبينما هو يسير وإذا برجلٍ مُتعبد يمشي لحاجته، فأمسك عنانه وسلم عليه، فردَّ الرجل العابد السَّلام، وكلَّمه بأشياء، وكان مما كلَّمه الملك أن قال له: أيها العابد! ما تقول في الصلاة في هذه الثياب التي عليَّ؟

فاستغرب العابد يضحك.

فقال له: مم تضحك؟

قال: من سُخف عقلك؛ ما رأيْتُ لك في هذه المسألة شبيهاً إلاَّ الكلب.

قال: وكيف؟

قال: الكلب يتمَعَّك في الجِيْفة، ويتلطَّخُ بدمها، فإذا أراد أن يبول رفع رجله حتى لا يُصيبه البول، وأنت بطنك حرامٌ كله، وتسأل عن ثيابك.

فاسْتعبر الملك، ونزل من حِيْنه عن دابته، وتجرَّد من ثيابه، فرمى عليه بعض العامة من أهل الدين ثوباً، ثم قال لأهل دولته: انظروا لأنفسكم، فَلَسْتُ لكم بصاحب.

فاقتفى أثر العابد، فصعد معه إلى العبادة في موضعٍ عالٍ بقبة تلمسان، وأقام معه ثلاثة أيام، ثم أمره العابد بالاحتطاب، فجعل الملك يحتطب، ويبيع بسوق تلمسان، ويأكل ويتصدق بالفضل، فكان الناس إذا أتوا إلى العابد يسألونه الدعاء؛ يقول: اسألوا يحيى

الدعاء؛ فإنه خرج عن قدرة.

قال الشيخ محي الدين رحمه الله تعالى: ويُقال ذلك العابد كان أبا عبدالله التونسي، وقفت أنا على قبره وقبر الشيخ أبي مدين بظاهر تلمسان.

وروى الإمام عبدالله بن المبارك عن خالد بن معدان رحمه الله تعالى: لا يَفْقَهُ الرجل كل الفقه حتى يرى الناس في جنب الله أمثال الأباعر، ثم يرجع إلى نفسه فتكون هي أحقر حاقر[1].

ويروى هذا عن أبي الدرداء رضي الله تعالى عنه[2].

ومعناه أن ليس إليه ولا إلى أحد من الخَلْق، ولا لهم من الأمر شيء، وأنَّ الأمر كله بيد الله تعالى.

ويحتمل أن يكون له معنى آخر.

روى أبو نعيم عن ميمون بن مهران رحمه الله تعالى قال: ما أقلَّ أكياسَ الناس، لا يُبصر الرجل أمره حتى ينظر إلى الناس، وإلى ما أمروا به، وإلى ما قد أكبوا عليه من الدنيا، فيقول: ما هؤلاء إلا أمثال الأباعر التي لا همَّ لها إلا ما تجعل في أجوافها، حتى إذا أَبْصر غفلتهم نظر إلى نفسه فقال: إني لأراني من شرهم بعيراً واحداً[3].

---

(١) رواه ابن المبارك في «الزهد» (١/ ٩٩).

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في «محاسبة النفس» (ص: ٢٥).

(٣) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٤/ ٨٩).

وروى الإمام أحمد، والحاكم وصححه، عن أبي أمامة رضي الله تعالى عنه: أنه سُئِلَ عن أَلْين كلمة سمعها من رسول الله ﷺ، فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أَلا كُلُّكُمْ يَدْخُلُ الجَنَّةَ إِلاَّ مَنْ شَرَدَ عَنِ اللهِ شِرَادَ البَعِيرِ عَلَىْ أَهْلِهِ»[1].

وروى أبو نعيم عن مسلم بن عبدالله قال: دخل مالك بن دينار رحمه الله تعالى دار الخَراج يوماً، فإذا هو برجل من هؤلاء الكبار قد وضع الكَبْل في رجله ـ والكَبل: بفتح الكاف وقد تكسر: القيد، أو أعظم القيود ـ؛ قال: فبينا هو ينظر إذ أُتِيَ بطعام، فوُضِعَ بين يديه، وجعل مالك ينظر ويتعجب من أكله ومما هو فيه، فقال له: تعالَ كُل يا أبا يحيى.

فقال: أخاف إنْ أكلتُ مثل هذا أنْ يُوضع في رجلي مثل هذا.

قال: فتقدم إليه ابن عم الرجل، فقال له: يا أبا يحيى! إنَّ هذا ابن عمٍ لي، وهو ينفق عليَّ وعلى عيالي، فادعُ الله أنْ يُنجيه.

فقال مالك: أتدري ما مثل ابن عمك؟ مثل شاة أكلت عجين قوم، فانتفخ بطنها، فماتت، وصاحب العجين يدعو الله على مَنْ أكل عجينه، وصاحب الشاة يدعو الله على مَنْ قتل شاته، فلأيِّهم ترى إليه أسرع الإجابة[2].

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٥/ ٢٥٨)، والحاكم في «المستدرك» (٧٦٢٧).

(٢) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢/ ٣٧٤).

ومن أمثالِهم: يا شاة! أين تذهبين؟

قالت: أُجَزُّ مع المجزوزين.

أجز ـ بالبناء لنائب الفاعل ـ: من جزَّ الشـاة ـ بالجيم والزاي ـ فهي جزوزة كالحلوبة: إذا أخذ صوفها.

قال الزمخشري: يُضرب للأحمق يتكلم مع القوم، ويفعل فعلهم، وما يدري ما هم فيه[1].

وفي معنـاه قول النـاس في بعض أمثالهم: قيل للأحمق: أين تغدو؟

قال: معهم.

قيل له: أين تروح؟

قال: معهم.

وهذا حال المقلد من غير استظهار معنى ما يُقلد؛ كما قال أولئك: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ﴾[الزخرف: ٢٣].

وقولهم في المثل حكايةً عن الشاة: أُجزُّ مع المجزوزين، وحقه مع المجزوزات؛ فإنما عُدِلَ عنه لأن الشاة لمَّا نزلتْ منزلة العقلاء فخُوطِبَتْ، ناسَبَ أنْ يكون جوابها جواب العقلاء.

ومن المعلوم أنَّ الأمثال تقع موقعها الأول، فتدور في الألسنة كما هي، ولا تغير؛ هذا قانونها.

---

(١) انظر: «المستقصى في أمثال العرب» للزمخشري (٢/ ٤٠٦).

وقالوا في المثل: عنزٌ بها كل داء؛ يُضرب للكثير العيوب من الناس والدواب[1].

وقد قيل: للعنز تسعة وتسعون داء[2].

ومن أمثالهم في المخلط: كل نجار إبل نجارها؛ أي: فيه كل لونٍ من الأخلاق، وليس له رأي يثبت فيه؛ نقله في «الصحاح» عن أبي عبيد[3].

والنجار ـ بالفتح، والكسر ـ والنجر ـ بالفتح ـ: الأصل واللون.

وأصل المثل من قول بعض اللصوص وقد سُئل عن أصل إبل كان يعرضها للبيع: [من الرجز]

تَسْأَلُنِي الباعَةُ ما نِجارُها ... إِذْ زَعْزَعُوها نَسَمَتْ أَبْصارُها

كُلُّ نِجارِ إِبلٍ نجارُها ... وَكُلُّ دارٍ لأُناسٍ دارُها

وكُلُّ نارِ العالَمِينَ نارُها

قال الزمخشري: يُضرب لمَنْ كان له كل لون من الأخلاق، انتهى[4].

---

(١) انظر: «جمهرة الأمثال» للعسكري (٢/ ٦٣).

(٢) انظر: «حياة الحيوان الكبرى» للدميري (٢/ ٢٢٠).

(٣) انظر: «الصحاح» للجوهري (٢/ ٨٢٣) (مادة: نجر).

(٤) انظر: «المستقصى في أمثال العرب» للزمخشري (٢/ ٢٣٠).

وفي معناه المثل الآخر: فلان مع كل قوم مغيرة، من أغار الفرس: إذا أسرع في الغارة وغيرها، أو: من أغار على القوم غارة وإغارة، فيكون المعنى: مغيرة أصحابها.

ومن الأول قولهم: أغار إغارة الثعلب: إذا شدَّ العدو، وأسرع، أو ذهب في الأرض[1].

وفي المثل: عنزٌ عزوز لها در جم؛ يُضرب للبخيل الواجد.

والعزوز: الضيقة الأحاليل، وهي كثيرة اللبن، فلا يخرج لبنها إلا قليلاً قليلاً[2].

وفي المثل أيضاً: عنزٌ نزت في حبل فاستتيست؛ أي: صارت تيساً بعد أن كانت عنزاً.

وربما قالوا: عنز استتيست؛ يُضرب للرجل يعز بعد الذل[3].

وفي المثل: استنوق الجمل؛ أي: صار ناقة بعد ما كان جملاً.

وأصله من كلام طرفة[4].

أنشد المسيب بن علس وهو بين يدي بعض الملوك، وهو عمرو

---

(١) انظر: «غريب الحديث» لابن قتيبة (١/ ٣٥٦).

(٢) انظر: «مجمع الأمثال» للميداني (١/ ٢٥).

(٣) انظر: «المستقصى في أمثال العرب» للزمخشري (٢/ ١٧٠).

(٤) انظر: «أمثال العرب» للضبي (ص: ١٧٤)، و«جمهرة الأمثال» للعسكري (١/ ٥٤).

ابن هند كما في «القاموس»:

وَقَدْ أَتَنَاسَى الْهَمَّ عِنْدَ اِحْتِضَارِهِ ... بِنَاجٍ عَلَيْهِ الصَّيْعَرِيَّةُ مكدَمِ

كُمَيْت كِنازُ اللَّحْمِ أَوْ حُمَيْرِيَة ... مُواشِكَة، تَنْفِي الْحَصا بِمُثَلَّمِ

وطرفة بن العبد حاضر وهو غلام، فقال: استنوق الجمل؛ أشار إلى انتقاله من ذكر الجمل إلى ذكر الناقة[1].

وقيل: لأن الصيعرية سِمَةٌ لا يوسم بها إلا النوق خاصة.

وكان قوله: استنوق الجمل لقوله في وصف الجمل: عليه الصيعرية، فغضب المسيب، وقال عن طرفة: ليقتلنه لسانه، وكان كما تفرس فيه[2].

قال الجوهري: يُضرب للرجل يكون في حديث أو صفة شيء، ثم يخلطه بغيره، وينتقل إليه[3].

وذكر الزمخشري أنه يُضرب لذلك، ولمن يظن به غناء وجَلَد، ثم يكون على غير ذلك.

قال الكميت: [من الطويل]

---

(١) انظر: «القاموس المحيط» للفيروز آبادي (ص: ١١٩٧) (مادة: نوق).

(٢) انظر: «الشعر والشعراء» لابن قتيبة (ص: ٣١).

(٣) انظر: «الصحاح» للجوهري (٤/ ١٥٦١) (مادة: نوق).

هَـزَزْتُكُمْ لَـو كَـانَ فـيكُم مَهـزةٌ وَذَكَرْتُ ذا التَّأْنِيثَ فَاسْتَنْوَقَ الْجَمَلُ[1]

ومما اتفق لي في هذا المثل: أني لمَّا ابتليت بحسد الشيخ شمس الدين بن المنقار في أوان الطلب، وكان له تعرض للناس، فداريته بقصيدة جاء فيها قولي: [من مجزوء الرجز]

يَـا شَـمسَ دِيـنِ اللهِ، يَـا مَـنْ قَـدْ عَـلا شَـمْسَ الْفَـلا

فلمَّا عرضتها عليه قبلها وشكر عليها، ثم بعد شهر أو أكثر جرت بيننا وبينه قصة آلتْ إلى أن ناظرته فيما ظهرت فيه الحجة عليه، فشرع يعترض على ما مدحته به، ويذم، ويدعي فيه سوء التركيب، فقلت: [من الطويل]

أَتَيْتُـكَ يَوْمـاً مَادِحـاً لَـكَ مُطْرِبـاً وَلَمْ أَخْشَ قَوْلَ النَّاسِ عَنِّي لِمَ فَعَلْ

فَنافَقْتَنِي بِالشُّكْرِ حِينَ قَبِـلْتَ مـا أَتَيْتُ بِهِ نَظْماً عَلى الـدُّرَرِ اشْـتَمَلْ

وَبَعْـدَ زَمـانٍ قُلْـتَ عَنْـهُ بِأَنَّـهُ مَعِيبُ الْمَعانِي ثُمَّ فِي وَزْنِهِ خَلَـلْ

فَقُلْـتُ لِنَفْـسِي إِنَّنِـي أَسْـتَحِقُّ مـا تَقُولُ وَإِنْ بالغْتَ فِي القَوْلِ وَالعَذلْ

وَمـا ذاكَ إِلاَّ أَنْ وَصَـفْتُكَ كاذِبـاً بِشَمْسٍ، وَلَمْ أَعْلمِ بِأَنَّكَ ذُو عِلَلْ

وَما الشَّمْسُ إِلاَّ مَنْ يُضِـيْءُ بِنُورِهِ وَلَمْ يَكُ ذا لُؤم كَمِثْلِـكَ أَوْ خَطَـلْ

فَإِنِّي وَضَعْتُ الشَّيْءَ غَيْرَ مَحَلِّهِ وَذَكَّرْتُ ذا التَّأْنِيثَ فَاسْتَنْوَقَ الْجَمَل

---

(١) انظر: «المستقصى في أمثال العرب» للزمخشري (١/ ١٥٩).

وكان ذلك في سنة أربع وتسعين وتسع مئة، وأنا دون العشرين من عمري، وكان المذكور قد تجاوز السبعين.

ومن لطائف العرب أنهم يقولون للملك: أصيد، أو يسمونه أصيد.

قال في «الصحاح»: وأصله في البعير يكون له داءٌ في رأسه فيرفعه.

قال: ويقال: إنما قيل للملك أصيد؛ لأنه لا يلتفت يميناً ولا شمالاً.

وقال: الصيد ـ بالتحريك ـ: مصدر الأصيد، وهو الذي يرفع تكبراً، ومنه قيل للملك: أصيد[1].

قلت: وفيه وجه ثالث، وهو الأصيد من أسماء الأسد، وكذلك المصطاد، والصياد كما حكاه في «القاموس»[2].

والعرب تعبر عن السلطان بالأسد؛ فإنه ـ كما قال الدميري، والسيوطي ـ أشرف الحيوان المتوحش لأنه ينزل منها منزلة الملك[3].

ومن الأمثال المشهورة: الكلاب على البقر، والكراب على البقر ـ بالرفع، والنصب فيهما ـ على الابتداء، وإضمار الفعل؛ أي: دع

---

(١) انظر: «الصحاح» للجوهري (٢/ ٤٩٩) (مادة: صيد).

(٢) انظر: «القاموس المحيط» للفيروز آبادي (ص: ٣٧٦) (مادة: صيد).

(٣) انظر: «حياة الحيوان الكبرى» للدميري (١/ ١٠).

الكلاب على البقر؛ أي: خل امرأً وصناعته[1].

قال أبو عبيد في «أمثاله»: من قلة المبالاة قولهم: الكلاب على البقر؛ يُضرب مثلاً في قلة عناية الرجل واهتمامه بشأن صاحبه.

قال: وأصله أن يخلى بين الكلاب وبقر الوحش.

وقال الخليل، وابن دريد، وغيرهما: ومنهم من يقول: الكراب على البقر، وهو كالكرب، وهو ـ بالفتح فيهما ـ: حرث الأرض، وإثارتها على البقر[2].

البقر في هذا اللفظ هي: الأهلية، وفي اللفظ الأول: الوحشية.

وحاصل معنى الأول: أنَّ أهل الشَّر إذا سَطَتْ على أهل الشر فلا تُبَال بِهم، وهو من جملة الإعراض عن الجاهلين.

وفي معناه ما حكاه الشيخ علوان الحموي في شرح «تائية ابن حبيب» الصفدي عن شيخه سيد علي بن ميمون: أنه كان يقول: الحكام كالحيات، والفسقة من العوام كالفئرة؛ فدعوا الحيات تأكل الفئران.

ومعناه: أنَّ الله تعالى سلَّط هؤلاء على هؤلاء عقوبة لهم.

وحاصل معنى اللفظ الثاني: أنَّ العمل إذا كان له أهل يقومون به

---

(١) انظر: «جمهرة الأمثال» للعسكري (٢/ ١٦٩)، و«المستقصى في أمثال العرب» للزمخشري (١/ ٣٣٠).

(٢) انظر: «العين» للخليل (٥/ ٣٦١)، و«جمهرة اللغة» لابن دريد (١/ ٣٢٨).

فلا تتكلفه أنت، بل دع صناعتهم لهم، واكتف بهم عن اهتمامك بها.

وقرأت بخط البرهان بن جماعة لأبي فراس بن حمدان لمَّا أُسِر:

[من مجزوء الكامل المرفل]

مَـــا لِلْعَبِـــيدِ مِـــنَ الَّـــذِي يَقْـــضِي بِـــهِ اللهُ امْتِنَـــاعُ
ذُدْتُ الأُســـودَ عَـــنِ الفَـــرا ئِـــسِ ثُـــمَّ تَـــأْكُلُنِي الـــضِّبَاعُ

ومن لطائف العلاء بن الجارود؛ أنشده ابن قتيبة في «عيون الأخبار» عنه: [من مجزوء الرمل]

أَظْهَـــرُوا لِلنَّـــاسِ زُهْـــدَاً وَعَلَـــى الْمَنْقُـــوشِ دارُوا
وَلَـــهُ صَـــلَّوا وَصَـــامُوا وَلَـــهُ حَجُّـــوا وَزارُوا
لَـــوْ رَأَوْهُ فِـــي الثُّرَيَّـــا وَلَهُـــمْ رِيـــشٌ لَطَـــارُوا

ومن لطائف ابن الدهان النحوي؛ أنشد السيوطي في «طبقات اللغويين والنحاة»:

لا تَحْـــسَبَنْ أَنْ بِالْكُتْـــــ ـــــبِ مِثْلَنَـــا سَتَـــصِيرُ
فَلِلدَّجاجَـــةِ رِيـــشٌ لَكِنَّهَـــا لا تَطِيـــرُ[1]

وقال آخر، وهو من الأمثال: [من الوافر]

---

(١) انظر: «خريدة القصر وجريدة العصر» للأصبهاني (٣/ ٢٢)، و«وفيات الأعيان» لابن خلكان (٢/ ٣٨٣).

وَمَـنْ يَكُـنِ الْغُـرابُ لَـهُ دَلِـيلاً ... يَمُرُّ بِهِ عَلَـى جِيَـفِ الْكِـلابِ[1]

وقال آخر، وهو مثل يُضرب للبخيل؛ أنشد: [من الرجز]

كَالْحُوتِ لا يَرْوِيهِ شَيْءٌ يَلْهَمُـهْ ... يُصْبِـحُ ظَمآنَ وَفِي الْبَحْرِ فَمُهْ[2]

وأنشد الزمخشري في «المستقصى» عن الفراء: [من البسيط]

مِثْلَ النَّعامَةِ كانَـتْ وَهْـيَ سَـائِمَةٌ ... إِذْ ناءَ حَتَّى رَمَاها الْحينُ وَالْجُـبنُ

جاءَتْ لِتَـشْرِي قَرْنـاً أَوْ تُعَوِّضُـهُ ... وَالدَّهْرُ فِيـهِ رِبـاحُ البَيْـعِ وَالغَـبْنُ

فَقِيلَ أُذناكَ ظُلما ثمتَ اصْطَلَمَتْ ... إِلَى الصُّماخِ، فَلا قَرْنٌ وَلا أُذُنُ[3]

قال: وقال آخر: [من الكامل]

أَوْ كَالنَّعامَةِ إِذْ غَدَتْ مِـنْ بَيْتِهـا ... لِيُــصاغ قَرْناهــا بِغَيْــرِ أُذَيــنِ

فَاجْتَثَّتِ الأُذنـانِ مِنْهـا فَانْتَهَـتْ ... صَلْماءَ لَيسَتْ مِنْ ذَواتِ قُرونِ[4]

وأنشد السيوطي في «ديوان الحيوان» للشيخ جمال الدين بن نباتة: [من الطويل]

---

(١) انظر: «حياة الحيوان الكبرى» للدميري (٢/ ٢٤٤).

(٢) انظر: «جمهرة الأمثال» للعسكري (٢/ ٧١).

(٣) انظر: «المستقصى في أمثال العرب» للزمخشري (٢/ ٢١٩).

(٤) انظر: «المستقصى في أمثال العرب» للزمخشري (٢/ ٢١٩)، والأبيات لأبي العيال الهذلي، كما في «الحيوان» للجاحظ (٤/ ٣٢٤).

أَصَمُّ حَدِيثُ القَرْنِ ما يا روقَ مَسْمعي

بِتَأْخِيرِهِ يا جالِسينَ النَّدَى عَنِّي

فَلا تَجْعَلُونِي فِي العفاةِ نَعامَةً

غَدَتْ تَبْتَغِي قَرناً فَعَادَتْ بلا قَرْنِ

قلت: وهذا من الكلام الذي وضعته العرب على ألسنة البهائم، والمقصود منه ضرب المثل، وإعطاء الحكمة، والتنبيه على الاعتبار.

كما روى أبو نعيم عن الشعبي رحمه الله تعالى قال: مرض الأسد فعادَهُ السباع ما خلا الثعلب، فنمَّ عليه الذئب، فقال: إذا حضر فأَعْلمني، فلمَّا حضر أَعْلمه، فعتبه في ذلك، فقال: كنت في طلب الدواء لك.

قال: فأي شيء أصبت؟

قال: خرزة في ساق الذئب ينبغي أن تخرج.

فضرب الأسد بمخالبه في ساق الذئب، وانسلَّ الثعلب، فمرَّ به الذئب بعد ذلك ودمه يسيل، فقال له: يا صاحب الخف الأحمر! إذا قعدت عند الملوك فانظر ما يخرج من رأسك.

قال أبو نعيم: لم يقصد الشعبي من هذا سوى ضرب المثل، وتعليم العقلاء، وتنبيه الناس، وتأكيد الوصية في حفظ اللسان، انتهى[1].

وفي رواية: أنَّ الثعلب قال للأسد حين عتبه: ذهبتُ أَلْتَمِسُ

---

(١) انظر: «حلية الأولياء» لأبي نعيم (٤/ ٣١٧).

لمرضك دواء حتى وجدته.

قال: فما هو؟

قال: خصيتا الذئب، فسلهما الأسد، وذهب الثعلب، فقعد على مدرجة الذئب، فلمَّا مرَّ به ودمه يسيل على فخذيه قال له: يا صاحب السراويل الحمر! إذا جلست عند الملوك فانظر ماذا تتكلم به[1].

وروى أبو نعيم عن ابن المبارك رحمه الله تعالى قال: سمعت سفيان الثوري رحمه الله تعالى يقول: لم أرَ للسلطان إلا مثلاً ضرب للثعلب قال: قال الثعلب: عرفتُ للكلب نيفاً وسبعين دستاناً، ليس منها دستان خيراً مِنْ ألاَّ أرى الكلب [ولا يراني].

وأخرجه المنذري في «تاريخه» بنحوه[2].

قالوا: قيل للثعلب: ما لك تعدو أكثر من الكلب؟

قال: لأني أعدو لنفسي، والكلب يعدو لغيره[3].

وقال عمارة اليمني: [من الطويل]

رَأَيْتَ رِجَالاً أَصْبَحَتْ فِي مآدِبِ ... وَحالِي لَدَيْكُمْ أَصْبَحَتْ فِي نَوادبِ

تَـأَخَّرْتُ لَمَّـا قَـدَّمَتْهُمْ عُلاكُـمُ ... عَلَيَّ وَتأبَى الأُسْدُ سَبْقَ الثَّعالبِ[4]

---

(١) رواه المعافى بن زكريا في «الجليس الصالح والأنيس الناصح» (ص: ١٧٢).

(٢) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٧/ ٤٤).

(٣) انظر: «الأذكياء» لابن الجوزي (ص: ٢٤٣).

(٤) انظر: «خريدة القصر وجريدة العصر» للأصبهاني (١٠/ ١٣٠)، و«وفيات الأعيان» لابن خلكان (٣/ ٤٣٤).

وروى ابن أبي شيبة، وغيره عن علي رضي الله تعالى عنه قال: إنما مثلي ومثل عثمان رضي الله تعالى عنه كمثل أثوار ثلاثة كُنَّ في أجمة؛ أبيض، وأسود، وأحمر، ومعها فيها أسد، وكان لا يقدر منهنَّ على شيء لاجتماعهنَّ عليه، فقال ـ يعني: الأسد ـ للثور الأسود، والثور الأحمر: لا يدل علينا في أجمتنا إلا الأبيض؛ فإنَّ لونه مشهور، ولوني على لونكما، فلو تركتماني آكله خلت لكما الأجمة وصفت.

فقالا: دونك، فأكله، فلمَّا مضت أيام قال للأحمر: لوني على لونك، فدعني آكل الأسود، ففعل، فلما مضت أيام قال للأحمر: إني آكلك لا محالة.

فقال: دعني أُنادي ثلاث أصوات.

فقال: افعل.

فقال: إنما أكلت يوم أكل الثور الأبيض؛ قالها ثلاثاً.

قال علي رضي الله تعالى عنه: وأنا إنما هنت يوم قتل عثمان؛ رفع بها صوته.

وقالوا: إنَّ ثعلباً وأرنباً تحاكما إلى الضب، فقالا: يا أبا الحِسل! جئناك لتحكم بيننا.

فقال: في بيته يؤتى الحكم.

فقال الأرنب: إني اجتنيت تمرة.

فقال: حلواً اجتنيت.

فقال: إنَّ هذا أخذها مني.

فقال: لنفسه بغى الخير.

فقال: وإني لطمته.

قال: البادىء أظلم.

فقال: ثم لطمني.

فقال: كريم انتصر.

فقال: احكم بيننا.

فقال: حدث حديثين امرأة، فإن لم تفهم فأربعة، وقيل: فاربع[1]؛ أي: كف، فذهبت كلماته أمثالاً.

وفي طريقته في الحكم: أنَّ عدي بن أرطأة أتى إياس بن معاوية قاضي البصرة وهو في مجلس حكمه، وعدي أمير، وكان أعرابي الطبع، فقال: يا هناه! أين أنت؟

قال: بينك وبين الحائط.

قال: فاسمع مني.

قال: للاستماع جلست.

قال: إني تزوجت امرأة.

قال: بالرِّفاء والبنين.

قال: شَرَطْتُ لأهلها أني لا أُخرجها من بيتهم.

---

(١) رواه أبو الشيخ في «الأمثال» (ص: ٤١٠) عن النعمان بن بشير.

قال: الشرط أملك؛ أوفِ لهم.

قال: وأنا أريد الخروج.

قال: في حفظ الله.

قال: فاقض بيننا.

قال: قد فعلت[1].

ومما وضعوه على ألسنة البهائم ما قيل: إن الثعلب نظر إلى عنقود فلم يَنَلْهُ، فقال: هو حامض[2].

وقال بعض القدماء: [من مجزوء الرمل]

أَيُّهـا العائِـبُ سَـلْمى ... أَنْـتَ عَنْهـا كَثُعالَـة

رامَ عُنْقـوداً فَلَمّـا ... أَبْـصَرَ العُنْقـودَ طَالَـه

قـالَ: هَـذا حـامِضٌ لَمّـا ... رَأى أنْ لا يَنالَـه[3]

وقيل: إنه قيل للنعامة: احملي.

قالت: أنا طير.

فقيل لها: طيري.

قالت: أنا بعير.

قال الشاعر: [من الوافر]

---

(1) انظر: «جمهرة الأمثال» للعسكري (١/ ٣٦٩).

(2) انظر: «محاضرات الأدباء» للأصفهاني (٢/ ٧٥١).

(3) انظر: «جمهرة الأمثال» للعسكري (٢/ ٧٦).

كَمَثَــلِ نعامَــةٍ تَــدَّعِي بَعِيــراً  تَعاظَمَهــا إذا مــا قِيــلَ: طِيْــرِي
فَإِنْ قِيلَ: احْمِلِي قالَتْ: فَإِنِّي  مِنَ الطَّيْرِ الْمُرَتَّبِ فِي الوُكُـورِ[1]

وقيل للحمار: لم لا تجتر؟

قال: أكره مضغ الباطل[2].

وهو مثل قول الأعرابي الذي دفع إليه عِلْك، فلمَّا مضغه رمى به، وقال: تعب الحنجرة، وخيبة المعدة[3].

وقيل للثعلب: أما تحمل كتاباً إلى الكلب وتأخذ منه مئة دينار؟

فقال: أما الكراء فواف، ولكن الخطر عظيم[4].

وقيل: خرج أسد وذئب وثعلب على أنهم مشتركون فيما يتصيدون، فأصابوا حماراً وظبياً وأرنباً، فقال الأسد للذئب: اقسم بيننا واعدل.

فقال: أمَّا الحمار فلك، وأما الظبي فلي، وأما الأرنب للثعلب.

فغضب الأسد، فضربه ضربةً، فأندر رأسه، فوضعه بين يديه، ثم قال للثعلب: اقسم بيننا واعدل.

---

(١) انظر: «محاضرات الأدباء» للأصفهاني (٢/ ٧١٠).

(٢) رواه الدينوري في «المجالسة وجواهر العلم» (ص: ٤٩٦) عن أيوب السختياني.

(٣) انظر: «محاضرات الأدباء» للأصفهاني (٢/ ٧٥١).

(٤) انظر: «البصائر والذخائر» لأبي حيان التوحيدي (٩/ ٩٩).

فلمَّا رأى الثعلب ما صنع بالذئب خَشِيَ أنْ يُصيبه مثله، فقال: أما الحمار فلك تتغذى به، وأما الأرنب فهو لك خلالٌ تتخلل به فيما بينك وبين الليل، وأما الظبي فلك تتعشى به.

فقال الأســـد للثعلب: ويلك يا ثعلب! ما ينبغي إلا أن تكون قاضياً؛ من علمك هذا القضاء؟

فقال: الرأس الذي بين يديك، ثم وثب ناحية عن الأسد[1].

فهذا وأمثاله إنما وضعته العقلاء على طريقة ضرب الأمثال للتنبيه على ما ينفع أو يضر من الخلال؛ ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَـٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَـٰلِمُونَ﴾[العنكبوت: ٤٣].

ألا ترى أنهم يقولون في المثل السَّائر: ليس بِعُشِّكِ فادرُجي؛ يريدون ليس لك في هذا الأمر حق فامضي، كما في «القاموس»[2].

وقال الزمخشري: يُضرب لمَنْ يدعي أمراً ليس من شأنه؛ أي: ليس بمباتك فاخرج منه[3].

وقريب من قولهم في المثل الآخر: خلا لكِ الجو فبِيضي واصْفِري[4].

---

(١) انظر: «محاضرات الأدباء» للأصفهاني (٢/ ٧٥٢).

(٢) انظر: «القاموس المحيط» للفيروز آبادي (ص: ٧٧١) (مادة: عشش).

(٣) انظر: «المستقصى في أمثال العرب» للزمخشري (٢/ ٣٠٥).

(٤) انظر: «أمثال العرب» للضبي (ص: ٣٤).

وأول من قاله طرفه بن العبد وهو ابن سبع سنين، وذلك أنه خرج مع صويحب له إلى مكان كانا يعهدان فيه القنابر، فنصبا فخيهما، فإذا قنبرة تحوم بالفخ، تقع تارةً وتَفْزع أخرى حتى ذهب النهار، ثم لمَّا توجَّها إلى أهلهما راجعين والقنبرة تحوم قال: [من الرجز]

يا لَكِ مِنْ قنبرةٍ بمعمرِ خَلا ... لَكِ الْجَوُّ فَبِيضِي وَاصْفِرِي

وَنَقِّرِي ما شِئْتِ أنْ تُنَقِّري ... قَدْ رُفِعَ الفَخُّ، فَماذا تَحْذَرِي؟

وَرَجَعَ الصَّيَّادُ عَنْكِ فَأَبْشِرِي ... لا بُدَّ مِنْ أَخْذِكِ يَوماً فَاحْذَرِي[1]

ومن أمثالهم: حيل بين العَير والنزوان[2].

العَير ـ بالفتح ـ: حمار الوحش، والنزوان: الوثوب.

وأبلغ من هذا المثل قوله تعالى: ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾[سبأ: ٥٤]؛ يُضرب المثل في منع الرجل مُراده.

قال الزمخشري: وأول مَنْ قاله صخر بن عمرو أخو الخنساء، وذلك أنه طعنه ربيعة الأسدي، فأدخل حلقة من حلقات الدرع في جوفه، فَضَمِر زماناً ـ أي: زمن ـ حتى ملته امرأته، فمرَّ بها رجلٌ وكانت ذات خلق وإدراك، فقال لها: كيف مريضكم؟

فقالت: لا حي فيُرجى، ولا ميت فيُنْعى.

---

(١) انظر: «الشعر والشعراء» لابن قتيبة (ص: ٣٢).

(٢) انظر: «جمهرة الأمثال» للعسكري (١/ ٣٧١).

ثم قال لها: هل يُباع الكفل؟

فقالت: نعم عمَّا قليل؛ وذلك بمسمع من صخر.

فقال: أما والله لئن قَدِرْتُ لأقدمنك قبلي.

فقال لها: ناوليني السيف لأنظر هل تُقله يدي، فناولته فإذا هو لا يُقلَّه، فقال: [من الطويل]

أَرى أُمَّ صَخْرٍ لا تَمَلُّ عِيادَتِي ... وَمَلَّتْ سُلَيْمى مَضْجَعِي وَمَكانِي

فَأَيُّ امْرِىءٍ سَاوى بِأُمٍّ حَلِيلَةً ... فَلا عاشَ إِلاَّ فِي شَقى وَهَوانِ

أَهُمَّ بِأَمْرِ الْحَزْمِ لَوْ أَسْتَطِيعُهُ ... وَقَدْ حِيْلَ بَيْنَ العَيْرِ وَالنَّزَوانِ

وَما كُنْتُ أَخْشى أَنْ كون جنازة ... عليكَ وَمَنْ يغترَّ بِالْحَدَثانِ

وَلَلْمَوْتُ خَيْرٌ مِنْ حَياةٍ كَأَنَّها ... معرس يعسوبٍ بِرَأْسِ سِنانِ[1]

ومن أمثالهم: على أهلها دلت براقش، وعلى أهلها جنت براقش[2].

قال صاحب «القاموس»: وبراقش كلبة سمعت حوافر دواب فنبحت، فاستدلوا بنباحها على القبيلة فاستباحوهم.

أو: اسم امرأة لقمان بن عاد، استحلفها زوجها، وكان لهم موضع إذا فزعوا دخنُوا فيه فيجتمع الجند، وإن جوارها عبثن ليلة، ودخن فاجتمع الجند، فقيل لها: إنْ رددتهم ولم تستعملهم في شيء

---

(١) انظر: «المستقصى في أمثال العرب» للزمخشري (٢/ ٦٩).

(٢) انظر: «الأمثال» لابن سلام (ص: ٦٣).

لم يأتكِ أحد مرةً أخرى، فأمرتهم فبنوا بناءً، فلما جاء سأل عن البناء فأخبرته، فقال: على أهلها تَجْنِي براقش؛ يُضرب لمَنْ يعمل عملاً يرجع ضرره عليه.

قال: أو كان قومهم لا يأكلون الإبل، فأصاب لقمان من براقش غلاماً، فنزل لقمان في بني أبيها، فراح ابن براقش إلى أبيه بعرق من جزور، فأكل لقمان، فقال: ما هذا؟ فما تعرقت طيباً مثله.

فقال: جزورٌ نحرها أخوالي.

فقال: جمل واجتمل؛ أي: أطعمنا لحم الجمل، واطعم أنت منه.

وكانت براقش أكثر قومها بعيراً، فأقبل لقمان على إبلها فأسرع فيها، وفعلوا ذلك بنو أبيه لمَّا أكلوا لحم الجزور، فقيل: على أهلها تجني براقش، انتهى[1].

قال الزمخشري: وقيل: براقش الحية تدلُّ على نفسها بجرسها[2].

قال حمزة بن بيض: [من الخفيف]

لَـمْ تَكُـنْ عَـنْ جِنايَـةٍ لَحِقَتْنِـي ... لا يَـسارِي وَلا يَمِينِـي جَنَتْنِـي

بَـلْ جَنَاهـا أَخٌ عَلَـيَّ كَـرِيْمٌ ... وَعلـى أَهْلِهـا بـراقِشُ تَجْنِـي[3]

---

(١) انظر: «القاموس المحيط» للفيروز آبادي (ص: ٧٥٤) (مادة: برقش).

(٢) انظر: «المستقصى في أمثال العرب» للزمخشري (٢/ ١٦٥).

(٣) انظر: «البيان والتبيين» للجاحظ (ص: ١٤٦).

وربما قيل للمُتَلون: أبو براقش.

قال الجوهري: بَرْقَشْتَ: إذا نقشته بألوان شتى.

وأصله من أبي براقش، وهو طائر يتلون ألواناً[1].

وقال صاحب «القاموس»، برقش عليَّ في الكلام: خلطه.

قال: وتبرقش لها: تزين بألوان مختلفة.

وقال: أبو براقش طائر صغير يُرى كالقنفذ، أعلى ريشه أغر، وأوسطه أحمر، وأسفله أسود، فإذا يصيح انتفش فتغير لونه ألواناً شتى[2].

ومن ألطف التمثيل قول البوصيري رحمه الله تعالى في وصف النفس: [من البسيط]

وَراعِها وَهِيَ فِي الأَعْمالِ سائِمَةٌ    وَإِنْ هِيَ اسْتَحْلَتِ الْمَرْعَى فَلا تَسِمِ

مثلها بالبهيمة لا يمنعها عقل عن الشر الذي ربما أدى إلى هلاكها، فصاحبها ينبغي أن يمنعها مما يضرها كما يمنع صاحبُ الدابةِ الدابةَ.

وكذلك قوله: [من البسيط]

مَنْ لِي بِرَدِّ جماحٍ مِنْ غَوايَتِها    كَما يُرَدُّ جِماحُ الْخَيْلِ بِاللُّجُمِ

وروى [أبو نعيم] عن وهب بن منبه رحمه الله تعالى قال:

---

(١) انظر: «الصحاح» للجوهري (٣/ ٩٩٥) (مادة: برقش).

(٢) انظر: «القاموس المحيط» للفيروز آبادي (ص: ٧٥٤) (مادة: برقش).

الإيمان قائد، والعمل سائق، والنفس حَرُون؛ إنْ فَتَرَ قائدها ضَلتْ عن الطريق ولم تستقم لسائقها، وإن فَتَرَ سائقها حَرَنَتْ ولم تتبع قائدها، فإذا اجتمعا استقامت طوعاً أو كَرْهاً، ولا يستطيع الدِّين إلا بالطوع والكره، إن كان كلما كره الإنسان شيئاً من دينه تركه أوشك أن لا يبقى معه من دينه شيء(١).

وروى أبو نعيم أيضاً عن ابن مسعود ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَا أُحِبُّ مَوْتاً كَمَوْتِ الحِمَارِ».

قيل: يا رسول الله! وما موت الحمار؟

قال: «مَوْتُ الفَجْأَةِ»(٢).

والحكمة في ذلك: أنَّ موت الفجأة يُؤخذ فيه العبد عن غير وصية ولا تذكرة، وكذلك موت الحمار، وغيره من البهائم، ونحوها.

وروى أبو نعيم عن عبدالله بن مغفل رضي الله تعالى عنه قال [قال رسول الله ﷺ]: «إذا أراد الله بعبدٍ خيراً عَجَّلَ له عقوبةَ ذنبِهِ في الدُّنيا، وإذا أراد اللهُ بعبدِهِ شرّاً أَمْسكَ عليه عقوبةَ ذنبِهِ حتَّى يوافيَهُ يومَ القيامةِ كأنَّه عَيرٌ»(٣).

---

(١) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٤/ ٣١)، وكذا ابن أبي الدنيا في «محاسبة النفس» (ص: ٨٨).

(٢) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٤/ ٢٣٥)، وكذا الترمذي (٩٨٠). قال الدراقطني في «العلل» (٥/ ١٤٣): يروى مرفوعاً وموقوفاً، والموقوف أصح.

(٣) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٣/ ٢٥).

وللحديث قصة ذكرها الإمام أحمد في روايته[1]، وقد ذكرناها من طريقه في التشبه بالجاهلية.

وفي معنى الحديث وجهان:

**الأول**: حتى يُوافي العبد ربَّه في حال كون العبد مثل العَير ـ بفتح العين ـ وهو الحمار الوحشي، شُبه بحال الحمار الذي وقع في قنص الصائد في الذل، وعدم القدرة على استخلاص نفسه.

**والثاني**: حتى يُوافي العبد ذنبه كأن ذنبه عَير.

قال أبو نعيم: وعير جبل بالمدينة شبه النبي ﷺ عظم ذنوبه وكثرتها به[2].

وذكر القرطبي في «تفسيره»: أنَّ نوحاً عليه السلام لمَّا أُهبط من الطوفان أراد أن يبعث مَنْ يأتيه بالخبر، فبعث الغراب، فأصاب جيفة فوقع عليها، فاحتبس، فلعنه، فلذلك يقتل في الحرم، ودعا عليه بالخوف، فلذلك لا يألف البيوت، وبعث الحمامة فلم تجد قراراً، فوقعت على شجرة بأرضٍ يَبسٍ، فحملَتْ ورقة ورجعَتْ إلى نوحٍ عليه السلام، فعَلِمَ أنها لم تستمكن من الأرض، ثم بعثها بعد ذلك، فطارَتْ حتى وقعَتْ بوادي الحرم، فإذا الماء قد نَضَب من موضع الكعبة، وكانت طينتها حمراء فاختضبت رجلاها، وجاءت إلى نوحٍ عليه السلام فقالت: بُشرايَ منكَ أنْ تهبَ ليَ الطوق في

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) انظر: «حلية الأولياء» لأبي نعيم (٣/ ٢٥).

عنقي، والخضاب في رجـــلي، وأن أســـكن الحرم، فمسح بيده عليها، وطوَّقها، ووهب لها الحمرة في رجليها، ودعا لها ولذريتها بالبركة[1].

أخرجه ابن عساكر عن ابن عباس بنحوه[2].

قلت: الاعتبار في هذه القصة أن يكون العبد طائعاً لإمامه، ممتثلاً لأمره وكلامه، فيكون ظافراً بالأمن واليُمْن، يَرْفُل في ثياب الطاعة، ويألف أهل السنة والجماعة كما اتفق من أمن الحمامة، وأنَّ من خرج عن الطاعة جهل وابْتُلِيَ بالخوف كما صار للغراب، وكذلك يُعتبر حال من أحسن في طاعة الإنسان، ومَنْ لم يرعَ حرمته وطاعته؛ فافهم!

وذكر القرطبي أيضاً عن زيد بن ثابت رضي الله تعالى عنه قال: استصعب على نوح عليه السلام الماعزة أن تدخل السفينة، فدفعها من ذنبها، ثم انكسر فصار معقوفاً، وبدا حياها، ومضت النعجة حين دُفعت، فمسح على ذنبها فستر حياها[3].

وهذا أخرجه ابن عساكر، وغيره[4].

وروى البخاري في «الأدب المفرد» عن ابن عباس رضي الله تعالى

---

(١) انظر: «تفسير القرطبي» (٩/ ٤٤).

(٢) رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٦٢/ ٢٦٧).

(٣) انظر: «تفسير القرطبي» (٩/ ٤٤).

(٤) رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٦٢/ ٢٥٥).

عنهما قال: عجبت للكلاب والشاء؛ إنَّ الشاء يُذبح منها في السنة كذا وكذا، ويُهدى منها كذا وكذا، والكلاب تضع الكلبة الواحد منها كذا وكذا، والشاء أكثر منها[١]؛ أي: والواحدة منها تلد واحدة في الغالب.

قلت: وقد قال بعض أهل الإشارة: إنما بُورك في الغنم، ومُحِقَت الكلاب لأنَّ الغنم تنام أول الليل وتقوم عند السَّحر، فتذكر الله تعالى وتجتر، والكلاب تسهر الليل كله تنبح لأنها ترى الشياطين، فتنبح عند ذلك كما تقدم في التشبه بالشيطان، وأكثر ما تنتشر الشياطين أول الليل، فإذا كانت وقت السَّحر أو الفجر وقت الطاعة والعبادة نامت الكلاب.

وكذلك حال مَنْ يسهر الليل في اللهو واللعب وكثرة الكلام، فإذا جاء وقت السَّحر غلب عليه النوم، وربما نام عن صلاة الصبح، فيبُول الشيطان في أذنه، ويكون بعيداً عن رحمة الله تعالى، ولمثل هذا يُقال: يا نائم! فاتتك الغنائم، ماذا فاتك يا نائم؟

وقد قالوا في المثل: أنوم من كلب، وأنعس من كلب؛ أي: في النهار[٢].

وقالوا: مطل كنعاس الكلب؛ أي: متصل دائم وفيه قرمطة، ومن شأن الكلب أن يفتح من عينيه بقدر ما يكفيه من الحراسة[٣].

---

(١) رواه البخاري في «الأدب المفرد» (ص: ٢٠٢).

(٢) انظر: «المستقصى في أمثال العرب» للزمخشري (١/ ٣٩٣).

(٣) انظر: «المستقصى في أمثال العرب» للزمخشري (٢/ ٣٤٥).

وروى ابن جرير، وابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: أول ما حمل نوح في الفلك من الدواب الذَّرَّة، وآخر ما حمله الحمار، فلما دخل الحمار ودخل صدره تعلق إبليس بذنبه، فلم تستقل رجلاه، فجعل نوح عليه السلام يقول: ويحك! ادخل، فينهض ولا يستطيع، حتى قال نوح عليه السلام: ويحك! ادخل وإنْ كان الشيطان معك، كلمةٌ زَلتْ عن لسانه، فلمَّا قالها نوحٌ عليه السلام خلى الشيطان سبيله، فدخل ودخل الشيطان معه، فقال له نوح: ما أَدْخلك عليَّ يا عدوَّ الله؟

قال: ما لك بدٌّ أن تحملني معك، فكان فيما يزعمون في ظهر الفلك[1].

وقد تقدم أنَّ الحمار والكلب إذا نعق ونبح فيكونان قد رأيا شيطاناً[2].

والاعتبار في أمر الحمار أنَّ العبد لا ينبغي أن يكون متثاقلاً عن الخير، متقاعداً عن السبق في أمور الآخرة التي بها ينجو العبد خشية أن يتأخر فيحصل له من العوائق ما حصل للحمار حين تأخر عن سفينة نوح عليه السلام من عاقة الشيطان حتى صار قرينه إلى الأبد، وصار الحمار مَثَلاً في السوء.

---

(١) رواه الطبري في «التفسير» (١٢/ ٣٧)، وابن أبي حاتم في «التفسير» (٥/ ١٥٠٧).

(٢) تقدم تخريجه.

ألا تــرى إلى قــول الله تعــالى: ﴿إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ﴾[لقمان: ١٩]؟

وقوله تعالى: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا﴾[الجمعة: ٥]؟

وقد قيل: للتأخير آفات، والعجلة من الشيطان إلا في أمور الآخرة؛ فإنها من الله تعالى، فأمَّا في غير أمور الآخرة فلعلها على وفق مرضاة الشيطان، كما أنَّ الأناة عن الخير موافقةً لمرضاته، فأما الأناة عن غير الفضائل الأخروية فهي من الله تعالى، فليحذر الإنسان أن يكون في طاعة الشيطان وصحبته، خصوصاً عند خروجه من الدنيا ودخوله في الآخرة كما كان الحمار في صحبة الشيطان إذ لم يتأخر خارج عن السفينة غيره وغير الشيطان.

وسفينة نوح عليه السلام يمكن دخول الشيطان إليها لأنها ـ وإن كانت سفينة النجاة ـ فإنها من أمور الدنيا، والدنيا محل الشيطان بخلاف الجنة.

وإنك مهما صحبك الشيطان في آخر أنفاسك والعياذ بالله، وأَطَعْته حينئذٍ تعلق بك، فيمنعك من دخول الجنة؛ إذ لا يمكن دخوله إليها، ولا يفلتك كما لم يفلت الحمار حين دخل السفينة رجاءَ أن يدخل الجنة معك كما دخل السفينة مع الحمار، ولذلك كان أشد ما يكون الشيطان حريصاً على إضلال ابن آدم عند الموت كما تقدم، فإذا المطيع الشيطان في آخر أنفاسه أسوأ حالاً من الحمار.

ولنا هنا لطيفة، وهي أنَّ نوحاً عليه السلام لو كان معه آية الكرسي، أو الآيتان من خواتيم سورة البقرة لم يدخل الشيطان سفينته أصلاً، وإنما كانت هذه الخصوصية لمحمد ﷺ ولأمته.

روى سعيد بن منصور، والحاكم وصححه، عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «سُوْرَةُ البَقَرَةِ فِيْهَا آيَةٌ هِيَ سَيِّدَةُ آيِ القُرْآنِ، لا تُقْرَأُ فِيْ بَيْتٍ فَيَقْرَبَهُ شَيْطَانٌ».

وفي لفظ: «لا تُقْرَأُ فِيْ بَيْتٍ وَفِيْهِ شَيْطَانٌ إِلاَّ خَرَجَ مِنْهُ؛ آيَةُ الكُرْسِيِّ»[1].

وله شواهد في «الصحيح»[2].

وروى الترمذي وحسنه، والنسائي، وابن حبان في «صحيحه» عن النعمان بن بشير رضي الله تعالى عنهما، عن النبي ﷺ قال: «إِنَّ اللهَ كَتَبَ كِتَاباً قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِأَلْفَيْ عَامٍ، أَنْزَلَ مِنْهُ آيَتَيْنِ خَتَمَ بِهَا سُوْرَةَ البَقَرَةِ، لا تُقْرَآنِ فِيْ دَارٍ ثَلاثَ لَيَالٍ فَيَقْرَبَهَا شَيْطَانٌ»[3].

---

(١) رواه سعيد بن منصور في «السنن» (٣/ ٩٥٠)، والحاكم في «المستدرك» (٢٠٥٩).

(٢) منها حديث أبي هريرة رضي الله عنه مع الشيطان كما في البخاري (٤٧٢٣)، وفيه: «إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي لن يزال معك من الله حافظ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح».

(٣) رواه الترمذي (٢٨٨٢) وحسنه، والنسائي في «السنن الكبرى» (١٠٨٠٢)، وابن حبان في «صحيحه» (٧٨٢).

ورواه الحاكم وصححه، ولفظه: «وَلا تُقْرَآنِ فِيْ بَيْتٍ فَيَقْرَبَهُ شَيْطَانٌ ثَلاثَ لَيَالٍ»[1].

**عوداً على بَدْءٍ:**

من الأمثال: أثقل من فيل[2].

وهو من باب تمثيل المعنوي بالحسي.

قال الشاعر:

أنْـتَ يَـا هـذا ثَقِيـلٌ ... وَثَقِيـلٌ وَثَقِيـلُ

أنْـتَ فِـي الْمَنْظَـرِ إِنْسـا ... نٌ، وَفِـي الْمِيـزانِ فِيْـلُ[3]

وفي المثل: أثقل من الزواقي.

قال هشام بن عروة: يريدون أنها إذا صاحت تفرق السُّمَّار والأحبة[4].

قال في «الصحاح»: وقولهم: أثقل من الزواقي، وهي الديوك لأنهم كانوا يسمرون، فإذا صاحت الديوك تفرقوا[5].

وذكر الزمخشري: أنَّ الفراء سُئل عن المَثَل فلم يعرفه، فقال

---

(١) رواه الحاكم في «المستدرك» (٢٠٦٥).

(٢) انظر: «حياة الحيوان الكبرى» للدميري (٢/ ٣١٩).

(٣) البيتان لأحمد بن علي، كما في «ذم الثقلاء» لابن المرزبان (ص: ٣٣).

(٤) انظر: «حياة الحيوان الكبرى» للدميري (٢/ ٦).

(٥) انظر: «الصحاح» للجوهري (٦/ ٢٣٦٨) (مادة: زقا).

جليسٌ له: كانت العرب تسمر، فإذا زقت الديكة ثقل عليها زقاؤها، فاستحسنه الفراء[1].

وقال ابن عبد ربه في «العقد»: قال أبو زيد: قلت للخليل بن أحمد: لَم قالوا في تصغير واصل: أُوَيْصل، ولم يقولوا: وويصل؟

قالوا: كرهوا أنْ يشبه كلامهم نبيح الكلاب[2].

وقال فيه: أتى أحمد بن الحسين بعض المتظلمين يوماً، فأخرج رجله من الركاب، فركضه، فقال فيه الشاعر:

قُلْ لِلْخَلِيفَـةِ وَابْـنِ عَـمِّ مُحَمَّـدٍ    اشْـكُلْ وَزِيـرَكَ إِنَّـهُ رَكَّـالُ[3]

وذكر ابن خلكان في ترجمة أحمد بن أبي نصر الخصيب وزير المستنصر: أنه كان ينسب إلى الطيش والتهور، وله في ذلك أخبار، وكان قد ركب يوماً فوقف له متظلم، وشكا حاله، فأخرج رجله من ركابه، ودجَّ المتظلم في فؤاده فقلبه، فتحدث الناس بذلك، فقال بعض شعراء ذلك الزمان: [من الكامل]

قُلْ لِلْخَلِيفَـةِ وَابْـنِ عَـمِّ مُحَمَّـدِ    اشْـكُلْ وَزِيـرَكَ إِنَّـهُ رَكَّـالُ

اشْكُلْهُ عَنْ ضَرْبِ الرِّجالِ فَإِنْ تُرِدْ    مالاً، فَعِنْدَ وَزِيـرِكَ الأَمـوالُ[4]

---

(١) انظر: «المستقصى في أمثال العرب» للزمخشري (١/ ٤١).

(٢) انظر: «العقد الفريد» لابن عبد ربه (٢/ ٢٩٥).

(٣) انظر: «العقد الفريد» لابن عبد ربه (٢/ ٣٠٩).

(٤) انظر: «وفيات الأعيان» لابن خلكان (١/ ١٨٧).

وذكر الدميري، والسيوطي، وغيرهما: أنه ليس في الحيوان ما يحمل ضِعْفَ بدنِه مراراً غير النملة حتى تحمل النواة ونحوها[1].

وهذا مثال من يأخذ من الدنيا فوق كفايته، فحاله كحال النملة التي سرحت مع النمل، فحملت ضعفها مرات، وحمل النمل دونها، ثم تسابقن إلى مسكنهن، فإنك ترى المُخِفَّات منها يدخلن المسكن أولاً فأولاً، فتبقى المُثْقَلات يعالجن ما حملنه ليُدْخِلْنه البيت، فربما أدركهن العطب، ففاز المخفات منهن.

ومن هنا قالوا: فاز المخفون.

وروى البزار بإسناد حسن، عن أبي الدرداء رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ بَيْنَ أَيْدِيْكُمْ عَقَبَةً كَؤُوْداً، لا يَنْجُوْ مِنْهَا إِلاَّ كُلُّ مُخِفٍّ»[2].

قال الجوهري: عقبة كؤود: شاقة المصعد[3].

وروى الطبراني بإسنادٍ صحيح، عن أم الدرداء قالت: قلتُ له ـ أي: لأبي الدرداء رضي الله تعالى عنهما ـ: ما لك لا تطلب كما يطلب فلان وفلان؟

فقال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ وَرَاءكُمْ عَقَبَةً

---

(١) انظر: «حياة الحيوان الكبرى» للدميري (٢/ ٤٩٨).

(٢) قال المنذري في «الترغيب والترهيب» (٤/ ٦٠): رواه البزار بإسناد حسن.

(٣) انظر: «الصحاح» للجوهري (٢/ ٥٢٩) (مادة: كأد).

كَؤُوْداً، لا يُجَاوِزُهَا المُثْقَلُوْنَ؛ فَأَنَا أُحِبُّ أَنْ أَتَخَفَّفَ لِتِلْكَ العَقَبَةِ»[1].

ويروى نحوه من حديث أنس رضي الله تعالى عنه[2].

قال الدميري، والسيوطي: ويحمل النمل غذاء سنتين، ولا يكون عمره أكثر من سنة، وبعد السنة يُخلق له أجنحة فيطير فتأكله العصافير، وإذا كان كذلك أخصب العصافير.

ومن عجائبه اتخاذه القرية تحت الأرض، وفيها منازل، ودهاليز، وغرف، وطبقات معلقات، تملؤها حبوباً وذخائر للشتاء.

وكذلك حال أولاد آدم يجمعون ما لا يأكلون، إلا من وَفَّقَهُ الله تعالى منهم للزهد، والتقلل من الدنيا، وهم عُقلاء الناس[3].

وروى أبو نعيم عن سعيد بن أبي هلال: أنَّ أبا الدرداء رضي الله تعالى عنه كان يقول: يا أهل دمشق! ألا تستحيون، تجمعون ما لا تأكلون، وتبنون ما لا تسكنون، وتأملون ما لا تَبْغُون، قد كان القرون من قبلكم يجمعون فيوعون، ويأملون فيطيلون، ويبنون فيوثقون، فأصبح

---

(١) قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٣/ ٩٧): رواه الطبراني في «الكبير» ورجاله ثقات.

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٤٨٠٩). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٢٦٣): فيه جنادة بن مروان؛ قال أبو حاتم: ليس بالقوي، وبقية رجاله ثقات.

(٣) انظر: «حياة الحيوان الكبرى» للدميري (٢/ ٤٩٨).

جمعهم بوراً، وأملهم غروراً، وبيوتهم قبوراً، هذه عاد قد ملأت ما بين عدن إلى عمان أموالاً وأولاداً، فمن يشتري مني تركة آل عادٍ بدرهمين[1]؟

خصَّ أبو الدرداء رضي الله تعالى عنه أهل دمشق بخطابه لأنه كان يسكنها.

والاعتبار بالنمل من حيث إنه إذا نَبَتَ له جناحان طار، فكان في طيرانه هلاكه أن ابن آدم قد يكون في غناه ورِياشه هلاكه، وكثير من الناس إذا كانوا فقراء كانوا صالحين، فإذا راشوا واستغنوا أَشَروا وبَطروا، فهلكوا، وربما حملتهم أموالهم إلى محالِّ هلاكم.

قال أبو العتاهية: [من الكامل]

| | |
|---|---|
| يا صاحبَ الدُّنْيا الْمُحِبَّ لَها | أَنْتَ الَّذِي لا يَنْقَضِي تَعَبُهْ |
| أَصْلَحْتَ داراً نَعِيمُها أشِبٌ | جَمُّ الفُرُوعِ كَثِيرَةٌ شُعَبُهْ |
| إِنَّ اِسْتهانَتَها بِمَنْ صَرَعَتْ | بِقَدْرِ ما تَسْمُو بِهِ رُتَبُهْ |
| وَإِذا اسْتَوَتْ لِلنَّمْلِ أَجْنِحَةٌ | حَتَّى يَطِيرَ فَقَدْ دَنا عَطَبُهْ[2] |

وقال غيره من القدماء: [من الخفيف]

| | |
|---|---|
| وَإِذا أَنْبَتَ الْمُهَيْمِنُ لِلنَّمْـ | ـلِ جَناحاً أَطارَهُ لِلتَّعَدِّي |

---

(١) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١/ ٢١٧).

(٢) انظر: «الحيوان» للجاحظ (٤/ ٣١).

وَلِكُلِّ امْـرِىءٍ مِـنَ النَّـاسِ حَـدٌّ          وَهَـلاكُ الفَتَـى جَـوازُ الْحَـدِّ[1]

وقريبٌ من هذا المعنى ما رواه ابن جرير، وأبو الشيخ عن الربيع ابن أنس قال: إنَّ البعوضة تجني ما جاعت، فإذا شَبِـعَتْ ماتت.

وكذلك ابن آدم إذا امتلأ من الدنيا أخذه الله عند ذلك، ثم تلا ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً﴾[الأنعام: ٤٤][2].

وسبب ذلك: أنَّ البعوض فيه من الشَّره أن يمص الدم حتى يموت، أو يعجز عن الطيران والنهوض.

ومن أمثال الناس: إذا استغنى الصعلوك مات.

وقال القاضي عبد الوهاب المالكي، وقد أثرى بعد قلة ذات يده فأَدْركته منيته: لمَّا عشنا متنا[3].

وروى الطبراني في «الكبير» عن أبي أمامة رضي الله تعالى عنه، عن النبي ﷺ أنه قال: «لَسْتُ أَخَافُ عَلَىْ أُمَّتِيْ غَوْغَاءَ تَقْتُلُهُمْ، وَلا عَدُوّاً يَجْتَاحُهُمْ، وَلَكِنْ أَخَافُ عَلَىْ أُمَّتي أَئِمَّةً مُضِـلِّيْنَ؛ إِنْ أَطَاعُوْهُمْ فَتَنُوْهُمْ، وَإِنْ عَصَوْهُمْ قَتَلُوْهُمْ»[4].

أخبر ﷺ أنَّ الأئمة المضلين أشدُّ فتنة من العامة الضَّالين وهم

---

(١) انظر: «عيون الأنباء في طبقات الأطباء» لابن أبي أصيبعة (ص: ٣٤٩).

(٢) رواه الطبري في «التفسير» (١/ ١٧٧)، وعنده: «سمنت ماتت».

(٣) انظر: «ترتيب المدارك وتقريب المسالك» للقاضي عياض (٢/ ٢٧٥).

(٤) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٧٦٥٣). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٥/ ٢٣٩): فيه من لم أعرفه.

الغوغاء؛ لأنَّ العاقل يعرف ضلالهم، بخلاف الأئمة المضلين.

وروى أبو نعيم عن الشعبي رحمه الله تعالى أنه قال: نعم الشيء الغوغاء؛ يسدون السيل، ويطفئون الحريق، ويشغبون على ولاة السوء[1].

والشغب: بالتسكين، وقد يُحرك.

وقيل: تهييج الشر وهو شغب الجند؛ يقال: شغب عليهم وبهم، وشغبهم؛ كله بمعنىً[2].

قلت: ومعنى قول الشعبي: نعم الشيء الغوغاء: عوام الناس.

روى الخطابي في «العزلة» عن الأصمعي أنه قال: الغوغاء الجراد إذا ماج بعضه في بعض.

قال: وبه سمي الغوغاء من الناس[3].

إنما مدحهم الشعبي لما يحصل بهم من الرفق بهم فيما ذكر، فيؤيد الله بهم الدين مع أنهم في أنفسهم غير ممدوحين لغلبة الجهل عليهم، والغفلة عن الله تعالى، وعن أمور دينهم.

فقوله: نعم الشيء الغوغاء؛ أي: لغيرهم، لا لأنفسهم، ولا في أنفسهم، وهذا من باب تأييد الدين بالرجل الفاجر، وبأقوام لا خَلاق لهم.

---

(١) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٤/ ٣٢٤).

(٢) انظر: «لسان العرب» لابن منظور (١/ ٥٠٤) (مادة: شغب).

(٣) رواه الخطابي في «العزلة» (ص: ٧٠).

قيل لبعض الحكماء: إن العامة يثنون عليك، فأظهر الوحشة من ذلك، وقال: لعلهم رأوا مني شيئاً أعجبهم، ولا خير في شيءٍ يسرُّهم ويعجبهم[1].

وقد قلت في هذا المعنى، وفي ضده الذي قال فيه المتنبي: [من الكامل]

وَإِذا أَتَتْكَ مَذَمَّتِي مِنْ ناقِصٍ      فَهِيَ الشَّهادَةُ لِي بِأَنِّي كامِلُ[2]

فأشرت إلى المعنيين بقولي: [من البسيط]

لا يُعْجِبَنَّكَ أَنْ يُثْنَى عَلَيْكَ بِما      قَدْ أَعْجَبَ السُّفَهاءَ الشَّاهةَ الْهَمَجا

هِجاؤُهُمْ كَثَناءِ الأَكْرَمِينَ كَما      ثَناؤُهُمْ بِالَّذِي يَرْضَوْنَهُ كَهِجَا

وروى الدينوري في «المجالسة» عن محمد بن المنذر بن الزبير ابن العوام ـ وكان من سروات الناس ـ: ما قل سفهاء قوم إلا ذلوا[3].

وعن الأصمعي قال: قال المهلب: لأن يطيعني سفهاء قومي أحبُّ إليَّ من أن يطيعني حلماؤهم[4].

والسفهاء هم العوام بأعيانهم، والغوغاء بأنفسهم.

---

(١) انظر: «العزلة» للخطابي (ص: ٨٠).

(٢) انظر: «يتيمة الدهر» للثعالبي (١/ ١٥١)، و«زهر الآداب» للقيرواني (١/ ٢٥١).

(٣) رواه الدينوري في «المجالسة وجواهر العلم» (ص: ٢٣٧).

(٤) رواه الدينوري في «المجالسة وجواهر العلم» (ص: ٥٠٤).

وإنما قال ذلك لأن لهم حمية، فإذا كان لهم جار صالح وأوذي كفوه مؤنة الانتقام والانتصار، فعزَّ جارهم بذلك، وكذلك إذا أطاعوا فعلوا ما أمروا به من غير روية ولا نظر في العواقب، فيصل بهم المطاع إلى غرَضه.

وحاصله أنَّ نفعهم لغيرهم، ووبالهم على أنفسهم.

نعم، في طاعتهم للكبير ما قد يوجب عليه رعايتهم والإغضاء عن قبائحهم، فربما استنصر بهم من هذا الوجه، ومن ثم لم يرضَ ذلك الحكيم بثنائهم عليه، وأطلق كثير من الحكماء ذمهم.

وروى الخطابي في «العزلة» عن عطاء: أنه كان يستخف بالغوغاء، ويبلي الناس بهم[1].

وروى عبدالله ابن الإمام أحمد في «زوائد الزهد» عن ابن شوذب رحمه الله تعالى قال: كان الحسن ـ يعني: البصري رحمه الله تعالى ـ إذا نظر إلى أهل السوق قال: هؤلاء قتلة الأنبياء[2].

وقال بعض الحكماء: العامة إذا اجتمعوا ضروا، وإذا تفرقوا نفعوا.

قال الخطَّابي: يريد: إذا تفرقوا رجع كل واحد منهم إلى صناعته، فيخرز الإسكاف، ويخصف الحذاء، وينسج الحائك،

---

(١) رواه الخطابي في «العزلة» (ص: ٧٩).

(٢) ورواه ابن أبي الدنيا في «الإشراف بمنازل الأشراف» (ص: ٣٢٤).

ويخيط الخياط، وينتفع الناس بهم، انتهى[1].

وقد قيل: لا عبرة بجماعة العوام؛ فإنهم يجمعهم طبلٌ ويفرقهم عصا؛ أي: لا يجتمعون على غرض صحيح، وأدنى شيء يوهمهم يفرقهم.

وروى الخطابي عن أبي عاصم النبيل: أنَّ رجلاً أتاه فقال: إنَّ امرأتي قالت لي: يا غوغاء! فقلت لها: إنْ كنتُ غوغاء فأنت طالق ثلاثاً.

فقال له أبو عاصم: هل أنت ممن يحضر المناطحة بالكباش، والمناقرة بالديوك؟

فقال: لا.

فقال له: هل أنت الرجل يحضر يوم يعرض السلطان أهل السجون، فيقولون: فلانٌ أَجْلد من فلان؟

فقال: لا.

فقال: هل أنت الرجل الذي إذا خرج الأمير يوم الجمعة جلست له على ظهر الطريق حتى يمر، ثم تقيم مكانك حتى يُصلي وينصرف؟

فقال: لا.

فقال له أبو عاصم: فلست بغوغاء، إنما الغوغاء من فعل هذا[2].

---

(١) انظر: «العزلة» للخطابي (ص: ٨١).

(٢) رواه الخطابي في «العزلة» (ص: ٧٩).

قلت: وفي معنى ما ذكره أبو عاصم من حضور مناقرة الديوك ومُناطحة الكباش الوقوف في حلق القرادة، والذبابة، والمشعبذين، والذين يحكون الحكايات المكذوبة، والمجان، وأهل السخرية.

وفي معنى حضور يوم عرض المسجونين على السلطان شهود من يقتل من أهل الجرائم والتهم، والدوران مع مَنْ يعزر منهم في البلد، وكذلك سائر المفترجات المكروهة والمحرمة، والجلوس في بيوت القهوات، وحوانيت البرش والحشيش؛ كل ذلك لا يعكف عليه إلا الغوغاء، فلا ينبغي التشبه بهم في ذلك.

وروى الدينوري في «المجالسة» عن المعافى بن عمران: أنَّ عمر ابن الخطاب رضي الله تعالى عنه مرَّ بقوم يتبعون رجلاً فقال: لا مرحباً بهذه الوجوه التي لا ترى إلا في الشر[1].

وقرأت بخط البرهان بن جماعة: أنَّ معاوية رضي الله تعالى عنه قال لصعصعة بن صوحان: صف لي الناس؟

فقال: خلق الناس أصنافاً؛ فطائفة للعبادة، وطائفة للتجارة، وطائفة للبأس والنجدة، وفيما بين ذلك رجرجة يكدرون الماء، ويغلون السعر، ويضيقون الطريق، وينغصون الحياة[2].

قلت: والعلماء خاصة أهل العبادات.

---

(١) رواه الدينوري في «المجالسة وجواهر العلم» (ص: ١١٢).

(٢) انظر: «البصائر والذخائر» لأبي حيان التوحيدي (١/ ٤٥).

والرجرجة ـ بكسر الراء، وبالجيم ـ: من لا عقل له؛ قاله في «القاموس»[1].

وأصلها بقية الماء في الحوض الكدرة المختلطة بالطين، من الرجرجة ـ بالفتح ـ وهي الاضطراب لاختلاطهم، واضطرابهم في أنفسهم.

ونحوه تسمية الضعفاء من الناس رجاجاً ـ بفتح الراء ـ، أُخذ من الرجاج ـ بالفتح أيضاً ـ وهي مهازيل الغنم، وضعاف الإبل.

وأنشد الأصمعي: [من الرجز]

أَقبلْنَ مِنْ نيرٍ وَمِنْ سُواجِ ... بِالقومِ قَدْ مَلُّوا مِنَ الإِدْلاجِ

فَهُمْ رَجاجٌ وَعلى رجاجِ ... يَمْشُون أَفْواجاً عَلى أَفْواجِ

مَشْيَ الفراريجِ مع الدجاجِ[2]

أي: ضعفوا من السفر، وضعفت رواحلهم.

ونير ـ بكسر النون، وبالراء، بينهما تحتانية ـ: اسم جبل لبني عاضرة.

وسواج ـ بالضم ـ: اسم موضع عنده.

وكذلك الرعاعة ـ بالفتح ـ: اسم النعامة، ثم سمي به من لا فؤاد له ولا عقل، والجمع: رعاع.

---

(١) انظر: «القاموس المحيط» للفيروز آبادي (ص: ٢٤٣) (مادة: رجج).

(٢) انظر: «حياة الحيوان الكبرى» للدميري (٢/ ٣٠٣).

والرعاع أيضاً: الأحداث الطَّغَام من الناس.

وتقدم ذكر الرعاع في كلام علي رضي الله تعالى عنه في حديث كُميل بن زياد.

والهمج: هو ذباب صغار كالبعوض، يقع على وجوه الغنم والحمير وأعينها؛ الواحدة: همجة.

والهمجة أيضاً: الشاة المهزولة.

قال في «الصحاح»: ويقال للرعاع من الناس الحمقى: إنما هم همج، وقولهم: (همج هامج) تأكيد له[1].

والهمج أيضاً: سوء التدبير في المعاش والجوع، وعليهما حُمِلَ قول الراجز:

قَدْ هَلَكَتْ جارَتُنا مِنَ الْهَمَجِ    وَإِنْ تَجُعْ تَأْكُلْ عتوداً أَوْ هرج[2]

ونقل الشيخ علوان الحموي في «شرح تائية ابن حبيب» عن الصفدي، عن شيخه السيد أبي الحسن علي بن ميمون المغربي: أنه كان ينهاه عن الدخول بين العوام والحكام، ويقول: ما رأيت لهم مثلاً إلا الفأر والحيات؛ فإنَّ كلاًّ منهما مفسدٌ في الأرض، فالحيات مسلطة على الفأر، والفأر مسلطة على الناس.

قلت: وهذا ليس على إطلاقه، بل العالم القادر على الأمر

---

(١) انظر: «الصحاح» للجوهري (١/ ٣٥١) (مادة: همج).

(٢) انظر: «مجالس ثعلب» (ص: ١٠٠)، و«معجم مقاييس اللغة» لابن فارس (١/ ٢١٧) (مادة: بذج).

والنهي متى لم يخش ضرراً بسبب ذلك، وقد رأى من الحكام جوراً ولو على العوام، تعين عليه الإنكار والنهي.

فهو إذا علم أنَّ الأمر والنهي لا يجدي، فهل سقط عنه الأمر والنهي، أم لا؟

**الأول**: مذهب أبي حنيفة رضي الله تعالى عنه.

**والثاني**: مذهب الشافعي رضي الله تعالى عنه.

ووقع تمثيل العوام بالأفاعي في كلام عيسى عليه السلام.

روى عبدالله ابن الإمام أحمد في «زوائد الزهد» عن مالك بن دينار رحمه الله تعالى قال: دخل عيسى بن مريم عليهما السلام بيت المقدس وهم يتبايعون فيه، فجعل ثوبه مخراقاً، وسعى عليهم ضرباً، وقال: يا بني الحيات والأفاعي! اتخذتم مساجد الله أسواقاً[1]؟

قلت: وأما أزمنتنا هذه فالعامة فيها لا ترضى بالبيع والشراء في المساجد، بل يجعلونها مجتمعاً لأخذهم وعطائهم، ومجادلاتهم وخصوماتهم، وفي كثير من القرى الآن يجعل المسجد سجناً لأهل تلك القرية، فإذا كانوا في الصلاة خصوصاً يوم الجمعة قَعَدَ جباة الظلم والمكس عند باب المسجد وحبسهم فيه، فلا يدع خارجاً يخرج حتى يُعطي الجريمة المفروضة عليه عن يدٍ وهو صاغر، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

---

(١) ورواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢/ ٣٨٢).

وكم من مسجد في كثير من المدائن وغيرها ضم إلى بيت، أو جعل مخزناً لمتاع، وكل ذلك لرقة الدين.

وروى أبو نعيم عن أبي زرعة يحيى بن عمرو الشيباني قال: مَثَلُ بيت المقدس في الكتب مثل طَسْتٍ من ذهب مملوءة عقارب[1].

وروى ابن أبي شيبة عن عبدالله بن عمرو رضي الله تعالى عنهما قال: أول من يُخرج أهلَ مكة من مكة القردةُ.

يحتمل أنه أراد القردة حقيقة، تكثر آخر الزمان في مكة حتى يخرج أهل مكة منها من أذاها، ويحتمل أنه أراد قوماً كالقردة في الطباع والشدة، وهو أقرب كما في الحديث: أنه ﷺ رأى بني أمية تنزو على منبره كما تنزو القردة.

وقال حجة الإسلام الغزالي في «الإحياء»: سُئل ابن المبارك: مَن الناس؟

فقال: العلماء.

قال حجة الإسلام: ولم يجعل غير العلماء من الناس؛ لأن الخاصة التي تتميز بها الناس عن سائر البهائم هو العلم، والإنسان إنسانٌ بما هو شريف لأجله، وليس ذلك بقوة شخصه؛ فإنَّ الجمل أقوى منه، ولا ليأكل؛ فإنَّ الجمل أوسع بطناً منه، ولا ليجامع؛ فإن العصافير أقوى على السفاد منه، بل لم يخلق إلا للعلم، انتهى[2].

---

(١) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٦/ ١٠٧).

(٢) انظر: «إحياء علوم الدين» للغزالي (١/ ٧).

أنشد أبو تمام في «الحماسة» للعباس بن مرداس: [من الوافر]

تَرى الرَّجُلَ النَّحِيفَ فَتَزْدَرِيْهِ ... وَفِي أَثْوابِهِ أَسَدٌ مَرِيرُ

وَيُعْجِبُكَ الطَّرِيرُ فَتَبْتَلِيهِ ... فَيُخْلِفُ ظَنَّكَ الرَّجُلُ الطَرِيرُ

فَما عِظَمُ الرِّجالِ لَهُمْ بِفَخْرٍ ... وَلَكِنَّ فَخْرَهُمْ كَرمٌ وَخِيْرُ

ضِعافُ الطَّيْرِ أَطْوَلُها جُسُوماً ... وَلَمْ تَطُلِ البزاةُ وَلا الصُّقورُ

بُغاثُ الطَّيْرِ أَكْثَرُها فِراخاً ... وَأُمُّ الصَّقْرِ مِقْلاةٌ نَزورُ

لَقَدْ عَظُمَ البَعِيرُ بِغَيْرِ لُبٍّ ... فَلَمْ يَسْتَغْنِ بِالعِظَمِ البَعِيرُ

فَيَصْرِفُهُ الصَّغِيرُ بِكُلِّ وَجْهٍ ... وَيَحْبِسُهُ عَلى الحشفِ الْخَبِيرُ[1]

والخبير في البيت الأخير يعني: الأَكَّار، ومنه المخابرة.

والطرير: ذو الرواء والمنظر، كما ذكره الجوهري، وأنشد البيت[2].

وروى ابن أبي حاتم، والضياء المقدسي في «المختارة» عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً﴾[الأنفال: ٣٥] قال: المُكاء: الصفير، وإنما شبهوا بصفير الطير[3].

---

(١) انظر: «شرح ديوان الحماسة» للمرزوقي (١/ ٣٥٤ _ ٣٥٥).

(٢) انظر: «الصحاح» للجوهري (٢/ ٧٢٥) (مادة: طرر).

(٣) رواه ابن أبي حاتم في «التفسير» (٥/ ١٦٩٦)، والضياء المقدسي في «الأحاديث المختارة» (١١٦).

وروى الطستي عنه: أنَّ المكاء: صوت القنابر، والتصدية: صوت العصافير، وأنَّ النبي ﷺ كان يُصلي قائماً بين الحجر والركن اليماني، فيجيء رجلان من بني سهم، أحدهم عن يمينه والآخر عن يساره، فيصيح أحدهما كما يصيح المكاء، والآخر يُصفق بيديه تصدية العصافير[1].

ونقل القرطبي، وغيره عن السدي في الآية، قال: المكاء: الصفير على لحن طائر أبيض بالحجاز يُقال له: المكاء.

قال الشاعر:

إِذا غَرَّدَ الْمُكاءُ فِي غَيرِ رَوْضـِهِ   فَوَيْلٌ لأَهْلِ الشَّاءِ وَالْحمراتِ

والمكاء: على وزن خطاف، وزنار.

قال القرطبي، وغيره: في الآية رد على الجُهَّال من الصوفية الذين يُصفقون ويصعقون لما فيه من التشبه بالمشركين فيما كانوا يفعلونه عند البيت[2].

وتقدم بيانه في التشبه بالجاهلية.

وقرأت بخط البرهان بن جماعة ما مثاله: سألت شيخنا الحافظ أبا عبدالله الذهبي الدمشقي ـ سقى الله عهده صوب الرحمة ـ عن سماع الصوفية، فقال: مَنْ كان منهم ذا مراقبة لَحِظَ المعنى، ولم ينظر إلى

---

(١) انظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٤/ ٦١).

(٢) انظر: «تفسير القرطبي» (٧/ ٤٠٠).

الصوت والتلحين، ومن سمع التلحين مع المعنى تحرك وتنهد، ومَنْ سمع التَلحين وناطه بالحلو الشمائل فسماعه بَهِيْمي لا روحاني، وهذا سماع الشباب البطلة، فما لك ودعوى المحبة، رقصٌ كالدبة، ودفن كالمذبة، وبطن كالقربة، وأنت تلطخ على أرباب المحبة، فما ثم إلا تنعم وتلذذ، ولعبٌ وشهوة، قبلها مأكولٌ ومشروب، وملبوسٌ، ومشموم مع مليحٍ وصديق، ثم بعدها نومٌ وتكبيس، ثم حمام، ومصلوقة بلا خشوع، أنت الصوفي على الوضع؟ أكول، بطول، جهول، سؤولٌ، كثير الفضول؛ ولا حول ولا قوة إلا بالله! انتهى.

وقال أبو الحسن بن جهضم في «بهجة الأسرار»: سمعت أبا بكر ابن بيان الدينوري قال: سمعت شيخنا أبا علي ممشاد يقول ذات يومٍ لأصحابه: ترقصون مثل الدب من كثرة ما تسمعون.

فقال له محمد بن علي بن يزيد ـ وهو من كبار أصحابه وكان ينبسط معه ـ: يا أبا علي! أنت لا تُحسن تسمع.

قال أبو علي: ولِمَ يا أبا بكر؟

قال: لأنه لا يقع لك انزعاج.

فقال ممشاد: رأيت جبلاً تحرك قط، لو أنَّ كل ملاهي الدنيا وُضِعَتْ في مسامعي هذه، ما شفي بعض همي، ولقد أمد الله لي في كل شيء منه عليَّ، لا يشبه بعضه بعضاً، وليس أهل الحق ههنا؛ فاعلم!

وذكر السيوطي في «ديوان الحيوان» عن ابن زهير قال: نهيق الحمار يضرُّ بالكلاب حتى ربما عوى الكلب من كثرة ما يؤلمه، ثم أنشد للمظفر الأعمى: [من الوافر]

لِحادِي القَوْمِ أَلْفاظٌ عِذابُ ... كَما زَعَمُوا وَفاتَهُمُ الصَّوابُ
حَدا فِيهِمْ بِصَوْتٍ جَهْوَرِيٍّ ... عَلى نَغَماتِهِ طَرِبُوا وطَابُوا
فَقُلْتُ وَقَدْ بَكَوا لَمَّا تَغَنَّى ... إِذا نَهَقَ الْحِمارُ بَكَتْ كِلابُ

وقال الشيخ محي الدين بن العربي رحمهُ الله تعالى: أنشدني ابن ثابت قال: أنشدني الحسن بن محمد البلخي، قال: أنشدني طاهر بن الحسين ـ وهو أبو الحسن المخزومي ـ لنفسه بالصفا: [من الكامل]

لَيْسَ التَّصَوُّفُ أَنْ يُلاقِيْكَ الفَتَى ... وَعَلَيْهِ مِنْ نَسْجِ الْمَسِيحِ مُرَقَّعُ
بِطَرائِقَ بِيضٍ وَسُودٍ لُفِّقَتْ ... فَكَأَنَّهُ فِيها غُرابٌ أَبْقَعُ
إِنَّ التَّصَوُّفَ مَلْبَسٌ مُتَعارَفٌ ... فِيهِ لِمُوْجِدِهِ الْمُهَيْمِنِ يَخْشَعُ

قلت: أخبرنا شيخ الإسلام الوالد ـ إجازةً، ووجادةً ـ قال: أخبرنا الشيخ شرف الدين قاسم بن عمر المغربي القيرواني المالكي، خادم ضريح الإمام الشافعي رضي الله تعالى عنه قال: أخبرتنا السيدة حسناء بنت الشيخ العارف بالله سيدي علي وفا، عن أبيها: أنه أنشد لنفسه [من الكان وكان]:

كُنْ بِالصَّلاحِ مَوْصُوفْ ... وَالْبَسْ صُنوفْ

لَـــوْ أنَّ الــصَّلاحَ بِالــصُّوف　　طـــــــارَ الْخَــــــــرُوفْ

يــــا مَـــنْ رَأى الأَلْبـــابْ　　فِـــــي أَفْخَـــــرِ ثِيـــابْ

قَـــدْ شـــاهَدُوا الأَحْبـــابَ　　فِـــــي كُـــــلِّ غـــابْ

إنْ كُنْـــتَ مِـــنْ أَرْبـــابِ　　هَـــــــذا الْخِطـــابْ

فَحَـوْلَ حِمــاهُمُ طُــوْفْ، وَالــبَسْ صُــنوفْ

لَـــوْ أنَّ الــصَّلاحَ بِالــصُّوفْ　　طـــــــارَ الْخَــــــــرُوفْ

مــــا الْفَخْــرُ فِــي الــدفاسْ　　وَالانْحِبــــــــــــــاسْ

وَلا بِطَـــرْقِ الـــرَّاسْ وَالانْخِنـــاسْ

مــــا الْفَقْــرُ شَــيْءٌ غَيْـرَ كــاسْ　　مَـــــوْتِ الْحَــــــواسْ

وَكُنْ بِذا مَنْخُوفْ، وَالْـبَسْ صُـنوفْ

لَـــوْ أَنَّ الــصَّلاحَ بِالــصُّوفْ　　طـــــــارَ الْخَــــــــرُوفْ

مُـــتْ فِـــي وُجُــودِ الْحَـــقِّ　　بِنَفْـــــــسِكَ حَـــــــقْ

عَـــــساكَ أَنْ تَلْحَـــــقَ　　بِمَـــــنْ قَـــــدْ سَـــبَقْ

كُـــنْ بَعْــــد ذا مُطْلَـــق　　كَمَـــــنْ صَـــــدَقْ

وَاخْلُـــصْ مِـــنَ الْمَوْقُـــوف　　وَالــــبَسْ صُــــنُوفْ

لَـــوْ أَنَّ الــصَّلاحْ بِالــصُّوفِ　　طـــــــارَ الْخَــــــرُوفْ

دَعْ عَنْـــكَ لُـــبْسِ الزيـــقْ　　مــــــاذا الطَّرِيـــــقْ؟

فَخَـــلِّ ذا التَّزْويـــقْ　　لِلزَّيْـــقِ مِيْـــقْ

بَـــلِ الطَّريـــقُ تَمْزيـــقْ　　الـــذَّاتْ حَقِيـــقْ

وَاتْـــرُكْ لِبـــاسْ مَعْـــرُوفْ　　وَالْـــبَسْ صُـــنوفْ

لَـــوْ أَنَّ الـــصَّلاحْ بِالـــصُّوفِ　　طـــارَ الْخَـــرُوفْ

قُـــوْم اكْـــسِرِ الإِبْريـــقْ　　وَاطْـــفِ الـــسِّراجْ

وَخَـــلِّ لُـــبْسَ الرِّيـــقْ　　وَأَخـــلِ الرِّبـــاطْ

لأَنَّ ذا التَّزْوِيـــــــقْ　　كُلَّـــــهُ خبـــاطْ

كُـــنْ بِـــالْعُلُومْ مَوْصـــوفْ　　وَالْـــبَسْ صُـــنوفْ

لَـــوْ أَنَّ الـــصَّلاحَ بِالـــصُّوفِ　　طـــارَ الْخَـــرُوفْ

وبالإسناد إلى سيدي علي وفا رحمه الله تعالى:

لا تَحْـــسبُوا أَنَّ الْعُـــشَّاقْ　　مَـنْ يَعْـشَقُ الْمِعْـصمَ وَالـسَّاق

أُوْلَئِـــكَ بَنُـــو آدمَ صُـــورَةْ　　وَهُـــمْ بِهـــا مَـــسْتُورَةْ

نُفُـــوسْ شَـــهوات مَقْهُـــورَةْ　　تَهْـوى الْمَعـاطِف وَالأَحْـداق

إِنَّـــا نَقُـــولُ الْحَـــقَّ الْحَـــقَّ　　مَنْ كانَ يَهْوى الْحُسْنَ الْمُطْلَق

ذاكَ الَّـــذِي يَـــصْلُحْ يَعْـــشَقْ　　[...] مَطْيُـوعْ فِـي الأَسْـواق

العِـــشْقُ حالَـــةٌ قَلْبِيَّـــةْ　　تَـــأْتِي مِـــنَ اللهِ وهْبِـــيَّةْ

نِـــسْبَةْ شَـــرِيفَةٌ عَيْنِيَّـــة　　بَـــيْنَ الْحَـــدائِقِ وَالأَحْـــداق

ومن لطائف أبي عبدالله محمد بن علي بن أحمد اليماني السودي المعروف بالهادي: أنه شبه العازفين عن محبة الله تعالى والإقبال على طاعته بالخفافيش لأنها لا تُبصر في ضوء الشمس والقمر، وما كفاه حتى جعلهم عور، فقال: [من الكان وكان]

بِـــــــاللهِ بِـــــــاللهِ زُوروا فَكُلَّمــــــا قِيــــــلَ زُوروا

وَمـــــــا رَوى ذاكَ عَنِّـــــــي إلاَّ خَفـــــافِيشُ عُـــــورُ

تَيَمَّمُـــــوا نَحْـــوَ نَجْـــدِه فَقُلْـــتُ: هَيْهـــاتَ غُـــوروا

إنَّ الْمَعــــــالِيْ غَــــــوالِي لَهــــا النُّفــــوسُ مُهــــورُ

[. . .] للحـــــق مُـــــتَّهَمٌ إذْ هُـــمْ عَـــنِ الْحَـــقِّ زُورْ

دَخَلْـــتُ مِـــصْرَ هَـــواكُمْ وَقُـــلْ: هُـــوَ اللهُ سُـــورُ

فَـــصِرْتُ فِيهـــا عَزِيـــزاً تِجـــارَتِي لا تَبُـــورُ

وَقَـــدْ أَتـــانِي بِـــأَمْنِي قَبْـــلَ الـــدُّخولِ البَـــشِيرُ

وَجـــارُكُمْ فِـــي سُـــرُورٍ يَغـــارُ مِنْـــهُ الـــسُّرورُ

حاشـــا عَلــى الْحـــالِ حاشـــا يـــا سَـــادَتِي أَنْ تَجُـــوروا

واتفق لنا في سنة أربع وألف، وقد قعد بعض المحرومين ممن يُنسب إلى العلم بالجامع الأموي في بعض الأيام آخر النهار ينتظرني حتى أخرج إلى الدرس، فيأخذ مني تفسير شيخ الإسلام الوالد وقال: لآخذنه منه وأُمزقنه، وكان قد تقوى بقرين له وافقه على الحسد،

وجاءا معاً ينتظران خروجي، فبلغني الخبر وقيل لي: لو كسرت الفتنة وتركت الدرس اليوم.

فقلت: لا والله، لا بدَّ من الخروج، والله يكفيني إياهما، واطمأننت إلى قول الله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ﴾[الصف: ٨]، فلمَّا خرجت إلى المسجد الجامع خرجا معاً هاربين من الناس، واتفق أنَّ الدرس كان في ذلك اليوم في تفسير قوله تعالى: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ﴾[آل عمران: ١٣] الآية، فقلت في هذه الحالة: [من المجتث]

إِنَّ الْخَفافِيشَ تَبْدو ... فِي جُنْحِ لَيْلِ التَّمارِي
وَلَمْ نكُنْ لِنَراها ... عِنْدَ اتِّضاحِ النَّهارِ
فَقُلْ لَها حِينَ يَشْدُو ... الْهزارُ بَيْنَ القمارِي
بِاللهِ فِي أَيِّ غابٍ ... يَكُونُ مِنْكِ التَّوارِي

وقلت: [من الكان وكان]

أَيْنَ الْخَفافِيشُ لِما ... تَجْتَنِي الأَحْرارْ
غُرَّ الثِّمارِ مِنَ الـ ... أَشْجارِ وَالأَزْهارْ
هاتِيكَ لا شَكَّ عَميا ... واتٌّ عَنْ إِبْصارْ
ضَوْءِ النَّهارِ إِذا ... أَشْرَقَ عَلى الأَقْطارْ

ويُناسب هذا ما ذكره ابن خلكان في ترجمة أبي العباس الخضر ابن عقيل الإربلي الفقيه الشافعي: أنَّ ابن أخيه عز الدين أبا القاسم نصر بن عقيل بن نصر بعد موته تولى تدريسه، وكان فاضلاً، فسخط عليه الملك المعظم صاحب إربل، وأخرجه منها، فانتقل منها إلى الموصل، فكتب إليه أبو الدر ياقوت الرومي من بغداد، وكان صاحبها: [من الطويل]

أَيـا ابْـنَ عَقِيـلٍ لا تَخَـفْ سَـطْوَةَ العِـدَى
وَإِنْ أَضَـمَرَتْ مـا أَضْـمَرَتْ مِـنْ عِنادِهـا

وَأَقْـصَتْكَ يَوْمـاً عَـنْ بِـلادِكَ فِتْيَـةٌ
رَأَتْ فِيـكَ فَـضْلاً لَـمْ يَكُـنْ فِـي بِلادِهـا

كَـذا عـادَةُ الغِرْبـانِ تَكْـرهُ أَنْ تَـرى
بَيـاضَ البُـزاةِ الـشُّهْبِ بَـيْنَ سَـوادِها

أشار بذلك إلى الجماعة الذين سعوا به حتى غيروا خاطر الملك عليه، وكان ذلك في سنة ست وست مئة؛ قاله ابن باطيش[1].

قال ابن خلكان: وفي تلك السنة خرجت الكرج على مدينة مرند، فقتلوا وسبوا وأسروا، فعمل شرف الدين محمد ولد عز الدين المذكور في إخراجهم من إربل.

---

(١) انظر: «وفيات الأعيان» لابن خلكان (٢/ ٢٣٨).

إِنْ يَكُـنْ أَخْرَجـوا النِّـساءَ مِـنَ الأَوْطـانِ

ظُلْمـــاً وَأَسْـــرَفوا فِـــي التَّعَـــدِّي

فَلَنـــا أُسْـــوَةٌ بِمَـــنْ جـــارَتِ الكَـــرْخُ

عَلَـــيْهِمْ وَأُخْرِجـــوا مِـــنْ مَرَنـــدِ[1]

وروى الإمام أحمد، والبزار عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه: أنَّ رسول الله ﷺ رأى رجلاً يشرب قائماً، فقال: «أَيَسُرُّكَ أَنْ يَشْرَبَ مَعَكَ الهِرُّ؟».

قال: لا.

قال: «فَقَدْ شَرِبَ مَعَكَ [مَنْ هُو شَرٌّ مِنْهُ] الشَّيْطَانُ»[2].

يُحتمل أنه ﷺ أراد بذلك أنَّ الإنسان إذا شرب قائماً شاركه الشيطان حقيقةً في مشروبه، فأشار إلى كراهية الشرب قائماً.

ويحتمل أنه أراد المشابهة في الشرب قائماً، وأنَّ من شرب قائماً فقد تشبه بالشيطان في ذلك كما تقدم في موضعه، وهو في ذلك متشبهٌ بالهر وغيره من الحيوانات؛ فإنَّ شأنها أنْ تشرب قائمة.

---

(١) انظر: «وفيات الأعيان» لابن خلكان (٢/ ٢٣٩).

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢/ ٣٠١)، والبزار في «المسند» (٨٨٢٣).
قال ابن حجر في «فتح الباري» (١٠/ ٨٢): فيه أبو زياد الطحان، لا يعرف اسمه، وقد وثقه يحيى بن معين.

وحاصل معنى الحديث: أنَّ النبي ﷺ نفَّر الإنسان من فعل يُشاركه فيه الشيطان والهر ونحوه، أو يُماثله فيه، ومن شأن الحكماء والعقلاء تنفير النفوس مما يشاركها فيه البهائم والسباع كما سبق.

وقال الفرزدق: [من الوافر]

رَأَيْتُ النَّاسَ يَزْدادُونَ يَوْماً

وَيَوْماً فِي الْجَمِيلِ وَأَنْتَ تَنْقُصْ

كَمَثَلِ الْهِرِّ فِي صِغرٍ يُغالَى

بِهِ حَتَّى إذا ما شَبَّ يَرْخُصْ

فيه التحذير من الانتقال من الحال الجميلة التي استصحبها الإنسان في صغره، ثم عدل إلى ضدها في كبره.

وفي المعنى ما تقدم في تشبه الكبير بالصغير من قول القائل: [من الطويل]

أَطَعْتُ الْهَوى عَكْسَ الْقَضِيَّةِ لَيْتَنِي

خُلِقْتُ كَبِيراً وَانْقَلَبْتُ إِلَى الصِّغَرْ

وكذلك حال من ابتذل جماله في صباه بالهوى، فَخضعَتْ لجماله الرجال، وتعزز عليهم بأنواع الدلال، ثم عاد بعد الالتحاء إلى ذل الهجر واللفظ، والابتذال بالحال واللفظ، وأكثر ما يؤول من أوله جمال منتاب إلى أن يكون آخراً خداماً، أو قواداً، أو ساعياً، أو طفيلياً مدفوعاً بالأبواب، أو منبوذاً، أو ممقوتاً بين الأصحاب.

ومن لطائف الفقيه عمارة اليمني قصيدته التي كتبها إلى الكامل ابن شاور السعدي، وكان بينه وبينه صحبة متأكدة قبل وزارة أبيه، فلما وزر استحال عليه، فكتب إليه: [من الطويل]

إِذا لَــمْ يُــسالِمْكَ الزَّمـــانُ فَحــارِبِ

وَباعِــدْ إِذا لَــمْ تَنْتَفِــعْ بِالأَقــارِبِ

وَلا تَحْتَقِــرْ كَيْــداً ضَــعِيفاً فَرُبَّمــا

تَمُــوتُ الأَفــاعِي مِــنْ حُمــامِ العَقــارِبِ

فَقَــدْ هَــدَّ قِــدْماً عَــرْشَ بَلْقِــيسَ هُدْهُــدٌ

وَخَــرَّبَ فَــأْرٌ قَبْــلَ ذا سَــدَّ مــأْرِبِ

إِذا كــانَ رَأْسُ الْمــالِ عُمْــرَكَ فْــاحْتَرِزْ

عَلَيْــهِ مِــنَ الإِنْفــاقِ فِــي غَيْــرِ واجِــبِ

فَبَــيْنَ اخْــتِلافِ اللَّيْــلِ وَالــصُّبْحُ مَعْــرِكٌ

يَكُــرُّ عَلَيْنــا جَيْــشُهِ بِالْعَجائِــبِ

وَمــا راعَنِــي غَــدْرُ الــشَّبابِ لأَنَّنِــي

أَنِــسْتُ بِهــذا الْخَلْــقِ مِــنْ كُــلِّ جانِــبِ

وَغَــدْرُ الفَتَــى فِــي عَهْــدِهِ وَوفائِــهِ

وَغَــدْرُ الْمواضِــي فِــي نبــوءِ الْمــضارِبِ

إلى أنْ قال فيها:

إذا كـــانَ هَـــذا الـــدُّرُّ مَعْدِنُـــهُ فَمِـــي
فَـــصونُوهُ عَـــنْ تَقْبـــيلِ راحَـــةِ واهِـــبِ

رَأَيْـــتُ رِجـــالاً أَصْـــبَحَتْ فِـــي مَـــآدِبٍ
لَـــدَيْكُمْ وَحـــالِي وَحْـــدها فِـــي نَـــوادِبِ

تَـــأَخَّرْتُ لَمَّـــا قَـــدَّمَتْهُمْ عُلاكُـــمُ
عَلَـــيَّ وَتَـــأْبَى الأُسْـــدُ سَـــبْقَ الثَّعالِـــبِ

تُـــرى أَيْـــنَ كـــانُوا فِـــي مَـــواطِنِي الَّتِـــي
غَـــدَوْتُ لَكُـــمْ فِـــيهِنَّ أَكْـــرَمَ نائِـــبِ

لَيـــالِيَ أَتْلُـــو ذِكْـــرَكُمْ فِـــي مَجـــالِسٍ
حَـــديثُ الـــوَرَى فِيهـــا بِغَمْـــزِ الْحَواجِـــبِ[1]

ومن أبيات الحماسة لقطري بن الفجاءة الخارجي يخاطب نفسه:

[من الوافر]

أَقُـــولُ لَهـــا وَقَـــدْ طـــارَتْ شَـــعاعَاً
مِـــنَ الأَبْطـــالِ: وَيْحَـــكِ لا تُراعِـــي

(١) انظر: «وفيات الأعيان» لابن خلكان (٣/ ٤٣٤).

فَإِنَّكِ لَوْ سَأَلْتِ بَقاءَ يَوْمٍ
عَلى الأَجَلِ الَّذِي لَكِ لَنْ تُطَاعِي

فَصَبْراً فِي مَجالِ الْمَوْتِ صَبْراً
فَما نَيْلُ الْخُلُودِ بِمُستَطاعِ

وَلا ثَوْبُ البَقاءِ بِثَوْبِ عِزٍّ
فَيَطْوِي عَنْ أَخِي الْخَنَعِ اليَراعِ

سَبِيلُ الْمَوْتِ غايَةُ كُلِّ حَيٍّ
وَداعِيهِ لأَهْلِ الأَرْضِ داعِي

وَمَنْ لا يُعْتَبَطْ يَسْأَمْ وَيَهْرَمْ
وَتُسْلِمُهُ الْمَنُونُ إِلَى انْقِطاعِ

وَما لِلْمَرْءِ خَيْرٌ فِي حَياةٍ
إِذا ما عُدَّ مِنْ سَقَطِ الْمَتاعِ[1]

الخنع ـ بالخاء المعجمة، والنون ـ: الخضوع.

واليراع في الأصل: جمع يراعة، وهو ذباب يطير بالليل كأنه نار، وفي النهار كسائر الذباب، ثم قيل للجبان: يراع، ويراعة؛ لوهنه

---

(١) انظر: «ديوان الحماسة» للتبريزي (١/ ٢٤)، و«نهاية الأرب» للنويري (٣/ ٢١٥).

وجُبْنه، وإياه عَنى في البيت، ويُقال: للأحمق يراعة أيضاً.

ويُقال في المثل: أخف من يراعة؛ وهي الذباب، أو القصبة.

وقد اشتهر تشاؤم الناس جاهلية، وتشاؤم جهلتهم إسلاماً بالبوم، والغراب، والطاووس، وبارح الطير، والوحش.

والحقُّ أنه لا طِيرَة، وأنَّ الطِيرَة شرك، وأنَّ مَنْ تطير طير له.

وسبق الكلام على ذلك، وعلى الحديث: «الطِّيَرَةُ فِي الْمَرْأَةِ، وَالْمَسْكَنِ، وَالدَّابَّةِ».

ونقل بعض العارفين معنى غراب البين إلى البعير الذي عليه تنزح الأحباب عن الأحباب، حتى قال بعضهم: ما غرابُ البَيْنِ إلا ناقة أو جمل.

ومما فتح الله تعالى به عليَّ، وألقاه توفيقه وإلهامه إليَّ أنْ قلت:

[من المجتث]

| | |
|---|---|
| الذَّنْبُ أَشْأَمُ عِنْدِي | مِنْ شُؤْمِ كُلِّ غُرابِ |
| لا يَذْهَبُ الشُّؤْمَ عَنِّي | إِلاَّ بِيُمْنِ الْمَتابِ |

ومن أعجب الأشياء: أنَّ الطاووس مع حُسنه تتشاءم الناس به.

قال السيوطي: كأنه لكونه سبباً لدخول إبليس الجنة، وخروج آدم منها، انتهى.

فالشؤم ما نقله من حالٍ شريف أو مكانٍ كريم إلى ضده، ولا يكون العبد على حالٍ شريفة ولا مرتبةٍ منيفة إلا حيث كان مُطيعاً لله

تعالى، فلذلك قال أبو سليمان الداراني رحمه الله تعالى: ما شغلك عن الله من أهل، أو ولدٍ، أو مالٍ فهو عليك شؤم.

وقالوا في المثل: أشأم من طاووس، وهو الطير بعينه.

وأشأم من طويس، وهو طويس المغني من موالي آل كريز، وهو مولى أروى بنت كريز، وهي أم عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه، واسمه عيسى بن عبداه، وقيل: عبد الملك، وكنيته: أبو عبد المنعم، وغَيَّرها المخنثون إلى عبد النعيم[1].

قال الجوهري: والطاووس طائر، ويُصغر على طوس بعد حذف الزيادات.

قال: وقولهم: أشأم من طوس، وهو مخنث كان بالمدينة، وقال: يا أهل المدينة! توقعوا خروج الدجال ما دُمْتُ حياً بين أَظْهركم، فإذا مِتُّ فقد أمنتم لأني [ولدت] في الليلة التي مات فيها رسول الله ﷺ، وفطمْتُ في اليوم الذي مات فيه أبو بكر ﷺ، وبلغت الحلم في اليوم الذي مات فيه عمر رضي الله تعالى عنه، وتزوجت في اليوم الذي قُتل فيه علي رضي الله تعالى عنه.

قال: وكان اسمه طاووساً، فلما تخنث جعله طويساً، وتسمى بعبد النعيم، وقال في نفسه: [من مجزوء الرمل]

إِنَّنِــــي عَبْـــــدُ النَّعِـــيمِ ... أَنَـــا طَـــاوُوسُ الْجَحِـــيمِ

---

(١) انظر: «وفيات الأعيان» لابن خلكان (٣/ ٥٠٦).

وَأَنَــا أَشْــأَمُ مَــنْ يَمْــ ـــشِي عَلَـى ظَهْـرِ الْحطِـيمِ[1]

وذكر صاحب «القاموس»: أنَّ طويساً أول من غنَّى في الإسلام.

قال: وكان يقول: إنَّ أمي كانت تمشي بالتمائم بين نساء الأنصار، ثم وَلَدَتْني في الليلة التي مات فيها رسول الله ﷺ، وفطمتني يوم مات أبو بكر رضي الله تعالى عنه، وبلغت الحلم يوم مات عمر رضي الله تعالى عنه، وتزوجت يوم قُتل عثمان رضي الله تعالى عنه، ووُلِدَ لي في يوم علي رضي الله تعالى عنه، فمَنْ مثلي[2].

وذكر ابن خلكان نحو ذلك، وأنه ختَن يوم قُتل عمر، وأنه وُلد له يوم قُتل علي.

وقيل: بل اليوم الذي مات فيه الحسن بن علي رضي الله عنهما، ولعله ولد له مولودان في الوقتين.

قال ابن خلكان: وكان طويس من المبرِّزين في الغناء المجيدين فيه.

قال: وكان مُفرطاً في الطول، مضطرباً في خلقه، أحول العين، أقعس يسكن المدينة، ثم انتقل عنها إلى السويداء، وهي على مرحلتين في طريق الشام، فلم يزل بها حتى توفي سنة اثنتين وتسعين للهجرة، انتهى[3].

قلت: ولعله من هنا قيل: ما في السويداء رجالٌ.

---

(١) انظر: «الصحاح» للجوهري (٣/ ٩٤٥) (مادة: طوس).

(٢) انظر: «القاموس المحيط» للفيروز آبادي (ص: ٧١٥) (مادة: طوس).

(٣) انظر: «وفيات الأعيان» لابن خلكان (٣/ ٥٠٧).

ولطف ابن الوردي في قوله معتذراً عن مقاطيعه التي عملها في الغلمان: [من السريع]

وَاللهِ مـا الْمُـرْدُ مُـرادِي، وَإِنْ نَظَمْـتُ فِـيْهِمْ كَعُقُـودِ الـلآَّلْ
مـا فِـي سُـوَيدائيَ إِلاَّ النِّـسا ما حِيْلَتِي ما فِي السُّوَيْدا رِجالْ[1]

ومن ألطف ما قيل في ذم الشاعر ما ينسب للإمام الشافعي رضي الله عنه:
[من الكامل]

عِنْـدِي يَواقِيـتُ القَـرِيضِ وَدُرُّهُ وَعَلَـيَّ إِكْلِيـلُ الْكَـلامِ وَتاجُـهُ
تَرْبَى عَلى رَوْضِ الرُّبى أَزْهـارُهُ ويَرِفُّ فِي نادِي النَّـدى دِيْباجُـهُ
وَالشَّاعِرُ الْمِنْطِيقُ أَسْـودُ سـالِخٌ وَالـشِّعْرُ مِنْـهُ لُعابُـهُ وَمُجاجُـهُ
وَعَـداوةُ الـشُّعَراءِ داءٌ معـضِـلٌ وَلَقَدْ يَهُونُ على الكَرِيْمِ عِلاجُهُ[2]

ومن أمثال العرب: أنكحنا الفرا فسوف يُرى؛ يُضرب في الحذر من سوء العاقبة.

وأصله: أنَّ رجلاً خطب إلى رجلٍ ابنته، فأبى أن يزوجها، ورضيَتْ أمها فزوجت منه، فقال الأب: أنكحنا الفرا فسوف يُرى، والفرا العير؛ أي: زوجنا مَنْ لا خير فيه كأنه حمار، فسيعلم كيف

---

(١) انظر: «النجوم الزاهرة» لابن تغري (١٥/ ١٩٠) لكنه نسب الأبيات لابن نباتة.

(٢) انظر: «وفيات الأعيان» لابن خلكان (٤/ ١٦٧).

تكون العاقبة.

وقيل: يُضرب في طلب الحاجة من رجل عظيم، وانتظار ما يكون منه[1].

والفرا مهموز، إلا أنه خُفف في المثل.

قال في «الصحاح»: وقد أبدلوا من الهمزة الفاء فقالوا: أنكحنا الفرا فسترى[2].

وذكر ابن خلكان في ترجمة أبي القاسم هبة الله بن الفضل، الشاعر المعروف بابن القطان: أنَّ الوزير شرف الدين أبا الحسن علي ابن طراف الزينبي لمَّا ولي الوزارة دخل عليه ابن الفضل المذكور والمجلس محتفل للهنا، فوقف بين يديه، ودعا له، وأظهر السرور والفرح، ورقص، فقال الوزير لبعض مَنْ يُفضي إليه سرَّه: قبح الله هذا الشيخ؛ فإنه يُشير برقصه إلى ما تقول العوام في أمثالها: ارقص للقرد في زمانه؛ وتقدم لنا ذكر المثل[3].

ولنا فيما ابتُلي به عقلاء الناس من مداراة رذال الناس الذين صاروا رؤساء، ورُدَّت إليهم الأمور، وصاروا هم الصدور: [من مجزوء الخفيف]

---

(١) انظر: «المستقصى في أمثال العرب» للزمخشري (١/ ٤٠١).

(٢) انظر: «الصحاح» للجوهري (١/ ٦٣) (مادة: فرأ).

(٣) انظر: «وفيات الأعيان» لابن خلكان (٦/ ٥٨).

عَجَبــاً مِــنْ زَمانِنــا ... أيْــنَ مَــنْ فِيــهِ يَخلُــصُ؟
كُــلُّ ذي نُهْبَــةٍ بِــهِ ... باهْتِمــامٍ مُخَــصَّصُ
كَــمْ تَــراهُ مُــدارياً ... وَالْمُــدارى مــنغَّصُ
ذُلَّ لِلــدَّهْرِ يــا لَــهُ ... كَيْــفَ تَلْقــاهُ يمغُــصُ
فَهْــوَ كَالْكَلْــبِ كُــلَّ يَــوْ ... مٍ لِقِــرْدٍ يُبَــصْبِصُ
كُــلُّ مَــنْ صَــفَّرَ الزمــا ... نُ لَــهُ قــامَ يَــرْقُصُ
كُــنْ بعيــداً عَــنِ الــوَرى ... فَهْــوَ لِلْمَــرْءِ أَخْلَــصُ
مــا عَــلا غَيــرُ مَــنْ عــلا ... دِيْنُــهُ الآنَ يحــرِصُ
فَهْــوَ بِــاللهِ مفــردٌ ... وَهْــوَ لِلَّــهِ مُخْلِــصُ

وقيل: مكتوبٌ على عرش بلقيس: [من المتقارب]

سَتَأْتِي سنونَ هِيَ الْمُعْضِلاتُ ... يُــراعُ مِــنَ الْهرعَــةِ الأَجْــدَلُ
وَفِيهــا يُهِــيْنُ الــصَّغِيرُ الكَبِــيرَ ... وَذُو الْحِلْــمِ يُــسْكِتُهُ الأَجْهــلُ(١)

الهرعة ـ بالراء ـ: القملة.

والأجدل: الصقر.

وروى ابن عساكر عن علي رضي الله تعالى عنه: أنَّ النبي ﷺ

---

(١) انظر: «حياة الحيوان الكبرى» للدميري (٢/ ٥٢٩).

قال: «يَأْتِيْ عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يَكُوْنُ الْمُؤْمِنُ فِيْهِ أَذَلَّ مِنْ شَاتِهِ»(١).

وروى الطبراني عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يَأْتِيْ عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ هُمْ ذِئَابٌ، فَمَنْ لَمْ يَكُنْ ذِئْباً أَكَلَتْهُ الذِّئَابُ»(٢).

وقال بعضهم: [من الطويل]

عَوى الذِّئْبُ فَاسْتَأْنَسْتُ لِلذِّئْبِ إِذْ عَوى
وَصَوَّتَ إِنْسانٌ فَكِدْتُ أَطِيْرُ(٣)

وقال آخر: [من الخفيف]

لَيْتَ شِعْرِي كَيْفَ الْخَلاصُ مِنَ النَّا
سِ وَقَدْ أَصْبَحُوا ذِئابَ اعْتِداءِ
قُلْتُ لَمَّا بَلاهُمُ صِدْقُ صَبْرِي
رَضِيَ اللهُ عَنْ أَبِي الدَّرْداءِ(٤)

---

(١) رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٥٤/ ٤١٤)، وكذا الديلمي في «مسند الفردوس» (٥/ ٤٣٩).

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٧٣٦). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨/ ٨٩): فيه من لم أعرفه، وزياد الفهري مختلف فيه.

(٣) البيت للأحيمر السعدي، كما في «الشعر والشعراء» لابن قتيبة (ص: ١٦٨).

(٤) انظر: «حياة الحيوان الكبرى» للدميري (١/ ٥٠١).

لَمَّحَ بما صحَّ عن أبي الدرداء رضي الله تعالى عنه أنه قال: وجدتُ الناس: اخْبُرْ تَقْلُهُ[1].

وسيأتي في ذلك مزيد كلام.

وروى الديلمي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «يَأْتِيْ عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يُقْتَلُ العُلَمَاءُ كَمَا تُقْتَلُ الكِلاب، فَيَا لَيْتَ العُلَمَاءَ فِيْ ذَلِكَ الزَّمَانِ تَحَامَقُوْا»[2].

وروى ابن السني عن جابر رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يَسْتَخْفِيْ المُؤْمِنُ فِيْهِمْ كَمَا يَسْتَخْفِي المُنَافِقُ فِيْكُمُ اليَوْمَ»[3].

وروى الديلمي عن علي ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «يَأْتي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ لا يُتَّبَعُ فِيْهِ العَالِمُ، وَلا يُسْتَحْيَى فِيْهِ مِنَ الحَلِيْمِ، وَلا يُوَقَّرُ فِيْهِ الكَبِيْرُ، وَلا يُرْحَمُ فِيْهِ الصَّغِيْرُ، يَقْتُلُ بَعْضُهُمْ بَعْضاً عَلَىْ الدُّنْيَا، قُلُوْبُهُمْ قُلُوْبُ الأَعَاجِمِ، وَأَلْسِنَتُهُمْ أَلْسِنَةُ العَرَبِ، لا يَعْرِفُوْنَ مَعْرُوْفاً، وَلا يُنْكِرُوْنَ مُنْكَراً، يَمْشِيْ الصَّالِحُ فِيْهِمْ مُسْتَخْفِياً؛ أُوْلَئِكَ شِرَارُ خَلْقِ اللهِ، لا يَنْظُرُ اللهُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ القِيَامَةِ»[4].

وروى الحافظ أبو عبدالله محمد بن قايماز الذهبي في «الميزان»

---

(1) رواه ابن المبارك في «الزهد» (1/ 61).

(2) رواه الديلمي في «مسند الفردوس» (8671).

(3) تقدم تخريجه.

(4) رواه الديلمي في «مسند الفردوس» (8681).

بسند واه، عن أنس رضي الله تعالى عنه ـ موقوفاً عليه ـ قال: كيف أنتم إذا كان زمَان الأمير فيه كالأسد الأسود، والحاكِم فيهِ كالذِّئب الأَمعطِ، والتَّاجر كالكَلبِ الهرارِ، والمؤْمِن بينهم كالشَّاةِ الوَلهاءِ بينَ الغَنَمَينِ، ليس لها مأوى، فكيف حال شاة بين أسد وذئب وكلب[1]؟

وروى ابن أبي الدنيا عن سعيد بن عبد العزيز قال: قيل لأبي أسيد الفزاري: من أين تعيش؟

فحمد الله وكبره وقال: يرزق الله الكلب والخنزير، ولا يرزق أبا أسيد[2].

قلت: فيه تنبيه على أنَّ الرزق في الدنيا مقسوم فيها لكل حيوان، فلا ينبغي للعاقل أن يهتم به، وهو مضمونٌ لمن يَعْقِل ولمَنْ لا يَعقل.

وأجاد أبو تمام في قوله: [من الطويل]

فَلَوْ كانَتِ الأَرْزاقُ تَجْرِي عَلى الْحِجَى
هَلَكْنَ إِذاً مِنْ جَهْلِهِنَّ البَهائِمُ[3]

وقال الطغرائي: [من البسيط]

قَدْ رَشَّحوكَ لأَمْرٍ لَوْ فَطِنْتَ لَهُ
فَارْبَأْ بِنَفْسِكَ أَنْ تَرْعى مَعَ الْهَمَلِ[4]

---

(١) رواه الذهبي في «ميزان الاعتدال» (١/ ٢٣٥) مرفوعاً، وقال: أحمد بن زرارة المدني، لا يعرف، وخبره باطل، لكن السند إليه مظلم.

(٢) ورواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٦٦/ ١٢).

(٣) انظر: «ديوان أبي تمام» (ص: ١٨٢).

(٤) انظر: «معجم الأدباء» لياقوت الحموي (٣/ ١٥٧).

قال في «الصحــاح»: الهمل ـ بالتحريـك ـ: الإبـل بلا راعٍ مثل النفش، إلا أنَّ النفش لا يكون إلا لَيلاً، والهمل يكون ليلاً ونهاراً.

يقال: إبل همل، وهامل، وهمال، وهوامل، وتَركتها هملاً؛ أي: سُدى إذا أرسلتها ترعى ليلاً ونهاراً بلا راعٍ[1].

وفي المثل: اختلط الرعي بالهمل، والرعي الذي ليس له راعٍ.

وقال: نفشت الإبل والغنم، تنفش، وتنفش نفوشاً؛ أي: دعت ليلاً بلا راعٍ، وهي إبل نفش ـ بالتحريك ـ ونفاش، ونوافش[2].

ويُقال: إبل سُدى ـ بالضم، وقد تُفتح ـ أي: مهملة[3].

وفي كتاب الله تعالى: ﴿أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَن يُتۡرَكَ سُدًى﴾ [القيامة: ٣٦].

وقال المتنبي: [من البسيط]

وَشَــرُّ مـــا قَنَـــصَتْ راحَتِـــي قَـــنَصٌ
شُـــهْبُ البـــزاةِ ســـواءٌ فِيـــهِ وَالـــرَّخَمُ[4]

وقال أبو العلاء المعري: [من الطويل]

---

(١) انظر: «الصحاح» للجوهري (٥/ ١٨٥٤) (مادة: همل).

(٢) انظر: «الصحاح» للجوهري (٣/ ١٠٢٢) (مادة: نفش).

(٣) انظر: «الصحاح» للجوهري (٦/ ٢٣٧٤) (مادة: سدي).

(٤) انظر: «يتيمة الدهر» للثعلبي (١/ ١٤٨).

وَهَـــلْ يَـــدَّخِرُ الــضِّرْغامُ قُوتــاً لِيَوْمِــهِ

إذا ادَّخَـــرَ النَّمْـــلُ الطَّعـــامَ لِعَامِـــهِ

وقال آخر: [من الوافر]

وَلِلزُّنْبـــــورِ وَالبـــــازِيْ جَميعــــاً

لَـــدى الطَّيَـــرانِ أَجْنِحَـــةٌ وَخَفْـــقُ

وَلَكِـــنْ بَـــيْنَ مـــا يُـــصْطادُ بـــازٍ

وَمـــا يَـــصْطادُ الزُّنْبـــورُ فَـــرْقُ[1]

وقال المهذب أبو عبدالله محمد بن أبي الحسن بن يمان الأنصاري المعروف بابن الإردخل نزيل ميّافارقين: [من الطويل]

أَقُـــولُ وَقَـــدْ قـــالُوا: نَـــراكَ مُقَطِّبـــاً

إذا مـــا ادَّعَـــى دِيـــنَ الْهَـــوى غَيْـــرُ أَهْلِـــهِ

يَحِـــقُّ لِـــدُودِ القَـــزِّ يَقْتُـــلُ نَفْـــسَهُ

إذا جـــاءَ بَيْـــتُ الْعَنْكَبُـــوتِ بِمِثْلِـــهِ[2]

وفي معناه قول الجمال أبي محمد القاسم بن عمر بن منصور الواسطي نَزِيْلِ حلب: [من مجزوء الرمل]

---

(١) البيتان للحسين بن عبدالله بن رواحة، كما في «معجم الأدباء» لياقوت الحموي (٣/ ١٥١).

(٢) انظر: «وفيات الأعيان» لابن خلكان (٧/ ٤٢).

حُـــــقَّ دُوْدُ القَـــــزِّ يَبْنِـــــي
فَوْقَـــــهُ ثُـــــمَّ يَمُـــــوتُ
بَعْـــــدما سَـــــدَّى وَقَـــــدْ
صَـــــارَ يُـــــسْدِي الْعَنْكَبُـــــوتُ[1]

وقال آخر: [من الوافر]

إِذا شُـــورِكْتَ فِـــي أَمْـــرٍ بِـــدُونٍ
فَـــلا يَلْحَقْـــكَ عَـــارٌ أَوْ نُفُـــورُ
فَفِـــي الْحَيَـــوانِ يَـــشْتَرِكُ اضْـــطِراراً
أَرســـطالِيسُ وَالكَلْـــبُ العَقُـــورُ[2]

وقال المظفر بن علي: [من مجزوء الكامل المرفّل]

لا عَـــارَ أَنْ أَعْـــرى وَغَيْـــ
ـــرِي فِـــي ثِيـــابِ الوَشْـــيِ رافِـــلْ
إِنَّ الْحَمـــــائِمَ ذاتُ أَطْـــــ
ـــواقٍ وَجِيْـــدُ البـــازِ عاطِـــلْ

وقال الباخرزي: [من الكامل]

---

(١) انظر: «وفيات الأعيان» لابن خلكان (٧/ ٤١).
(٢) انظر: «وفيات الأعيان» لابن خلكان (٧/ ٤٢).

لا تُنْكِــــرِي يـــا عَـــزُّ إِنْ ذُلَّ الفَتَـــى

ذُو الأَصْـــلِ وَاسْــتَعْلَى لَئِــيمُ الْمَحْتِـــدِ

إِنَّ البُـــــزاةَ رُؤُوسُـــــهُنَّ عَواطِـــــلٌ

وَالتَّـــاجُ مَعْقُـــودٌ بِـــرَأْسِ الْهُدْهُـــدِ[1]

وفي المعنى: [من المنسرح]

لا تَنْـــأَ عَنِّــــي أَنْ تَـــرَى خَلَقِــــي

فَإِنَّمـــا الـــدُّرُّ داخِـــلَ الـــصَّدَفِ[2]

وقال جرير: [من البسيط]

وَابْـــنُ اللَّبُـــونِ إِذا مـــا لُـــزَّ فِـــي قَـــرَنٍ

لَـــمْ يَـــسْتَطِعْ صَـــوْلَةَ البُـــزْلِ القناعِيسِ

وهو في معنى المثل: قمقامة حكت بجلد البازل؛ يُضرب للضعيف الذليل يحتك بالقوي العزيز؛ قاله الدميري، والسيوطي[3].

وحُكِي أن سفيان بن عُيينة قال في مسألةٍ قال فيها بشيء، فقيل

---

(١) انظر: «دمية القصر» للباخرزي (١/ ٦٥١).

(٢) انظر: «حلية الأولياء» لأبي نعيم (١٠/ ٣١٩).

(٣) انظر: «حياة الحيوان الكبرى» للدميري (٢/ ٣٥٩).

له: إنَّ مالكاً قال فيها بخلاف قولك، فقال: ما مثلي ومثل مالك إلا كما قال الأول، وأنشد بيت جريرٍ المذكور[1].

وأخبرت بأنَّ الشيخ علاء الدين علي بن إسماعيل المعروف بابن الوين، وبابن عماد الدين، وكان له صَوْلة، قال لرجلٍ دُوْنه خاصمه في شيء: فُرَيْرِيجٌ تقاوم البازات.

وقال أبو المظفر بن السمعاني: أنشدنا والدي قال: أنشد سعيد ابن المبارك النحوي لنفسه: [من الطويل]

أَرى الفَــضْلَ ســاعٍ فِــي تَــأَخُّرِ أَهْلِــهِ

وَجَهْــلُ الفَتَــى يَــسْعَى لَــهُ فِــي التَّقَــدُّمِ

كَـــذاكَ أَرى الْخفَّـــاشَ يُنْجِيْـــهِ عَيُّـــهُ

وَيَحْتَبَـــسُ القُمْـــرِيَّ طيـــبُ التَّـــرنُّمِ[2]

وقال القاضي ناصح الدين الأرجاني: [من الكامل]

لَــوْ كُنْــتُ أَجْهَــلُ مــا عَلِمْــتُ لَــسَرَّنِي

جَهْلِــي كَمــا قَــدْ سَــاءَنِي مــا أَعْلَــمُ

---

(١) روى نحوه ابن خزيمة في «صحيحه» (٧٥).

(٢) انظر: «خريدة القصر وجريدة العصر» للعماد الأصبهاني (٣/ ١٩)، و«حياة الحيوان الكبرى» للدميري (٢/ ٣٥١).

كَالــصَّعْوِ[1] يَرْتَــعُ فِــي الرِّيــاضِ وَإِنَّمــا
حُبِــسَ الْهَــزَارُ لأَنَّــهُ يَتَــرَنَّمُ[2]

وأقول كالمخالف له: [من الكامل]

لَــوْ كُنْــتُ أَعْلَــمُ مــا جَهِلْــتُ لَــسَرَّنِي
عِلْمِــي وَلَــيْسَ يَــسُوؤُنِي مــا أَعْلَــمُ
كَالبــازِ تَرْفَعُــهُ الْمُلُــوكُ لِعِلْمِــهِ
وَالــصَّعوُ فِــي الْحرجــاتِ ضــاوٍ مُحَجَّــمُ

وقال الشاعر: [من البسيط]

لَــيْسَ الْمُقَــامُ بِــدَارِ الــذُّلِّ مِــنْ شِــيَمِي
وَلا مُعَاشَــرَةُ الأَنْــذالِ مِــنْ هِمَمِــي
وَلا مُعاشَــرةُ الأَنْــذالِ تَجْمُــلُ بِــي
كَــذَلِكَ البــازُ لا يَــأْوِي مَــعَ الــرَّخَمِ[3]

ولبعض الشعراء في الحجاج بن يوسف، وقد كان الحجاج هرب في بعض الوقائع مع شبيب من غزالة امرأة شبيب، وكانت تُقاتل في

(١) الصعو: جمع صعوة: طائر من صغار العصافير، أحمر الرأس.
(٢) انظر: «وفيات الأعيان» لابن خلكان (١/ ١٥٤).
(٣) انظر: «حياة الحيوان الكبرى» للدميري (١/ ١٥٩).

الحروب بنفسها: [من الكامل]

أَسَـــدٌ عَلَـــيَّ وَفِـــي الْحُـــرُوبِ نَعامَـــةٌ
فَتخـــا تُرَفْــرِفُ مِـــنْ صَـــفِيرِ الـــصَّافرِ

هَـــلاَّ بَـــرَزْتَ إِلَـــى غَزالَـــةَ فِـــي الوَغـــا
بَـــلْ كـــانَ قَلْبُـــكَ فِـــي جَنـــاحَيْ طـــائِرِ[1]

وقال عمران بن عصام العَنَزي لعبد الملك بن مروان يعني: الحجاج بن يوسف: [من الكامل]

وَبَعَثْـــتَ مِـــنْ وَلَـــدِ الأَغَـــرِّ معتـــبٍ
صَـــقْراً يَلُـــوذُ حمَامُـــهُ بالعَوْسَـــجِ

فَـــإِذا طَبَخْـــتُ بنـــارِهِ أَنْـــضَجْتُهُ
وَإِذا طُبِـــخَتْ بِغَيْرِهـــا لـــم تَنْـــضجِ[2]

يُشير إلى المثل السَّائر: صقرٌ يَلُوذ حمامُهُ بالعوسج؛ قال القمي: يُضرب للرجل الذي تهابه الناس[3].

---

(١) البيتان لعمران بن حطان السدوسي، كما في «الأغاني» للأصبهاني (١٨/ ١٢٢)، و«حياة الحيوان الكبرى» للدميري (٢/ ٢٥٢).

(٢) انظر: «الأغاني» للأصبهاني (١٧/ ٢٧٨)، و«المستقصى في أمثال العرب» للزمخشري (٢/ ١٤٢).

(٣) انظر: «المستقصى في أمثال العرب» للزمخشري (٢/ ١٤١).

وقال الحارث بن حِلِّزة: [من الكامل]

وَمُدامَـــةٍ قرَّعْتُهـــا بِمُدامـــةٍ وَظِباءِ محنيـةٍ ذَعَـرتْ بِسَمحجِ
وَكَـــأنَّهُنَّ لآلِـــيءُ وَكَأَنَّـــهُ صَـقْرٌ يَلُـوذُ حمامُـهُ بِالعَوْسَـجِ
صَـقْرٌ يَـصِيدُ بِظُفْـرِهِ وَجَناحِـهِ فَإِذا أَصابَ حَمامَةً لَمْ تـدرُجِ[1]

والعوسج: شجر له شوك، وإنما قيل في المثل: يَلُوذ حمامه بالعوسج؛ لأنه مُتداخل الأغصان، فالطير يلُوذ به من الجوارح.

ولطف ابن قلاقس في قوله من قصيدة يمدح فيها القاضي الفاضل عبد الرحيم: [من السريع]

وَعـــاذِلٍ دَامَ دوامَ الـــدُّجَى بَهِيمَـــةً نادَمْتُهـــا فِـــي بَهِـيمْ
يَغِيظُنِــي وَهْــوَ عَلــى رِسْـلِهِ وَالْمَرْءُ فِـي غَـيْظِ سِـواهُ حَلِـيمْ
قُلْــتُ لَــهُ لَمَّــا عــدا طَـورَهُ وَالقَلْبُ مِنْهُ فِي العَذابِ الأَلِـيمْ
اعْــذُرْ فُــؤادِي إِنَّــهُ شــاعِرٌ مِنْ حُبِّـهِ فِي كُـلِّ وادٍ يَهِـيمْ[2]

ودخل صقلية فاتصل بأبي القاسم بن الحجر، فأحسن إليه، فلما فارق صقلية راجعاً إلى الديار المصرية ـ وكان في زمن الشتاء ـ ردته الريح إلى صقلية، فكتب إلى أبي القاسم المذكور: [من مجزوء الكامل المرفّل]

---

(١) انظر: «المفضليات» للضبي (ص: ٢٥٦).

(٢) انظر: «وفيات الأعيان» لابن خلكان (٥/ ٣٨٤).

مَنَعَ الشِّتاءُ مِنَ الوُصُو ... لِ مَعَ الرَّسُولِ إِلَى دِيارِي
فَأَعادَنِي وَعَلَى اخْتِيا ... رِي العَودُ مِنْ غَيْرِ اخْتِيارِي
وَلَرُبَّما وَقَعَ الْحِما ... رُ فَكانَ مِنْ غَرَضِ الْمُكارِي[1]

ولطف الشهاب فتيان بن علي بن فتيان، الشاعر المعروف بالشاغوري في قوله وقد دخل حمَّاماً شديد الحرارة، وكان قد شاخ وكبر؛ كما أورده والذي قبله ابن خلكان: [من المتقارب]

أَرَى ماءَ حَمَّامِكُمْ كَالْحَمِيمِ ... نُكابِدُ مِنْهُ عَناءً وَبُؤْساً
وَعَهْدِي بِكُمْ تَسمطونَ الْجِدَى ... فَما بالُكُمْ تَسْمُطونَ التُّيوسا[2]

ومن أمثال العوام: كم كبش في المرعى! وكم جدي في المسمط! يُضرب في أنَّ الموت بالأجل يلحق الصغار والكبار، وربما كان منه في الصغار أكثر منه في الكبار.

وذكر الغزالي في «الإحياء»: أنَّ سفيان الثوري رحمه الله تعالى كان إذا شبع أحيا تلك الليلة، وكان يقول: [من مجزوء الرمل]

أَشْبِعَ الزُّنْجِيَّ وكَدُّهْ ... إِنَّما الزُّنْجِيْ حِمارُ[3]

وروى أبو نعيم عن جبير بن نفير رحمه الله تعالى: أنَّ نفراً قالوا لعمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه: ما رأينا رجلاً أقْضى بالقسط،

---

(١) انظر: «وفيات الأعيان» لابن خلكان (٥/ ٣٨٨).
(٢) انظر: «وفيات الأعيان» لابن خلكان (٤/ ٢٥).
(٣) انظر: «إحياء علوم الدين» للغزالي (١/ ٣٥٥).

ولا أَقْول بالحق، ولا أشدَّ على المنافقين منك؟ فأنت خير الناس بعد رسول الله ﷺ.

فقال عوف عن مالك رضي الله تعالى عنه: كذبتم والله، لقد رأينا خيراً منه بعد رسول الله ﷺ.

فقالوا: مَنْ هو؟

فقال: أبو بكر رضي الله تعالى عنه.

فقال عمر: صدق عوف؛ والله لقد كان أبو بكر رضي الله تعالى عنه أطيب من ريح المسك، وأنا أضلُّ من بعير أهلي[1].

وجملة: (وأنا أضل من بعير أهلي) ـ في كلامه ـ حالية.

أي: إنه كان أضل من بعير أهله في الحال الذي كان فيها أبو بكر رضي الله تعالى عنه أطيب من ريح المسك؛ فإنه كان في جاهلية بُرْهة من الزمان، وأبو بكر في إسلام وتصديق.

ونظير ذلك ما رواه الإمام أحمد، وغيرهُ: أنَّ الطاعون وقع بالشام، فقال عمرو بن العاص رضي الله عنه: إنه رجس فتفرقوا عنه.

فقال شرحبيل بن حسنة رضي الله تعالى عنه: محمد رسول الله ﷺ، وعمرو أضلُّ من بعير أهله، وإنَّ رسول الله ﷺ قال: «إِنَّهَا رَحْمَةُ رَبِّكُمْ، وَدَعْوَةُ نَبِيِّكُمْ، وَمَوْتُ الصَّالِحِيْنَ قَبْلَكُمْ».

---

(١) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٥/ ١٣٤).

فبلغ ذلك عمرو بن العاص، فقال: صدق.

وفي رواية: فبلغ ذلك شرحبيل فغضب، فقال وهو يجرُّ ثوبه معلق نعله بيده، فقال: صحبت رسول الله ﷺ وعمرو أضل من حمار أهله[1].

فأشار إلى أن حال الجاهلية كحال البعير والحمار في الجهل، بل هي أبلغ.

وروى الخطابي في «العزلة» عن العتبي قال: كنا عند سفيان بن عيينة، فَتَلاَ هذه الآية: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم﴾[الأنعام: ٣٨]، فقال: ما في الأرض آدمي إلا وفيه شبه من البهائم، فمنهم مَنْ يهتصر اهتصار الأسد، ومنهم من يعدُو عدو الذئب، ومنهم من ينبح نُباح الكلب، ومنهم من يتطوس كفعل الطاووس، ومنهم من يشبه الخنازير التي لو أُلقيَ إليها الطعام الطيب عافَتْه، فإذا قام الرجل عن رجيعه وَلَغَتْ فيه.

ولذلك تجد من الآدميين مَنْ لو سمع خمسين حكمة لم يحفظ واحدة منها، وإن أخطأ الرجل عن نفسه، أو حكى خطأً عن غيره تروَّاه وحفظه.

قال الخطابي: ما أحسن ما تأول أبو محمد ـ يعني: سفيان بن

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٤/ ١٩٦)، وابن حبان في «صحيحه» (٢٩٥١).

عيينة ـ هذه الآية، واستنبط منها هذه الحكمة، وذلك أنَّ الكلام إذا لم يكن كله مطاوعاً لظاهره وجب المصير إلى باطنه، وقد أخبر الله تعالى عن وجود المماثلة بيننا وبين كل دابة وطائر، وكان ذلك ممتنعاً من جهة الخلقة والصورة، وعدماً من جهة النطق والمعرفة، فوجب أن يكون منصرفاً إلى المماثلة في الطباع والأخلاق.

قال: وإذا كان الأمر كذلك، فاعلم يا أخي أنك إنما تُعاشر البهائم والسباع، وليَكُن حذرُكَ منهم ومُباعدتك إياهم على حسب ذلك[1].

وروى أبو نعيم عن سهل بن عبدالله التستَري رحمه الله تعالى قال: خلق الله تعالى الإنسان على أربع طبائع: طبع البهائم، وطبع الشياطين، وطبع السَّحرة، وطبع الأبالسة.

فمن طبع البهائم: البطن والفرج؛ قوله تعالى: ﴿ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا﴾[الحجر: ٣].

ومن طبع الشياطين: اللهو واللعب، والزينة، والتكاثر؛ قوله تعالى: ﴿لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾[الحديد: ٢٠].

ومن طبع السَّحرة: المكر والخديعة؛ ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ﴾ [الأنفال: ٣٠].

﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾[النساء: ١٤٢].

---

(١) انظر: «العزلة» للخطابي (ص: ٥٥).

ومن طبع الأبالسة: الإباء والاستكبار؛ ﴿أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ﴾[البقرة: ٣٤].

قال: واستعبد الله العباد بأكل الحلال، وأداء الفرائض، والاقتداء بالنبي ﷺ حتى يسلموا من طبع البهائم.

واستعبدهم بالتسبيح، والتقديس، والتمجيد، والشكر حتى يَسْلَمُوا من طبع الشياطين.

يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ﴾[الأعراف: ٢٠٦].

وقوله تعالى: ﴿يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾[الأنبياء: ٢٠].

ومن طبع السَّحرة استعبدهم بالاقتداء بالنبي ﷺ، والنصيحة، والرحمة، والصدق، والإنصاف، والتفضيل، والاستعانة بالله تعالى، والصبر على ذلك إلى الممات.

ومن طبع الأبالسة استعبدهم الله تعالى بالدعاء، والصُراخ، والالتجاء، والتضرع؛ ﴿قُلْ مَا يَعْبَؤُا۟ بِكُمْ رَبِّى لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ﴾[الفرقان: ٧٧]، انتهى[1].

فقد أشار سهل رحمه الله تعالى إلى أنَّ الله ﷻ ابتلى الناس بهذه الأخلاق، ثم استعبدهم بالانسلاخ عنها والتلبس بما هو يُناقضها من الاقتداء بالنبي ﷺ في أكل الحلال، وأداء الفرائض، والذكر، والشكر، والنصيحة، والرحمة، والإنصاف، والإفضال، والدعاء، والتضرع إلى الله تعالى حتى تتبدل أرضُ إنسانيةِ أوليائه غير أرض

(١) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١٠/ ٢٠٦).

الحيوانية والسماوات؛ ﴿وَبَرَزُواْ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾[إبراهيم: ٤٨].

وعند ذلك يُقال لهم: أبدال.

وقد أشار إلى هذا المعنى أبو طالب المكي في «القوت»؛ فإنه ذكر أنَّ النفس مُبتلاة بأوصاف الربوبية كالكبر، والجبروت، وحب المدح، والغنى، والعز، وأخلاق الشياطين كالخداع، والحيلة، والحسد، والضِنة؛ يعني: البخل، وطبائع البهائم، وهي حب الأكل والشرب، والنكاح، وهي مع ذلك مطالبة بأوصاف العبودية كالخوف، والتواضع، والذلة.

ثم قال رحمه الله تعالى: ولا يكون المرء بدلاً حتى يتبدل بمعاني صفات الربوبية وصفات العبودية، وبأخلاق الشياطين صفات المؤمنين، وبطبائع البهائم أوصاف الروحانيين من الأذكار والعلوم، فعندها كان مقرباً، انتهى[1].

وقال الشيخ علوان الحموي في «شرح تائية ابن حبيب» عند قوله: [من البسيط]

إِيَّـــاكَ نَفْـــسَكَ احْـــذَرْ إِنَّ لَـــدْغَتَها
فَـــوقَ الـــسَّعِيرِ وَأَنْـــواعِ الـــسُّمُوماتِ

رَوَّاغَـــةٌ سِـــحْرُها أَسْـــرى وَأَعْظَـــمُ مِـــنْ
هـــاروتَ مـــاروتَ أَقْـــوى فِـــي الرَّزِيَّـــاتِ

---

(١) انظر: «قوت القلوب» لأبي طالب المكي (١/ ١٥٥).

قال: وهذا الروغان مما أودع فيها ـ يعني: النفس ـ من أخلاق الوحوش؛ فإنها مستمدة من أخلاق البهائم، والحيوانات، والوحوش، والحشرات، فبجهلها تشبه الثور، وبالشَّره تشبه الخنزير، وبالحرص النمل، وبالوقوع على النجاسة الذباب، وبالتَّهافُتِ على الشهوات الفراش، وبالضراوة والحسد الكلب، وبالتمزيق للأموال الذئب، وبالرئاسة السَّبع، وبالخبث الذئب، وبالروغان الثعلب، وبالجبن الضبع، وبالسرقة والاختلاس الفأر والجرذان، وبالنميمة القرد، وبالكبر النمر، وبالحقد الجمل، وبكثرة السؤال الهر، وبالبلادة الحمار، وبالجماح الخيل الشموسية، وباللدغ العقرب، وبعظم الأذية مع حسن الصورة الحية، وبالمكر والخديعة الشيطان، انتهى.

قلت: ولما كانت النفس منطوية على هذه الأخلاق الخبيثة، يتعاقب عليها خلق بعد خلق، ويعتورها طبع بعد طبع مع غلبتها، لم يَسَعِ العاقل أن يغفل عن رياضة نفسه وسياستها.

ومن ثمَّ قال علي رضي الله تعالى عنه: ما أنا ونفسي إلا كراعي غنمٍ؛ كلما ضممتها من جانبٍ نفشَتْ من جانب.

وقال الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ﴾[النساء: ٢٩]: لا تغفلوا عن أنفسكم لأنَّ مَنْ غفل عن نفسه فقد قتلها[١].

---

(١) رواه الدينوري في «المجالسة وجواهر العلم» (ص: ٢١).

وقال البوصيري: [من البسيط]

وَالـنَّفْسُ كَالطِّفْـلِ إِنْ تُهْمِلْـهُ شَـبَّ عَلـى
حُـبِّ الرَّضـاعِ وَإِنْ تَفْطِمْـهُ يَـنْفَطِمِ

مَـنْ لِـي بِـرَدِّ جماحٍ مِـنْ غَوايَتِهـا
كَمـا يُـرَدُّ جمـاحُ الْخَيْـلِ بِـاللُّجُمِ

وروى الخطابي في «غريب الحديث» عن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: انتهى عجبي عند ثَلاث: المرء يفرُّ من الموت وهو لاقيه، والمرء يرى في عين أخيه القذى فيُعيْبهُ، ويكون في عينه الجذع فلا يُعيبه، والمرء يكون في دابته الضغن فيقومها جهده، ويكون في نفسه الضغن فلا يقوم نفسه.

قال الخطابي: الضغن في الدابة: أن تكون عسرةَ الانقياد[1].

قال في «الصحاح»: فرسٌ ضاغن: لا يُعطي ما عنده من الجَرِي إلا بالضرب.

وقال: وقناة ضَغنة؛ أي: عوجاء[2].

قلت: والسبب في ذلك أمران:

**الأول:** حُسن ظن الإنسان بنفسه، وإعجابه بها، ورضاه عنها، وهذا لا يُظهر عيبها.

---

(١) انظر: «غريب الحديث» للخطابي (٢/ ٤٨٢).

(٢) انظر: «الصحاح» للجوهري (٦/ ٢١٥٤) (مادة: ضغن).

[من الطويل]

وَعَـيْنُ الرِّضـا عَـنْ كُـلِّ عَيـبٍ كَلِيلَـةٌ
وَلَكِـنَّ عَـيْنَ الـسُّخْطِ تُبـدي الْمَـسَاوِيا

وسُئِلَ ذو النون رحمه الله تعالى عن كمال معرفة النفس؛ قال: كمال سوء الظن بها.

**الأمر الثاني**: أنَّ النفس لا يكون فيها عيب إلا وهو متسبب عن هواها، أو داعٍ إليه كالصَّوْلة والظلم؛ فإنهما متسببان عن الرئاسة والقوة، وهما من هوى النفس، وكالروغان والحيلة؛ فإنهما يوصلان إلى غرض النفس.

ومهما كان الهوى في شيء لم تتصور النفس أن يكون ذلك الشيء عيباً أصلاً.

وقد روى الإمام أحمد، وأبو داود عن أبي الدرداء رضي الله تعالى عنه، عن النبي ﷺ: «حُبُّكَ لِلشَّيْءِ يُعْمِيْ وَيَصُمُّ»[1].

ورُوِيَ من حديث أبي برزة، وعبدالله بن أنيس أيضاً رضي الله تعالى عنهما.

ولأجل ذلك كان خلاف الهوى صواباً مطلقاً، وآفة العقل الهوى، فمَنْ علا على هواه عفته فقد نجا.

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٥/ ١٩٤)، وأبو داود (٥١٣٠). وضعف العراقي إسناده في «تخريج أحاديث الإحياء» (٢/ ٧٢٠).

قال الله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِيَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات: ٤٠ ـ ٤١].

وقد وقع الذم في القرآن العظيم على اتباع الهوى كثيراً.

وروى الشيخ نصر المقدسي في «الحجة» عن [عبدالله بن عمرو ابن العاص رضي الله عنهما][١] قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكُوْنَ هَوَاهُ تَبَعاً لِمَا جِئْتُ بِهِ»[٢].

وروى الأصبهاني في «الترغيب» عن مزيدة بن قضيب الرهاوي قال: كنا عند عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه إذ جاء قومٌ فقالوا: إنَّ لنا إماماً يُصلي بنا العصر، فإذا صلَّى صلاته تغنَّى بأبيات.

فقال عمر رضي الله تعالى عنه: قوموا بنا إليه، فاستخرجه عمر من منزله، فقال له: إنه بلغني أنك تقول أبياتاً إذا قضيْتَ صلاتك، فأنشدنيها؛ فإنْ كانت حسنة قُلْتُها معك، وإنْ كانت قبيحة نَهَيْتُكَ عنها، فقال الرجل: [من الرمل]

وَفُؤادِي كُلَّما نبَّهْتُهُ ... عادَ فِي اللَّذَّاتِ يَبْغِي تَعَبِي
لا أُراهُ الدَّهْرَ إلاَّ لاهِياً ... فِي تَمادِيْهِ فَقَدْ بَرَّحَ بِي
يا قَرِينَ السُّوءِ ما هَذا الصِّبا ... فَنِيَ الْعُمْرُ كَذا باللَّعِبِ
وَشَبابٌ بَانَ مِنِّي فَمَضى ... قَبْلَ أَنْ أَقْضِيَ مِنْهُ أَرَبِي

---

(١) بياض في «أ» و«ت».

(٢) تقدم تخريجه.

مَـا أُرَجِّـي بَعْـدَهُ إِلاَّ الفَنَـا ضَـيَّقَ الـشَّيْبُ عَلَـيَّ مَطْلَبِـي

نَفْسي لا كُنْتِ وَلا كـانَ الْهَـوى اتَّـقِ اللهَ وَخَـافِي وَارْهَبِـي

فقال عمر رضي الله تعالى عنه: نعم: نفسي لا كنتِ ولا كان الهوى، وهو يبكي، ويقول: اتق الله وخافي وارْهبي.

ثم قال عمر رضي الله تعالى عنه: مَنْ كان مُغَنياً فَلْيُغَنِّ هكذا[1].

قلت: وهذا الأثر ناطق باستحسان عمر رضي الله تعالى عنه لما كان من الشعر في الزهد، والرياضة، والحث على التقوى.

وقد تقدم بيان ذلك في التشبه بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وبسطنا القول عليه في «منبر التوحيد» أيضاً.

وقلت في معنى هذه الجملة التي نقلتها: [من مخلَّع البسيط]

حُبُّـكَ لِلـشَّيْءِ عَنْـكَ يُعْمِـي مـا كـانَ فِيـهِ مِـنْ كُـلِّ مُـؤْلِمْ

تُعْجِبُـكَ الـنَّفْسُ، ثُـمَّ تَرْضَـى عَنْهـا، وَعَـنْ عَيْبِـها تَلَعْـثَمْ

تُقَـوِّمُ الـضغنَ مِـنْ حِمـارٍ تَرْكَبُـهُ مـا عَـسَى تقَـوِّمْ

وَلَـمْ تُقَـوِّمْ مِـنْ نَفْسِكَ الـضغْـ ـنَ وَهِـيَ أَوْلَـى بِـأَن تُعَلَّـمْ

وَتَزْجُـرُ العَبْـدَ حِـينَ يُخْطِـيْ لَمْ تَرْضَ إِلاَّ مِـنْ حَيْثُ يُسْلِم

وَأَنْـتَ تَعْـصِي الإِلَـهَ جَهْـراً وَلَـمْ تَتُـبْ، لا وَلَـمْ تُـسَلِّمْ

حَتَّـى مَتَـى يـا أَرِيـبُ تُقْـدِمْ عَلى الْمَعاصِي وَلَـسْتَ تُحْجِـمْ

---

(١) ورواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤٤/ ٣١٢).

تُنْجِـدُ طـوراً لِغَيْـرِ شَـيْءٍ وَتـارَةً يـا أَريـبُ تُـتْهِمْ
إِنَّ الثـوى فِـي الْمـدى قَلِيـلٌ فارْقُـدْ لأُخْـراكَ ثُـم قَـدِّمْ
لِلَّـهِ كَـمْ بَـيْنَ ذا ثَـراءٍ وَذاكَ مِـنْ طاعَـةٍ وَمُعْـدِمْ
فـابْنِ ديـارَ الرِّضـى وَأَحْكِـمْ وَلَـو لِـدَارِ البَـوَارِ تَهْـدِمْ
وَاسْـلُكْ طَرِيـقَ الـسَّدادِ قَـصْداً إِنَّ طَرِيـقَ الـسَّدادِ قَـيِّمْ
وَاسْـأَلْ مِـنَ اللهِ فَهْـوَ يُلْهِـمْ مَـنْ شـاءَ طاعاتِـهِ وَيُـنْعِمْ
يا رَبِّ خُذ بِـي عَـنِ الْهَـوى إِنَّ الْهَـوى مُوْبِـقٌ وَمُقْحِـمْ
كَـمِ اسْـتَزَلَّ الْهَـوى أُناسـاً يـا سَـلِّمْ، يـا رَبِّ سَـلِّمْ

* **تَنْبِيهٌ:**

روى ابن جرير عن سعيد بن أبي هلال: أنَّ عبدالله بن علي حدَّثه: أنَّ ناساً من أصحاب النبي ﷺ جلَسُوا يوماً ورجل من اليهود قريبٌ منهم، فجعل بعضهم يقول: إني لآتي اِمرأتي وهي مضجعة، ويقول آخر: إني لآتيها وهي قائمة، ويقول الآخر: إني لآتيها وهي باركة.

فقال اليهودي: ما أنتم إلا أمثال البهائم، إنا نأتيها على هيئةٍ واحدة.

فأنزل الله تعالى: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾[البقرة: ٢٢٣][1].

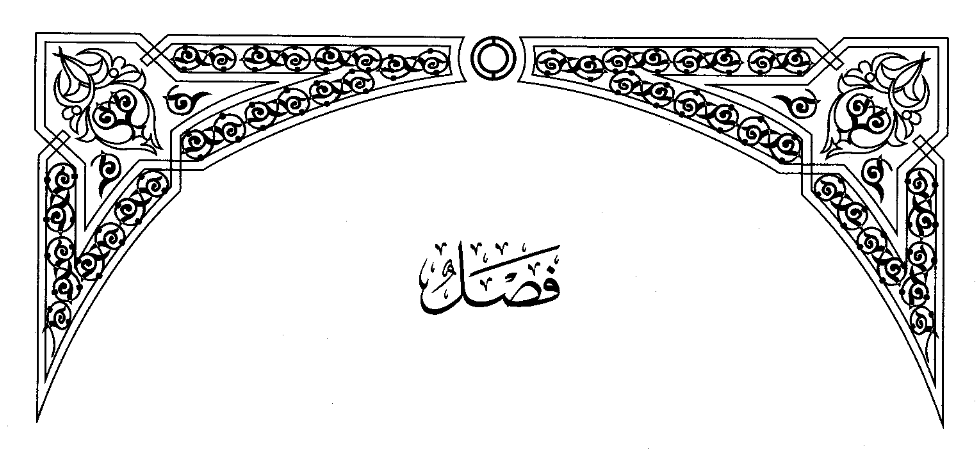
---

(١) رواه الطبري في «التفسير» (٢/ ٣٩٣).

وهذا غلطٌ محضٌ من هذا اليهودي في التشبيه، بل كذبٌ بهْتٌ منه، وإنما يُشبه البهائم في لزومهم هيئة واحدة في الجماع؛ فإنَّ البهائم تلزم طريقة واحدة في السفاد، ولا يستطيع التصرف في إتيان الأنثى على هيئات مختلفة إلا ابن آدم، وهو من جملة ما كرَّمه الله تعالى به، وفضله به على سائر البهائم؛ فافهم!

وإياك أن يشتبه عليك التشبه في محمود أو مذموم كما اختلف على هذا اليهودي المذكور.

* * *




لا يخفى عليك أنَّ الإنسان حيث هو مُبتلى بالصفات الربوبية، والأخلاق الشيطانية، والطبائع البهيمية والسَّبعية، وهي كثيرة الشعب والأنواع، فقد قلَّ أن يكون إنسانٌ سالماً من شيء منها؛ فإنه إنْ سَلِمَ من البخل لم يَسْلم من الطمع مثلاً، وإنْ سَلِمَ من الحسد لم يَسْلم من محبة النفس وتزكيتها، وإنْ سَلِمَ من الصَّولة والجرأة لم يَسْلم من الخديعة والحيلة، وهكذا.

وكل واحدٍ من هذه الأخلاق والطبائع لا يخلو أن يكون الهوى متسبباً عنه، أو داعياً إليه، والشيطان آمراً به.

وقلَّ أن يخلو من خليلٍ أو قريبٍ يسأله فيه، أو يحضه عليه، ويُساعده فيه.

وقلَّ أن يكون له مَنْ يدعوه منه إلى ضده من أخلاق البر والتقوى.

فبقي العقل منفرداً وحده في دعائه إلى البر والتقوى، فإن يسر الله تعـــالى له مَنْ هو في جانب العقل من أخلاء الصدق ورفقاء الرفق

ـ وقليلٌ ما هم ـ وإلا كان العقل وحده.

فإن ساعدته العناية، وأَدْركه التوفيق نَجَا بصاحبه، وإن غلب عليه الهوى وجنوده، وأُغمضَتْ عنه عين العناية والتوفيق هلك مع صاحبه.

فمن ثمَّ كان الكُمَّل في الأخلاق الجيدة من أهل العلم والدين من أقل الناس في كل زمان، وكان أهل الجهل والفسق والشَّره والانحلال عن الدين، الملحقون بالبهائم والسباع والهوام والشياطين والأبالسة أكثرَ الناس في كل وقت.

قال الله تعالى: ﴿وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ﴾[هود: ٤٠].

وقال الله تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾[سبأ: ١٣].

وقال تعالى لبني اسرائيل: ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ﴾[البقرة: ٨٣].

وقال: حكايةً عن داود عليه السلام: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾[صٓ: ٢٤] إلى غير ذلك.

ثم إنَّ الزمان الذي بُعثَ فيه النبي ﷺ إلى أن تُوفي ﷺ لا شكَّ أنه كان أَصْلح الأزمنة، وأَلْيقها بظهور الكمالات وكثرة الظاهرين بها، حيث كان ﷺ بين ظهرانيهم، فكان يفيض عليهم من علوم السنة، ويطبع في مرآتهم آثار المعارف وأنوار أخلاقه الزكية شيئاً فشيئاً، حتى ظهر سلطان الدين، وبَهَرَ برهان الحق، فكان كمال الدين وتمام النعمة حين كان في حجة الوداع، ونزلت عليه الآية ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ

﴿وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾[المائدة: ٣].

ثم كان زمان الصحابة ﵃ أجمعين أقرب الأزمنة إلى صلاحية ظهور الناس بالكمالات، ثم زمان التابعين كما أشار إليه بقوله ﷺ: «خَيْرُ القُرُوْنِ القَرْنُ الَّذِيْ بُعِثْتُ فِيْهِ، ثُمَّ الَّذِيْنَ يَلُوْنَهُمْ، ثُمَّ الَّذِيْنَ يَلُوْنَهُمْ»[١].

ثم ظهرت أوائل البِدع والإحداثات في الدين، فكان كل زمان تنقص فيه السنن والكمالات عن الزمان الذي كان قبله، وتزيد فيه البدع والحوادث على الزمان قبله، وهَلُمَّ جراً، وكان أهل الخير والديانة في كل زمانٍ إذا نظروا إلى مَنْ مضى من أكابر سلفهم من أهل السنة والكمال، ومن خَلَفَ فيهم من الأحداث الذين نشؤوا في البدعة والاختلال، وظنوا أنهم على شيء، استوحشوا لفراق من فارقوا، ولم يستأنسوا بمَنْ لَقُوا، فبكوا على الزمان الغابر، وبَكُوا من الزمان العابر، وأَسِفُوا على السلف، واتقوا من الخلف، لم يُعجبهم شأنهم، ولم ترج عليهم سوقهم، فأطلقوا الذمَّ عليهم جميعاً ولو كان فيهم أفراد محمودون لأنهم قليلون جداً.

روى الإمام أحمد عن الحسن البصري رحمه الله تعالى أنه قال: ذَهَبَت المعارف، وبقيت المناكر، ومَن بقي من المسلمين فهو مغموم[٢].

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) رواه الإمام أحمد في «الزهد» (ص: ٢٥٨).

وروى أبو نعيم عنه قال: والله لقد أدركْتُ سبعين بدريًّا، أكثر لباسهم الصوف، لو رأيتموهم قُلْتُم: مجانين، ولو رأوا خياركم لقالوا: ما لهؤلاء من خَلاق، ولو رأوا شراركم لقالوا: لا يؤمن هؤلاء بيوم الحساب[1].

وهذا موافقٌ لما أخبر به النبي ﷺ.

روى الخطابي في «العزلة» عن مستورد الفهري رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يَذْهَبُ الصَّالِحُوْنَ الأَوَّلُ فَالأَوَّلُ، وَتَبْقَىْ حُثَالَةٌ كَحُثَالَةِ الشَّعِيْرِ، لا يُبَالي اللهُ بِهِمْ»[2].

ورواه الإمام أحمد، وأبو داود، والحاكم وصححه، عن عبدالله بن عمرو رضي الله تعالى عنهما: أنَّ النبي ﷺ قال: «يُوْشِكُ أَنْ يَأْتي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يُغَرْبَلُ فِيْهِ النَّاسُ غَرْبَلَةً، وَتَبْقَى حُثَالَةٌ مِنَ النَّاسِ قَدْ مُرِجَتْ عُهُوْدُهُمْ وَأَمَانَاتُهُمْ، وَاخْتَلَفُوْا وَكَانُوْا هَكَذَا ـ وشبك بين أصابعه ـ».

قالوا: كيف بنا يا رسول الله؟

قال: «تَأْخُذُوْنَ مَا تَعْرِفُوْنَ، وَتَدَعُوْنَ مَا تُنْكِرُوْنَ، وَتُقْبِلُوْنَ عَلَىْ أَمْرِ خَاصَّتِكُمْ، وَتَذَرُوْنَ أَمْرَ عَامَّتِكُمْ»[3].

---

(١) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢/ ١٣٤).

(٢) رواه الخطابي في «العزلة» (ص: ٦٧). وروى نحوه البخاري (٣٩٢٥) عن مرداس الأسلمي رضي الله عنه.

(٣) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢/ ٢٢١)، وأبو داود (٤٣٤٢)، والحاكم في «المستدرك» (٢٦٧١)، وكذا ابن ماجه (٣٩٥٧).

قال الخطابي: حُثالة الشعير ـ أي: ونحوه ـ: رذالته، وما لا خير فيه منه[1].

وصحح الحاكم عن رويفع بن ثابت رضي الله تعالى عنه قال: قُرِّبَ للنبي ﷺ تمرٌ أو رُطَبٌ، فأكلوا منه حتى لم يبقَ إلا نواه وما لا خير فيه، فقال رسول الله ﷺ: «تَدْرُوْنَ مَا هَذَا؟ تَذْهَبُوْنَ الخَيِّرُ فَالخَيِّرُ حَتَّى لا يَبْقَىْ مِنْكُمْ إِلاَّ مِثْلُ هَذَا»[2].

وروى البخاري عن أنس رضي الله تعالى عنه: أنه سمع النبي ﷺ يقول: «لا يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ إِلاَّ وَالَّذِيْ بَعْدَهُ شَرٌّ مِنْهُ»[3].

وروى الإمام أحمد في «الزهد» عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه أنه قال: أمسٌ خيرٌ من اليوم، واليوم خيرٌ من غد، وغد خيرٌ من بعد الغد، وكذلك إلى يوم القيامة[4].

وروى ابن حبان في «الثقات» عن الحسن أنه قال: مَنْ رأى محمداً ﷺ فقد رآه غادياً رائحاً لم يضع لبنةً على لبنة، ولا قصبة على قصبة، رفع له عَلَم فشمَّر إليه، الوَحاءَ الوَحَاءَ، ثم النجاة النجاة على ما تعرجون، وقد أسرع بخياركم، وذهب نبيكم وأنتم في كل عامٍ

---

(١) انظر: «العزلة» للخطابي (ص: ٦٧).

(٢) رواه الحاكم في «المستدرك» (٨٣٣٦)، وكذا ابن حبان في «صحيحه» (٧٢٢٥).

(٣) رواه البخاري (٦٦٥٧).

(٤) رواه الإمام أحمد في «الزهد» (ص: ١٦٠).

ترذلون العيان العيان[1].

وروى ابن أبي شيبة، والخطابي في «العزلة» عن هشام بن عروة، عن أبيه رحمة الله عليهما، عن عائشة رضي الله تعالى عنها: أنها كانت تتمثل بهذين البيتين؛ يعني: من شعر لبيد ـ رضي الله تعالى عنها ـ:

[من الكامل]

ذَهَبَ الَّذِينَ يُعَاشُ فِي أَكْنَافِهِمْ

وَبَقِيتُ فِي خَلْفٍ كَجِلْدِ الأَجْرَبِ

يَتَحَدَّثُون مجانةً وَمُلاذةً

وَيُعَابُ قَائِلُهمْ وَإِنْ لَمْ يَشْغبِ[2]

ووقع لنا هذا الخبر من طريقٍ مُسلسلاً، قالت عائشة فيه: يرحمُ الله لبيداً حيث يقول:

ذَهَبَ الَّذِينَ يُعَاشُ فِي أَكْنَافِهِمْ

وَبَقِيتُ فِي خَلْفٍ كَقَارِ الأَجْرَبِ

فكيف لو أدركت زماننا هذا؟

قال: عروة: يرحم الله عائشة! فكيفَ لو أدركت زماننا[3].

---

(١) رواه ابن حبان في «الثقات» (٦/ ٢٦١).

(٢) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٢٦٠٤٠)، والخطابي في «العزلة» (ص: ٦٩).

(٣) وانظر: «سير أعلام النبلاء» للذهبي (٢/ ١٩٨).

ثم هذا تسلسل، وقد وصلنا مسلسلاً في غير هذا الكتاب.

وقلت: [من الرمل]

قُـلْ لِمَـنْ ذَمَّ زَمانـاً سَـلَفا ... كـانَ خَيْـراً مِـنْ سِـواهُ سَـلَفا

كَيْـفَ لَـوْ تُـدْرِكُ مـا عَـنَّ بِنا ... مِـنْ زَمـانٍ هُـوَ شَـرٌّ خَلَفـا

كَـلَّ فِيـهِ الفِكْـرُ مِمَّـا قَـدْ يَـرى ... وَاسْـتَذَلَّ الأَقْوِيـاءُ الـضُّعَفا

لا كَبِـيرٌ بِوَقـارٍ ظـافِراً ... لا صَـغِيرٌ حاطَـهُ مَـنْ رَأَفـا

رَأْسَ الـسُّقَّاطُ فِيـهِ وَانْـزَوى ... كُـلُّ ذِي مَجْـدٍ يَـؤُمُّ الـسُّجَفا

راجَ فِيـهِ مـاجِنٌ أَوْ فاسِـقٌ ... عُـدَّ بَـيْنَ النَّـاسِ مِمَّـنْ ظَرُفـا

لِعَظِيمَـينِ مُلِئْنـا حَزَنـاً ... وِلَهَـذَيْنِ انْتُهِينـا دَنَفـا

بَيْنَمـا نَبْكِـي زَمانـاً سَـلَفا ... إِذْ بِنـا نَبْكِـي زَمانـاً خَلَفـا

فَعَسى نَمْـضِي بِـأَجْرِي ثَكَـلٍ ... وَاغْتِمـامٍ لا نَخـافُ التَّلَفـا

**وحيث ذكرنا في هذا الفصل أنه كثر في كلام السَّلف تمثيل الناس بالبهائم والسباع على الأخلاق، إشارةً إلى أنَّ الصالحين والأخيار كأنهم مُستثنون منهم، فلا يدخلون في إطلاقهم إذا ذموا لقلتهم فيهم وغُربتهم بينهم، فينبغي أن نذكر جملة:**

- **فمن ذلك**: ما رواه أبو نعيم عن ابن عباس رضي الله عنهما: ذهب الناس وبقي النسناس.

قيل: وما النسناس؟

قال: الذين يُشبهون الناس، وليسوا الناس[1].

ورواه الخطابي في «العزلة» عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه[2].

وممن ذَكره عن أبي هريرة الزمخشري في «الفائق»، والهروي في «الغريب»، وابن الأثير في «النهاية»[3].

وروى الدينوري في «المجالسة» عن الحسن رحمه الله تعالى: أنه قال: ذهب الناس، وبقي النسناس، ولو تكاشفتم ما تدافنتم[4].

والنَسناس ـ بفتح النون، وقد تُكسر ـ: جنسٌ من الخَلْق على صورة الإنسان، يَثِبُ على رِجْلٍ واحدة.

وقيل: له عين واحدة، ويد واحدة، ورجل واحدة؛ حكاه الدينوري في «المجالسة» عن أبي إسحاق[5].

وقيل: هو على صورة نصف إنسان.

وقيل: إنها في طباع البهائم تشبه الانسان صورة، وتتكلم، إلا أنها تفرس الكلاب أن تأخذها.

---

(١) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١/ ٣٢٨).

(٢) رواه الخطابي في «العزلة» (ص: ٦٨).

(٣) انظر: «الفائق» للزمخشري (٣/ ٤٢٧)، و«النهاية في غريب الحديث» لابن الأثير (٥/ ٤٩).

(٤) رواه الدينوري في «المجالسة وجواهر العلم» (ص: ١٠٦).

(٥) رواه الدينوري في «المجالسة وجواهر العلم» (ص: ٣٠٢).

ونقل الدميري، والسيوطي عن «تاريخ صنعاء»: أنَّ تاجراً سافر إلى بلادهم، فرآهم يَثبُون على رِجْلٍ واحدة، وسمع واحداً منهم يقول: [من الرجز]

فَرَرْتُ مِنْ خَوفِ الشّراة شَدَّا ... إِذْ لَمْ أَجِدْ مِنَ الفِرارِ بُدَّا

قَدْ كُنْتُ قِدْماً فِي زَمانِي جَلْدَا ... فَها أَنا اليَومَ ضَعِيفٌ جِدَّا[1]

وقيل: هو جنسٌ من القردة.

وقيل: كانت حيّاً من عادٍ فَمُسخوا.

وقال الشاعر في معنى الأثر: [من الخفيف]

ذَهَبَ النَّاسُ فَاسْتَقَلُّوا وَصارُوا ... خَلَفَاً فِي أَراذِلِ النَّسْناسِ

فِي أُناسٍ نَعُدُّهُمْ فِي عَدِيدٍ ... فَإِذا فُتِّشُوا فَلَيْسُوا بِنَاسِ

كُلَّما جِئْتُ أَبْتَغِي النَّيْلَ مِنْهُمْ ... بَدَرُونِي قَبْلَ السُّؤالِ بِبَاسِ

وَبَكَوْا لِي حَتَّى تَمَنَّيْتُ أَنِّي ... مِنهُمْ قَدْ أَفلَتُّ رَأْسَاً بِرَاسِ[2]

وقول ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: الذين يُشبهون الناس ولَيْسُوا بناس، إشارةٌ إلى أنَّ الناس هم الكمل الذين لم يتصفوا بشيء من صفات البهائم.

---

(۱) انظر: «حياة الحيوان الكبرى» للدينوري (۲/ ٤٨٠).

(۲) انظر: «الزهد الكبير» للبيهقي (ص: ١٢٤)، و«حياة الحيوان الكبرى» للدميري (۲/ ٤٨٠)، والأبيات أنشدها أبو نعيم.

ومن لطائف الإمام فخر الدين الرازي في «تفسيره» قال: إنَّ الله تعالى قال في موضع: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾[البقرة: ٢]، وقال في موضع آخر: ﴿هُدًى لِّلنَّاسِ﴾[البقرة: ١٨٥]، وهذا يقتضي أنَّ الناس هم المتقون، فمَنْ ليس من المتقين فليس من الناس، انتهى[1].

وفي الأمثال: يا نفس هوني، وعلى ما كانت الناس كوني.

ووقع لأخي شيخ الإسلام العارف شهاب الدين أحمد الغزي: أنه سأل بعض العارفين من أهل عصره عن هذا المثل؛ فإنَّ ظاهره الإرشاد إلى موافقة الناس فيما هم فيه من خيرٍ أو شر، وهو مشكل.

فقال له العارف: ليس المراد بالناس في المثل مَنْ نراهم، بل المراد بالناس أبو بكر، وعمر، وأمثالهما.

يُشير إلى قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ﴾[البقرة: ١٣].

قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في الآية: أي: صدقوا كما صدق أصحاب محمد. رواه ابن جرير، وابن أبي حاتم[2].

وفي «تاريخ ابن عساكر» ـ بسندٍ ضعيف ـ عن ابن عباس أيضاً في

---

(١) انظر: «التفسير الكبير» للرازي (٢/ ٢٠).

(٢) رواه الطبري في «التفسير» (١/ ١٢٧)، وابن أبي حاتم في «التفسير» (١/ ٤٦).

قوله: ﴿كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ﴾[البقرة: ١٣] قال: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي[١].

وروى الخطابي في «الغريب» عن ميمون بن مهران رحمه الله تعالى: أنه كان عند عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه، فلمَّا قام من عنده قال: إذا ذهب هذا وضرباؤه لم يبقَ من الناس إلا رجاجة.

قال الخطابي: الرجاج: صغار الإبل، وحواشيها، فشبه صغار الناس، ومَنْ لا طائل عنده بها. انتهى[٢].

وقد سبق أنَّ الرجاج مهازيل الغنم، والضعفاء من الناس والإبل.

قلت: وفيه إشارة إلى غلبة الجهل والوهن على الناس بعد عصر الصحابة والتابعين، وكلما تأخر العصر كان الجهل في أهله أكثر، وكلما كثر الجهل استوى الناس فيه، فلا ينكر بعضهم على بعض، ولهذا قلَّ في هذه الأزمنة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بل صار المعروف منكراً والمنكر معروفاً كما أخبر به النبي ﷺ.

وفي حديث: «لا يَزَالُ النَّاسُ بِخَيْرٍ مَا تَفَاضَلُوْا فِيْ الْعِلْمِ والتنافسِ فِيْ طَلَبِ الفَضَائِلِ؛ فَإِذَا اسْتَوَوْا فِيْ الجَهْلِ وَاتِّبَاعِ الهَوَىْ هَلَكُوْا، وَلا يُنْكِرُ بَعْضُهُمْ عَلَىْ بَعْضٍ»[٣].

---

(١) رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣٩/ ١٧٧). قال السيوطي في «الدر المنثور» (١/ ٧٧): سنده واه.

(٢) انظر: «غريب الحديث» للخطابي (٣/ ١٤٣).

(٣) روى الدينوري في «المجالسة وجواهر العلم» (ص: ٣٧٠): عن محمد ابن سلام قال: لا يزال الناس بخير ما تباينوا، فإذا تساووا هلكوا.

وفي المعنى قلت: [من مجزوء الخفيف]

عَمَّـــمَ الْجَهْـــلُ وَالْهَـــوى فَـــالوَرى فِـــي الْهَـــوى سَـــوا

فَلِـــذا لا تَـــرى فتًـــى مُنْكِـــراً غَـــيَّ مَـــنْ غَـــوى

آهِ آهِ لِمـــــا جَـــــرى فَلِمَـــنْ نَـــشْتَكِي الْجَـــوى

فَاجْتَنِـــبْ كُـــلَّ مـــا تَـــرى مِـــنْ ضَـــلالٍ وَمِـــنْ هَـــوى

لِتَنَـــالَ الرِّضَـــــى إذا بَـــاءَ ذُو الْجَهْـــلِ بِـــالنَّوى

ولأبي الأسود الدؤلي من قصيدته المشهورة «ذوات الأمثال»:

[من الكامل]

وَالنَّاسُ قَدْ صارُوا بَهائِمَ كُلُّهُمْ وَمَـعَ البَهـائِمِ فاتِـكٌ وَزَعِـيمُ

صُمٌّ وَبُكْمٌ لَيْسَ يُرْجَـى نَفْعُهُـمْ وَزَعِـيمُهُمْ فِـي النَّائِبـاتِ مَلُـومُ

وروى الإمام عبدالله بن المبارك في «الزهد» عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال رسول الله ﷺ: «يَخْرُجُ فِيْ آخِرِ الزَّمَانِ رِجَالٌ يَخْتَلِسُوْنَ الدُّنْيَا بِالدِّيْنِ، يَلْبَسُوْنَ لِلنَّاسِ جُلُوْدَ الضَّأْنِ مِنَ اللبنِ، أَلْسِنَتُهُمْ أَحْلَىْ مِنَ العَسَلِ، وَقُلُوْبُهُمْ قُلُوْبُ الذِّئَابِ، يَقُوْلُ اللهُ تَعَالَىْ: أَفَبِيْ يَغْتَرُّوْنَ، أَمْ عَلَيَّ يَجْتَرِئُوْنَ؟ لأَبْعَثَنَّ عَلَىْ أُوْلَئِكَ مِنْهُمْ فِتْنَةً تَدَعُ الحَلِيْمَ مِنْهُمْ حَيْرَانَ»(١).

---

(١) رواه ابن المبارك في «الزهد» (١/ ١٧)، وكذا الترمذي (٢٤٠٤).

وروى الطبراني في «الأوسط» عن أنس رضي الله تعالى عنه: قال رسول الله ﷺ: «يَأْتي زَمَانٌ عَلَىٰ النَّاسِ هُمْ ذِئَابٌ، فَمَنْ لَمْ يَكُنْ ذِئْباً أَكَلَتْهُ الذِّئَابُ»(١).

وفي رواية تقدمت: «فَمَنْ لمَ يَكُنْ لَهُ ذِئْبٌ أَكَلَتْهُ الذِّئَابُ»(٢).

وليس المراد إرشاد الإنسان إلى التذاؤب، بل هو من باب المشاكلة؛ أي: مَنْ لم يُخفْ الناس بجرأته وبتوعِيْدهم بعقوبته، طَمِعُوا في ظلمه واستهانوا به.

ونظيره قول ابن دريد:

مَنْ ظَلَمَ النَّاسَ تَحامَوْا ظُلْمَهُ        وَعَزَّ عَنْهُمْ جانِباهُ وَاحْتَمَى

وروى الخطابي عن ابن أبي ليلى قال: سيأتي على الناس زمانٌ يقال له: زمان الذئاب، فمَنْ لم يكن في ذلك الزمان كلباً أكلوه.

قال قتيبة بن سعيد: وهو هذا الزمان(٣).

قلت: إذا كان قتيبة ـ وهو من شيوخ البخاري ومسلم ـ قد نزَّل الحديث على أهل زمانه، فكيف بأهل زماننا؟ وقد مضى بعد زمان قتيبة نحو ثمان مئة عام.

وفي هذا المعنى يقول القائل:

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) لم يتقدم، ولم أقف عليه بهذا اللفظ.

(٣) رواه الخطابي في «العزلة» (ص: ٦٩).

وَمَــنْ لَــمْ يَكُــنْ عَقْربـاً يَتَّقِــي        سَعَتْ بَـيْنَ أَثْوابِــهِ العَقْـرَبُ[1]

وليس في ذلك كله رخصة في الظلم والعدوان والأذية، ولكن من باب المشاكلة.

والمراد أن يكون للرجل قوة وشوكة يدفع بها ظلم الجبارين عنه؛ فافهم!

وروى الحاكم في «تاريخ نيسابور» عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ، يُرَبِّي الرَّجُلُ فِيْهِ جَرْوَاً خَيْرٌ مِنْ أَنْ يُرَبِّيَ وَلَدَاً»[2].

والجرو ـ مثلث الجيم ـ: الصغير من أولاد الكلاب وسائر السباع.

وفي المثل: لا تقتني من كلب سوءٍ جَرْواً.

قال الزمخشري: يُضرب في اصطناع من لا عرق له، انتهى[3].

واقتناء المال وغيره: اتخاذه.

وقال الشيخ أبو إسحاق الشيرازي رحمه الله تعالى في «طبقاته»: أنشدنا قاضي بلدنا أبو علي الداودي قال: أنشدنا أبو الفرج؛ يعني:

---

(١) انظر: «حياة الحيوان الكبرى» للدميري (٢/ ١٩٥).

(٢) ورواه الرافعي في «التدوين في أخبار قزوين» (٢/ ٢٠٢). قال الموصلي في «المغني عن الحفظ والكتاب» (ص: ٥٣٧): لا يصح في هذا الباب عن رسول الله ﷺ شيء.

(٣) انظر: «المستقصى» للزمخشري (٢/ ٢٥٨).

المعافى بن زكريا النهرواني: [من الوافر]

أَأَقْتَبِسُ الضِّياءَ مِنَ الضَّبابِ     وَأَلْتَمِسُ الشَّرابَ مِنَ السَّرابِ

أُرِيدُ مِنَ الزَّمانِ النَّذْلِ بَذْلاً     وَأَرْياً مِنْ جَنَى سَلْعٍ وَصابِ

أَأَرْضَى أَنْ أُلاقِي لاشْتِياقِي     خِيارَ النَّاسِ فِي زَمَنِ الْكِلابِ[1]

وللوزير المغربي: [من الطويل]

أَرى النَّاسَ فِي الدُّنْيا كَراعٍ تَنَكَّرَتْ     مَرَاعِيهِ حَتَّى لَيْسَ فِيهِنَّ مَرْتَعُ

فَماءٌ بِلا مَرْعًى وَمَرْعًى بِغَيْرِ ما     وَحَيْثُ تَرى ماءً وَمَرْعًى فَمَسْبَعُ[2]

وفي «روض الرياحين» لليافعي: أنَّ مالك بن دينار قال للسمنون المجنون: لِمَ لا تُجالس الناس وتُخالطهم؟ فأنشأ يقول: [من مجزوء الخفيف]

كُنْ مَعَ النَّاسِ جانِباً     وَارْضَ بِاللهِ صاحِبا

قَلِّبِ النَّاسَ كَيْفَ شِئْـ     ـتَ تَجِدْهُمْ عَقَارِبا[3]

وروى الحافظ عبد الكريم بن السمعاني في «ذيل تاريخ بغداد»

---

(١) انظر: «طبقات الفقهاء» لأبي إسحاق الشيرازي (ص: ١٠٣)، وكذا «الجليس الصالح والأنيس الناصح» للمعافى بن زكريا (ص: ٣).

(٢) انظر: «وفيات الأعيان» لابن خلكان (٢/ ١٧٣).

(٣) وروى الخطابي في «العزلة» (ص: ١٨) نحو هذه القصة مع البيتين، لكن عن إبراهيم بن الأدهم.

عن أبي الفتح بن الحسن المذكر: أنه أنشد لبعضهم: [من مجزوء الخفيف]

كُــنْ مِــنَ النَّــاسِ هارِبــاً كَــيْ يَعُــدُّوكَ راهِبــا
إِنَّ دَهْــــراً أَظَلَّنِــــي قَــدْ أرانِــي عَجائِبــا
قَلِّــبِ النَّــاسَ كَيْــفَ شِئْــــتَ تَجِــدْهُمْ عقارِبــا
ارْضَ بِــاللهِ صــاحِباً وَدَعِ النَّــاسَ جانِبــا[1]

ولابن العميد في معنى أخص من ذلك: [من مجزء الكامل المرفّل]

آخِ الرِّجــالَ مِــنَ الأَبــا عِــدِ وَالأَقــارِبَ لا تُقــارِبْ
إِنَّ الأَقــارِبَ كَالْعَقــا رِبِ، بَلْ أَضَرُّ مِـنَ العَقـارِبْ[2]

وقال غيره: [من الخفيف]

لَيْتَ شِعْرِي كَيْفَ الْخَلاصُ مِنَ النَّا سِ وَقَدْ أَصْبَحُوا ذِئـابَ اعْتِـداءِ
قُلْتُ لَمَّـا بَلاهُـمُ صِـدْقُ قَـوْلِي رَضِـيَ اللهُ عَـن أبِـي الـدَّرْداءِ

لمَّح بقول أبي الدرداء رضي الله تعالى عنه: كان الناس ورقاً لا شوك فيه، والناسُ اليوم شوكٌ لا ورق فيه[3].

---

(١) وانظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٦/ ٣٤٥).

(٢) انظر: «الإعجاز والإيجاز» للثعالبي (ص: ٢٢٦)، و«وفيات الأعيان» لابن خلكان (٥/ ١٠٩).

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في «مداراة الناس» (ص: ٣١).

أو بقوله: اتقوا الله واحذروا الناس؛ فإنهم ما ركبوا ظهر بعيرٍ إلا أدبروه، ولا ظهر جوادٍ إلا عَقَروه، ولا قلب [مؤمن] إلا خربوه[1].

أو بالحديث السابق الذي رواه عن النبي ﷺ أنه قال: «وَجَدْتُ النَّاسَ: اخْبُرْ تَقْلُهُ، وَثِق بِالنَّاسِ رُوَيْدَاً»[2].

ورواه عنه العسكري في «الأمثال» قال: قال رسول الله ﷺ: «اخْبُرْ تَقْلُهُ»[3].

قال العسكري: قال معاوية ـ يعني: ابن سعيد أحد رواته ـ: إذا عاملت الرجل عرفته.

قال: نظمه أبو العتاهية، فقال: [من مجزوء الخفيف]

أَبْلُ مَنْ شِئْتَ تَقْلُهُ ... عَمَّا قَلِيلٍ لِفِعْلِهْ
وَتُبْدِ لَهُ هَجْرَهُ ... بَعْدَ وِدِّهِ وَوَصْلِهْ
ضَاعَ مَعْرُوفُ واضِعِ الْـ ... ـمَعْرُوفِ فِي غَيْرِ أَهْلِهْ

ومثل هذا الحديث ما رواه الشيخان عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال

---

(١) انظر: «إحياء علوم الدين» للغزالي (٢/ ٢٣٤).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) ذكره العسكري في «الأمثال» (١/ ١٠٥) مثلاً، ثم قال: والمثل لأبي الدرداء فيما زعم بعضهم، وروي عن النبي ﷺ أيضاً.

رسول الله ﷺ: «النَّاسُ كَإِبِـلٍ مِئَةٍ؛ لا تَجِدُ فِيْهِمْ رَاحِلَةً»[1].

يعني: إنَّ المرضي منهم قليل.

وفي معنى الحديث المثل السائر: وأي الرجال المهذب.

وأول مَنْ قاله النابغة الذبياني، واسمه زياد بن معاوية بن ضباب:

[من الطويل]

فَـلا تَتْرُكَنِّـي بِالوَعِيـدِ كَـأَنَّنِي إِلَى النَّاسِ مَطْلِيٌّ بِهِ القارُ أَجْرَبُ

وَلَـسْتَ بِمُـسْتَبْقٍ أَخـاً لا تَلُمُّـهُ عَلى شَعَثٍ، أَيُّ الرِّجالِ الْمُهَذَّبُ

وروى الخطابي في «العزلة» عن سهل بن سعد السَّاعدي رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «النَّاسُ كَأَسْنَانِ المِشْطِ»[2].

وفيه كما قال الخطابي وجهان:

**الأول**: أنهم متساوون في الأحكام، لا يتفاوت منها شريفٌ عن وضيع لشرفه، ولا وضيعٍ عن شريفٍ لِضِـعَتِه.

**والثاني**: أنَّ ذلك ذم؛ أي: إنهم سواء في أن الغالب عليهم النقص؛ كقولهم إذا ذموا قبيلة: هم سواسية كأسنان الحمار[3].

---

(١) رواه البخاري (٦١٣٣)، ومسلم (٢٥٤٧).

(٢) رواه الخطابي في «العزلة» (ص: ٥٤)، وكذا ابن حبان في «المجروحين» (١/ ١٩٨) وأعله ببكار بن شعيب، وقال: لا يجوز الاحتجاج به.

(٣) انظر: «العزلة» للخطابي (ص: ٥٥).

قال الزمخشري: يُقال: هم سواسية، وسواسوة، وسوىً سية؛ أي: متساوون في الشر[1].

قال كُثيِّر: [من الطويل]

سَواءٌ كَأَسْنانِ الْحِمارِ فَلا تَرى ... لِذِي شَيْبَةٍ مِنْهُمْ عَلى ناشِىءٍ فَضْلا

وأنشده غير الزمخشري: سواس كأسنان الحمار . . . إلخ.

وهو جمع: سي؛ بمعنى: مثل؛ فإنه يُجمع على أسواء، وسواسية، وسواس، وسواسوة كما في «القاموس»[2].

قال صاحب «الصحاح»: وهما في الأمر سواء، وإنْ شئت سواءان، وهم سواء للجمع، وهم أسواء، وهم سواسية ـ مثل ثمانية ـ على غير قياس[3].

قال الأخفش: وزنه: فعافلة، ذهب عنها الحرف الثالث، وأصله الياء.

ومما أنشده الخطابي في «العزلة» ـ وقد بين هذا المعنى الذي أشرنا إليه ـ قولُ أبي العباس الناشىء: [من المتقارب]

خَبَرْتُ الأَنامَ فَما إِنْ وَجَدْتُ ... عَلى مِحْنَةٍ مَنْ يُساوِي نَقِيرا

---

(١) انظر: «المستقصى في أمثال العرب» للزمخشري (٢/ ١٢٣).

(٢) انظر: «القاموس المحيط» للفيروز آبادي (ص: ١٦٧٣) (مادة: سوا).

(٣) انظر: «الصحاح» للجوهري (٦/ ٢٣٨٥) (مادة: سوا).

فَلَمَّا تبيَّنْتُ أَنِّي الْتَمَسْتُ ... مِنَ النَّاسِ شَيْئاً بَعِيداً عَسِيرا
فَزَعْتُ إِلَى الأُنْسِ بِالإنْفِرادِ ... فَكانَ التَّقَلُّلُ مِنْهُمْ كَثِيرا[1]

وأنشد المنصور بن إسماعيل الفقيه التميمي: [من مجزوء الخفيف]

إِنَّمَا النَّاسُ فُزعَةٌ ... لَيْسَ فِي النَّاسِ مَفْزَعُ
ذُمَّ مَنْ شِئْتَ مِنْهُمُ ... فَهْوَ لِلذَّمِّ مَوْضِعُ[2]

الفزعة ـ بضم الفاء ـ: مَنْ يُفْزَع منه.

والمفزع: الملجأ.

وروى الخطابي عن إبراهيم بن شماس قال: قال لي حفص بن حميد الأكاف: يا إبراهيم! صَحِبْتُ الناسَ خمسين سنة، فلم أجد منهم من سَتَرَ لي عورة، ولا وَصَلَنِي إذا قطعته، ولا أَمِنْته إذا غضب، فالاشتغال بهؤلاء حمقٌ كبير[3].

قال الخطابي: أنشدني بعض أصحابنا قال: أنشدنا ابن الأنباري: [من مجزوء الرمل]

لَيْسَ لِلنَّاسِ وَفاءٌ ... لا وَلا فِي النَّاسِ خَيْرُ

---

(١) انظر: «العزلة» للخطابي (ص: ٦١).

(٢) انظر: «العزلة» للخطابي (ص: ٦٢).

(٣) رواه الخطابي في «العزلة» (ص: ٦١).

قَــدْ بَلَوْنــا النَّــاسَ فَالنَّــا ... سُ كَــــسِيرٌ وَعُــــوَيرُ[1]

قال الجوهري: ويُقال في الخصلتين المكروهتين: كسير وعوير، وكل غير خير، وهو تصغير أعور مرخماً[2].

وروى الخطابي عن الزبير بن بكَّار: أنه أنشد لأبي همدة مولى المزنيين: [من الخفيف]

إِخْوَةٌ ما حَضَرْتُ سُرُّوا بِـزَوْرِي ... فَـإِذا غِبْـتُ فَالـسِّباعُ الْجِيـاعُ

بـــايَنُونِي حَتَّـــى إذا بـــايَنُونِي ... حـانَ مِـنْهُمْ تَـضاؤُلٌ وَاخْتِنـاعُ

فَهُـــمُ يَغْمِــزُونَ مِنِّــي قنــاةً ... لَيْسَ يَأْلُونَ صَدْعَها مـا اسْـتَطاعُوا

مـا كَـذا تَفْعَـلُ الكِـرامُ وَلَكِـنْ ... هَكَـذا تَفْعَـلُ اللِّئـامُ الوِضَـاعُ[3]

وقال: أنشدني بعض أهل الأدب لعبدالله بن المعتز: [من الوافر]

وَأَبْعَدَنِي عَـنِ الإِخْـوانِ عِلْمِـي ... بِهِـمْ، فَبَقِيـتُ مَهْجُـورَ النـواحِ

وَكَمْ ذَمٍّ لَهُـمْ فِـي جَنْبِ مَـدْحٍ ... وَجِـدٍّ تَحْـتَ أَثْـوابِ الْمـزاحِ[4]

قلت: ولنا في هذا الباب؛ ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر: ٢١]: [من الوافر]

---

(١) انظر: «العزلة» للخطابي (ص: ٦١).

(٢) انظر: «الصحاح» للجوهري (٢/ ٧٦١) (مادة: عور).

(٣) انظر: «العزلة» للخطابي (ص: ٦٣)، وعنده: «لأبي همهمة» بدل «لأبي همدة».

(٤) انظر: «العزلة» للخطابي (ص: ٦٤).

لَقَدْ أَصْبَحْتُ مَهْجُورَ النَّـواحِي ... مِنَ الإِخْوانِ مَقْصُوصَ الْجَنـاحِ

فَـلا خِـلٌّ يُـوافِقُنِي علـى مـا ... يُـؤَدِّينِي إِلَـى حـالِ الفَـلاحِ

إذا لاقَيْـتُهُمْ بِالْجِـدِّ قـالُوا ... بِجِـدِّي يَرْجِعُـونَ إِلَـى الْمـزاحِ

لِذَلِكَ قَدْ عَدَلْتُ إِلَـى انفِـرادِي ... بِمَطْلُوبِـي، وَعُدْتُ إِلَى ارْتِيـاحِ

فَلا أُصْـغِي إِلَـى مـا هُـمْ عَلَيْـهِ ... وَلا أُصْغِي إِلَـى مَلْحـاةِ لاحِـي

وقال الخطابي: أخبرني محمد بن إبراهيم المكتب، قال: حدثنا سكن قال: حدثنا عيسى بن أبي موسى الأنصاري قال: سمعت سليمان بن موسى يُنشد: [من الخفيف]

حالَ عَمَّا عَهِدْتُ رَيْـبُ الزَّمـانِ ... وَاسْـتحالَتْ مَـوَدَّةُ الإِخْـوانِ

وَاسْتَوى النَّاسُ فِي الْخَدِيعَةِ وَالْمَكْـ ... ـرِ فَكُـلٌّ لِـسانُهُ إثْنـانِ

فَلَعَمْـرِي لَـئِنْ بَلَـوْتُ النَّـاسَ ... وِدّاً وَجَـدْتُ ذا أَلْـوانِ[1]

قال: وأنشدني ابن أبي الدنيا قال: أنشدني أعرابي من بني أسد: [من الوافر]

أَلا ذَهَـبَ التَّكَـرُّمُ وَالْوَفـاءُ ... وَبـادَ رِجالُـهُ وَبَقِـيْ العَنـاءُ

وَأَسْـلَمَنِي الزَّمـانُ إِلَـى أُنـاسٍ ... كَـأَنَّهُمُ الـذِّئابُ لَهُـمْ عُـواءُ

إِذا مـا جِئْـتُهُمْ يَتَـدافَعُونِي ... كَـأَنِّي أَجْـرَبٌ أَعْيَـاهُ داءُ

---

(١) انظر: «العزلة» للخطابي (ص: ٦٤).

أَوِدَّاءٌ إذا اسْـــتَغْنَيْتُ عَــــنْهُمْ وَأَعْــــداءٌ إذا نَــــزَلَ الــــبَلاءُ
أَقُــولُ وَلا أُلامُ عَلــى مَقــالِي عَلى الإِخْـوانِ كُلِّهِـمُ العَفـاءُ[1]

ولا شك أنَّ الأخوة الحقيقية لا تذم، ولا يُقال على الإخوان المنصفين بها العفاء، ولكن لمَّا قلَّ الإخوان الحقيقيو الأخوة حتى صارُوا أعزَّ شيءٍ موجوداً وملحقين بالعدم، استعاروا للمعارف اسم الإخوان، ثم كانوا لا يكادون يجدون السوء إلا من المعارف؛ كما قال بعض السلف: ما وجدْتُ ضرراً قط إلا ممن عرفت.

وقال آخر: [من مجزوء الخفيف]

جَــــزَى اللهُ خَيْــــراً كُــــ ـــــلَّ مَــــنْ لَــسْتُ أَعْــرِفُ

فأطلقوا الذمَّ على اسم الإخوان، وعليه يحمل كل ما في ذلك.

وروى الخطابي في «العزلة» عن أبي عبيدة بن الجراح رضي الله تعالى عنه قال: كنا نتحدث أنَّ أمر هذه الأمة سيرجع أن يكون إخوان العلانية أعداء السريرة[2].

ثم قال الخطابي: أنشدني التمار النحوي قال: أنشدنا ابن الأنباري لأبي حازم: [من المنسرح]

إِخْــوانُ هَــذا الزَّمــانِ كُلُّهُــمُ إِخْـوانُ غَـدْرٍ عَلَيْـهِ قَـدْ جُبِـلُو
أَخُــوهُمُ الْمُــسْتَحِقُّ وَصْــلَهُمُ مَــنْ أَكَلُـوا عِنْـدَهُ وَمَـنْ أَكَلُـوا

---

(١) انظر: «العزلة» للخطابي (ص: ٦٤).

(٢) رواه الخطابي في «العزلة» (ص: ٦٢).

طَـوَوْا ثِيـابَ الْوِصـالِ بَيْـنَهُمُ ... فَـصارَ ثَـوْبُ الرِّيـاءِ يُبْتَـذَلُ

وَلَـيْسَ فِيمـا رَأَيْـتُ بَيْـنَهُمُ ... وَبَـيْنَ مَـنْ كـانَ مُعْـدِماً عَمَـلُ

فَاحْفَظْ مِنَ النَّاسِ إنْ ظَفِرْتَ بِـهِ ... مَـنْ لَـمْ يَكُـنْ إخـاؤُهُ دَخَـلُ[1]

وقال: سمعتُ أبا جعفر العتبي يُنشد لعلي بن الجهم، قلت: ولقد أجاد فيما شاد: [من الوافر]

تَوَقَّ النَّاسَ يا ابْـنَ أَبِـي وَأُمِّـي ... فَهُـمْ تَبَـعُ الْمَخافَـةِ وَالرَّجـاءِ

أَلَـمْ تَـرَ مُظْهِـرينَ عَلَـيَّ عَيْبـاً ... وَكـانُوا أَمْـسِ إِخْـوانَ الـصَّفاءِ

بُلِيْـتُ بِنَكْبَـةٍ فَغَـدَوْا وَراحـوا ... عَلَـيَّ أَشَـدَّ أَسْـبابِ القَـضاءِ

أَبَـتْ أَقْـدارُهُمْ أَنْ يَنْـصُرونِي ... بِجـاهٍ أَوْ بِمـالٍ أَوْ بِـراءِ

وَخافُوا أَنْ يُقالَ لَهُـمْ: خَـذَلْتُم ... صَدِيقاً فَـادَّعَوْا قِـدَمَ الْجَفـاءِ[2]

وقال: حدثنا الخلدي جعفر بن محمد بن نصير: ثنا أحمد بن مسروق الطوسي: ثنا أحمد بن أبي الحواري قال: قال أبو عبدالله النباحي رحمه الله تعالى: [من الرجز]

ارْفُـضِ النَّـاسَ وَكُـلَّ مَـشْغَلَةْ ... قَدْ بَخِلَ النَّـاسُ بِمِثْـلِ الْخَرْدَلَـةْ

لا تَسْأَلِ النَّاسَ وَسَلْ مَنْ أَنْتَ لَـهْ[3]

---

(١) انظر: «العزلة» للخطابي (ص: ٦٢).

(٢) انظر: «العزلة» للخطابي (ص: ٦٥).

(٣) انظر: «العزلة» للخطابي (ص: ٦٧).

وبالغ المتنبي في وصف أهل زمانه، فقال: [من الطويل]

أَذُمُّ إِلَــى هَــذا الزَّمــانِ أُهَيْلَــه فَأَعْلَمُهُم فَدْمٌ، وَأَحْزَمُهُمْ وَغْـدُ

وَأَكْرَمُهُمْ كَلْبٌ، وَأَبْصَرُهُمْ عَـمٍ وَأَسْهَدُهُمْ فَهْدٌ، وَأَشْجَعُهُم قِرْدُ

وَمِنْ نَكَدِ الدُّنْيا على الْمَرْءِ أَنْ يَرَى عَدُوّاً لَهُ ما مِـنْ صَـداقَتِهِ بُـدٌّ[1]

وقال: [من البسيط]

أَفاضِـلُ النَّاسِ أَغْراضٌ لِذا الزَّمَنِ يَخْلُو مِنَ الْهَمِّ أَخْلاهُمْ مِنَ الفِطَنِ

وَإِنَّمـا نَحْـنُ فِـي جِيـلٍ كَواسِـيَةٍ شَرٌّ عَلى الْحُرِّ مِنْ سُقْمٍ عَلى بَدَنِ

حَـوْلِي بِكُـلِّ مَكـانٍ مِـنْهُمُ خَلْـقٌ تُخْطِيْ إِذا جِئْتَ فِي استفهامها بِمَنِ

لا أَقْتَـرِي بَلَـداً إِلاَّ عَلـى غَـرَرٍ وَلا أَمُـرُّ بِخَلْـقٍ غَيْـرِ مُـضْطَغِنِ

وَلا أعاشِـرُ مِـنْ أَمْلاكِهِـمْ أَحَـداً إِلاَّ أَحَقَّ بِضَرْبِ السَّيْفِ مِنْ وَثَنِ

إِنِّـي لأَعْـذُرُهُمْ مِمَّــا أُعَــنِّفُهُمْ حَتَّى أُعَنِّـفَ نَفْـسِي فِـيْهِمْ وأَنِـيْ

فَقْرُ الْجَهُولِ بِلا قَلْـبٍ إِلَـى أَدَبٍ فَقْرُ الْحِمارِ بِلا رَأْسٍ إِلَـى رَسَـنِ

وَمُــدْقِعينَ بِـسبروتٍ صَــحِبْتُهُمُ عارِينَ مِنْ حُلَلٍ، كاسِينَ مِنْ دَرَنِ

خـرابُ بادِيَــةٍ غَرْثَــى بُطُــونُهُمُ [مكن الضَّبابِ لهم زادٌ بلا ثَمـنِ

يستخبرونَ فلا أُعْطِيهمُ خَبـري] وَما يَطَـيْشُ لَهُـمْ سَـهْمٌ مِـنَ الظَّـنِنِ

---

(١) انظر: «يتيمة الدهر» للثعالبي (١/ ٢٤٣).

وَخلـةٍ مِـنْ جَلِـيسٍ أَتَّقِيـهِ بِهـا ... كَيْلا يُرى أَنَّنا مِثْلانِ فِي الوَهَنِ[1]

وأحسن ما قيل: [من البسيط]

غَيْرِي بِأَكْثَرِ هَذا النَّـاسِ يَنْخَـدِعُ ... إِنْ قاتَلُوا جَبُنوا أَوْ حَدَّثوا شَجُعُوا

أَهْـلُ الْحَفِيظَـةِ إِلاَّ أَنْ تُجَـرِّبَهُمْ ... وَفِي التَّجارِبِ بَعْدَ العَيِّ ما يَزَعُ[2]

وأجاد مهيار في قوله: [من مخلَّع البسيط]

وَلائـمٍ فِـي عُـزوفِ نَفْـسِي ... قُلْـتُ لَـهُ أَنـتَ وَالْخُطُـوبُ

عَـساكَ خُبْـراً بِالنَّـاسِ مِثْلِـي ... إِنْ رَدَّ مِـن عِلْمِـكَ الغَرِيـبُ

فَفِـي قِلـى مَـنْ تُـراكَ تَلحـى ... مِـنْهُمْ وَفِـي تَـرْكِ مَـنْ تَعِيـبُ

اللهُ لِـي إِنْ طَرَحْـتُ عِرْضِـي ... آكِلَـةُ آمـالِهِمْ حَـسِيبُ

قَـدْ كُنْـتُ أَبْكِـي وَهُـمْ فُـروقٌ ... شَتَّى، وَأَشْكُو وَهُـمْ ضُروبُ

فَمـا أَرى مِـنْهُمُ بَرِيئـاً ... يَخْشى افْتِضاحاً بِـهِ الْمريـبُ

وما أحسن قوله: [من الوافر]

أُقَـضِّي مـا أُغـالِطُ مِـنْ زَمـانٍ ... بِلَوْعـاتٍ تَكـادُ عَلَـيَّ تَقْـضِي

---

(١) انظر: «شرح ديوان المتنبي» للواحدي (ص: ١٢٨ ـ ١٢٩)، وفيه بعض الاختلاف عما أورده المصنف هنا.

(٢) البيتان للمتنبي، انظر: «شرح ديوان المتنبي» للواحدي (ص: ٢٢٦).

وَمَسْبُوقِينَ فِـي طُـرُقِ الْمَعَـالِي وَإِنْ زُجِـروا بِحَـثٍّ أَوْ بِحَـضِّ

أُصاحِبُهُمْ فيُمْـسِي الـوِدُّ عَـنْهُمْ عَلى زَلَقٍ مِنَ الـشَّحْناءِ دَحْـضِ

وَأُبْـرِمُ فِـيهِمْ مِـدَحاً مِتانـاً فتَلْقاهـا مَعـانِيهِمْ بِـنَقْضِ

وله أيضاً: [من الرجز]

مَنْ لَكَ بِالنَّاسِ وَلا نـاسَ لَهُـمْ إِلاَّ كَـلامَ الْخَـدِعِ الْمُكَـاثِرِ

نَفْسَكَ صُنْ لَيْسَ أَخُوكَ غَيْرَها فَقالِـلِ النَّـاسَ بِهـا أَوْ كـاثِرِ

وَاعْلَـمْ بِـأَنَّ عِزَّهـا قنوعُهـا بِرِزْقِهـا الْمَيْسورِ فِي الْمعاشـرِ

وَإِنْ وَصَـلْتَ فَأَخـاً مُـصَافِياً صَحَّ عَلى التَّجْرِيـبِ وَالْمخـابرِ

أَخٌ تـرى لِوَجْهِـهِ قَبْـلَ الْجـدى أَسِـرَّةً تَلْقـاكَ بِالْبَـشائِرِ

قلت: وقد ذيَّلت عليه بقولي: [من الرجز]

مَنْ لِـي بِهَـذا الأَخِ لَـوْ أَبْـصَرْتُهُ أَصْـفَيْتُهُ بِـباطِنِي وَظـاهِرِي

وَكُنْتُ مِنْـهُ بِمَكـانِ العَـيْنِ مِـنْ إِنْسانِها وَالْقَلْـبِ مِـنْ بَـصائِرِي

أَرْعاهُ مِثْلَما رَعَى الظَّبْيُ الرَّشـا وَالْـوِدُّ أَدْنَـى رَحِـمٍ وَناصِـرِ

لَكِنَّـهُ أَعَـزُّ مِـنْ عَنْقـاءَ مُغْـ ـربٍ وَأَخْفَى مِنْ خَفِيِّ الْخـاطِرِ

وروى البيهقي في «الزهد» عن الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى قال: إذا رأيتَ الأسد فلا يهولنك، وإذا رأيتَ إنساناً فخذ

ثوبك وفِرَّ[1].

وروى أبو نعيم عن ابن المبارك رحمه الله تعالى: فرَّ من الناس كفرارك من الأسد[2].

وقال الخطابي: حدثنا عن الشافعي ﷺ أنه قال: ما أشبه هذا الزمان إلا بما قال تأَبَّطَ شرّاً: [من الطويل]

عَوَى الذِّئْبُ فَاسْتَأْنَسْتُ لِلذِّئْبِ إِذْ عَوى

وَصَوَّتَ إِنْسانٌ فَكِدْتُ أَطِيرُ[3]

قال: وأنشدني الآبري لمنصور بن إسماعيل: [من المجتث]

النَّاسُ بَحْرٌ عَمِيقٌ

وَالبُعْدُ عَنْهُمْ سَفِينَةْ

وَقَدْ نَصَحْتُكَ فَانْظُرْ

لِنَفْسِكَ الْمِسْكِينَةَ

قال: وأَنْشَدُونا له:

---

(١) رواه البيهقي في «الزهد الكبير» (ص: ١٠٠).

(٢) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٨/ ١٦٥).

(٣) انظر: «العزلة» للخطابي (ص: ٥٦).

كُـلُّ مَـنْ أَصْبَحَ فِـي دَهْـــ ـــرِكَ مِمَّـنْ [قـد] تَـراهْ
فَهْــوَ مِـنْ خَلْفِـكَ مِقْـــ ـــرَاضٌ وَفِـي الْوَجْـهِ مِـرَاةْ[1]

قال الخطابي: والمثل من قديم الدهر: ما لقي الناس من الناس. انتهى[2].

وقلت مضمناً: [من الرجز]

إِنَّ بَـلاءَ النَّـاسِ بِالنَّـاسِ مـا لَقِـيَ النَّـاسُ مِـنَ النَّـاسِ

أو يُقال:

مـا لَقِـيَ النَّـاسُ مِـنَ النَّـاسِ إِنَّ بَـلاءَ النَّـاسِ بِالنَّـاسِ
فَاحْذَرْ مِنَ النَّـاسِ وَلا تَغْـدُ لِلْـ أَمْـرِ الَّـذِي أوْصِـيتَ بِالنَّـاسِ

وروى الخطابي، وأبو نعيم عن الربيع بن سليمان قال: سمعت الشافعي رضي الله تعالى عنه يقول: [من البسيط]

لَيْتَ الْكِلابَ لَنا كانَتْ مُجاوِرَةً وَلَيْتَنا لا نَرَى مِمَّـنْ نَـرى أَحَـداً
إِنَّ الْكِلابَ لَتَهْدا فِي مَرابِضِـها وَالنَّاسُ لَيْسَ بهـادٍ شَـرُّهُمْ أَبَـداً
فَانْجُ بِنَفْسِكَ وَاسْتَأْنِسْ بِوَحْدَتِها أَنْتَ السَّعِيدُ إِذا ما كُنْتَ مُنْفَرِداً[3]

---

(١) انظر: «العزلة» للخطابي (ص: ٥٧).

(٢) انظر: «العزلة» للخطابي (ص: ٥٩).

(٣) انظر: «العزلة» للخطابي (ص: ٥٦).

وأنشد الخطابي في المعنى لبعض أهل عصره: [من البسيط]

شَرُّ السِّباعِ الضَّوارِي دُونَهُ وَزَرُ ... وَالنَّاسُ شَرُّهُمْ ما دُونَهُ وزَرُ

كَمْ مَعْشَرٍ سَلِموا لَمْ يُؤْذِهِمْ سَبُعٌ ... وَما تَرى بَشَراً لَمْ يُؤْذِهِ بَشَرُ[1]

وقال آخر؛ أنشده الدميري والسيوطي: [من الكامل]

وَالنَّاسُ أَهْدى فِي القَبِيحِ مِنَ القَطا ... وَأَضَلُّ فِي الْحُسْنَى مِنَ الغِرْبانِ[2]

وروى الخطابي عن الحسن رحمه الله تعالى أنه قال: اعلموا أنَّ الناس شجرة بغي، وفراش نار، وذبان طمع؛ إنَّ الدنيا لمَّا فتحت على أهلها كَلَبوا - والله - أسوأَ الكَلَب حتى غار بعضهم على بعض بالسيوف، واستقل بعضهم حرمة بعض، تجانفوا على قبيحةٍ كسبوها من كل حرام، وأنفقوها في كل شر، وطبقوا الأرض ظلماً[3].

قال الخطابي: وقرأت لمنصور بن عمار رحمه الله تعالى في صفة الزمان فقال: تغير الزمان حتى كَلَّ عن وصفه اللسان، فأمسى خَرِفاً بعد حداثته، شرساً بعد لِيْنه، يابس الضرع بعد غزارته، يابس الفرع بعد نضارته، قاحل العود بعد رطوبته، بشع المذاق بعد عذوبته، فلا نكاد نرى لبيباً إلاَّ ذا كمد، ولا ظريفاً واثقاً بأحد، وما أصبح له حليفاً

---

(١) انظر: «العزلة» للخطابي (ص: ٥٦).

(٢) انظر: «حياة الحيوان الكبرى» للدميري (٢/ ٣٤٥). والبيت للأديب الغزي كما في «خريدة القصر وجريدة العصر» للعماد الأصبهاني (٨/ ٧).

(٣) رواه الخطابي في «العزلة» (ص: ٧٢).

إلا جاهل، ولا أمسى به قرير عين إلاَّ غافل، فما بقي من الخير إلا الاسم، ولا من الدين إلا الرسم، ولا من التواضع إلا المخادعة، ولا من الزهادة إلا الانتحال، ولا من المروءة إلا عذوبة اللسان، ولا من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلا حمية النفس، والغضب لها، وتضلع الكبر منها، ولا من الاستفادة إلا التعزز والتبجل، ولا من الإيمان إلا التراؤس، والتجلل بالغرور المائق المذموم عند الخلائق، النادم من العواقب، المحظوظ عن المراتب، من اغترَّ ولم يحسم رجاءَه باليأس، ولم يطلق قلبه بشدة الاحتراس.

فالحذرَ الحذرَ من الناس؛ فقد أَفَلَ الناس وبقي النسناس، ذئاب عليهم ثياب، إنْ استرفدتهم حرموك، وإن استنصرتهم خذلوك، وإن استنصحتهم غشوك، وإن كنت شريفاً حسدوك، وإن كنت وضيعاً حقروك، وإن كنت عالماً ضللوك وبدَّعوك، وإن كنت جاهلاً عيروك ولم يرشدوك، وإن نطقت قالوا: مِهْذار مِكثار وصَفيق، وإن سكتَّ قالوا: عَيي بطيء وبَلِيْد، وإن تعمقت قالوا: متكلف متعمق، وإن تغافلت قالوا: جاهل أحمق؛ فمعاشرتهم داءٌ وشقاء، ومزايلتهم دواءٌ وشفاء، ولا يؤمن أن يكون في الداء مرارة وكراهة، فاختاروا الدواء بمرارته وكراهته على الداء لغائلته وآفته؛ والله المستعان[1]!

وقال الخطابي: أنشدني أبو رجاء الغنوي قال: أنشدني العتبي

---

(١) انظر: «العزلة» للخطابي (ص: ٧١).

من قصيدة له: [من الرجز]

إِنِّـي تبَـدَّلْتُ بِـإِخْوانِ الـصَّفا | قَوْماً يَرَوْنَ النُّبْلَ تَطْوِيلَ اللِّحى
لا عِلْـمَ دُنْيـا عِنْـدَهُمْ وَلا تُقَـى | غُذُّوا صِغاراً ثُمَّ خَلُّوهُمْ سُـدَى
يَغْمُـرُهُ الْجَهْـلُ وَآدابُ النِّـسا | فَلَـوْ تَـرى شَـيْخَهُمُ إذا احْتَبَـى
ثُمَّ ابْتَدَا فِي وَصْفِ شَـيْءٍ وَبَـدا | مِنْ رخْصِ أَسْعارٍ وَمِنْ فَرْطِ غَلا
وَرَفَعُـوا أَصْـواتَهُمْ بُكًّـى وَلا | حَـسِبْتَهُمْ ضَـأْناً تَنـاغَوْا بِثغـا
أَوْ سِرْبَ بَطٍّ جَاوَبَتْ سِرْبَ قَطا | فَذَلِكَ الدَّأْبُ إِلَى وَقْـتِ العِـشا
وَالقَلْبُ يَزْدادُ صَدًى إِلَى صَدى | لِقُرْبِـهِمْ وَالعِلْـمُ يَـزْدادُ فَنـا
وَكُلُّهُمْ فِي العِلْمِ يَمْشِي القَهْقَرى | يُرِيدُ قُـدَّاماً فَيَجْـرِي مِـنْ وَرا[1]

وروى ابن عدي في «الكامل» عن سفيان بن عيينة قال: سمعت علي بن زيد بن جُدْعان سنة سبع وستين يقول: مثل النساء إذا اجتمعن بمنزلة البط؛ إذا صاحت واحدة صِحْن جميعاً[2].

وقال الدينوري في «المجالسة»: أنشدنا ابن أبي الدنيا قال: أنشدني شيخ من الأزد: [من البسيط]

قَدْ ضَيَّعَ اللهُ ما جَمَّعْتُ مِنْ أَدَبِ | بَيْنَ الْحَمِيْرِ وَبَيْنَ الـشَّاءِ وَالْبَقَـرِ

---

(١) انظر: «العزلة» للخطابي (ص: ٧٣).

(٢) رواه ابن عدي في «الكامل في الضعفاء» (٥/ ١٩٨).

أَقُولُ إِنْ سَكَتُوا أُنْسٌ، وَإِنْ نَطَقُوا قُلْتُ: الضَّفادعُ بَيْنَ الْماءِ وَالشَّجَرِ
لا يَسْمَعُونَ إِلَى شَيْءٍ أَجِيْءُ بِـهِ وَكَيْفَ تَسْتَمِعُ الأَنْعامُ لِلْبَشَرِ[1]

وروى أبو نعيم عن أبي علي النيسابوري الفقيه: أن الشافعي رضي الله تعالى عنه لمَّا دخل مصر أتاه جُلُّ أصحاب مالك في مسائل، فتنكروا له وجفَوه، فأنشأ يقول: [من الطويل]

أَأَنْثُـرُ دُرّاً بَـيْنَ سـارِحَةِ الـنَّعَمْ وَأَنْظُـمُ مَنْثُـوراً لِراعِيَـةِ الغَـنَمْ
لَعَمْرِي لَئِنْ ضُيِّعْتُ فِي شَرِّ بَلْدَةٍ فَلَسْتُ مُضَـيِّعاً بَيْنَهُمْ غُرَرَ الْحِكَمْ
فَـإِنَّ فَـرَّجَ اللهُ اللَّطِيـفُ بِلُطْفِـهِ وَصادَفْتُ أَهْلاً لِلْعُلُومِ وَلِلْحِكَمْ
بَثَثْتُ مُفِيداً وَاسْتَفَدْتُ وِدادَهُـمْ وَإِلاَّ فَمَخْـزُونٌ لَـدَيَّ وَمُكْتَـتَمْ
وَمَنْ مَنَحَ الْجُهَّالَ عِلْماً أَضـاعَهُ وَمَنْ مَنَعَ الْمُسْتَوْجِبِيْنَ فَقَدْ ظَلَمْ[2]

وأنشد الإمام فخر الدين الرازي للإمام الشافعي رضي الله عنه أيضاً: [من الوافر]

نَعِيـبُ زَمانَنـا وَالْعَيْـبُ فِينـا وَمـا لِزَمانِنـا عَيْـبٌ سِـوانا
وَقَدْ نَهْجُـو الزَّمـانَ بِغَيْـرِ جُـرْمٍ وَلَـوْ نَطَـقَ الزَّمـانُ بِـهِ هَجانـا
دِيانَــتُنا التَّــصَنُّعُ وَالتَّرائِـي فَـنَحْنُ بِـهِ نُخـادِعُ مَـنْ يَرانـا

---

(١) انظر: «المجالسة وجواهر العلم» للدينوري (ص: ٥٨٧).
(٢) انظر: «حلية الأولياء» (٩/ ١٥٣).

وَلَيْسَ الذِّئْبُ يَأْكُلُ لَحْمَ ذِئْبٍ ... وَيَأْكُلُ بَعْضُنا بَعْضاً عِياناً

لَبِسْنا لِلتَّخادُعِ مَسْكَ ضَأْنٍ ... فَوَيْلٌ لِلمُغِيرِ إِذا أَتانا[1]

وروى ابن عساكر عن الخطيب البغدادي قال: أنشدنا أبو عبدالله الصُّوري لنفسه: [من المجتث]

نِعْمَ الأَنِيسُ الْكِتابُ ... إِنْ خانَكَ الأَصْحابُ

يَحْوِي ضُروبَ عُلُومٍ ... تَزِيْنُها الآدابُ

تَنالُ مِنْهُ فُنوناً ... تَحْظَى بِها وَتُثابُ

لا مُظْهِرٌ لَكَ سِرّاً ... وَلا عَلَيْهِ حِجابُ

وَلا يَصُدُّكَ عَنْهُ ... إِنْ جِئْتَهُ بَوَّابُ

وَلا يَسُوؤُكَ مِنْهُ ... تَقَطُّبٌ أَوْ عِتابُ

وَلا يَعِيبُكَ إِنْ كا ... نَ فِيكَ شَيْءٌ يُعابُ

خِلافَ قَوْمٍ تَراهُمْ ... لَيْسَتْ لَهُمْ أَلْبابُ

لَكِنَّهُمْ كَذِئابٍ ... طُلْسٍ عَلَيْهِمْ ثِيابُ

إِذا تَقَرَّبْتَ مِنْهُمْ ... أَرْضاكَ مِنْهُمْ خِطابُ

وَإِنْ تَباعَدْتَ مِنْهُمْ ... فَكُلُّهُمْ مُغْتابُ

---

(١) وانظر: «الزهد الكبير» للبيهقي (١/ ١٢٤).

مَــــا هَـــــؤُلاءِ بِنَـــــاسٍ بَــلْ هُــمْ لَعَمْــرِي كِــلابُ
فَالْبُعْـــــدُ عَـــنْهُمْ ثَـــوابٌ وَالقُـــرْبُ مِـــنْهُمْ عِقَــابُ[1]

ومن لطائف شيخ الإسلام تقي الدين بن دقيق العيد رحمه الله تعالى: [من الخفيف]

مَنْ عَذِيرِي مِنْ مَعْشَرٍ هَجَرُوا العقـ ـل وَحادُوا عَنْ طُرُقِهِ الْمُسْتَقِيمَةْ
لا يَرَوْنَ الإِنْسانَ قَـدْ نـالَ حَظّـاً مِنْ صَلاحٍ حَتَّى يَكُونَ بَهِيمَـةْ[2]

وأنشد القاضي أبو الحسن الماوردي في «أدبه» لأبي بكر بن دريد: [من مجزوء الكامل المرفّل]

النَّـــاسُ مِثْـــلُ زَمـــانِهِمْ قُــدَّ الْحِــذاءُ عَلَــى مِثالِــهْ
وَرِجَــالُ دَهْــرِكَ مِثْـلُ دَهْـــ ـــرِكَ فِـــي تَقَلُّبِـــهِ وَحالِــهْ
وَكَـــذا إِذا فَـــسَدَ الزَّمـــانُ جَـرى الفَـسادُ عَلـى رِجالِـهْ[3]

وروى الخطابي في «غريب الحديث» بإسناده، عن أبي الدرداء رضي الله تعالى عنه قال: ما أنكرتم فيما غبرتم من أعمالكم؛ إنْ يك خيراً فواهاً واهاً، وإنْ يك شرّاً فآهاً آهاً[4].

(١) انظر: «تقييد العلم» للخطيب البغدادي (ص: ١٣٢).
(٢) انظر: «طبقات الشافعية الكبرى» للسبكي (٩/ ٢٣٠).
(٣) انظر: «أدب الدنيا والدين» للماوردي (ص: ١٥٩).
(٤) رواه الخطابي في «غريب الحديث» (٢/ ٣٣٨).

وروى أبو عمرو الداني في «الفتن» عن الحسن البصري رحمه الله تعالى أنه كان يقول: ما أنكرتم من زمانكم فبسوء أعمالكم[1].

وروى هو وأبو نعيم عن الشعبي رحمه الله تعالى قال: ما بكيت من زمانٍ إلا بكيت عليه[2].

وروى أبو عمرو عن ميسرة بن حليس قال: ما لنا لا يأتينا زمان إلا بكينا منه، ولا تولَّى عنا إلا بكينا عليه[3].

وقال أبو العتاهية: [من مخلع البسيط]

يَا رَبِّ لَمْ نَبْكِ مِنْ زَمَانٍ ... إِلاَّ بَكَيْنَا عَلَى الزَّمَانِ[4]

وذكر الإمام أبو سعيد عبد الملك بن محمد الخركوشي في كتاب «الشرف» عن علي رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لَيَأْتِيَنَّ عَلَىْ النَّاسِ زَمَانٌ يَكُوْنُوْنَ عَلَىْ شِبْهِ أَسَدٍ، وَذِئْبٍ، وَكَلْبٍ، وَثَعْلَبٍ، وَخِنْزِيْرٍ، وَشَاةٍ.

فَأَمَّا الأسدُ: فَمُلُوْكُ الدُّنْيَا يُغَيِّرُوْنَ سُنَنَهَا، وَيَدَعُوْنَ حُدُوْدَهَا، وَيُحَرِّمُوْنَ حَلالَهَا، وَيُحِلُّوْنَ حَرَامَهَا، لا يَطْمَعُ أَحَدٌ فِيْ فَرِيْسَتِهِ.

---

(١) رواه أبو عمرو الداني في «الفتن» (٣/ ٥١٩).

(٢) رواه أبو عمرو الداني في «الفتن» (٣/ ٥٢٠)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٤/ ٣٢٣).

(٣) رواه أبو عمرو الداني في «الفتن» (٣/ ٥١٩).

(٤) انظر: «المجالسة وجواهر العلم» للدينوري (ص: ٥٤١).

وَأَمَّا الذِّئْبُ: فَالتَّاجِرُ الفَاجِرُ، يَذُمُّ إِذَا اشْتَرَىٰ، وَيَمْدَحُ إِذَا بَاعَ.

وَأَمَّا الكَلْبُ: فَالرَّجُلُ الْكَذَّابُ.

وَأَمَّا الثَّعْلَبُ: فَالرَّجُلُ القَارِىءُ الَّذِيْ يَأْكُلُ بِدِيْنِهِ.

وَأَمَّا الخِنْزِيْرُ: فَالرَّجُلُ المُتَشَبِّهُ بِالنِّسَاءِ لا يَظْلِفُ نَفْسَهُ عَنْ شَيْءٍ.

وَأَمَّا الشَّاةُ: فَالرَّجُلُ المُؤْمِنُ يُجَزُّ صُوْفُهَا، وَيُؤْكَلُ لَحْمُهَا، وَيُحْلَبُ لَبَنُهَا؛ فَكَيْفَ بِشَاةٍ بَيْنَ أَسَدٍ، وَذِئْبٍ، وَكَلْبٍ، وَثَعْلَبٍ، وَخِنْزِيْرٍ».

وروى أبو عمرو الداني عن [إبرهيم بن] أبي عبلة قال: تقوم الساعة على أقوام أحلامهم أحلام العصافير(١).

وفي كلام بعض السلف: لا يكون العبد من المتقين حتى يرى الناس كالأباعر في ذات الله تعالى(٢).

أي: لا يتصورهم في فعل الطاعة لأجلهم، ولا في تركها لأجلهم.

فأما ازدراء الناس فلا إلا أن يكون ازدراؤه لأهل المعصية منهم بزجرهم وتأديبهم، وازدراءُ أهل العلم والدين قبيحٌ مذموم.

---

(١) رواه أبو عمرو الداني في «الفتن» (٣/ ٦٩).

(٢) ذكره الغزالي في «إحياء علوم الدين» (٤/ ٣٩٢) مرفوعاً. قال العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء» (٢/ ١١٨٢): لم أجد له أصلاً في حديث مرفوع.

ومن لطائف ابن دقيق العيد: [من البسيط]

أَهْلُ الْمَناصِبِ فِي الدُّنْيا وَرِفْعَتِها ... أَهْلُ الفَضائِلِ مَرْذُولُونَ بَيْنَهُمُ

قَدْ أَنْزَلُونا لأَنَّا غَيْرُ جِنْسِهِمُ ... مَنازِلَ الوَحْشِ فِي الإِهْمالِ عِنْدَهُمُ

فَما لَهُمْ فِي تَوَقِّي ضُرِّنا نَظَرٌ ... وَلا لَهُمْ فِي تَرَقِّي قَدْرِنا هِمَمُ

فَلَيْتَنا لَوْ قَدَرْنا أَنْ نُعَرِّفَهُمْ ... مِقْدارَهُمْ عِنْدَنا أَوْ لَوْ دَرَوْهُ هُمُ

لَهُمْ مُرِيحانِ مِنْ جَهْلٍ وَفَرْطِ غِنًى ... وَعِنْدَنا الْمُتْعبانِ العِلْمُ وَالعَدَمُ[1]

وقد ناقضه الفتح الثقفي المنسوب إلى الزندقة؛ قال ابن السبكي:

وأجاد: [من البسيط]

إِنَّ الْمَراتِبَ وَالدُّنْيا وَرِفْعَتَها ... عِنْدَ الَّذِي حازَ عِلْماً لَيْسَ عِنْدَهُمُ

لا شَكَّ أَنَّ لَنا قَدْراً رَأَوْهُ وَما ... لِقَدْرِهِمْ عِنْدَنا قَدْرٌ وَلا لَهُمُ

هُمُ الوُحُوشُ وَنَحْنُ الإِنْسُ حِكْمَتُنا ... تَقُودُهُمْ حَيْثُما شِئْنا وَهُمْ نَعَمُ

وَلَيْسَ شَيْءٌ سِوَى الإِهْمالِ يَقْطَعُنا ... عَنْهُمْ لأَنَّهُمُ وِجْدانُهُمْ عَدَمُ

لَنا الْمُرِيحانِ مِنْ عِلْمٍ وَمِنْ عَدَمٍ ... وَفِيهِمُ الْمُتْعِبانِ الْجَهْلُ وَالْحَشَمُ[2]

وقلت: [من البسيط]

---

(١) انظر: «طبقات الشافعية الكبرى» للسبكي (٩/ ٢١٥).

(٢) انظر: «طبقات الشافعية الكبرى» للسبكي (٩/ ٢١٥).

إِنَّ الْمُلُــوكَ وَأَرْبَــابَ الْمَناصِــبِ قَــدْ
عَمُــوا وَصَــمُّوا بِمــا هُــمْ فِيـه وَابْتَكَمُــوا
بَــدَتْ لَهُــمْ زِينَــةُ الــدُّنْيا وَأَمْكَــنَهُمْ
مِنْهــا هَــواهُمْ فَظَنُّــوا أَنَّهُــمْ كَرُمُــوا
وَلَــمْ يَــرَوْا طَلَــبَ الْعِلْــمِ الــشَّرِيفِ وَلا
لِطاعَـــةِ اللهِ كانَـــتْ عِنَـــدَهُمْ هِمَـــمُ
قَــدْ غَــرَّهُمْ زُخْــرُفُ الــدُّنْيا وَزِيْنَتُهــا
فَهُــمْ هُــمُ النَّــاسُ دُونَ النَّــاسِ عِنْــدَهُمُ
وَمَــنْ تَجَــرَّدَ عَــنْ دُنْيــاهُمُ وَغَــدا
بِــالعِلْمِ مُتَّــصِفاً لَــمْ يَحْــسَبُوهُ هُــمُ
لِــذا افْتَرَقْنــا، فَــلا هُــمْ يَحْفِلــونَ بِمــا
بِــهِ احْتَفَلْنــا، وَقَــدْ خَلَّــوْهُ كُلُّهُــمُ
وَمــا لَنــا رَغْبَــةٌ فِيمــا بِــهِ احْتَفَلُــوا
لأَنَّـــهُ عِنْـــدَنا وِجْدانُـــهُ عَـــدَمُ
عَلَــوا وَخــالُوا بِمــا خــالوه مَكْرُمَــةً
وَلَــمْ نَخِــلْ، وَاتَّــضَعْنا نَحْــنُ دُونَهُــمُ
لَنــا الْمُرِيْحــانِ مِــنْ عِلْــمٍ وَمِــنْ ضَعَةٍ
وَالْمُتْعِبــانِ لَهُــمُ الْجَهْــلُ وَالــشَّمَمُ

* **تَنْبِيهٌ نَجْعَلُهُ خاتِمَةً لِهذا الفَصْلِ:**

يجري على ألسنة الناس قولهم للخادم والمخاصم: يا كلب! أو: يا حمار! أو: يا خنزير! أو: ما فَعَل هذا الكلب، أو: لأخرجن من حق هذا الخنزير، أو نحو ذلك.

هذا إن كان يريد به مطلق الذم والشتم تشفياً وتسلِّياً فهو مكروهٌ قبيحٌ بوجهين:

**أحدهما:** أنه كاذب.

**والثاني:** أنه إيذاء.

وروى ابن أبي شيبة عن إبراهيم ـ يعني: النخعي ـ قال: كانوا يقولون: إذا قال الرجل للرجل: يا كلب! يا حمار! يا خنزير! قال الله تعالى له يوم القيامة: أتراني خلقته كلباً، أو حماراً، أو خنزيراً[1]؟

وعن المسيب قال: لا تقل لصاحبك: يا حمار! يا كلب! يا خنزير! فيقول لك يوم القيامة: أتراني خُلِقْتُ كلباً أو حماراً أو خنزيرا[2]؟

وخُلِقْتُ ـ بضم الخاء المعجمة، وكسر اللام ـ: مبني لنائب الفاعل.

وروى الإمام أحمد في «الزهد» عن هانىء البربر قال: دخل على

---

(1) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٢٦١٠٢).

(2) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٢٦١٠٠).

عثمان رضي الله تعالى عنه دِهْقان من أهل فارس، فإذا هو يأكل مع امرأته وغلام له حبشي، فقال في كلامه: يأكل هذا الكلب معكما، فكأن الحبشي فهمها، فكف، فقال: كُلْ.

ثم قال عثمان رضي الله تعالى عنه: هو لله وإنا لله، وما أدري أيُّنا أفضل عند الله.

قال: فلما قتل عثمان رضي الله تعالى عنه وثب الحبشي إلى قاتله فضربه أيضاً، فقتل، فاختلفت دماؤهما.

وروى ابن أبي شيبة عن مجاهد رحمه الله تعالى قال: استسقى موسى عليه السَّلام لقومه فقال: اشربوا يا حمير.

فقال الله تعالى له: لا تُسَمِّ عبادي حميراً[1].

وإنما سمَّاهم موسى عليه السَّلام حميراً لِمَا رأى من جزعهم وغفلتهم عن قدرة الله تعالى لأنهم كانوا قد امتنعوا عن مقاتلة الجبارين جُبْناً عن جهادهم، ولم يثقوا بقدرة الله تعالى وعونه بحيث إن من قدرته وعونه أن ينصر أولياءه وإن كانوا قليلين مستضعفين على أعدائه وإن كانوا كثيرين؛ كما وثق الله تعالى جند طالوت حيث قالوا: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾[البقرة: ٢٤٩].

بل قالوا: ﴿إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ ﴿٢٢﴾ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٢٦١٠١).

عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُوا۟ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُوا۟ فِيهَا ۖ فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ﴾[المائدة: ٢٢ ـ ٢٤].

ثم لمَّا دخلوا التِّيه ونَفِدَت أزوادهم، وفرغت مياههم، جزعوا، وخافوا أن يموتوا عطشاً وجوعاً، فلما استسقى لهم موسى عليه السَّلام، فاستجاب الله له، وأمره أن يضرب الحجر بعصاه، وكان فِهْراً بقدر الكف، فانفجرت منه اثنتا عشرة عَيْناً بالماء العذب المَعين، وكان موسى عليه السَّلام يطالع القدرة التي بها الماء الكثير من الحجر الصغير، وكانوا هم مشتغلين عن ذلك بالتشوف إلى الماء والعطش إليه، فكانوا والحمير على حدٍّ سواء، فعند ذلك قال لهم موسى عليه السلام: اشربوا يا حمير؛ أي: يا أشباه الحمير، فحذف المضاف، وأقام المضاف إليه مقامه للمبالغة، أو سمَّاهم حميراً ادعاءً للمبالغة، ومثل هذا شائع في الكلام.

وقد تقدم أنَّ ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال لرجلٍ كلَّم صاحبه يوم الجمعة والإمام يخطب، فقال له: أما أنت فحمار، وأما صاحبك فلا جمعة له[1].

وإنما نهى الله تعالى موسى عليه السلام، وقال له: لا تُسَمِّ عبادي حميراً؛ لأنه كان مُشرِّعاً يُقتدى بأفعاله وأقواله، فربما اقتدى به بعض الجهال في تسمية الإنسان حماراً، وخاطب بذلك من لا يصلح أن

---

(١) تقدم تخريجه.

يُخاطب بمثل هذا الخطاب.

والأولى في حق القدوة أن يبعد في أقواله وأفعاله عمَّا يحتمل التأويل، فكان الأليق بمنصبه عليه الصلاة والسلام أن يقول لهم: يا أمثال الحمير، أو: يا إخوان الحمير؛ كما قال الله تعالى في حق أحبار بني إسرائيل: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا﴾[الجمعة: ٥] حين أمرهم أن يأخذوا بما فيها فلم يعلموا بها، فقال النَّبي ﷺ لليهود حين أنزل الله تعالى عليه فيهم: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَۚ أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾[المائدة: ٦٠]، فقال النبي ﷺ: «يَا إِخْوَانَ القِرَدَةِ».

وفيه تورية لطيفة؛ فإنه يصلح أن يُراد به: يا إخوان القردة الممسوخين قردة، وأن يُراد به: يا أمثال القردة كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِۖ﴾[الإسراء: ٢٧]؛ أي: أمثالهم.

وأما قوله ﷺ: «أَلا أُخبِـرُكُمْ بِالتَّيْسِ المُسْتَعَارِ؟ المُحَلِّلُ»(١)؛ فإنَّ النبي ﷺ لم يخاطب به مخصوصاً معيناً، ولم يصرح فيه بالتمثيل، بل سمَّى المحلل تيساً مستعاراً على سبيل المبالغة للتنفير من التحليل.

وهذا جائزٌ سائغ ـ وإن كان النبي ﷺ في مقام التشريع ـ لأنَّ هذا اللفظ لا يتوهم منه إباحة تسمية كل إنسان تيساً، بل لا يحتمل إلا

---

(١) تقدم تخريجه.

تسمية كل محلل تيساً مستعاراً، وقد عرفت الوجه في ذلك، بخلاف قول موسى ﷺ لكافة بني إسرائيل: اشربوا يا حمير.

وأيضاً، فإنَّ النبي ﷺ أشار إلى سبب إلحاق المحلل بالتيس المستعار، وهو التحليل، بخلاف موسى عليه السلام؛ فإنه لم يُعين سبب تسمية بني إسرائيل حميراً، ولو بين لهم سبب ذلك لاستفادوا منه التنبه إلى استقباح ما يلحق الإنسان بالحمار، ونفروا عنه كما يتنبه الرجل من هذه الأمة إلى استقباح ما يلحقه بالتيس من التحليل بقوله ﷺ: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِالتَّيْسِ المُسْتَعَارِ»، فينفر عن ذلك.

ومن هنا يظهر لك أنَّ من سمى إنساناً كلباً لاشتماله على الضراوة، والكلب، والجشع لينفر هو عن هذه الأخلاق، أو لينفر عنها غيره، فلا يكون ذلك مكروهاً، بل هو مستحسن كما قال ابن عمر رضي الله تعالى عنهما للمتكلم والإمام يخطب: أما أنت فحمار[1]؛ زجراً له عن التكلم في مثل هذا الوقت، وقد تقدم لهذا نظائر كثيرة.

وأما ما رواه عبدالله ابن الإمام أحمد عن صالح بن خالد أنَّه قال: إذا أردت أن تعمل شيئاً من الخير فأنزل الناس بمنزلة البقر إلا أنَّك لا تحقرهم[2]؛ فإنَّما أراد به ألا تتصور للناس وجوداً في طاعة الله تعالى، فتؤثر رؤيتهم لك في ذلك بفعل أو ترك، أو زيادة أو نقص، أو اجتهاد

(١) تقدم تخريجه.

(٢) رواه عبدالله ابن الإمام أحمد في «زوائد الزهد» (ص: ٢٢٩).

أو تقصير، كما لا تؤثر في الطَّاعة رؤيتك للبقر وسائر البهائم شيئاً من ذلك، فأما أنْ ترى لنفسك عليهم فضلاً ومزية فلا، كما أشار إليه بقوله: إلا أنك لا تحقرهم.

وعلى هذا المنوال ما سبق عن أبي الدَّرداء وغيره: لا يفقه الرجل كل الفقه حتى يرى الناس كالأباعر في ذات الله تعالى[1].

وأمَّا أنك تراهم كالأباعر والأباقر والأحمرة ازدراءً لهم واحتقاراً، وتزكية لنفسك عليهم فهذا حرام.

ومن لطائف الأعمش رحمه الله تعالى ـ ولا يلحق بذلك ـ ما رواه أبو نعيم عن مندل قال: قلت للأعمش: هل تأذيت بالْمُسَوِّدة قط؟

قال: نعم، كنت في السواد فلقيني رجل منهم عند نهر، فقال: احملني حتى أعبر هذا النهر، قال: فحملته، فلما استوى على ظهري قال: سبحان الذي سخَّر لنا هذا وما كنا له مقرنين.

قال: فلما توسطتُ النهر رميتُ به وقلت: اللهم أنزلنا منزلاً مباركاً وأنت خير المنزلين، ثم تركته يتلبط في ثيابه في النهر، وهربت[2].

فانظر في جفاء هذا السوادي كيف امتهن الأعمش ـ وإن لم يعرفه ـ بالتسخير في هذا الأمر المُشِق، ثم لم يكتفِ من جفائه حتى جعله

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٥/ ٥٣).

بمنزلة الدابة التي يُقال عند ركوبها ذلك.

لا جرم استجاز الأعمش أن يلقيه في النهر، ومثل ذلك انتصار واقتصاص من غير أن يؤدي هذا الفعل إلى الهلاك.

* تَتِمَّةٌ:

اعلم أنه لا يستطيع فعل كل شيء حسن، وترك كل شيء قبيح أو مكروه مما ذكرناه في القسم الأول من الكتاب، وفي القسم الثاني إلا نبي، أو صديق، بل لا يتم ذلك للصديقين إلا من عزَّ منهم كأبي بكر رضي الله تعالى عنه.

ولقد قال الهاتف: [من مجزوء الرجز]

مُحَمَّدُ الْهَادِي الَّذِي عَلَيْهِ جِبْرِيلُ هَبَطْ

في جواب القائل:

مَنِ الَّذِي مَا سَاءَ قَطّْ وَمَنْ لَهُ الْحُسْنَى فَقَطْ[1]

فإذا كان كذلك فلم يبق للعبد المتعلق بجناب القُرب من الله تعالى، القاصد إليه ﷻ إلا أن يستعين بالله تعالى للترقي إلى هذا المقام بقدر الإمكان، ويتقي الله تعالى بحسب الإمكان، كما علَّمه الله تعالى فيما يقرؤه في كل صلاة أن يقول: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[الفاتحة: ٥]، وكما قال النبي ﷺ: «اسْتَقِيْمُوا، وَلَنْ تُحْصُوا»[2].

---

(١) القائل هو ابن الفارض، كما في «وفيات الأعيان» لابن خلكان (٣/ ٤٥٥).

(٢) تقدم تخريجه.

وليحذر من الغفلة عن نفسه حتَّى يترك الخيرات، ويرتكب الزلات خشية أن يُؤخذ على أسوء الأحوال؛ والعياذ بالله سبحانه وتعالى!

وقد روى الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يَدْخُلُ النَّارَ إِلاَّ شَقِيٌّ».

قيل: ومن الشقي؟

قال: «الَّذِيْ لا يَعْمَلُ بِطَاعَةِ اللهِ تَعَالى، وَلا يَتْرُكُ للهِ مَعْصِيَةً»[1].

وروى الإمام أحمد عن ثابت البُناني، عن مُطرِّف رحمة الله عليهما قال: إني نظرتُ في بدء هذا الأمر ممن؟ فإذا هو من الله ﷻ، ونظرت على من تمامه، فإذا تمامه على الله تعالى، ونظرت ما ملاكه؟ فإذا ملاكه الدعاء[2].

وقلت في معنى كلام مطرف: [من الخفيف]

| | |
|---|---|
| مِنْكَ يا رَبِّ بَدْءُ كُلِّ جَمِيلٍ | وَعَلى فَضْلِكَ الكَرِيْمِ تَمامُهْ |
| وَالَّذِي يَسْتَطِيعُ عَبْدُكَ فِيهِ | لَيْسَ إِلاَّ الدُّعاءُ فَهْوَ خِتامُهْ |
| وَكَفَى بِافْتِقارِ عَبْدِكَ سُؤْلاً | فَهُوَ وَالذُّلُّ حالُهُ وَمَقامُهْ |
| جُدْ بِتَوْفِيقِهِ إِلَى [كُلِّ] خَيْرٍ | وَلْيَكُنْ بِالقَبُولِ مِنْكَ خِتامُهْ |

* * *

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢/ ٣٤٩)، وكذا ابن ماجه (٤٢٩٨). وفي إسناده ابن لهيعة، وهو ضعيف.

(٢) ورواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٥١٣٥).




قد تقدم لنا في القسم الأول من الكتاب فصلٌ في خيار الناس، فينبغي أن نذكر هنا في هذا الفصل من ورد النص على أنهم من شرار الناس، أو من شرارهم تحذيراً من مثل ما سموا لأجله شراراً؛ ليكون هذا الكتاب كالمبين والمفسر لما أجملته هذه الآية الكريمة، وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ۝٦ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ﴾[البينة: ٦ ـ ٧].

بيَّن في هاتين الآيتين الكريمتين مجموع أمر القسمين من البرية.

وبيَّن في الآية الأولى مقام شر الشرار وقدَّمها؛ إشارةً إلى أنَّ من سوى أهل هذا الوصف مرجو له؛ فإنَّ قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ﴾[البينة: ٦]؛ أي: البالغون في الشر، المُغْرِقون فيه، المتناهون فيه بسبب الكفر، ومن سواهم خير البرية.

إلا أنَّ هؤلاء يتفاوتون في الخيرية؛ فإنَّ الشر إذا حضر في قوم

فالخير في من عداهم لأنَّ الخير والشر ضدان، ولا واسطة بينهما من حيث أصل الاعتقاد؛ إذ هما كفر وإيمان لا غير، فأهل الكفر لا تفاوت بينهم في أصل دخول النار ولا في الخلود فيها، وإنما التفاوت بينهم في العذاب الدائم؛ لا في دوامه، بل في إيلامه، وعمل هؤلاء الذي ظاهره حسن لا عبرة به ولا وزن له.

وأهل الإيمان متساوون في أصل التصديق واليقين، وإنما تفاوتهم في الأعمال، ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُواْ﴾[الأحقاف: ١٩]؛ فكلما استكثر المؤمن من الأعمال الصَّالحات، وحسَّنها وأحسن فيها، ازداد بذلك إيماناً مع إيمانه؛ أي: اتضح إيمانه ورسخ يقينه، فينتقل من أصل اليقين إلى عين اليقين وحق اليقين، وأهل الإيمان كلهم على خير وإلى خير.

نعم، تنقص أحوالهم بارتكاب الأعمال غير الصَّالحة، والنقصان في الأحوال شر بالنظر إلى الكمال فيها، فمن هنا أطلق اسم الشر، وشر الناس في بعض العبارات على مُرتكبي كثير من المعاصي دون الشرك تنفيراً منها، ولأنها قد تُوصل مرتكبها بالإصرار عليها، أو بالاستصغار لها إلى حد الشر البالغ والسوء المتناهي.

وبهذه الجملة يتضح لك وجه اختلاف إطلاق اسم الشر على نوع من المعاصي تارةً، وعلى نوع آخر منها تارة.

ومن شأن الفَطِن الْحَذِر أن يتباعد عن كل ما يطلق عليه اسم الشر ـ وإن قلَّ بالنسبة إلى غيره ـ لئلا يتناهى فيه فيكون ممن دخل تحت

قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ شَرُّ ٱلۡبَرِيَّةِ﴾[البينة: ٦].

وإذا انتهى به الحذر إلى اجتناب صغير المعاصي وكبيرها، فينبغي أن تسلك به الرغبة مع ذلك سبيل الترقي في الخيرات ليتناهى في الخيرية إلى المقام الذي قدَّر الله تعالى له من المقامات التي بيَّناها وشرحناها في القسم الأول؛ فإنه بالترقي في الأعمال الصالحات في دار الدُّنيا يزداد رضًى عنه من الله تعالى، ورضى منه عن الله تعالى؛ فإنَّ الله تعالى يقول بعد أن فتح لخير البرية باب الترقي في الخيرية بذكر عمل الصالحات معطوفاً على الإيمان: ﴿جَزَآؤُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ﴾[البينة: ٨].

فانظر كيف أخبر عن جزائهم بأنه جنات، فذكر الجنة بلفظ الجمع إشارة إلى أنَّ لكل واحد منهم جنة، أو أكثر من جنة تليق بعمله، وأضاف الجنات إلى عدن إشارة إلى الخلود؛ إذ العدن الإقامة، ولا يخفى ما بين (عند) و(عدن) من الجناس المحرف، وما أحسنه من جناس تابع مقصود بديع لأجله ذكر لفظ: ﴿عِندَ﴾ وهو الإشارة إلى أن هذا الجزاء مقرون بالقرب وحسن التربية؛ فإنه أضاف: ﴿عِندَ﴾ الدالة على الحضور إليه باسم الرب مضافاً إليهم.

وفي قوله: ﴿عِندَ رَبِّهِمۡ﴾ نكتة أخرى، وهي حسن الضمان والتكفل، كما تقول لمن تريد تسكين خاطره عن ماله: حقك عندي، وجزاؤك عندي؛ أي: في قبلي، وأنا المتكفل به.

ثم وصف الجنات بقوله: ﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾، ولم يقل: تجري فيها الأنهار، إشارة إلى أن أنهارها نفع محض، ومتاع صِرْف، ونعيم خالص، لا طغيان لمآبها، ولا خطر ولا محذور فيها.

ثم أشار إلى الخلود فيها بعد وصفها بأنها جنات عدن، فقال: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ﴾.

ثم أكَّد الخلود فيها بقوله: ﴿أَبَدًا﴾.

وقيد الخلود بقوله: ﴿فِيهَآ﴾ إشارة إلى أنهم ليسوا بخارجين منها، بل هم دائمون فيها باقون، ثم أكدَ هذا البقاء والخلود والدوام بذكر سببه، فقال: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ وفاقاً لرضاه عنهم، دام رضاه عنهم.

ثم ذيَّل على وصفهم، ووصف جزاءهم بعد تمامه بقوله: ﴿ذَٰلِكَ﴾؛ أي: ذلك الجزاء الحسن الدائم والرضا ﴿لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ﴾[البينة: ٨] من العباد، إشارةً إلى أن العبد لا يتم له الإيمان والعمل الصَّالح، والخيرية ودخول الجنَّة، والفوز بالرضا، بل لا يكون له ذلك إلاَّ بالخوف والخشية؛ كما قال تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾[الرحمن: ٤٦] الآيات.

وكما قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝٤٠ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾[النازعات: ٤٠ ـ ٤١]؛ أي: له.

ثم في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ﴾[البينة: ٨] مع قوله: ﴿إِنَّمَا

﴿يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾[فاطر: ٢٨] إشارة إلى فضل العلم، وأن هذه السَّعادة لا تتم إلا به، فالعلم وصف الأخيار، والجهل وصف الأشرار، وكل خصلة جميلة فالعلم أوَّلُها، وكل خصلة قبيحة فالجهل أولها، فنسأل الله تعالى أن يجعلنا من العلماء العاملين، ونعوذ بالله أن نكون من الجاهلين.

فالجهل منبع كل شر، ثم تتضاعف الشرية على قدر الإغراق في الجهل، فمن ثمَّ حَسُن فيهم قوله تعالى: ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعْرِضُونَ﴾[الأنفال: ٢٢ ـ ٢٣].

قال القاضي ناصر الدين البيضاوي في الآية: عدَّهم من البهائم، ثم جعلهم شرَّها لإبطالهم ما مُيزوا به وفضلوا لأجله[1].

وروى ابن أبي حاتم عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾[الأنفال: ٢٢]: لا يتبعون الحق[2].

وروى الشيخان، وغيرهما عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: استأذن رجل على رسول الله ﷺ فقال: «ائْذَنُوا لَهُ؛ فَبِئْسَ أَخُوْ العَشِيْرَةِ»، فلما دخل أقبل عليه، فلما خرج راجعته، فقال: «إِنَّ شَرَّ النَّاسِ الَّذِي يُكْرَمُ اتِّقَاءَ شَرِّهِ»[3].

---

(١) انظر: «تفسير البيضاوي» (٣/ ٩٨).

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «التفسير» (٥/ ١٦٧٨).

(٣) بهذا اللفظ هو في «إحياء علوم الدين» للغزالي (٣/ ١٥٩).

وفي رواية: «إِنَّ شَرَّ النَّاسِ مَنْزِلَةً عِنْدَ اللهِ يَوْمَ القِيَامَةِ مَنْ أَكْرَمَهُ النَّاسُ اتِّقَاءَ فُحْشِهِ»[1].

وفي رواية: فقال: «يَا عَائِشَةُ! مَتَى عَهِدْتِنِي فَحَّاشاً؟ إِنَّ شَرَّ النَّاسِ عِنْدَ اللهِ مَنْزِلَةً يَوْمَ القِيَامَةِ مَنْ تَرَكَهُ النَّاسُ اتِّقَاءَ شَرِّهِ»[2].

وفي رواية للترمذي وقال: حسن صحيح: «يَا عَائِشَةُ! إِنَّ مِنْ شَرِّ النَّاسِ مَنْ تَرَكَهُ النَّاسُ اتِّقَاءَ فُحْشِهِ»[3].

ومعنى: من تركه الناس؛ أي: ترك الناس الإنكار عليه.

أو هو على ظاهره؛ أي: مَنْ هجره خوفاً من شره أو من فحشه.

والأول أليق بسياق سبب الحديث.

وروى الطبراني في «الأوسط» عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ شَرَّ النَّاسِ مَنْزِلَةً عِنْدَ اللهِ يَوْمَ القِيَامَةِ مَنْ يَخَافُ النَّاسُ شَرَّهُ»[4].

وروى ابن أبي الدنيا في «ذم الغيبة» عن أنس رضي الله تعالى

---

(1) رواه البخاري (٥٧٠٧)، ومسلم (٢٥٩١)، وعندهما: «من تركه، أو وَدَعَه» بدل «من أكرمه».

(2) رواه البخاري (٥٦٨٥).

(3) رواه الترمذي (١٩٩٦) وقال: حسن صحيح.

(4) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٥٣٠٧). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨/ ١٧): فيه عثمان بن مطر، ضعيف جداً.

عنه: أنَّ النبي ﷺ قال: «شَرُّ النَّاسِ مَنْزِلَةً يَوْمَ القِيَامَةِ مَنْ يُخَافُ لِسَانُهُ، أَوْ يُخَافُ شَرُّهُ»[1].

وروى الخطيب في «المتفق والمفترق»، وابن النجار عن عائشة رضي الله تعالى عنها: أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «شَرُّ النَّاسِ يَوْمَ القِيَامَةِ مَن اتُّقِيَ مَجْلِسُهُ لِفُحْشِهِ»[2].

وروى الإمام أحمد، والشيخان عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه: أن النبي ﷺ قال: «تَجِدُوْنَ النَّاسَ مَعَادِنَ؛ فَخِيَارُهُمْ فِيْ الجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِيْ الإِسْلام إِذَا فَقُهُوْا، وَتَجِدُوْنَ خَيْرَ النَّاسِ فِيْ هَذَا الشَّأْنِ أَشَدَّهُمْ لَهُ كَرَاهِيَةً قَبْلَ أَنْ يَقَعَ فِيْهِ، وَتَجِدُوْنَ شَرَّ النَّاسِ يَوْمَ القِيَامَةِ عِنْدَ اللهِ ذَا الوَجْهَيْنِ؛ الَّذِي يَأْتِي هَؤُلاءِ بِوَجْهٍ وَيَأْتِي هَؤُلاءِ بِوَجْهٍ»[3].

وهذا داخل في من يُكرم، أو يترك اتقاء شره أو فحشه، ومن يخاف شره، فلا معارضة بين الحديثين.

ثم قوله: «شَرُّ النَّاسِ»؛ أي: في كل زمان، أو من كل قوم؛ فالكفار شرهم ذو الوجهين، والمسلمون شرهم ذو الوجهين.

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في «ذم الغيبة والنميمة» (ص: ٨٧). قال ابن طاهر المقدسي في «ذخيرة الحفاظ» (٢/ ٩١٧): رواه عثمان بن مطر، وهو ضعيف، والحديث من غير طريقه صحيح.

(٢) ورواه ابن أبي الدنيا في «مداراة الناس» (ص: ٣٥).

(٣) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢/ ٥٢٤)، والبخاري (٣٣٠٥)، ومسلم (٢٥٢٦).

وذو الوجهين إذا كان كافراً شر من ذي الوجهين إذا كان مسلماً، فبذلك ونحوه يرتفع تعارض الأحاديث في مثل ذلك.

وروى ابن ماجه، والطَّبراني في «الكبير» من حديث أبي أمامة ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «مِنْ شَرِّ النَّاسِ مَنْزِلَةً عِنْدَ اللهِ يَوْمَ القِيَامَةِ عَبْدٌ أَذْهَبَ آخِرَتَهُ بِدُنْيَا غَيْرِهِ».

وفي لفظ: «إِنَّ مِنْ شَرِّ النَّاسِ»[1].

وأخرجه أبو نعيم من حديث أبي هريرة، ولفظه: «مِنْ شَرِّ النَّاسِ مَنْزِلَةً مَنْ أَذْهَبَ آخِرَتَهُ بِدُنْيَا غَيْرِهِ»[2].

وروى الخِلَعي حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه في «فوائده» بلفظ: «شَرُّ الْبَرِيَّةِ عِنْدَ اللهِ مَنْزِلَةً يَوْمَ القِيَامَةِ مَنْ أَذْهَبَ آخِرَتَهُ بِدُنْيَا غَيْرِهِ»[3].

وروى البخاري في «تاريخه» عن أبي أمامة رضي الله تعالى عنه: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال: «إِنَّ أَشَدَّ النَّاسِ نَدَامَةً يَوْمَ القِيَامَةِ رَجُلٌ بَاعَ آخِرَتَهُ بِدُنْيَا غَيْرِهِ»[4].

وروى الطَّبراني في «الأوسط»، والحاكم وصححه، عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، عن النبي ﷺ قال: «آخِرُ الكَلامِ في القَدَرِ

---

(١) رواه ابن ماجه (٣٩٦٦)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٧٥٥٩).

(٢) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٦/ ٦٥).

(٣) ورواه الخرائطي في «مساوىء الأخلاق» (١/ ٢٤٤).

(٤) رواه البخاري في «التاريخ الكبير» (٦/ ١٢٨).

لِشَرَارِ أُمَّتِيْ»[1].

وروى الإمام أحمد عن عبد الرحمن بن غنم رضي الله تعالى عنه، والطبراني في «الكبير» عن عبادة بن الصامت رضي الله تعالى عنه: أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «خِيَارُ أُمَّتِيْ الَّذِيْنَ إِذَا رُؤُوْا ذُكِرَ اللهُ، وَشِرَارُ أُمَّتِيْ المَشَّاؤُوْنَ بِالنَّمِيْمَةِ، المُفَرِّقُوْنَ بَيْنَ الأَحِبَّةِ، البَاغُوْنَ البُرَآءَ الْعَنَتَ»[2].

وروى البيهقي في «الشعب» من حديث ابن عمر رضي الله عنهما بنحوه[3].

وأخرج من حديث ابن عمر رضي الله تعالى عنهما: أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «خِيَارُكُمْ أَحَاسِنُكُمْ أَخْلاقاً، المُوَطَّئُوْنَ أَكْنَافاً، وَشِرَارُكُمْ الثَّرْثَارُوْنَ الْمُتَفَيْهِقُونَ المُتَشَدِّقُوْنَ»[4].

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٥٩٠٩)، والحاكم في «المستدرك» (٣٧٦٥)، وكذا البزار في «المسند» (١٤/ ٢٣١) وقال: وهذا الحديث لا نعلم رواه عن الزهري عن سعيد إلا عنبسة، وهو لين الحديث.

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٤/ ٢٢٧) عن عبد الرحمن بن غنم رضي الله عنه. ورواه البزار في «المسند» (٢٧١٩) عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨/ ٩٣): رواه الطبراني، وفيه يزيد بن ربيعة، وهو متروك.

(٣) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٦٧٠٨).

(٤) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٤٩٦٩) عن أبي ثعلبة الخشني رضي الله عنه، و(٤٩٧٠) عن أبي هريرة رضي الله عنه، (٧٩٨٨) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

والثرثرة: كثرة الكلام وترديده.

والثرثار: المهذار.

وقال الفراء: فلان يتفيهق في كلامه، وذلك إذا توسع فيه وتقطع؛ قال: وأصله الفهق، وهو الامتلاء، كأنه مَلأَ به فمه[١].

والمتشدق: الذي يلوي شدقيه؛ أي: جانبي فِيْه للتفصح.

وروى ابن أبي الدُّنيا في «ذم النَّميمة»، والبيهقي في «الشعب» عن فاطمة الزهراء رضي الله تعالى عنها، عن النبي ﷺ قال: «شِرَارُ أُمَّتي الَّذِيْنَ غُذُّوْا بِالنَّعِيْمِ، الَّذِيْ يَأْكُلُوْنَ أَلْوَانَ الطَّعَامِ، وَيَلْبَسُوْنَ أَلْوَانَ الثِّيَابِ، وَيَتَشَدَّقُوْنَ فِيْ الْكَلامِ»[٢].

وروى الترمذي من حديث جابر رضي الله تعالى عنه ـ وحسنه ـ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال: «إِنَّ أَحَبَّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبَكُمْ مِنِّيْ فِيْ الآخِرَةِ أَحَاسِنُكُمْ أَخْلاقَاً، وَإِنَّ أَبْغَضَكُمْ إِلَيَّ وَأَبْعَدَكُمْ مِنِّي فِي الآخِرَةِ الثَّرْثَارُوْنَ وَالْمُتَفيهِقُونَ الْمُتَشَدِّقُوْنَ».

قالوا: يا رسول الله! قد عَلِمنا الثرثارون والمتشدقون؛ فما المتفيهقون؟

---

(١) انظر: «لسان العرب» لابن منظور (١٠/ ٣١٤) (مادة: فهق).

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في «ذم الغيبة والنميمة» (ص: ١٣)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٥٦٦٩). قال الدارقطني في «العلل» (١٥/ ١٨٤): وروي مرسلاً وهو أشبه.

قال: «المُتَكَبِّرُوْنَ»[1].

وهذا الحديث عند الإمام أحمد، وابن حبان في «صحيحه» من حديث أبي ثعلبة الخشني رضي الله تعالى عنه بدون هذا التفسير.

وزاد فيه: «وَأَبْعَدكُمْ مِنِّي في الآخِرَةِ أَسْوَؤُكُمْ أَخْلاقاً الثَّرْثَارُوْنَ» . . . إلى آخره[2].

وروى أبو الشيخ في كتاب «التوبيخ» عن العلاء بن الحارث ـ معضلاً ـ: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «الهَمَّازُوْنَ وَاللَّمَّازُوْنَ وَالمَشَّاؤُوْنَ بِالنَّمِيْمَةِ وَالبَاغُوْنَ البُرَآءَ العَنَتَ يَحْشُرُهُمْ اللهُ في وُجُوْهِ الكِلابِ»[3]؛ أي: في وجوهٍ مثل وجوه الكلاب.

وروى الإمام أحمد بسند جيد، عن حذيفة رضي الله تعالى عنه قال: كنا مع النبي ﷺ في جنازة، قال: «أَلا أُخْبِرُكُمْ بِشَرِّ عِبَادِ اللهِ؟ الفَظُّ المُسْتَكْبِرُ.

أَلا أُخْبِرُكُمْ بِخَيْرِ عِبَادِ اللهِ؟ الضَّعِيْفُ المُسْتَضْعَفُ ذُوْ الطِّمْرَيْنِ لا يُؤْبَهُ بِهِ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللهِ لأَبَرَّهُ»[4].

---

(1) رواه الترمذي (٢٠١٨) وقال: حسن غريب.

(2) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٤/ ١٩٣)، وابن حبان في «صحيحه» (٥٥٥٧).

(3) رواه أبو الشيخ في «التوبيخ والتنبيه» (ص: ٩٧).

(4) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٥/ ٤٠٧). قال ابن حجر في «القول المسدد في الذب عن مسند أحمد» (ص: ٢٨): قال ابن الجوزي: هذا =

وروى البخاري في «تاريخه» عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «شَرُّ النَّاسِ الَّذِيْ يَسْأَلُ بِاللهِ ثُمَّ لا يُعْطَى»[1].

وروى الترمذي ـ وقال: حديثٌ حسن، واللفظ له ـ والنسائي، وابن حبان في «صحيحه» من حديثه رضي الله تعالى عنه: أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «أَلا أُخْبِـرُكُمْ بِخِيَارِ النَّاسِ؟ رَجُلٌ مُمْسِكٌ بِعِنَانِ فَرَسِهِ فِيْ سَبِيْلِ اللهِ.

أَلا أُخْبِـرُكُمْ بِالَّذِيْ يَتْلُوْهُ؟ رَجُلٌ مُعْتَزِلٌ فِيْ خَيْمَةٍ لَهُ يُؤَدِّيْ حَقَّ اللهِ تَعَالَىْ فِيْهَا.

أَلا أُخْبِـرُكُمْ بِشَرِّ النَّاسِ؟ رَجُلٌ يُسْأَلُ بِاللهِ ثُمَّ لا يُعْطى»[2].

وروى الطبراني، وغيره بسند ضعيف، من حديثه أيضاً قال: قال رسول الله ﷺ: «أَلا أُنَبِّئُكُمْ بِشِرَارِكُمْ؟».

قالوا: بلى إن شئت يا رسول الله.

---

= حديث لا يصح؛ محمد بن جابر، قال يحيى: ليس بشيء، وقال أحمد: لا يحدث عنه إلا من هو شر منه. قلت: وأبو البختري، اسمه سعيد بن فيروز، لم يدرك حذيفة، ولكن مجرد هذا لا يدل على أن المتن موضوع، فإن له شواهد.

(١) رواه البخاري في «التاريخ الكبير» (١/ ٣٦٢).

(٢) رواه الترمذي (١٦٥٢) وقال: حسن غريب، والنسائي في (٢٥٦٩)، وابن حبان في «صحيحه» (٦٠٤).

قال: «إِنَّ شِرَارَكُمْ الَّذِيْ يَنْزِلُ وَحْدَهُ، وَيجْلِدُ عَبْده، وَيَمْنَعُ رِفْدَهُ؛ أَفَلا أُنبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ؟».

قالوا: بلى يا رسول الله إن شئت.

قال: «الَّذِيْنَ لا يَقِيْلُوْنَ عَثْرَةً، وَلا يَغْفِرُوْنَ ذَنْباً».

قال: «أَفَلا أُنبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ؟».

قالوا: بلى يا رسول الله.

قال: «مَنْ لا يُرْجَىْ خَيْرُهُ، وَلا يُؤْمَنُ شَرُّهُ»[1].

وروى الإمام أحمد عن خالد بن الوليد رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَذَاباً يَوْمَ القِيَامَةِ أَشَدُّ النَّاسِ عَذَاباً لِلنَّاسِ فِيْ الدُّنْيَا»[2].

وشدة العذاب شر ما في الآخرة، وهي مترتبة على شدة الشر في الدُّنيا.

والأصل في ذلك قسوة القلب الناشئة عن الغفلة عن الله ﷻ، وعن ذكره وذكر عظمته، وانتقامه وشدة عقابه.

وفي «موطأ مالك» رضي الله تعالى عنه: أنه بَلَغَهُ أَنَّ عيسى بن مريم

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٠٧٧٥). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨/ ١٨٣): فيه عنبسة بن ميمون، وهو متروك.

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٤ / ٩٠)، وكذا البخاري في «التاريخ الكبير» (٣/ ١٤٣).

عليه السلام كان يقول: لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله فتقسوا قلوبكم؛ فإنَّ القلب القاسي بعيدٌ من الله، ولكن لا تعلمون، ولا تنظروا في ذنوب الناس كأنكم أرباب، وانظروا في ذنوبكم كأنكم عبيد؛ فإنما الناس مُبتلى ومُعافى، فارحموا أهل البلاء واحمدوا الله على العافية[1].

وهذا ثابتٌ في الحديث المرفوع؛ رواه الترمذي وحسنه، عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تُكْثِرُوْا الكَلامَ بِغَيْرِ ذِكْرِ اللهِ؛ فَإِنَّ كَثْرَةَ الْكَلامِ بِغَيْرِ ذِكْرِ اللهِ قَسْوَةٌ لِلْقَلْبِ، وَإِنَّ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنَ اللهِ القَلْبُ القَاسِيْ»[2].

ولنا في هذا المعنى: [من السريع]

اتَّقُوا اللهَ عَلاَ وَلْيَكُنْ ... مِنْكُمْ لَكُمْ عَنْ جَهْلِكُمْ ناهِيَةْ

ثُمَّ اذْكُرُوا رَبَّكُمُ وَاتْرُكُوا ... مَا لَمْ يَكُنْ خَيْراً إِلَى ناحِيَةْ

لا تُكْثِرُوا فِي غَيْرِ ذَا قَولَكُمْ ... قُلُوبُكُمْ تَغْدُو بِهِ قاسِيَةْ

إِنَّ قُلُوبَ النَّاسِ مَهْمَا قَسَتْ ... كانَتْ عَنِ اللهِ عَلا قاصِيَةْ

وَالنَّاسُ ذو عاقِبَةٍ أَوْ ذَوُو ... بَلِيَّةٍ تَظْهَرُ أَوْ خَافِيَةْ

أَلا ارْحَمُوا أَهْلَ البَلا كُلَّهُمْ ... ثُمَّ احْمَدُوا اللهَ على العافِيَةْ

فَالعَبْدُ بِالرَّحْمَةِ يَرْقى وَبِالْـ ... ـحَمْدِ إِلَى الْمَرْتَبَةِ العَالِيَةْ

---

(١) انظر: «الموطأ» للإمام مالك (٢/ ٩٨٦).

(٢) رواه الترمذي (٢٤١١) وقال: حسن غريب.

وفي الحديث: «ثَلاثُ خِصَالٍ تُوْرِثُ القَسْوَةَ فِيْ القَلْبِ: حُبُّ الطَّعَامِ، وَحُبُّ النَّوْمِ، وَحُبُّ الرَّاحَةِ». رواه الديلمي عن عائشة رضي الله عنها[1].

وروى ابن أبي الدنيا في «ذم الغيبة»، والبيهقي في «الشعب» عن فاطمة رضي الله تعالى عنها: أنَّ أباها ﷺ قال: «شِرَارُ أُمَّتِيْ الَّذِيْنَ غُذُّوْا بِالنَّعِيْمِ، الَّذِيْنَ يَأْكُلُوْنَ أَلْوَانَ الطَّعَامِ، وَيَلْبسُوْنَ أَلْوَانَ الثِّيَابِ، وَيَتَشَدَّقُوْنَ فِيْ الْكَلامِ»[2].

ولعل معناه: شرار كل نوع من الأمة الذين هذا حالهم من ذلك النوع، أو: الذين ليس لهم إلا ذلك بحيث لَهُوا به عمَّا يُراد منهم.

وروى الحاكم وصححه - وتُعُقِّبَ تصحيحه - عن عبدالله بن جعفر رضي الله تعالى عنه، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «شِرَارُ أُمَّتِيْ الَّذِيْنَ وُلِدُوْا فِيْ النَّعِيْمِ، وَغُذُّوْا يَأْكُلُوْنَ مِنَ الطَّعَامِ أَلْوَاناً، وَيَلْبسُوْنَ مِنَ الثِّيَابِ أَلْوَاناً، وَيَرْكَبُوْنَ مِنَ الدَّوَابِّ أَلْوَاناً، يَتَشَدَّقُوْنَ فِيْ الْكَلامِ»[3].

وروى الطَّبراني في «الكبير»، و«الأوسط» بسند ضعيف، عن أبي أمامة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «سَيَكُوْنُ رِجَالٌ مِنْ

---

(١) رواه الديلمي في «مسند الفردوس» (٨٩٥٠).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) رواه الحاكم في «المستدرك» (٦٤١٨).

أُمَّتِيْ يَأْكُلُوْنَ أَلْوَانَ الطَّعَامِ، وَيَشْرَبُوْنَ أَلْوَانَ الشَّرَابِ، وَيَلْبَسُوْنَ أَلْوَانَ الثِّيَابِ، وَيَتَشَدَّقُوْنَ فِيْ الْكَلامِ، فَأُوْلَئِكَ شِرَارُ أُمَّتِيْ»[1].

وروى الإمام أحمد، والترمذي، والحاكم وصححه، عن أبي بكرة رضي الله تعالى عنه: أنَّ النبي ﷺ قال: «خَيْرُ النَّاسِ مَنْ طَالَ عُمُرُهُ وَحَسُنَ عَمَلُهُ، وَشَرُّ النَّاسِ مَنْ طَالَ عُمُرُهُ وَسَاءَ عَمَلُهُ»[2].

وروى مسلم عن عوف بن مالك رضي الله تعالى عنه: أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «خِيَارُ أَئِمَّتِكُمْ الَّذِيْنَ تُحِبُّوْنَهُمْ وَيُحِبُّوْنَكُمْ، وَتُصَلُّوْنَ عَلَيْهِمْ وَيُصَلُّوْنَ عَلَيْكُمْ، وَشِرَارُ أَئِمَّتِكُمْ الَّذِيْنَ تُبْغِضُوْنَهُمْ وَيُبْغِضُوْنَكُمْ».

قيل: يا رسول الله! أفلا ننابذهم بالسيف؟

قال: «لا؛ مَا أَقَامُوْا فِيْكُمُ الصَّلاةَ، وَإِذَا رَأَيْتُم مِنْ وُلاتِكُمْ شَيْئاً تَكْرَهُوْنَهُ فَاكْرَهُوْا عَمَلَهُ، وَلا تَنْزِعُوْا يَداً مِنْ طَاعَتِهِ»[3].

وروى الإمام أحمد، وابن حبان في «صحيحه»، والطَّبراني في «الكبير» عن عائذ بن عمرو المزني رضي الله تعالى عنه: أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «شَرُّ الرِّعَاءِ الْحُطَمَةُ»[4].

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٢٣٥١). وضعف العراقي إسناده في «تخريج أحاديث الإحياء» (٢/ ٨٩٠).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) رواه مسلم (١٨٥٥).

(٤) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٥/ ٦٤)، وابن حبان في «صحيحه» (٤٥١١)، والطَّبراني في «المعجم الكبير» (١٨/ ١٧).

وهو في «صحيح مسلم»، ولفظه: «إِنَّ شَرَّ الرِّعَاءِ الْحُطَمَةُ»[1].

وهو من الأمثال التي تكلم بها النبي ﷺ.

والحطمة ـ على وزن الهُمزة ـ: وهو الذي يَحْطِم الماشية؛ أي: يكسرها ويضربها، إذا ساقها عنَّف بها، وإذا أَسَامها قصَّر في إسامتها، يضرب في سوء الملكة والسياسة؛ قاله الزمخشري[2].

وفي «الصحاح»: رجل حطم، وحطمة أيضاً: قليل الرحمة للماشية، يَهْشِم بعضها ببعض[3].

وفي «القاموس»: إنه الظلوم للماشية[4].

وروى الديلمي عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه: أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «شِرَارُ أُمَّتِيْ مَنْ يَلِي القَضَاء، إِنِ اشْتَبَهَ عَلَيْهِ لَمْ يُشَاوِرْ، وَإِنْ أَصَابَ بَطِرَ، وَإِنْ غَضِبَ عَنَّفَ، وَكَاتِبُ السُّوْءِ كَالْعَامِلِ لَهُ»[5].

وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أَبْعَدُ النَّاسِ مِنَ اللهِ يَوْمَ القِيَامَةِ القَاضِيْ الَّذِيْ يُخَالِفُ إِلىْ غَيْرِ مَا أُمِرَ بِهِ».

---

(١) رواه مسلم (١٨٣٠).

(٢) انظر: «المستقصى في أمثال العرب» (٢/ ١٢٩).

(٣) انظر: «الصحاح» للجوهري (٥/ ١٩٠١) (مادة: حطم).

(٤) انظر: «القاموس المحيط» للفيروز آبادي (ص: ١٤١٥) (مادة: حطم).

(٥) ورواه ابن عدي في «الكامل» (٥/ ١٤٦) وأعله بعمرو بن بكر السكسكي، وقال: وله أحاديث مناكير عن الثقات.

وروى الطبراني في «الصغير»، والبيهقي في «الشعب» عنه: أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «أَشَدُّ النَّاسِ عَذَاباً يَوْمَ القِيَامَةِ عَالِمٌ لَمْ يَنْفَعْهُ عِلْمُهُ»[1].

وروى ابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، عن النَّبيِّ ﷺ قال: «شِرَارُ أُمَّتِي العُلَمَاءُ الَّذِيْنَ يَأْتُوْنَ الأُمَرَاءَ»[2]؛ أي: لغير ضرورة.

وروى أبو بكر بن لال عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ أَبْغَضَ الخَلْقِ إِلىْ اللهِ العَالِمُ يَزُوْرُ العُمَّالَ»[3].

وروى ابن عبد ربه في «عقده»: أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «أَلا أُخْبِرُكُمْ بِشَرِّ النَّاسِ؟».

قالوا: بلى يا رسول الله.

قال: «العُلَمَاءُ إِذَا فَسدُوْا»[4].

والمعروف أنه من كلام سفيان؛ قيل له: أي الناس شر؟

قال: اللهم غُفْراً! العلماء إذا فسدوا. رواه أبو نعيم[1].

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الصغير» (٥٠٧)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٧٧٨)، وكذا ابن عدي في «الكامل» (٥/ ١٥٨) وأعله بعثمان البري، وقال: عامة أحاديثه مما لا يتابع عليه إسناداً ولا متناً، وهو مما يغلط الكثير، وهو في الجملة ضعيف.

(٢) رواه ابن ماجه (٢٥٦) بلفظ: «إن من أبغض القراء إلى الله الذين يزورون الأمراء». وضعف العراقي إسناده في «تخريج أحايث الإحياء» (١/ ٤١).

(٣) ورواه الديلمي في «مسند الفردوس» (٨٢٢).

(٤) انظر: «العقد الفريد» لابن عبد ربه (٢/ ٨٦).

وروى البزار عن معاذ رضي الله تعالى عنه، وصححه أبو نعيم عن جابر رضي الله تعالى عنه: أن النبي ﷺ قال: «شِرَارُ النَّاسِ شِرَارُ العُلَمَاءِ فِيْ النَّاسِ»[٢].

وروى ابن عساكر عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أَشَدُّ النَّاسِ حَسْرَةً يَوْمَ القِيَامَةِ رَجُلٌ أَمْكَنَهُ العِلْمُ فِيْ الدُّنْيَا فَلَمْ يَطْلُبْهُ، وَرَجُلٌ عَلِمَ عِلْماً فَانْتَفَعَ بِهِ مَنْ سَمِعَهُ مِنْهُ دُوْنَهُ»[٣].

وروى أبو عبد الرحمن السلمي في «الأربعين»، والديلمي عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال: «أَشَدُّ النَّاسِ عَذَاباً يَوْمَ القِيَامَةِ، مَنْ يُرِيْ النَّاسَ أَنَّ فِيْهِ خَيْراً وَلا خَيْرَ فِيْهِ»[٤].

وروى الإمام أحمد في «الزُّهد» عن سفيان الثوري رحمه الله تعالى قال: قيل للقمان: أي الناس شر؟

قال: الذي لا يُبالي أن يراه الناس مُسِيئاً[٥].

وروى الإمام أحمد عن أبي ذر رضي الله عنه، وأبو يعلى عن عطية بن بسر

---

(١) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٧/ ٦).

(٢) رواه البزار في «المسند» (٢٦٤٩)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٥/ ٢٢٠) عن معاذ بن جبل رضي الله عنه.

(٣) رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٥١/ ١٣٨) عن ابن عباس رضي الله عنهما، وقال: منكر، ولا أدري على من الحمل فيه.

(٤) رواه الديلمي في «مسند الفردوس» (١٤٥٨).

(٥) رواه الإمام أحمد في «الزهد» (ص: ٥٠).

رضي الله تعالى عنه، وهو والطبراني في «الأوسط» عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه: أن النبي ﷺ قال: «شِرَارُكُمْ عُزَّابُكُمْ».

وفي رواية أبي ذر: «وَأَرَاذِلُ مَوْتَاكُمْ عُزَّابُكُمْ»[1].

زاد ابن عدي في حديث أبي هريرة: «رَكْعَتَانِ مِنْ مُتَأَهِّلٍ خَيْرٌ مِنْ سَبْعِيْنَ رَكْعَةٍ مِنْ غَيْرِ مُتَأَهِّلٍ»[2].

ولعل الشَّرِّية هنا باعتبار مقابلة الأعزب بالمتأهل.

أو المراد بالعُزاب: الذين يؤثرون العزوبة رغبة عن السُّنة التي هي النكاح.

أو هو في غير الأزمنة المتأخرة التي تحل فيها العزوبة حين يكون هلاك الرجل على يدي أهله.

وروى الطَّبراني في «الأوسط» عن أبي أمامة رضي الله تعالى عنه: أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «شَرُّ النَّاسِ الضَّيِّقُ عَلَىْ أَهْلِهِ».

قالوا: يا رسول الله! وكيف يكون ضيقاً على أهله؟

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٥/ ١٦٣) عن أبي ذر رضي الله عنه
وأبو يعلى في «المسند» (٦٨٥٦) عن عطية بن بسر رضي الله عنه.
و أبو يعلى في «المسند» (٢٠٤٢)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٤٤٧٦) عن أبي هريرة رضي الله عنه.
قال السخاوي في «المقاصد الحسنة» (ص: ٤٠٤): لا تخلو من ضعف واضطراب، ولكنه لا يبلغ الحكم عليه بالوضع.

(٢) رواه ابن عدي في «الكامل» (٧/ ١٦٣) وقال: باطل.

قال: «الرَّجُلُ إِذَا دَخَلَ بَيْتَهُ خَشَعَتِ امْرَأَتُهُ، وَهَرَبَ وَلَدُهُ وَفرَّ، فَإِذَا خَرَجَ ضَحِكَتِ امْرَأَتُهُ وَاسْتَأْنَسَ أَهْلُ بَيْتِهِ»[1].

ومن شواهده حديث عائشة رضي الله تعالى عنها: «خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لأَهْلِهِ». صححه الترمذي[2].

وروى أبو القاسم البغوي، والبيهقي في «السُّنن» عن أبي أذينة الصدفي من أهل مصر ـ قال البغوي: ولا أدري له صحبة أم لا ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «خَيْرُ نِسَائِكُمْ الْوَلُوْدُ الْوَدُوْدُ، وَالمُؤَاتِيَةُ المُوَاسِيَةُ، إِذَا اتَّقَيْنَ اللهَ، وَشَرُّ نِسَائِكُمْ المُتَبَرِّجَاتُ المُتَخَيِّلاتُ، وَهُنَّ المُنَافِقَاتُ، لا يَدْخُلُ الجَنَّةَ مِنْهُنَّ إِلاَّ مثلُ الغُرَابِ الأَعْصَمِ»[3].

وروى الإمام أحمد، والنسائي عن عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنهما قال: كنَّا مع رسول الله ﷺ بِمَرِّ الظَّهْران، فإذا بغِربان كثيرة فيهن غراب أعصم أحمر المنقار، فقال: «لا يَدْخُلُ الجَنَّةَ مِنَ النِّسَاءِ إِلاَّ مثلُ هَذَا الْغُرَابِ».

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٨٧٩٨). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨/ ٢٥): فيه عبدالله بن يزيد بن الصلت، وهو متروك.

(٢) رواه الترمذي (٣٨٩٥) وقال: حسن غريب صحيح، وكذا ابن ماجه (١٩٧٧).

(٣) رواه البيهقي في «السنن الكبرى» (٧/ ٨٢) وقال: روي بإسناد صحيح عن سليمان بن يسار عن النبي ﷺ مرسلاً إلى قوله: «إذا اتقين الله».

قال العراقي: وإسناده صحيح[1].

قال في «الصحاح»: والغراب الأعصم: الذي في جناحه ريشة بيضاء، ويقال هذا كقولهم: الأبيض العقوق، وبيض الأنوق لكل شيءٍ يَعِزُّ وجودُه[2].

وذكر في «القاموس» معنى آخر في الغراب الأعصم: أنه الأحمر الرجلين والمنقار[3].

وروى أبو يعلى، والطَّبراني في «الكبير» ـ وضعف ـ عن واثلة بن الأسقع رضي الله تعالى عنه: أن النبي ﷺ قال: «خَيْرُ شَبَابِكُمْ مَنْ تَشَبَّهَ بِكُهُوْلِكُمْ، وَشَرُّ كُهُوْلِكُمْ مَنْ تَشَبَّهَ بِشَبَابِكُمْ»[4]، وتقدم بيانه.

وروى ابن عدي في «الكامل» عن عائشة رضي الله تعالى عنها، عن النبي ﷺ أنه قال: «شِرَارُ أُمَّتِيْ أَجْرَؤُهُمْ عَلَىْ صَحَابَتِيْ»[5].

وروى أبو نعيم في كتاب «حرمة المساجد» عن ابن عباس رضي

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٤/ ١٩٧)، والنسائي في «السنن الكبرى» (٩٢٦٨). وصحح العراقي إسناده في «تخريج أحاديث الإحياء» (١/ ٣٩٥).

(٢) انظر: «الصحاح» للجوهري (٥/ ١٩٨٩)، (مادة: عصم).

(٣) انظر: «القاموس المحيط» للفيروز آبادي (ص: ١٤٧٠) (مادة: عصم).

(٤) تقدم تخريجه.

(٥) رواه ابن عدي في «الكامل» (٧/ ٢٩٧) وأعله بأبي بكر بن أبي سبرة، وقال: وهو من جملة من يضع الحديث.

الله تعالى عنهما: أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «أَحَبُّ البِقَاعِ إِلىْ اللهِ المَسَاجِدُ، وَأَحَبُّ أَهْلِهَا إِلَيْهِ أَوَّلُهُمْ دُخُوْلاً وَآخِرُهُمْ خُرُوْجاً»[١].

وذكر الغزالي في «الإحياء» بلفظ: خير، وشر[٢].

والحديث معروف من رواية ابن عمر رضي الله تعالى عنهما بلفظ: «خَيْرُ البِقَاعِ المَسَاجِدُ، وَشَرُّ البِقَاعِ الأَسْوَاقُ». صححه ابن حبان، والحاكم[٣].

وتقدم في التشبه بالشيطان: أنه يكون مع أول داخل إلى السوق، وآخر خارج منها، وكفى بذلك شرّاً.

وروى العقيلي، والديلمي عن عائشة رضي الله تعالى عنها، عن النَّبيِّ ﷺ قال: «أَبْغَضُ الْعِبَادِ إِلىْ اللهِ مَنْ كَانَ ثَوْبَاهُ خَيْراً مِنْ عَمَلِهِ؛ أَنْ يَكُوْنَ ثِيَابُهُ ثِيَابَ الأَنْبِيَاءِ، وَعَمَلُهُ عَمَلَ الجَبَّارِيْنَ»[٤].

وروى ابن أبي الدُّنيا في «الإخلاص» عن أبي قِلابة ـ مرسلاً ـ

---

(١) كذا عزاه العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء» (١/ ٤٣١)، ورواه أبو الشيخ في «العظمة» (٢/ ٦٧٥).

(٢) انظر: «إحياء علوم الدين» للغزالي (٢/ ٨٦).

(٣) رواه ابن حبان في «صحيحه» (١٥٩٩)، والحاكم في «المستدرك» (٣٠٦).

(٤) رواه العقيلي في «الضعفاء» (٢/ ١٦٣) وقال: سليم بن عيسى مجهول في النقل، حديثه منكر غير محفوظ، والديلمي في «مسند الفردوس» (١٤٨١).

قال: قال رسول الله ﷺ: «أَبْعَدُ النَّاسِ مِنَ اللهِ يَوْمَ القِيَامَةِ رَجُلانِ: رَجُلٌ لا يُراقِبُ اللهَ فِيْ السِّرِ، وَرَجُلٌ يُجَالِسُ الأُمَرَاءَ كُلَّمَا قَالُوْا شَيْئاً قَالَ: صَدَقَ الأَمِيْرُ».

وروى الشيخان، وغيرهما عن عائشة رضي الله تعالى عنها، عن النَّبيِّ ﷺ قال: «أَبْغَضُ الرِّجَالِ إِلىْ اللهِ الأَلَدُّ الخَصِمُ»[1].

وروى البخاري عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «أَبْغَضُ النَّاسِ إِلىْ اللهِ ثَلاثَةٌ: مُلْحِدٌ فِيْ الحَرَمِ، وَمُبْتَغٍ فِيْ الإِسْلامِ سُنَّةَ الجَاهِلِيَّةِ، وَمُطَّلِبٌ دَمَ امْرِىءٍ بِغَيْرِ حَقٍّ لِيُهْرِيْقَ دَمَهُ»[2].

وروى مسلم عن أبي سعيد رضي الله تعالى عنه، عن النَّبيِّ ﷺ قال: «إِنَّ مِنْ شَرِّ النَّاسِ مَنْزِلَةً يَوْمَ القِيَامَةِ الرَّجُلُ يُفْضِيْ إِلَى امْرَأَتِهِ وَتُفْضِيْ إِلَيْهِ، ثُمَّ يَنْشُرُ سِرَّهَا»[3].

وعن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه: أن النَّبيَّ ﷺ قال: «إِنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَذَاباً يَوْمَ القِيَامَةِ المُصَوِّرُوْنَ»[4].

وروى أبو نعيم عن وهب بن منبه: أن موسى عليه السلام قال:

---

(١) رواه البخاري (٢٣٢٥)، ومسلم (٢٦٦٨).

(٢) رواه البخاري (٦٤٨٨).

(٣) رواه مسلم (١٤٣٧).

(٤) رواه مسلم (٢١٠٩)، وكذا البخاري (٥٦٠٦).

يا رب! أي عبادك أشقى؟

قال: من لا تنفعه موعظة، ولا يذكرني إذا خلا[1].

وفي كتاب الله تعالى: ﴿لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى ۝١٥ ٱلَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾ [الليل: ١٥ ـ ١٦].

وروى البيهقي في «الشعب» عن أبي عثمان النَّهْدي ـ مرسلاً ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ أَبْغَضَ عِبَادِ اللهِ إِلىْ اللهِ العِفْرِيْتُ النِّفْرِيْتُ الَّذِيْ لَمْ يَرْزَأْ فِيْ مَالٍ وَلا وَلَدٍ»[2].

وروى أبو الشيخ، والديلمي عن ثابت بن ثوبان، عن أبيه رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «شِرَارُ أُمَّتِيْ الْوُحْدَانُ المُعْجَبُ بِدِيْنِهِ، المُرَائِيْ بِعَمَلِهِ، المُخَاصِمُ بِحُجَّتِهِ، قَلِيْلُ الرِّيَاءِ شِرْكٌ»[3].

والوحدان ـ بضم الواو ـ: جمع واحد؛ أي: المنفردون عن الناس المباينون لهم.

ثم بيَّن أوصافهم بوصف واحد منهم فقال: المعجب بدينه . . . إلى آخره.

وروى أبو نعيم عن ميمون بن مهران رحمه الله تعالى قال: شر

---

(١) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٤/ ٤٥).

(٢) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٩٩١٠).

(٣) رواه الديلمي في «مسند الفردوس» (٣٦٤٨).

الناس العيابون[1]؛ [أي]: المكثرون من ذكر معايب الناس، المفتشون عن عيوبهم.

وروى الديلمي عن عائشة رضي الله عنها. قالت: قال رسول الله ﷺ: «شِرَارُكُمْ أَسْوَأُكُمْ خُلُقاً، وَأَشَدُّكُمْ مُؤْنَةً، وَأَثْقَلُكُمْ عَلَىٰ أَهْلِهِ»[2].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «شِرَارُ النَّاسِ الَّذِيْنَ يَشْرُوْنَ النَّاسَ وَيَبِيْعُوْنَهُمْ»[3].

ولعل معناه: شرار الناس حرفةً وكسباً.

وكذلك ما رواه الديلمي أيضاً عن أنس رضي الله تعالى عنه: أن النبي ﷺ قال: «شَرُّ أُمَّتِيْ الصَّائِغُوْنَ وَالصَّيَّاغُوْنَ»[4].

أي: شر أمتي حرفةً.

والمعنى فيه وفيما قبله: إنَّ من كان نَخَّاساً كان قليل الحياء والشفقة قاسي القلب، ولا يكاد يطيب له كسب، وإن الصائغ والصياغ يُعاشران النساء وسفلة الناس، ويزخرفان أمتعة الدنيا للناس ويدعوانها، وهما مع ذلك يعتادان الكذب، كما في حديث أبي هريرة

---

(١) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٤/ ٩٢).

(٢) رواه الديلمي في «مسند الفردوس» (٣٦٥٥).

(٣) رواه الديلمي في «مسند الفردوس» (٣٦٥٤).

(٤) ورواه ابن عدي في «الكامل» (٦/ ٢٨٦) بلفظ: «أكذب الناس الصواغون والصباغون»، وقال: وهذا عن أنس بهذا الإسناد باطل.

رضي الله تعالى عنه: أن النبي ﷺ قال: «أَكْذَبُ النَّاسِ الصَّيَّاغُوْنَ وَالصَّوَّاغُوْنَ». رواه الإمام أحمد، وابن ماجه، وسنده مضطرب[1].

وروى إبراهيم الحربي في «غريبه» عن أبي رافع الصائغ قال: كان عمر يمازحني فيقول: أكذب الناس الصواغ؛ يقول: اليوم وغداً[2].

ولعل معنى: أكذب الناس: أقربهم إلى الكذب.

وروى الدارقطني في «الأفراد»، وأبو نعيم، وابن عساكر عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللهَ بَعَثَني مَلْحَمَةً وَمَرْحَمَةً، وَلَمْ يَبْعَثْني تَاجِراً وَلا زَرَّاعاً، وَإِنَّ شَرَّ النَّاسِ يَوْمَ القِيَامَةِ التُّجَّارُ وَالزَّرَّاعُوْنَ إِلاَّ مَنْ شَحَّ عَلَىْ دِيْنِهِ»[3].

والمعنى في ذلك: أنَّ هذين الصنفين من الناس شغلهم تجارتهم وزراعتهم عن الطاعة التي هي جِماع الخير؛ فهم إذا استغرقتهم صناعتهم وحرفتهم عن الطاعة ـ كما هو دأب الغالب منهم ـ شر الناس، لا ينقذهم من هذه الشرِّية إلا الشح على الدين، فإذا شحوا

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢/ ٢٩٢)، وابن ماجه (٢١٥٢). قال ابن حجر في «فتح الباري» (٤/ ٣١٧): حديث مضطرب الإسناد.

(٢) كذا عزاه ابن حجر في «الإصابة في تمييز الصحابة» (٧/ ١٤٨) إلى الحربي في «غريب الحديث»، وقال: سنده جيد.

(٣) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٤/ ٧٢)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١٤/ ٣٠٢)، وكذا ابن عدي في «الكامل» (٣/ ٣١٢) وقال: هذا عن حمزة الزيات غير محفوظ.

على دينهم فلم تشغلهم حالهم عن الواجبات والمفروضات، ولا وقعت بهم على حرام ولا معصية، كانوا من خيار الناس.

وروى الإمام أحمد، والترمذي، وابن حبان في «صحيحه» عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه: أن النَّبيَّ ﷺ قال: «أَلا أُخْبِرُكُمْ بِخَيْرِكُمْ مِنْ شَرِّكُمْ؟ خَيْرُكُمْ مَنْ يُرْجَىْ خَيْرُهُ، وَيُؤْمَنُ شَرُّهُ، وَشَرُّكُمْ مَنْ لا يُرْجَىْ خَيْرُهُ، وَلا يُؤْمَنُ شَرُّهُ»[1].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه: أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «أَلا أُخْبِرُكُمْ بِخَيْرَ النَّاسِ وَشَرِّ النَّاسِ؟ إِنَّ مِنْ خَيْرِ النَّاسِ رَجُلاً حَمَلَ فيْ سَبِيْلِ اللهِ ﷻ عَلَىْ ظَهْرِ فَرَسِهِ، أَوْ عَلَىْ ظَهْرِ بَعِيْرِهِ أَوْ عَلَىْ قَدَمَيْهِ حَتىَّ يَأْتِيَهِ المَوْتُ، وَإِنَّ من شَرِّ النَّاسِ رَجُلاً فَاجِراً جَرِيْئَاً، يَقْرَأُ كِتَابَ اللهِ لا يَرْعَوِيْ إِلىْ شَيْءٍ مِنْهُ»[2].

وروى ابن عساكر عن معاذ رضي الله تعالى عنه: أن النبي ﷺ قال: «أَلا أُنَبِّئُكُمْ بِشَرِّ النَّاسِ؟ مَنْ أَكَلَ وَحْدَهُ، وَمَنَعَ رِفْدَهُ، وَسَافَرَ وَحْدَهُ، وَضَرَبَ عَبْدَهُ.

أَلا أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ هَذَا؟ مَنْ يُبْغِضُ النَّاسَ - أَيْ: فيْ غَيْرِ ذَاتِ اللهِ تَعَالىْ - وَيُبْغِضُوْنَهُ.

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢/ ٣٨٦)، والترمذي (٢٢٦٣) وقال: حسن صحيح، وابن حبان في «صحيحه» (٥٢٨).

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٣/ ٤١)، وكذا النسائي (٣١٠٦).

أَلا أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ هَذَا؟ مَنْ يُخْشَىٰ شَرُّهُ وَلا يُرْجَىٰ خَيْرُهُ.

أَلا أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ هَذَا؟ مَنْ بَاعَ آخِرَتَهُ بِدُنْيَا غَيْرِهِ.

أَلا أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ هَذَا؟ مَنْ أَكَلَ الدُّنْيَا بِالدِّيْنِ»[1].

وروى الديلمي عن ابن عمر رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «شِرَارُ النَّاسِ فَاسِقٌ قَرَأَ كِتَابَ اللهِ وَتَفَقَّهَ فِيْ دِيْنِ اللهِ، ثُمَّ بَذَلَ نَفْسَهُ لِفَاجِرٍ، إِذَا نَشَطَ تَفَكَّهَ بِقِرَاءَتِهِ وَمُحَادَثَتِهِ، فَيَطْبَعُ اللهُ عَلَىْ قَلْبِ القَائِلِ وَالمُسْتَمِعِ».

وروى أبو نعيم عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه، عن النبي ﷺ قال: «شَرُّ النَّاسِ ثَلاثَةٌ: مُتَكَبِّرٌ عَلَىْ وَالِدَيْهِ يُحَقِّرُهُمَا، وَرَجُلٌ سَعَىْ فِيْ فَسَادٍ بَيْنَ النَّاسِ بِالكَذِبِ حَتَّىٰ يَتَبَاغَضُوْا أَوْ يَتَبَاعَدُوْا، وَرَجُلٌ سَعَىْ بَيْنَ رَجُلٍ وَامْرَأَتِهِ بِالكَذِبِ حَتَّى يغيِّرَهُ عَلَيْهَا بِغَيْرِ الحَقِّ حَتَّى فَرَّقَ بَيْنَهُمَا، ثُمَّ يَخْلُفُهُ عَلَيْهَا مِنْ بَعْدِهِ».

وروى تمَّام في «جزءٍ من حديثه» عن علي رضي الله تعالى عنه، عن النبي ﷺ قال: «شِرَارُ أُمَّتِيْ أَوَّلُ مَنْ يُسَاقُ إِلَىْ النَّارِ الأَقْمَاعُ مِنْ أُمَّتِيْ، إِذَا أَكَلُوْا لَمْ يَشْبَعُوْا، وَإِذَا جَمَعُوْا لَمْ يَسْتَغْنُوْا».

والأقماع في الأصل: جمع قَمع ـ بفتح أوله وإسكان ثانيه، وكسر أوله وإسكان ثانيه وفتحه ـ: ما يوضع في فم الإناء، ينصب فيه الدُّهن وغيره.

---

(١) رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٥١/ ١٣٣).

فشبه به الذين لا ينتفعون في الآخرة بما يجمعون في الدنيا، كأن ما يأكلونه ويجمعونه يمر بهم مجتازاً غير ثابت النفع لهم، ولا باقي عندهم، كما يمرُّ الشراب والدهن بالقمع اجتيازاً؛ ذكره صاحب «النهاية»، وغيره[1].

وكذلك قوله ﷺ: «وَيْلٌ لأَقْمَاعِ الْقَوْلِ»[2]: شبه أسماع الذين يسمعون القول ولا يَعُونه ولا يعملون به بالأقماع التي لا تعي شيئاً مما مرَّ بها ولا يبقى فيها.

ويحتمل أن يراد بالأقماع في الحديث: من أهل البطالات الذين لا همَّ لهم إلاَّ في ملْء بطونهم وأكياسهم، وتفريغها من غير فائدة، والذين لا همَّ لهم إلا سماع أخبار الناس من قوم، وإلقاؤها إلى آخرين[3].

وروى عبد الرزاق عن علي رضي الله تعالى عنه، عن النَّبيِّ ﷺ أنه قال: «مِنْ شِرَارِ أُمَّتِيْ مَنْ يَتَّخِذُ القُبُوْرَ مَسَاجِدَ»[4].

---

(١) انظر: «النهاية في غريب الحديث» لابن الأثير (٤/ ١٠٩).

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢/ ١٦٥)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٣٨٠)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٧٢٣٦) عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما. قال المنذري في «الترغيب والترهيب» (٣/ ١٤٠): رواه أحمد بإسناد جيد.

(٣) انظر: «النهاية في غريب الحديث» لابن الأثير (٤/ ١٠٩).

(٤) رواه عبد الرزاق في «المصنف» (١٥٨٦). وله شواهد باللفظ نفسه من حديث أبي عبيدة بن الجراح، وعبدالله بن مسعود رضي الله عنهما.

وروى أبو نعيم عن أبي الدَّرداء ﷺ قال: مالي أراكم تَحْرِصُون على ما كفل لكم به، وتضيعون ما وُكلتم به؟ لأَنَا أعلم بشراركم من البيطار بالخيل؛ هم الذين لا يأتون الصلاة إلا دبراً، ولا يسمعون إلا هُجْراً، ولا يُعتق محرروهم[١].

وعن معاذ رضي الله تعالى عنه: تصديت لرسول الله ﷺ وهو يطوف، فقلت: يا رسول الله! أرنا شرَّ الناس.

فقال: «سَلُوْا عَنِ الخَيْرِ، وَلا تَسْأَلُوْا عَنِ الشَّرِّ؛ شِرَارُ النَّاسِ شِرَارُ الْعُلَمَاءِ فِيْ النَّاسِ».

وقد تقدم من حديث جابر[٢].

والمعنى: أن العلماء إذا كانوا شراراً كانوا شراً من الجهلاء إذا كانوا شراراً؛ لأن شرار الجهلاء لا وازع لهم من علم يمنعهم من ارتكاب الشر، والعالم له وازع من العلم، فإذا ارتكب الشر مع الوازع لم يكن له من العذر في ذلك صغير ولا كبير.

وروى الدينوري في «المجالسة» عن الشعبي قال: شرار أهل كل دين علماؤهم غير المسلمين[٣].

وهذا يناقضه الحديث المذكور؛ فإنه عام ولا يصلح لحمل

---

(١) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١/ ٢٢١).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) رواه الدينوري في «المجالسة وجواهر العلم» (ص: ٢٠٤).

الحديث عليه إلا إن ثبت هذا في الحديث المرفوع.

وروى الشافعي، والبيهقي في «المعرفة» عن ابن أبي ذئب رحمه الله تعالى ـ معضلاً ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «شِرَارُ قُرَيْشٍ خَيْرُ شِرَارِ النَّاسِ»[1].

وليس المراد بالشرار في الحديث من لا خير فيه أصلاً، بل المراد من غلب عليهم الشر حتى سُمُّوا أشراراً وشراراً وإن كان فيهم خير.

ومحصل معنى الحديث: أنَّ قريشاً أقرب من غيرهم إلى الخير حتى شرارهم.

وروى الطبراني في «الأوسط» عن جابر رضي الله تعالى عنه: أنَّ النبي ﷺ قال: «شَرُّ قَتِيْلٍ بَيْنَ الصَّفَّيْنِ، أَحَدُهُمَا يَطْلُبُ المُلْكَ»[2].

أي: واحد منها يطلب الملك، ويقصد حصوله بالمقاتلة لفساد نيته.

وهو محمول على أن الصفين مسلمون لا يقاتلون لإعلاء كلمة الدين، بل لطلب الملك، فمن قتل منهم على هذه النية فهو شر القتلى.

---

(١) رواه الإمام الشافعي في «المسند» (ص: ٢٧٩)، والبيهقي في «معرفة السنن والآثار» (١/ ٨٩).

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٦٤٦٩). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٢٩٢): فيه عبد الأول أبو نعيم، لم أعرفه، وبقية رجاله ثقات.

وروى أبو نعيم عن أبي رافع قال: قال رسول الله ﷺ: «شَرُّ الرَّقِيْقِ الزِّنْجُ؛ إِنْ شَبِعُوْا زَنَوْا، وَإِنْ جَاعُوْا سَرَقُوْا»[1].

واعلم أن شَرِّية ابن آدم ليست من حيث الأصل والنسب؛ فإن أصله كريم ونسبه طيب، وإنما تكون شريته من حيث اتصافه بالشر خلقاً أو عملاً أو قولاً، فينبغي له أن يتجنب شرار الأخلاق، والأعمال والأقوال؛ فإن النبي ﷺ قد قال: «إِنمَّا الْعِلْمُ بِالتَّعَلُّمِ، وَالحِلْمُ بِالتَّحَلُّمِ، وَمَنْ يَتَحَرَّ الخَيْرَ يُعْطَهُ، وَمَنْ يَتَّقِ الشَّرَّ يُوْقَهُ»[2]، فإنما يتصف بالشر أهله والشر للشر خلق.

وقد روى البخاري في «الأدب المفرد»، وأبو داود بسند جيد، وآخرون عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «شَرُّ مَا فِيْ الرَّجُلِ شُحٌّ مُطَاعٌ، وَجُبْنٌ خَالِعٌ»[3].

وروى الإمام أحمد، ومسلم، والنَّسائي عن رافع بن خَديج رضي الله تعالى عنه: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال: «شَرُّ الْكَسْبِ مَهْرُ الْبَغِيِّ وَثَمَنُ الْكَلْبِ وَكَسْبُ الحَجَّامِ»[4].

---

(١) رواه أبو نعيم في «تاريخ أصبهان» (٢/ ١٣٩).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) رواه البخاري في «التاريخ الكبير» (٦ / ٨)، وأبو داود (٢٥١١). قال العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء» (٢/ ٩١٠): سند جيد.

(٤) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٣/ ٤٦٤)، ومسلم (١٥٦٨)، والنَّسائي (٤٢٩٤).

وروى مسلم عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «شَرُّ الطَّعَامِ طَعَامُ الوَلِيْمَةِ، يُمْنَعُهَا مَنْ يَأْتِيْهَا، وَيُدْعَىْ إِلَيْهَا مَنْ يَأْبَاهَا، وَمَنْ لا يُجِبِ الدَّعْوَةَ فَقَدْ عَصَىْ اللهَ وَرَسُوْلَهُ»(١).

وروى الطَّبراني في «الكبير» عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «شَرُّ الطَّعَامِ طَعَامُ الْوَلِيْمَةِ، يُدْعَىْ إِلَيْهِ الشَّبْعَانُ، وَيُحْبَسُ عَنْهُ الجَائِعُ»(٢).

وروى أبو نعيم عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما، عن النبي ﷺ قال: «شَرُّ المَالِ فِيْ آخِرِ الزَّمَانِ المَمَالِيْكُ»(٣).

وروى الطبراني في «الكبير» عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «شَرُّ البُيُوْتِ الحَمَّامُ، تَعْلُوْ فِيْهِ الأَصْوَاتُ، وَتُكْشَفُ فِيْهِ الْعَوْرَاتُ، فَمَنْ دَخَلَهُ لا يَدْخُلْ إِلاَّ مُسْتَتِراً»(٤).

---

(١) رواه مسلم (١٤٣٢)، وكذا البخاري (٤٨٨٢).

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٢٧٥٤). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٤/ ٥٣): فيه عمران القطان، وثقه أحمد وجماعة، وضعفه النسائي وغيره.

(٣) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٤/ ٩٤)، وكذا ابن عدي في «الكامل» وأعله بأبي فروة، محمد بن يزيد بن سنان.

(٤) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٠٩٢٦). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ٢٧٨): فيه يحيى بن عثمان، ضعفه البخاري والنسائي، ووثقه أبو حاتم وابن حبان، وبقية رجاله رجال الصحيح.

وروى البخاري في «الأدب المفرد»، وابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «خَيْرُ بَيْتٍ فِيْ المُسْلِمِيْنَ بَيْتٌ فِيْهِ يَتِيْمٌ يُحْسَنُ إِلَيْهِ، وَشَرُّ بَيْتٍ فِيْ المُسْلِمِيْنَ بَيْتٌ فِيْهِ يَتِيْمٌ يُسَاءُ إِلَيْهِ، أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيْمِ فِيْ الجَنَّةِ هَكَذَا وَأَشَارَ بِإِصْبَعَيْهِ»[1].

وروى الإمام أحمد، ومسلم، والنسائي، وابن ماجه عن جابر رضي الله تعالى عنه: أن النبي ﷺ قال: «أَمَّا بَعْدُ! فَإِنَّ أَصْدَقَ الحَدِيْثِ كِتَابُ اللهِ، وَإِنَّ أَفْضَلَ الهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ، وَشَرُّ الأُمُوْرِ مُحْدَثَاتُهَا»، الحديث[2].

وروى الإمام أحمد، والترمذي، والحاكم وصححه، عن أبي سعيد رضي الله تعالى عنه: أن النبي ﷺ قال في حديث: «أَلا إِنَّ خَيْرَ الرِّجَالِ مَنْ كَانَ بَطِيْءَ الْغَضَبِ سَرِيْعَ الرِّضَا، وَشَرُّ الرِّجَالِ مَنْ كَانَ سَرِيْعَ الْغَضَبِ بَطِيْءَ الرِّضَا، فَإِذَا كَانَ الرَّجُلُ بَطِيْءَ الْغَضَبِ بَطِيْءَ الْفَيْءِ، وَسَرِيْعَ الْغَضَبِ بَطِيْءَ الْفَيْءِ فَإِنَّهَا بها، أَلا إِنَّ خَيْرَ التُّجَّارِ مَنْ كَانَ حَسَنَ الْقَضَاءِ حَسَنَ الطَّلَبِ، وَشَرُّ التُّجَارِ مَنْ كَانَ سَيِّءَ الْقَضَاءِ سَيِّءَ الطَّلَبِ، فَإِذَا كَانَ الرَّجُلُ حَسَنَ الْقَضَاءِ سَيِّءَ الطَّلَبِ أَوْ كَانَ سَيِّءَ

---

(١) رواه البخاري في «الأدب المفرد» (١٣٧)، وابن ماجه (٣٦٧٩). وضعف العراقي إسناده في «تخريج أحاديث الإحياء» (١/ ٥١٤).

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٣/ ٣١٠)، ومسلم (٨٦٧)، والنسائي (١٥٧٨)، وابن ماجه (٤٥).

الْقَضَاءِ حَسَنَ الطَّلَبِ فَإِنَّهَا بهَا»[1].

وروى الطبراني في «الأوسط»، والبيهقي في «الشعب» بسند ضعيف، عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «حَسْبُ المُؤْمِنِ مِنَ الشَّرِّ إلاَّ مَنْ عَصَمَهُ اللهِ أَنْ يُشِيْرَ إِلَيْهِ النَّاسُ بِالأَصَابعِ فِيْ دِيْنِهِ وَدُنْيَاهُ»[2].

وذكره في «الإحياء» عن جابر، ولا يُعرف من حديثه، كما قال العراقي[3].

ورواه البيهقي من حديث أنس ﷺ، ولفظه: «حَسْبُ امْرِىءٍ مَنَ الشَّرِّ أَنْ يُشَارَ إِلَيْهِ بِالأَصَابعِ»[4]، مُقْتَصِراً عَلَىْ ذَلِكَ.

وحديثه في «مسلم» بلفظ: «كَفَىْ بِالمَرْءِ إِثْمَاً»[5].

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٣/ ١٩)، والترمذي (٢١٩١) وقال: حسن صحيح، والحاكم في «المستدرك» (٨٥٤٣).

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٦٨٩٠)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٦٩٧٨) وقال: الإسناد ضعيف.

(٣) انظر: «إحياء علوم الدين» للغزالي (٣/ ٢٧٥)، و«تخريج أحاديث الإحياء» للعراقي (٢/ ٩٢٣).

(٤) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٦٩٧٧). وضعف العراقي إسناده في «تخريج أحاديث الإحياء» (٢/ ٩٢٣).

(٥) قال العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء» (٢/ ٩٢٣): وقال جابر بن عبدالله قال رسول الله ﷺ: «بحسب المرء من الشر إلا من عصمه الله من =

ورواه الإمام أحمد في «الزهد» عن الحسن مرسلاً، ولفظه: «كَفَىٰ لِلْمُؤْمِنِ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يُشَارَ إِلَيْهِ بِالأَصَابعِ إِلاَّ مَنْ عَصَمَ اللهُ وَرَحِمَ»[1].

وذلك أنه إذا أُشير إليه وعول عليه رأى لنفسه مزية وفضلاً، ومتى رأى فضل نفسه ومزيتها عَمِيَ عن معايبها فلم يجتنبها، ولم يحذر من غوائل شهوات.

ومن هنا مُدِحَ اتهامُ الإنسان لنفسه وظنُّه الشرَّ بها.

وروى الإمام أحمد في «الزهد» عن وهب بن منبه رحمه الله تعالى: أن موسى عليه السلام قال لبني اسرائيل: ائتوني بخيركم رجلاً، فأتوه برجل؛ قال: أنت خير بني إسرائيل؟

---

= السوء أن يشير الناس إليه، إن الله لا ينظر إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم». حديث جابر: «بحسب امرىء من الشر» الحديث مثله وزاد في آخره: «إن الله لا ينظر إلى صوركم» الحديث هو غير معروف من حديث جابر، معروف من حديث أبي هريرة رواه الطبراني في «الأوسط»، والبيهقي في «الشعب» بسند ضعيف، مقتصرين على أوله، ورواه مسلم مقتصراً على الزيادة التي في آخره، وروى الطبراني والبيهقي في «الشعب» أوله من حديث عمران بن حصين بلفظ: «كفى بالمرء إثماً». ا. هـ.

إذن فحديث مسلم هو: «إن الله لا ينظر إلى صوركم...».

وحديث: «كفى بالمرء إثماً» هو حديث عمران بن حصين ﷺ عند الطبراني والبيهقي، وليس عند مسلم، كما أوهم صنيع المؤلف رحمه الله.

(١) ورواه ابن المبارك في «الزهد» (٢/ ١٢).

قال: كذلك يزعمون.

قال: اِذهب فائتني بشرهم.

قال: فذهب، فجاء وليس معه أحد، فقال: جئني بشرهم؟

قال: أنا ما أعلم من أحدٍ منهم ما أعلم من نفسي.

قال: أنت خيرهم[1].

ومن هنا لمَّا سُئِلَ أبو يزيد البسطامي رحمه الله تعالى: متى يكون الرجل متواضعاً؟

قال: إذا لم يَرَ لنفسه مقاماً ولا حالاً، ولا يرى أنَّ في الخلق من هو شرٌّ منه[2].

وسُئل يوسف بن أسباط رحمه الله تعالى عن التواضع، فقال: أن تخرج من بيتك فلا تلقى أحداً إلا رأيته خيراً منك[3].

وسُئِل سفيان الثوري، أو عبدالله بن المبارك: متى يكون الرجل متكبراً؟

قال: متى رأى أن في الناس من هو شرٌّ منه، فهو متكبر[4].

ووجه ذلك: أنه من ذَنْبِـه وعَيبِ نفسِه على يقين، وهو من عيب

---

(١) رواه الإمام أحمد في «الزهد» (ص: ٧٤).

(٢) انظر: «الرسالة القشيرية» (ص: ١٨٤).

(٣) رواه الدينوري في «المجالسة وجواهر العلم» (ص: ٢٥٢).

(٤) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١٠/ ٣٦) عن أبي يزيد.

غيره على ظن وتخمين؛ كما أشار إلى ذلك صاحب موسى عليه السلام.

وروى الترمذي، وابن حبان، والحاكم وصححه، عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه: أنه سمع النبي ﷺ يقول: «مَنْ وَقَاهُ اللهُ شَرَّ مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ وَشَرَّ مَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ دَخَلَ الجَنَّةَ»[1].

وروى البيهقي في «الشعب» عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ وُقِيَ شَرَّ لقلقهِ وَقبقبهِ وَذبذبهِ، فَقَدْ وَجَبَتْ لَهُ الجَنَّةُ»[2].

اللقلق: اللسان.

والقبقب: البطن.

والذبذب: الذكر.

وروى الإمام أحمد ـ ورواته يحتج بهم في «الصحيح» ـ عن حميد ابن عبد الرحمن رحمه الله تعالى، عن رجل من أصحاب النبي ﷺ قال: قال رجلٌ: يا رسول الله! أوصني.

قال: «لاَ تَغْضَبْ».

قال: ففكرت حين قال النبي ﷺ ما قال، فإذا الغضب يجمع

---

(١) رواه الترمذي (٢٤٠٩) وحسنه، وابن حبان في «صحيحه» (٥٧٠٣)، والحاكم في «المستدرك» (٨٠٥٩).

(٢) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٥٤٠٩) وقال: في إسناده ضعف.

الشر كله[1].

وروى الحاكم وصححه، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «اجْتَنِبُوْا الخَمْرَ؛ فَإِنَّها مِفْتَاحُ كُلِّ شَرٍّ»[2].

وروى ابن أبي شيبة عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه أنه قال في كلامٍ له: وشر العمى عمى القلب، وشر المعذرة حين يحضر الموت، وشر الندامة يوم القيامة، وشر المكاسب كسب الربا، وشر المآكل مال اليتيم[3].

ويروى مرفوعاً من حديث عقبة بن عامر، وأبي الدَّرداء رضي الله تعالى عنهما[4].

واعلم أن القول الجامع في هذا الباب، والحكمة البالغة قول الله ﷻ: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾[الزلزلة: ٧ـ٨].

ويُذكر أن النبي ﷺ كان يُسمي هذه الآية: «الجامعة الفاذَّة». أخرجه عبد بن حميد عن قتادة رحمه الله تعالى[5]، وشاهده في «الصحيح»[6].

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٥/ ٣٧٣). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨/ ٦٩): رجاله رجال الصحيح.

(٢) رواه الحاكم في «المستدرك» (٧٢٣١)، وكذا البيهقي في «شعب الإيمان» (٥٥٨٨).

(٣) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٤٥٥٢).

(٤) انظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٢/ ٦٩٢).

(٥) انظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٨/ ٥٩٦).

(٦) رواه البخاري (٤٦٧٨)، ومسلم (٩٨٧) عن أبي هريرة ﷺ.

وروى الإمامان عبدالله بن المبارك في «الزهد»، وأحمد، والنسائي، والحاكم وصححه، عن صعصعة بن معاوية عم الفرزدق أو جده: أنه قدم على النبي ﷺ، فسمعه يقرأ هذه الآية: ﴿فَمَن يَعْمَلْ﴾ . . . إلى آخره، فقال: حسبي حسبي، لا أُبالي أن أسمع غيرها.

وفي رواية: أن لا أسمع من القرآن غيرها[1].

وروى عبد الرزاق، وابن أبي حاتم عن زيد بن أسلم: أن النبي ﷺ دفع رجلاً إلى رجلٍ يعلمه، فعلمه حتى بلغ: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ﴾، فقال: حسبي.

فقال الرجل: يا رسول الله! أرأيت الرجل الذي أمرتني أن أُعلمه لمَّا بلغ ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ﴾ قال: حسبي.

فقال النبي ﷺ: «دَعْهُ؛ فَقَدْ فَقُهَ»[2].

وروى الإمام أحمد في «الزهد»، وغيره عن أبي الدَّرداء رضي الله تعالى عنه قال: لولا ثلاث لأحببتُ أن لا أبقى في الدنيا: وضعي وجهي للسجود لخالقي في اختلاف الليل والنهار تقدمةً لحياتي، وظمأ الهواجر، ومقاعدة أقوام ينتقون الكلام كما تُنتقى الفاكهة.

---

(١) رواه ابن المبارك في «الزهد» (١/ ٢٧)، والإمام أحمد في «المسند» (٥/ ٥٩)، والنسائي في «السنن الكبرى» (١١٦٩٤)، والحاكم في «المستدرك» (٦٥٧١).

(٢) رواه عبد الرزاق في «التفسير» (٣/ ٣٨٨)، وانظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٨/ ٥٩٦).

وتمام التقوى أن يتقي الله العبد حتى يتقيه في مثقال ذرة، حتى يترك بعض ما يرى أنه حلال خشية أن يكون حراماً حتى يكون حاجزاً بينه وبين الحرام؛ إنَّ الله قد بين للناس الذي هو مصيرهم إليه: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾[الزلزلة: ٧ ـ ٨]؛ فلا تحقرن شيئاً من الشر أن تتقيه، ولا شيئاً من الشر أن تفعله[1].

وروى ابن سعد في «طبقاته» عن شدَّاد بن أوس رضي الله تعالى عنه: أنه خطب الناس، فحمد الله أثنى عليه، وقال: يا أيُّها الناس! ألا إنَّ الدنيا عَرَضٌ حاضر، يأكل منه البر والفاجر، والآخرة أجلٌ مستأخر، يقضي فيه ملكٌ قادر.

ألا وإنَّ الخير بحذافيره في الجنة، ألا وإن الشر بحذافيره في النار.

ألا واعلموا أنه من يعمل مثقال ذرة خيراً يره، ومن يعمل مثقال ذرةٍ شراً يره[2].

وروى المفسرون، والطَّبراني في «الأوسط»، والبيهقي في «الشُّعب» عن أنس ﷺ قال: بينما أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه يأكل مع رسول الله ﷺ إذ نزل عليه: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا

---

(١) ورواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١/ ٢١٢).

(٢) كذا عزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٥٩٨) إلى ابن سعد، ورواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٥٥٩٩) مرفوعاً.

يَـرَهُۥ﴾ الآية، فرفع أبو بكر يده، وقال: يا رسول الله! لراءٍ ما عملت من مثقال ذرة من شر.

فقال: «يَا أَبَا بَكْرٍ! أَرَأَيْتَ مَا تَرَىٰ فِيْ الدُّنْيَا ممَّا تَكْرَهُ فَبِـمَثَاقِيْلِ ذَرِّ الشَّرِّ، وَيُدَّخَرُ لَكَ مَثَاقِيْلُ ذَرِّ الخَيْرِ حَتىَّ تُوَفَّاهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[1].

ورواه إسحاق بن راهويه، والحاكم عن أبي أسماء قال: بينما أبو بكر يتغدى مع رسول الله ﷺ إذا نزلت هذه الآية: ﴿فَمَن يَعْـمَلْ﴾ إلى آخره، فأمسك أبو بكر، وقال: يا رسول الله! كل ما عملنا من سوء رأيناه؟

فقال: «ما تَرَوْنَ مِمَّا تَكْرَهُونَ فَذاكَ مِمَّا تُجْزَوْنَ بِهِ، وَيُؤَخَّرُ الْخَيْرُ لأَهْلِهِ فِي الآخِرَةِ»[2].

* تَنْبِيهٌ:

ينبغي للعبد أن يعتزل أهل الشر ويعزل شره عن أهل الخير، ولا يشارَّ أهل الشر، بل يدفع بالتي هي أحسن، ويعفو أو ينتقم من غير مجاوزة، وقد سبق الحديث: «وَمَنْ يَتَوَقَّى الشَّرَّ يُوقَهُ»[3].

وروى ابن عساكر عن أنس: أن النبي ﷺ قال: «إِيَّاكَ وَقَرِينَ

---

(1) رواه الطبري في «التفسير» (٣٠/ ٢٦٨)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٨٤٠٧)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٩٨٠٨).

(2) رواه الحاكم في «المستدرك» (٣٩٦٦).

(3) تقدم تخريجه.

السُّوءِ؛ فَإِنَّكَ بِهِ تُعْرَفُ»[1].

وروى ابن أبي الدنيا في «المداراة» عن ابن عبَّاس رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إِيَّاكُمْ وَمُشارَّةَ النَّاسِ؛ فَإِنهَّا تَدْفِنُ الغُرَّةَ، وَتُظْهِرُ الْعَوْرَةَ»[2].

وروى الشيخان، وغيرهما عن أبي سعيد رضي الله تعالى عنه قال: قال رجل: أي الناس أفضل يا رسول الله؟

قال: «مُؤْمِنٌ يُجَاهِدُ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ فِيْ سَبِيْلِ اللهِ».

قال: ثمَّ من؟

قال: «ثُمَّ رَجُلٌ مُعْتَزِلٌ فِيْ شِعْبٍ مِنَ الشِّعَابِ يَعْبُدُ رَبَّهُ، وَيَدَعُ النَّاسَ مِنْ شَرِّهِ».

وفي رواية: «يَتَّقِي اللهَ وَيَدَعُ النَّاسَ مِنْ شَرِّهِ»[3].

وما أحسن قولَ من قال: [من مجزوء الخفيف]

يَا خَلِيلَيَّ عَدِّيا ... عَنْ حَدِيثِ الْمَكارِمِ

مَنْ كَفى النَّاسَ شَرَّهُ ... كانَ فِي جُودِ حاتِمِ

---

(1) رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١٤/ ٤٦).

(2) رواه ابن أبي الدنيا في «مداراة الناس» (ص: ١١٢)، وكذا الطبراني في «المعجم الصغير» (١٠٥٥). وفيه سيف بن أبي مغيرة ضعفه الدارقطني وغيره. انظر: «لسان الميزان» لابن حجر (٣/ ١٣٣).

(3) رواه البخاري (٦١٢٩)، ومسلم (١٨٨٨).

وقلتُ في هذا الباب: [من مجزوء الرمل]

افْعَلِ الْخَيْرَ يَسُرُّكْ ... وَاكْفِ كُلَّ النَّاسِ شَرَّكْ

إِنَّ ذا يَجْلُو لَكَ الْفِكْـ ... ـرَ وَيُخْلِي لَكَ بِرَّكْ

وَاحْتَسِبْ بِاللهِ تُكْفَى الشَّـ ... ـرَّ حَتَّى لا يَضُرَّكْ

اسْمَعِ النُّصْحَ وَلا تُصْغـ ... ـغِ إِلَى مَنْ كان غَرَّكْ

إِنَّ مَنْ حَرَّكَ شَرّاً ... ذُمَّ ما قَدْ كانَ حَرَّكْ

مَنْ يُثِرْ مِنْكَ بِما قا ... لَ لَمَّا غاظَ مقرَّكْ

فَهْوَ ما رامَ لَكَ الْخَيْرَ ... وَلا بِالنُّصْحِ بَرَّكْ

رُبَّ ما قَلَّ مِنَ الشَّرِّ ... إِلَى الأَكْثَرِ جَرَّكْ

رُبَّما قُلْتَ لِما اسْتَحْـ ... ـلَيْتَ ما كانَ أَمَرَّكْ

رُبَّ فِعْلٍ كُنْتَ تَرْضَى ... تَرْكَهُ قَدْ كانَ أَبْرَكْ

رُبَّما كانَ مِنَ الْقَوْلِ ... الَّذي قَدْ خَفَّ معرَّكْ

رُبَّ ذِي صَمْتٍ لِما شا ... ءَ مِنَ الْحِكْمَةِ أَدْرَكْ

إِنَّ خُبْرَ النَّدبِ يُجدِيـ ... ـكَ وَإِنْ خالَفَ خُبْرَكْ

وَالتَّأَنِّي بِكَ أَوْلَى ... بِكَ أَنْ تُحْكِمَ أَمْرَكْ

عَمْرَكَ اللهَ اسْتَمِعْ لِي ... فَعَسى تُحْمَدُ عَمْرَكْ

* تَتِمَّةٌ:

تقدم قوله ﷺ: «وَمَنْ يَتَّقِ الشَّرَّ يُوْقَهُ»[1].

هذا التوقي ـ وإن كنا مأمورين به ـ فإنه لا يكون إلا بتوفيق الله وإعاذته إيانا من الشر.

ثم جاءت الاستعاذة من الشر وذوات الشر في كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ، وكفاك إن كنت مكتفياً السورتان المعوذتان.

روى النسائي عن ابن عابس الجهني رضي الله تعالى عنه: أن رسول الله ﷺ قال له: «يَا ابْنَ عَابِسٍ! أَلا أُخْبِرُكَ بِأَفْضَلَ مَا تَعَوَّذَ بِهِ الْمُتَعَوِّذُوْنَ؟».

قلت: بلى يا رسول الله.

قال: «﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾[الفلق: ١]، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾[الناس: ١]؛ هُمَا الْمُعَوِّذَتَانِ»[2].

وروى ابن أبي شيبة عن عقبة بن عامر رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَا سَأَلَ سَائِلٌ وَلا اسْتَعَاذَ مُسْتَعِيْذٌ بِمِثْلِهِمَا»[3]؛ يعني: المعوذتين.

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) رواه النسائي (٥٤٣٢).

(٣) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٢٩٦٠٤)، وكذا الدارمي في «السنن» (٣٤٤٠).

وروى الإمام أحمد، والنسائي، والحاكم وصححه، عن أبي ذر، والإمام أحمد، والطبراني في «الكبير» عن أبي أمامة ﷺ: أن رسول الله ﷺ قال لأبي ذر رضي الله تعالى عنه: «يَا أَبَا ذَرٍّ! تَعَوَّذْ بِاللهِ مِنَ شَرِّ شَيَاطِيْنِ الإِنْسِ وَالجِنِّ».

قال أبو ذر: قلت: يا رسول الله! وللإنس شياطين؟

قال: «نَعَمْ»[1].

وروى أبو داود الطَّيالسي، والطَّبراني في «الكبير» عن جابر بن سمرة رضي الله تعالى عنه: أن النبي ﷺ كان يدعو: «اللهُمَّ إِنِّيْ أَسْأَلُكَ مِنَ الخَيْرِ كُلِّهِ، مَا عَلِمْتُ مِنْهُ وَمَا لَمْ أَعْلَمْ، وَأَعُوْذُ بِكَ مِنَ الشَّرِّ كُلِّهِ، مَا عَلِمْتُ مِنْهُ وَمَا لَمْ أَعْلَمْ»[2].

وروى مسلم، وأبو داود، والنسائي، وابن ماجه عن عائشة رضي الله تعالى عنها: أنه كان يقول في دعائه: «اللهُمَّ إِنِّيْ أَعُوْذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا عَمِلْتُ، وَمِنْ شَرِّ مَا لَمْ أَعْمَلْ»[3].

وروى ابن ماجه، والحاكم وصححه، من حديثها: أن النبي ﷺ

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) رواه الطيالسي في «المسند» (٧٨٦)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٢٠٥٨). قال ابن طاهر المقدسي في «ذخيرة الحفاظ» (٣/ ١٧٨٣): فيه قيس بن الربيع ضعيف.

(٣) رواه مسلم (٢٧١٦)، وأبو داود (١٥٥٠)، والنسائي (١٣٠٧)، وابن ماجه (٣٨٣٩).

قال لها: «عَلَيْكِ بِالجَوَامِعِ الْكَوَامِلِ، قُوْلِيْ: اللهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنَ الخَيْرِ كُلِّهِ عَاجِلِهُ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْتُ مِنْهُ وَمَا لَمْ أَعْلَمْ، وَأَعُوْذُ بِكَ مِنَ الشَّرِّ كُلِّهِ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْتُ مِنْهُ وَمَا لَمْ أَعْلَمْ، وَأَسْأَلُكَ الجَنَّةَ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ، وَأَعُوْذُ بِكَ مِنَ النَّارِ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ، وَأَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا سَأَلَكَ عَبْدُكَ وَرَسُوْلُكَ مُحَمَّدٌ ﷺ، وَأَسْتَعِيْذُكَ مِمَّا اسْتَعَاذَ مِنْهُ عَبْدُكَ وَرَسُوْلُكَ مُحَمَّدٌ ﷺ، وَأَسْأَلُكَ مَا قَضَيْتَ لِيْ مِنْ أَمْرٍ أَنْ تَجْعَلَ عَاقِبَتَهُ رُشْداً يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ»(١).

وروى الترمذي، والحاكم عن شداد بن أوس رضي الله تعالى عنه: أن من دعاء النبي ﷺ: «اللهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الثَّبَاتَ فِيْ الأَمْرِ، وَالْعَزِيْمَةَ عَلَىْ الرُّشْدِ، وَأَسْأَلُكَ شُكْرَ نِعْمَتِكَ، وَحُسْنَ عِبَادَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ قَلْباً سَلِيْماً، وَخُلُقاً مُسْتَقِيْماً، وَلِسَاناً صَادِقاً، وَعَمَلاً مُتَقَبَّلاً، وَأَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا تَعْلَمُ، وَأَعُوْذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا تَعْلَمُ، وَأَسْتَغْفِرُكَ لِمَا تَعْلَمُ، فَإِنَّكَ تَعْلَمُ وَلا أَعْلَمُ وَأَنْتَ عَلاَّمُ الْغُيُوْبِ»(٢).

وروى الإمام أحمد، والبخاري، والنسائي من حديثه رضي الله تعالى عنه: أن النبي ﷺ قال: «سَيِّدُ الاسْتِغْفَارِ: اللهُمَّ أَنْتَ رَبِّيْ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ، خَلَقْتَنِيْ وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَىْ عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوْذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوْءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبُوْءُ بِذَنْبِيْ

---

(١) رواه ابن ماجه (٣٨٤٦)، والحاكم في «المستدرك» (١٩١٤).

(٢) رواه الترمذي (٣٤٠٧)، والحاكم في «المستدرك» (١٨٧٢)، وكذا النسائي (١٣٠٤).

فَاغْفِرْ لِيْ، فَإِنَّهُ لا يَغْفِرُ الذُّنُوْبَ إِلاَّ أَنْتَ. مَنْ قَالهَا مِنَ النَّهَارِ مُوْقِناً بهَا فَمَاتَ مِنْ يَوْمِهِ قَبْلَ أَنْ يُمْسِي فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ، وَمَنْ قَالهَا مِنَ اللَيْلِ وَهُوَ مُوْقِنٌ بِهَا، فَمَاتَ قَبْلَ أَنْ يُصْبِـحَ فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ»[1].

وروى مسلم عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه: أن النبي ﷺ كان يقول: «اللهُمَّ أَصْلِحْ لِيْ دِيْنِيْ الَّذِيْ هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِيْ، وَأَصْلِحْ لِيْ دُنْيَايَ الَّتِيْ فِيْهَا مَعَاشِيْ، وَأَصْلِحْ لِيْ آخِرَتِيْ الَّتِيْ فِيْهَا مَعَادِيْ، وَاجْعَلِ الحَيَاةَ زِيَادَةً لِيْ فِيْ كُلِّ خَيْرٍ، وَاجْعَلِ المَوْتَ رَاحَةً لِيْ مِنْ كُلِّ شَرٍّ»[2].

وروى أبو داود، والترمذي، وابن حبان، والحاكم، وصححوه، عن أبي هريرة ﷺ: أَنَّ أبا بكر الصديق رضي الله تعالى عنه قال: يا رسول الله! مُرني بكلماتٍ أقولهن إذا أصبحتُ وإذا أَمْسيت.

قال: «قُلْ: اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ، عَالمَ الغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، رَبَّ كُلِّ شَيْءٍ وَمَلِيْكَهُ، أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ، أَعُوْذُ بِكَ مِنْ شَرِّ نَفْسِيْ وَشَرِّ الشَّيْطَانِ وَشِرْكِهِ».

قال: «قُلْهَا إِذَا أَصْبَحْتَ وَإِذَا أَمْسَيْتَ، وَإِذَا أَخَذْتَ مَضْجَعَكَ»[3].

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٤/ ١٢٢)، والبخاري (٥٩٤٧)، والنسائي (٥٥٢٢).

(٢) رواه مسلم (٢٧٢٠).

(٣) رواه أبو داود (٥٠٦٧)، والترمذي (٣٣٩٢) وصححه، وابن حبان في «صحيحه» (٩٦٢)، والحاكم في «المستدرك» (١٨٩٢).

وروى الترمذي وحسنه، عن عمران بن حصين رضي الله تعالى عنهما قال: قال النبي ﷺ لأبي: «يا حُصَيْنُ! كَمْ تَعْبُدُ اليَوْمَ إِلَهاً؟».

قال أبي: سبعة؛ ستة في الأرض، وواحداً في السماء.

قال: «فَأَيُّهُمْ تُعِدُّ لِرَغْبَتِكَ وَرَهْبَتِكَ؟».

قال: الذي في السَّماء.

قال: «يا حُصَيْنُ! أَما إِنَّكَ إِنْ أَسْلَمْتَ عَلَّمْتُكَ كَلِمَتَيْنِ تَنْفَعانِكَ».

قال: فلمَّا أسلم حصين رضي الله تعالى عنه قال: يا رسول الله! علِّمني الكلمتين اللتين وعدتني.

فقال: «قُلْ: اللَّهُمَّ أَلْهِمْنِي رُشْدِي، وَقِنِي شَرَّ نَفْسِي»[1].

رواه الترمذي، والنَّسائي، والحاكم، وصححه على شرط الشيخين، من حديث حصين رضي الله تعالى عنه[2].

وروى أبو داود، والترمذي، وحسنه، عن شكل بن حميد رضي الله تعالى عنه قال: قلت: يا رسول الله! علمني دعاءً.

قال: «قُلْ: اللهُمَّ إِنِّي أَعُوْذُ بِكَ مِنْ شَرِّ سَمْعِيْ، وَمِنْ شَرِّ بَصَرِيْ، وَمِنْ شَرِّ لِسَانِيْ، وَمِنْ شَرِّ قَلْبِيْ، وَمِنْ شَرِّ مَنِيِّيْ»[3].

---

(١) رواه الترمذي (٣٤٨٣) وقال: غريب.

(٢) رواه النسائي في «السنن الكبرى» (١٠٨٣٠)، والحاكم في «المستدرك» (١٨٨٠).

(٣) رواه أبو داود (١٥٥١)، والترمذي (٣٤٩٢) وحسنه، وكذا النسائي (٥٤٥٦).

ورواه الطَّبراني في «الدُّعاء» بسند ضعيف، عن أبي الدَّرداء ﷺ أنه قيل له: قد احترقت دارك، وكانت النار قد وقعت في محلته.

فقال: ما كان الله ليفعل ذلك.

فقيل له ذلك ثلاثاً.

فقال: ما كان الله ليفعل ذلك.

ثم أتاه آتٍ فقال له: يا أبا الدرداء! إنَّ النار حيثُ دنَتْ من دارك طُفِئتْ.

قال: قد علمت.

فقيل: ما ندري من أي قوليك أعجب؟

فقال: إنِّي سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ يَقُلْ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ فِيْ لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ»، وقد قُلْتُهُن.

وهن: «اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّيْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ، عَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيْمِ، لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيْمِ، مَا شَاءَ اللهُ كَانَ، وَمَالَمَ يَشَأْ لَمَ يَكُنْ، أَعْلَمُ أَنَّ اللهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيْرٌ، وَأَنَّ اللهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمَاً، اللهُمَّ إِنِّيْ أَعُوْذُ بِكَ مِنْ شَرِّ نَفْسِيْ، وَشَرِّ كُلِّ دَابَّةٍ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا، إِنَّ رَبِّيْ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيْمٍ»[1].

وروى ابن حبان في «صحيحه» عن عثمان بن أبي العاص،

---

(١) رواه الطبراني في «الدعاء» (ص: ١٢٨)، وكذا ابن السني في «عمل اليوم والليلة» (ص: ٥٤).

وامرأة من قريش: أنهما ـ رضي الله تعالى عنهما ـ سَمِعا رسول الله ﷺ يقول: «اللهُمَّ اغْفِرْ لِيْ ذُنُوْبِيْ وَخَطَئِيْ وَعَمْدِيْ».

وقال الآخر: سمعته يقول: «اللهُمَّ إِنِيْ أَسْتَهْدِيْكَ لأَرْشَدِ أَمْرِيْ، وَأَعُوْذُ بِكَ مِنْ شَرِّ نَفْسِيْ»[1].

وليس في هذه الأحاديث صريح استعاذة النبي ﷺ من شرِ نفسه إلا في هذا الحديث، وهو تشريع منه، أو لهضم نفسه، أو لأنه لا يأمن مكر الله، ولا شكَّ أن في هذا اعتباراً ظاهراً لأهل البصائر؛ فإن النبي ﷺ إذا كان قد استعاذ من شر نفسه وهي أشرف النفوس وأكرمها وأفضلها، فكيف بغيره؟ خصوصاً من استولت عليهم شهوات نفوسهم.

وروى أبو داود، والترمذي وحسنه، والنسائي عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا استجد ثوباً ـ سمَّاه باسمه: عمامة، أو قميصاً، أو رداء ـ يقول: «اللهُمَّ لَكَ الحَمْدُ أَنْتَ كَسَوْتَنِيْهِ، أَسْأَلُكَ خَيْرَهُ وَخَيْرَ مَا صُنِعَ لَهُ، وَأَعُوْذُ بِكَ مِنْ شَرِّهِ وَشَرِّ مَا صُنِعَ لَهُ». قال النووي: حديث صحيح[2].

وروى أبو داود، وابن ماجه بسند جيد، عن عمرو بن شعيب،

---

(١) رواه ابن حبان في «صحيحه» (٩٠١)، وكذا الإمام أحمد في «المسند» (٤/ ٢١).

(٢) رواه أبو داود (٤٠٢٠)، والترمذي (١٧٦٧) وقال: حسن غريب صحيح، والنسائي في «السنن الكبرى» (١٠١٤١).

عن أبيه، عن جدِّه: أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «إِذَا اشْتَرَىٰ أَحَدُكُمْ خَادِماً أَوْ دَابَّةً فَلْيَقُلْ: اللهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَهُ وَخَيْرَ مَا جَبَلْتَهُ عَلَيْهِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهِ وَشَرِّ مَا جَبَلْتَهُ عَلَيْهِ».

وفي رواية: «إِذَا اشْتَرَى أَحَدُكُم الجَارِيَةَ فَلْيَقُلْ: اللهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيرَهَا وَخَيرَ مَا جَبَلْتَهَا عَلَيْهِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهَا وَشَرِّ مَا جَبَلْتَهَا، وَلْيَدْعُ بِالبَرَكَةِ، وَإِذَا اشْتَرَى أَحَدُكُمْ بَعِيراً فَلْيَأْخُذْ بِذُرْوَةِ سَنَامِهِ وَلْيَدْعُ بِالبَرَكَةِ وَلْيَقُلْ مِثْلَ ذَلِكَ»[1].

وروى مسلم عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: كان النبي ﷺ إذا عَصَفت الريح قال: «اللهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَهَا، وَخَيْرَ مَا فِيْهَا، وَخَيْرَ مَا أُرْسِلَتْ بِهِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهَا وَشَرِّ مَا فِيْهَا، وَشَرِّ مَا أُرْسِلَتْ بِهِ»[2].

وروى النسائي، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» عن صهيب رضي الله تعالى عنه: أن النَّبيَّ ﷺ لم يرَ قريةً يريد دخولها إلا قال حين يراها: «اللهُمَّ رَبَّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَمَا أَظْلَلْنَ، وَرَبَّ الأَرَضِيْنِ السَّبْعِ وَمَا أَقْلَلْنَ، وَرَبَّ الشَّيَاطِيْنِ وَمَا أَضْلَلْنَ، وَرَبَّ الرِّيَاحِ وَمَا ذَرَيْنَ، أَسْأَلُكَ خَيْرَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ وَخَيْرَ أَهْلِهَا، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهَا وَشَرِّ أَهْلِهَا

---

(١) رواه أبو داود (٢١٦٠) واللفظ الثاني له، وابن ماجه (١٩١٨) واللفظ الأول له.

(٢) رواه مسلم (٨٩٩).

وَشَرِّ مَا فِيْهَا»[1].

وروى ابن السني عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: كان رسول الله ﷺ إذا أشرف على أرض يريد دخولها قال: «اللهُمَّ إِنِّيْ أَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ هَذِهِ وَخَيْرِ مَا جُمَعْتْ فِيْهَا، وَأَعُوْذُ بِكَ مِنْ شَرِّهَا وَشَرِّ مَاجَمَعْتَ فِيْهَا، اللهُمَّ ارْزُقْنَا حباهَا وَأَعِذْنَا مِنْ وَبَاهَا، وَحَبِّبْنَا إِلَىْ أَهْلِهَا، وَحَبِّبْ صَالِحِيْ أَهْلِهَا إِلَيْنَا»[2].

وروى أبو داود، والنسائي في «اليوم والليلة» بإسناد صحيح، عن أبي موسى رضي الله تعالى عنه: أنَّ النبي ﷺ كان إذا خاف قوماً قال: «اللهُمَّ إِنِيْ أَجْعَلُكَ فِيْ نحُوْرِهِمْ، وَأَعُوْذُ بِكَ مِنْ شُرُوْرِهِمْ»[3].

وروى ابن السني عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: أخذ رسول الله ﷺ بيدي، فأراني القمر حين طلع فقال: «تَعَوَّذِيْ مِنْ شَرِّ هَذَا الْغَاسِقِ إِذَا وَقَبْ»[4].

وروى ابن أبي شيبة، والإمام أحمد عن عبادة بن الصامت رضي الله تعالى عنه: أن النَّبيَّ ﷺ كان يقول أذا رأى الهلال: «اللهُمَّ إِنِّيْ

---

(١) رواه النسائي في «السنن الكبرى» (٨٨٢٦)، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» (ص: ٤٧٢)، وكذا ابن خزيمة في «صحيحه» (٢٥٦٥).

(٢) رواه ابن السني في «عمل اليوم والليلة» (ص: ٤٧٤).

(٣) رواه أبو داود (١٥٣٧)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (ص: ٣٩٢).

(٤) رواه ابن السني في «عمل اليوم والليلة» (ص: ٦٤٨)، وكذا الترمذي (٣٣٦٦) وقال: حسن صحيح.

أَسْأَلُكَ خَيْرَ هَذَا الشَّهْرِ وأعوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ الْقَدَرِ، وَأَعُوْذُ بِكَ مِنْ شَرِّ الحَشْرِ»[1].

وفي لفظ أخرجه الإمام أحمد، وابن حبان في «صحيحه»: كان إذا رأى الهلال قال: «اللهُ أَكْبَرُ، اللهُ أَكْبَرُ، الْحَمْدُ لِلَّهِ، لا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إِلاَّ بِاللهِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَ هَذا الشَّهْرِ، وَخَيْرَ القَدرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ الْحَشْرِ».

وفي لفظ أخرجه الإمام أحمد، وابن حبان في «صحيحه»: كان إذا رأى الهلال قال: «اللهُ أَكْبَرُ، الحَمْدُ للهِ، وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللهِ، اللهُمَّ إِنِّيْ أَسْأَلُكَ خَيْرَ هَذَا الشَّهْرِ، وَأَعُوْذُ بِكَ مِنْ شَرِّ الْقَدَرِ، وَمِنْ شَرِّ يَوْمِ المحْشَرِ»[2].

وروى الطبراني في «الكبير» عن رافع بن خديج رضي الله تعالى عنه قال: كان النبي ﷺ إذا رأى الهلال قال: «هِلاَلُ خَيْرٍ وَرُشْدٍ، اللهُمَّ إِنِّيْ أَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ هَذَا ثَلاَثَاً، اللَّهُمَّ إِنِّيْ أَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ هَذَا الشَّهْرِ وَخَيْرِ الْقَدَرِ، وَأَعُوْذُ بِكَ مِنْ شَرِّهِ»؛ ثلاث مرات[3].

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٩٧٢٧)، والإمام أحمد في «المسند» (٥/ ٣٢٩).

(٢) كذا أوردهما المصنف ـ رحمه الله ـ وعزاهما للإمام أحمد وابن حبان، ولم أقف عليهما عندهما، والله أعلم.

(٣) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٤٤٠٩). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ١٣٩): إسناده حسن.

وروى أبو يعلى، وابن السني عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: كان النبي ﷺ إذا أصبح وإذا أمسى يدعو بهذه الدعوات: «اللهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ فَجْأَةِ الخيرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فَجْأَةِ الشَّرِّ؛ فَإِنَّ الْعَبْدَ لاَ يَدْرِي مَا يَفْجَؤُهُ إِذَا أَصْبَحَ وَإِذَا أَمْسَىٰ»[1].

وروى أبو داود بإسناد جيد، عن أبي مالك الأشعري رضي الله تعالى عنه: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال: «إِذَا أَصْبَحَ أَحَدُكُمْ فَلْيَقُلْ: أَصْبَحْنَا وَأَصْبَحَ المُلْكُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، اللهُمَّ أَسْأَلُكَ خَيرَ هَذَا الْيَوْمِ فَتْحَهُ وَنَصْرَهُ وَنُورَهُ وَبَرَكَتَهُ وَهُدَاهُ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا فِيهِ وَشَرِّ مَا بَعْدَهُ، وَإِذَا أَمْسَىٰ فَلْيَقُلْ مِثْلَ ذَلِكَ»[2].

وروى الترمذي، وابن حبان، والحاكم وصححه، عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه: أن النبي ﷺ قال: «مَنْ قَالَ حِينَ يُمْسِي ثَلاَثَ مَرَّاتٍ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ، لَمْ يَضُرَّهُ لَدْغَةُ حُمَةٍ[3] تِلْكَ اللَّيْلَةِ»[4].

---

(١) رواه أبو يعلى في «المسند» (٣٣٧١)، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» (ص: ٤٠). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ١١٥): فيه يوسف بن عطية، وهو متروك.

(٢) رواه أبو داود (٥٠٨٤).

(٣) حمة: الحم: السم، ويطلق على إبرة العقرب.

(٤) رواه ابن حبان في «صحيحه» (١٠٢٢)، والحاكم في «المستدرك» (٨٢٨٠). وكذا مسلم (٢٧٠٩)، وأبو داود (٣٨٩٩) نحوه.

ورواه ابن عدي في «الكامل»، وأبو نصر السجزي في «الإبانة»، ولفظه: «مَنْ قَالَ حِيْنَ يُصْبِحُ: أَعُوْذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ - ثَلاَثَ مَرَّاتٍ - لَمْ تَضُرَّهُ عَقْرَبٌ حَتىَّ يُمْسِي، وَمَنْ قَالهَا حِينَ يُمْسِيْ لَمْ تَضُرَّهُ حَتَّى يُصْبِحَ»[1].

وروى الإمام أحمد عن عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه: أن النبي ﷺ قال: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يخَرُجُ مِنْ بَيْتِهِ، يُرِيْدُ سَفَراً أَوْ غَيْرَهُ فَقَالَ حِينَ يخَرُجُ: آمَنْتُ بِاللهِ، اعْتَصَمْتُ بِاللهِ، تَوَكَّلتُ عَلَىْ اللهِ، لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللهِ إِلاَّ رُزِقَ خَيرَ ذَلِكَ المَخْرَجِ، وَصُرِفَ عَنْهُ شَرَّ ذَلِكَ المَخْرَجِ»[2].

* **تَنْبِيهٌ:**

لا تخلو المخلوقات من خير أو شر.

ثم كل مكلف فإما من الخِيَار، وإما من الشرار، ومآلُ كل مكلف إما إلى خير، ولا خير إلا خير الجنة، وإما إلى شر، ولا شر فوق شر النار.

وكل ما يتعلق به المكلف من شيء فهو إما خير، وإما شر، فعليه طلب كل خير واجتناب كل شر لتنجو نفسه يوم القيامة من الشر وتفوز بالخير، ومتى قصر في ذلك فإن تقصيره في حق نفسه كما قال تعالى:

---

(١) رواه ابن عدي في «الكامل» (٧/ ٢٤٣).

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١/ ٦٥). وفيه رجل لم يسم.

﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾[الإسراء: ٧].

وقال تعالى: ﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾[فصلت: ٤٦]؛ أي: بذي ظلم لهم، فالعبد مبتلى بالخير والشر، وإنما ينجو من الفتنة فيهما بالتوفيق للطاعة، والتقوى من الله تعالى ثم بالتقوى.

وقد سبق في الحديث: «مَنْ يَتَوَقَّ الشَّرَّ يُوْقَهُ»[(١)].

وطريق توقية الشر حسم مواده عنه؛ بأن يقطع عنه شهوات نفسه إلا ما احتاج إليه في معاشه المُعين له على صلاح معاده من طعام أو شراب، أو نكاح، أو غير ذلك.

وأصل الاسترسال في الشهوات المؤدية إلى الهلاك ومنبعها شهوة الطعام والشراب، ولذلك قال رسول الله ﷺ: «مَا مَلأَ ابْنُ آدَمَ وِعَاءً شَرّاً مِنْ بَطْنٍ»[(٢)].

ثم يرغب في مخالطة أهل الخير ما دامت المخالطة خيراً، وما دامت تدعو إلى خير، فإذا تجاوز ذلك فليس له خير من الاعتذار عنهم.

ويرهب ويبعد عن مخالطة أهل الشر، ومن فيه مظنة الشر إلا إذا

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) رواه الترمذي (٢٣٨٠)، وقال: حسن صحيح، وابن ماجه (٣٣٤٩) عن المقدام بن معد يكرب رضي الله عنه.

اضطر، فيقدر اضطراره لا غير، كما تقدم عن حاتم الأصم رحمه الله تعالى قال: قال لي شقيق البَلْخي: اِصحب النَّاس كما تصحب النار؛ خذ منفعتها واحذر أن تحرقك[1].

ويبعد عن مشاهدة المناكر، بل يعرض عن مشاهدة زخارف الدنيا وزينتها بالكلية؛ فإنها إما شر، وإما تؤدي إلى الشر.

كما روى الدينوري في «المجالسة» عن عبدالله بن جعفر الرقي، قال: وشى واشٍ برجل إلى الإسكندر، قال: أتحب أن نقبل منك ما قلت فيه على أنا نقبل منه ما قال فيك؟

فقال: لا.

فقال له: فكُفَّ عن الشر يُكَفُّ الشر عنك[2].

وهذا القول من الإسكندر حكمة بالغة.

والكف عن الشر شامل لكف اللسان عن الغيبة والنميمة، والسعاية والكذب، وغير ذلك، وغض البصر عما لا يحل، وعما يُكره من زينة الدُّنيا وغيره، وكف السَّمع عما ينبغي، وكف اللسان عن التكلم به، وكف اليد عن ضرر الناس بقتلٍ أو ضرب، أو إشارة، أو غير ذلك، وكف الرجل عن المشي في معصية، بل وعما سوى الطَّاعة، وكف الشم والذوق والمس عما لا يليق، وكف النفس عن

---

(١) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٨/ ٧٧).

(٢) رواه الدينوري في «المجالسة وجواهر العلم» (ص: ١٩٧).

الشَّهوات، وعن موافقة الأصدقاء والخلان فيما لا ينبغي، وعن مقابلة الأضداد بالخصومات والمجادلات وغيرها؛ فإنه يتعوض عن تشفي النفس بذلك بفضيلة العفو وثواب الحلم والكرم.

وقد روى الدِّينوري في «المجالسة» عن حذيفة بن اليمان رضي الله تعالى عنهما: أنَّه قال لرجل: أتحب أن تغلب شر الناس؟

قال: نعم.

قال إنك إن تغلبه تكنْ شراً منه[1].

ويبعد أشد الإبعاد عن معاشرة الملوك والأغنياء إلا على حد الضَّرورة؛ فإن معاشرتهم تؤدي إلى استحسان ما هم فيه، وذلك يجر إلى الوقوع فيه وإلى مُراءاتهم ومنافقتهم، وكفى بذلك شراً.

وهؤلاء في هذه الأعصار لا يسلمون ولا يسلم أصحابهم من الوقوع في الآثام والمعاصي في لباسهم، ومساكنهم، ومطاعمهم ومشاربهم، وغير ذلك، وكفى بالمعاصي وما يجر إليها شراً، وإذا زعم تقي في عشرتهم على حد الحرص منهم، والحذر من مشاركتهم فيما هو فيه، وكان صادقاً في زعمه، فقد أوقع النَّاس في الوقوع فيه، وأساء الظن به، كما قال بشر بن الحارث رحمه الله تعالى: صحبة الأشرار تورث سوء الظن بالأخيار[2].

---

(١) رواه الدينوري في «المجالسة وجواهر العلم» (ص: ٢٣٧).

(٢) رواه القشيري في «رسالته» (ص: ٣٢٨).

وقال الشافعي رحمه الله تعالى: صحبة من لا يخاف العار عار[1].

وروى الأصبهاني في «ترغيبه» عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: قال لقمان عليه السَّلام لابنه: يا بني! اجتنب الأشرار؛ فإنك إن لم تعمل بأعمالهم أخذتَ من أخلاقهم.

وليحذر من كثرة محادثة النساء ولو كنَّ محارم؛ فإن صحبة النساء والصبيان تؤدي بالرجل إلى التنزل إلى عقولهم وأخلاقهم، وموافقتهم على هواهم، وهم يريدون منه ما هَوِيَتْه نفوسهم وإن أدى به إلى الهلاك والسواف، والدخول في مداخل الشر.

وقد نقل الدميري في «حياة الحيوان»: أنَّ لقمان قال في وصيةٍ لابنه: اتق المرأة السوء؛ فإنها تشيبك على المشيب، واتق شرار النساء؛ فإنهن لا يدعون إلى خير، وكن من خيارهن على حذر[2].

واعلم أن ما ذكره من التقوى والحذر مطلوب من كل مسلم، لكنه مطلوب أشد من العلماء، وإذا كان العالم واقعاً فيما التقوى الإبعاد منه، فكيف حال غيره إذا رآه على خلاف ذلك من اتباع الشهوات ومعاشرة أهل الغرور وهو عنده قدوة؟ فكيف لا يقتدي به فيما يُوافق هواه؟

---

(١) رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣٢/ ٢٢٦).

(٢) انظر: «حياة الحيوان الكبرى» للدميري (٢/ ٢٣٦).

وهذا حال أكثر المتلبسين بالعلم اليوم، وكلما تأخر الزمان كان علماؤه أسوء حالاً من الزمان قبله، ويكون عوامه لاحقين بهم حتى تقوم السَّاعة على شرار الخلق.

كما روى ابن ماجه، والحاكم وصححه، وأبو نعيم عن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «لاَ يَزْدَادُ الأَمْرُ إِلاَّ شِدَّةً، وَلاَ الدُّنْيَا إِلاَّ إِدْبَاراً، وَلاَ النَّاسُ إِلاَّ شُحّاً، وَلاَ تَقُوْمُ السَّاعَةُ إِلاَّ عَلَىْ شِرَارِ النَّاسِ»[1].

ورواه الحاكم وصححه، عن أبي أمامة، والطبراني في «الكبير» عنه، وعن معاوية رضي الله تعالى عنهما بلفظ: «لاَ يَزْدَادُ الأَمْرُ إِلاَّ شِدَّةً، وَلاَ يَزْدَادُ المَالُ إِلاَّ إِفَاضَةً، وَلاَ يَزْدَادُ النَّاسُ إِلاَّ شُحّاً، وَلاَ تَقُوْمُ السَّاعَةُ إِلاَّ عَلَىْ شِرَارِ النَّاسِ»[2].

والقول الجامع في هذا الباب قول رسول الله ﷺ: «كُلُّ شَيْءٍ يَنْقُصُ إِلاَّ الشَّرُّ؛ فَإِنَّهُ يُزَادُ فِيْهِ». أخرجه الإمام أحمد من حديث أبي

---

(١) رواه ابن ماجه (٤٠٣٩)، والحاكم في «المستدرك» (٨٣٦٤)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٧/ ٢٦٢). قال الذهبي في «سير أعلام النبلاء» (١٠/ ٦٧): خبر منكر.

(٢) رواه الحاكم في «المستدرك» (٨٣٥٩)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٧٧٥٧) عن أبي أمامة ﷺ.

والطبراني في «المعجم الكبير» (١٩/ ٣٥٧) عن معاوية ﷺ. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨/ ١٤): رجاله رجال الصحيح.

الدَّرداء رضي الله تعالى عنه[1].

وأخرجه العسكري في «الأمثال» بلفظ: «كُلُّ شَيْءٍ يَغِيْضُ إِلاَّ الشَّرَّ، فَإِنَّهُ يُزَادُ فِيْهِ»[2]، وهو بمعنى: ينقص.

وروى ابن أبي الدُّنيا في «العقوبات» عن علي رضي الله تعالى عنه قال: سيأتي على الناس زمان لا يبقى من الإسلام إلا اسمه، ولا من القرآن إلا رسمه، مساجدهم يومئذ عامرة، وهي من التقوى خراب، ومن الهدى خاوية، علماؤهم شَرُّ مَنْ تحت أديم السماء، منهم تخرج الفتنة، وإليهم تعود[3].

ولا يشكل عليك ما تجده من قيام صورة الدين وإجراء الأحكام على وفق الشرع في بعض الأحيان، وسريان سر السياسات في إصلاح بعض الناس، والقائمون بذلك إن لم يكونوا كلهم فالغالب منهم على أمور لو عرضت أفرادها على الشريعة لم تجدها موافقة؛ فإن هذا من باب تأييد الدين بالرجل الفاجر، وبأقوام لا خَلاق لهم، كما في الحديث: «إِنَّ اللهَ لَيُؤَيِّدُ هَذَا الدِّيْنَ بِالرَّجُلِ الْفَاجِرِ».

وفي لفظ: «بِأَقْوَامٍ لاَ خَلاَقَ لَهُمْ».

---

(1) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٦/ ٤٤١). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٢٢٠): فيه أبو بكر بن أبي مريم، وهو ضعيف، ورجل لم يسم.

(2) ورواه الديلمي في «مسند الفردوس» (٤٧٥٢).

(3) ورواه الدينوري في «المجالسة وجواهر العلم» (ص: ٨٨).

وفي لفظ: «مَا هُمْ مِنْ أَهْلِهِ»[1].

وبذلك يتضح لك معنى ما رواه الإمام أحمد، والطَّبراني في «الكبير» عن ميمون بن سنباذ رضي الله تعالى عنه: أنَّ النبي ﷺ قال: «قِوَامُ أُمَّتِيْ بِشِرَارِهَا»[2].

وقوام الشيء: عماده الذي يقوم به.

فإنه محمول على غير زمان النبي ﷺ وزمان الصحابة ﷺ حين صار الأمر بعد الخلافة ملكاً عَضُوضاً.

فاعلم يا أخي ـ أرشدني الله وإياك، وإن كنا في زمان بالسوء أليق، ولأهل الشر أوفق ـ أنَّ من وفقه الله في هذه الأزمنة ـ وما ذلك على الله بعزيز ـ إلى الاستقامة على قدم التقوى من أهل العلم بقدر طاقته واستطاعته، فهو قطب الوقت المطلق، وولي الزمان المحقق، ولا أعني بذلك أن يعرف الخير من الشر فقط حتى يفعل الخير كما أمر، ويحذر الشر كما أمر، كما روى عبدالله ابن الإمام أحمد في «زوائد الزهد» عن سفيان بن عيينة رحمه الله تعالى قال: ليس العالم الذي يعرف الخير من الشر، إنما العالم الذي يعرف الخير فيتبعه، ويعرف الشر فيجتنبه[3].

---

(١) تقدم تخريج هذه الألفاظ جميعاً.

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٥/ ٢٢٧)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٢٠/ ٣٥٣). قال ابن عبد البر في «الاستيعاب» (٤/ ١٤٨٨): ليس إسناد حديثه بالقائم، وقد أنكر بعضهم أن تكون له صحبة.

(٣) رواه عبدالله ابن الإمام أحمد في «زوائد الزهد» (ص: ١٦٧).

وروى أبوه فيه عن زبيد اليامي رحمه الله تعالى قال: قال ابن مسعود رضي الله تعالى عنه: قولوا خيراً تُعرفوا به، واعملوا به تكونوا من أهله[1].

فَهِمَ ـ رضي الله تعالى عنه ـ أن مَنْ عرف الخير فقالَ به، صار معروفاً به في الناس، موسوماً به عندهم، ولكنه لا يكون من أهل الخير حقيقةً حتى يعمل به مخلصاً فيه؛ وبالله التوفيق.

ثم اعلم أنَّ من وفقه الله تعالى من الحكام والقضاة إلى الوقوف مع الشرع، ثم إلى الاستقامة على ذلك إلى وفاته ـ وأنى لنا بهذا في هذه الأزمنة التي قوام الأمة فيها شرارها ـ فهو من الأوتاد في الأرض لأنهم ظل الله في الأرض، فإذا كان الظل لطيفاً معتدلاً وَرِيفاً عاش الناس في كَنَفه في أهنى عيش، بخلاف مالم يكن كذلك؛ فإن الناس ـ وإن عاشوا في كنفه ـ إلا أنه لا هَنَاء في عيشهم، بل هو منغص مكدر، فهم إذا صبروا أُجزوا على الطاعة والانقياد، وأثيبوا على الصبر على جفاء الولاة ومقاساة الأمور، وأهل الاستقامة من هذا الصنف أعز من الكبريت الأحمر والأبيض العقوق، وعنقاء مغرب، ولا أحسب منهم أحداً موجوداً الآن؛ لأن الشر غالب على الناس، فكيف يتوهم أهل الخير والله تعالى يقول في كتابه العزيز: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾[الأنعام: ١٢٩].

---

(١) رواه الإمام أحمد في «الزهد» (ص: ١٦١).

قال منصور بن الأسود: سألت الأعمش عن قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًا﴾[الأنعام: ١٢٩] ما سمعتهم يقولون فيه؟

قال: سمعتهم يقولون: إذا فسد الناس أُمِّر عليهم شرارهم. رواه أبو الشيخ[١].

وقال الحسن رحمه الله تعالى: إن بني إسرائيل سألوا موسى عليه السلام: سَلْ لنا ربك يُبين لنا عَلَمَ رضاه عنا وعَلَمَ سَخَطِه.

فسأله فقال: يا موسى! أنبئهم أنَّ رضاي عنهم أن أستعمل عليهم خيارهم، وأن سخطي عليهم أن أستعمل عليهم شرارهم[٢].

وقال الأصمعي: حدَّثنا مالك عن زيد بن أسلم، عن أبيه، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: حدثت أنَّ موسى أو عيسى عليهما السلام قال: يا رب! ما علامة رضاك عن خلقك؟

قال: أن أنزل عليهم الغيث إبان زرعهم، وأحبسه إبان حصادهم، وأجعل أمورهم إلى حلمائهم، وفَيئهم في أيدي سمحائهم.

قال: يا رب! فما علامة السُّخط؟

قال: أن أنزل عليهم الغيث إبان حصادهم، وأحبسه إبان زرعهم، فأجعل أمورهم إلى سفهائهم، وفيئهم في أيدي بخلائهم[٣].

---

(١) ورواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٥/ ٥١).

(٢) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٧٣٨٨).

(٣) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٧٣٩٢).

رواهما البيهقي في «الشعب».

وروى الترمذي عن أبي هريرة ﷺ: أنَّه سمع النَّبيَّ ﷺ يقول: «إِذَا كَانَ أُمَرَاؤُكُمْ خِيَارَكُمْ، وَأَغْنِيَاؤُكُمْ سُمَحَاءَكُمْ، وَأُمُورُكُمْ شُورَى بَيْنَكُمْ، فَظَهْرُ الأَرْضِ خيرٌ لَكُمْ مِنْ بَطْنِهَا، وَإِذَا كَانَ أُمَرَاؤُكُمْ شِرَارَكُمْ، وَأَغْنِيَاؤُكُمْ بُخَلاءَكُمْ، وَأُمُورُكُمْ إِلَى نِسَائِكُمْ، فَبَطْنُ الأَرْضِ خيرٌ لَكُمْ مِنْ ظَهْرِهَا»[1].

وعن ابن عمر ﷺ: أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «إِذَا مَشَتْ أُمَّتِي الْمُطَيْطَاء، وَخَدَمَهَا أَبْنَاءُ الْمُلُوكِ أَبْنَاءُ فَارِسَ وَالرُّومِ، سُلِّطَ شِرَارُهَا عَلَى خِيَارِهَا»[2].

* وَهَذِهِ فَوائِدُ مُهِمَّاتٌ لِهَذا الفَصْلِ:

روى الترمذي، وابن ماجه عن عائشة رضي الله تعالى عنها، عن النَّبيِّ ﷺ: «أَسْرَعُ الخَيْرِ ثَوَاباً الْبِرُّ وَصِلَةُ الرَّحِمِ، وَأَسْرَعُ الشَّرِّ عُقُوبَةً الْبَغْيُ وَقَطِيْعَةُ الرَّحِمِ»[3].

وروى الإمام أحمد، والأئمة الستة عن أبي هريرة رضي الله

---

(١) رواه الترمذي (٢٢٦٦) وقال غريب، لا نعرفه إلا من حديث صالح المري، وصالح في حديثه غرائب، لا يتابع عليها، وهو رجل صالح.

(٢) رواه الترمذي (٢٢٦١) وقال: غريب.

(٣) رواه ابن ماجه (٤٢١٢). وله شاهد عند الترمذي (٢٥١١) من حديث أبي بكرة ﷺ، عن النبي ﷺ: «ما من ذَنْبٍ أَجْدَرُ أَنْ يُعَجِّلَ الله لِصَاحِبِهِ الْعُقُوبَةَ في الدُّنْيَا مع ما يَدَّخِرُ له في الآخِرَةِ من الْبَغْيِ وَقَطِيعَةِ الرَّحِمِ».

تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أَسْرِعُوْا بِالجَنَازَةِ، فَإِنْ تَكُ صَالِحَةً فَخَيرٌ تُقَدِّمُوْهَا إِلَيْهِ، وَإِنْ تَكُنْ سِوَىْ ذَلِكَ فَشَرٌّ تَضَعُوْنَهُ عَلَىْ رِقَابِـكُمْ»(١).

وروى ابن سعد في «طبقاته» عن القاسم بن محمَّد مرسلاً: أنهم استأذنوا النبي ﷺ في ضرب النساء حين فسدن عليهم، فقال: «اضْرِبُوْهُنَّ، وَلاَ يَضْرِبُ إِلاَّ شِرَارُكُمْ»(٢).

وروى الطبراني في «الكبير» عن ابن عبَّاس رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللهَ تَعَالَىْ قَالَ: أَنَا خَلَقْتُ الخَيرَ وَالشَّرَّ، فَطُوْبَىْ لِمَنْ قَدَّرْتُ عَلَىْ يَدِهِ الخَيرَ، وَوَيْلٌ لِمَنْ قَدَّرْتُ عَلَيْهِ الشَّرَّ».

وروى ابن ماجه عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ مِنْ النَّاسِ نَاسَاً مَفَاتِيْحُ لِلْخَيرِ مَغَالِيْقُ لِلشَّرِّ، وَإِنَّ مِنَ النَّاسِ نَاسَاً مفَاتِيْحُ لِلشَّرِّ مَغَالِيْقُ لِلْخَيرِ، فَطُوْبَىْ لِمَنْ جَعَلَ اللهُ تَعَالَىْ مَفَاتِيْحَ الخَيْرِ عَلَىْ يَدَيْهِ، وَوَيْلٌ لِمَنْ جَعَلَ اللهُ مَفَاتِيْحَ الشَّرِّ عَلَىْ يَدَيهِ»(٣).

وروى ابن عساكر عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢/ ٢٤٠)، والبخاري (١٢٥٢)، ومسلم (٩٤٤)، وأبو داود (٣١٨١)، والترمذي (١٠١٥)، والنسائي (١٩١٠)، وابن ماجه (١٤٧٧).

(٢) رواه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٨/ ٢٠٤).

(٣) تقدم تخريجه.

رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللهَ لَمَّا خَلَقَ الدُّنْيَا نَظَرَ إِلَيْهَا ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا ثُمَّ قَالَ: وَعِزَّتِيْ وَجَلاَلِيْ لاَ أَنْزَلْتُكِ إِلاَّ فِيْ شِرَارِ خَلْقِيْ»(١).

أي: في قلوب شرار خلقي، فهي - وإن وُجدت بأيدي بعض الأخيار كبعض الأنبياء والصَّالحين - فهي ليست في قلوبهم ولا لها عندهم منزلة؛ فإنهم بذلوها في سبيل الله تعالى، فهي - وإن كانت دنيا صورة - فإنما هي لطلب الآخرة.

وروى البخاري، ومسلم - واللفظ له - والترمذي، والنسائي، وابن ماجه عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: مرَّ بجنازة فأثني عليها خيراً، فقال نبي الله ﷺ: «وَجَبَتْ، وَجَبَتْ، وَجَبَتْ».

ومرَّ بجنازة فأثني عليها شراً، فقال نبي الله ﷺ: «وَجَبَتْ، وَجَبَتْ، وَجَبَتْ».

فقال عمر رضي الله تعالى عنه: فداك أبي وأمي! مُرَّ بجنازة فأثني عليها خيراً فقلت: «وَجَبَتْ، وَجَبَتْ، وَجَبَتْ»، ومر بجنازة فأثني عليها شراً، فقلت: «وَجَبَتْ، وَجَبَت، وَجَبَتْ»؟

فقال رسول الله ﷺ: «مَنْ أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ خَيراً وَجَبَتْ لَهُ الجَنَّةُ، وَمَنْ أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ شَرّاً وَجَبَتْ لَهُ النَّارُ، أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللهِ فِيْ الأَرْضِ، أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللهِ فِيْ الأَرْضِ، أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللهِ فِيْ الأَرْضِ»(٢).

---

(١) رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٥٥/ ١١٧).

(٢) رواه البخاري (١٣٠١)، ومسلم (٩٤٩)، والترمذي (١٠٥٨)، والنسائي (١٩٣٢)، وابن ماجه (٤٢٢١).

وروى البخاري عن أبي الأسود قال: قدمتُ المدينة فجلستُ إلى عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه، فمرَّت بهم جنازة فأثنوا على صاحبها خيراً، فقال عمر: وجبت.

ثم مرَّ بأخرى فأثنوا على صاحبها خيراً، فقال عمر: وجبت.

ثم مرَّ بالثالثة فأثنوا على صاحبها شراً، فقال عمر رضي الله تعالى عنه: وجبت.

قال أبو الأسود: فقلت: وما وجبت يا أمير المؤمنين؟

قال: قلتُ كما قال رسول الله ﷺ: «أَيُّمَا مُسْلِمٍ شَهِدَتْ لَهُ أَرْبَعَةُ نَفَرٍ بِخَيْرٍ أَدْخَلَهُ اللهُ الجَنَّةَ».

قال: فقلنا: وثلاثة؟

فقال: «وَثَلَاثَةٌ».

فقلنا: واثنان؟

قال: «وَاثْنَانِ».

ثم لم نسأله عن الواحد[1].

وروى البزار بسند ضعيف، عن عامر بن ربيعة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا مَاتَ الْعَبْدُ وَاللهُ يَعْلَمُ مِنْهُ شَرّاً، وَيَقُوْلُ النَّاسُ خَيراً، قَالَ اللهُ ﷻ لملائِكَتِهِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ: قَبِلْتُ شَهَادَةَ عِبَادِيْ عَلَى عَبْدِيْ، وَغَفَرْتُ لَهُ عِلْمِيْ فِيْهِ»[2].

---

(١) رواه البخاري (١٣٠٢).

(٢) رواه البزار في «المسند» (٣٨٠٠). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٣/ ٥): وفيه محمد بن عبد الرحمن القشيري، وهو متروك الحديث.

أي: معلومي فيه.

وهذا من كمال الكرم، وهو أهل للعفو والكرم سبحانه وتعالى.

وروى الإمام أحمد في «الزُّهد» عن قتادة: أن لقمان عليه السلام قال لابنه: يا بني! اعتزل الشر كيما يعتزلك؛ فإن الشر للشر خُلِق[1].

وعن سفيان ـ يعني: الثوري ـ قال: قيل للقمان عليه السلام: أي الناس شر؟

قال: الذي لا يُبالي أن يراه النَّاس مُسيئاً[2].

وعن معاوية بن قرة قال: قال لقمان عليه السلام لابنه: يا بني! جالس الصالحين من عباد الله؛ فإنك تُصيبك بمجالستهم خيراً، ولعله أن يكون في آخر ذلك أن تنزل عليهم الرحمة فتصيبك معهم.

يا بني! لا تجالس الأشرار؛ فإنك لا يُصيبك من مجالستهم خير، ولعلَّ أن يكون في آخر ذلك أن تنزل عليهم عقوبة فتصيبك معهم[3].

وروى ابن أبي شيبة عن أبي عبدالله الجدلي قال: كان يقول داود عليه السلام: اللهم إني أعوذ بك من جارٍ عينه تراني وقلبه يرعاني، إن رأى خيراً دفنه، وإن رأى شراً أشاعه[4].

---

(١) رواه الإمام أحمد في «الزهد» (ص: ٤٩)، وكذا ابن أبي الدنيا في «مداراة الناس» (ص: ١١٤).

(٢) رواه الإمام أحمد في «الزهد» (ص: ٥٠).

(٣) رواه الإمام أحمد في «الزهد» (ص: ١٠٦).

(٤) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٢٩٨٩١).

وروى الإمام أحمد في «الزهد» عن سفيان بن عيينة قال: كان عيسى ويحيى عليهما السلام يأتيان القرية، يسأل عيسى عليه السلام عن شرار أهلها، ويسأل يحيى عليه السلام عن خيار أهلها، فقال - يعني: يحيى - لعيسى عليهما السلام: لم تنزل على شرار الناس؟

قال: إنما أنا طبيب أُداوي المرضى[1].

فمعاشرة الأشرار ومخالطتهم بهذه النية لهذه المصلحة من أعمال الخير.

لكن هذا لا يتم إلا لمن كمل في نفسه، ثم صلح في تكميل غيره، وكان له كلمة نافذة فيمن يأمره وينهاه ممن يُعاشره، إما لشرف مقامه عنده، وإما لمحبته إياه واعتقاده فيه.

فأما من لم يكن كذلك فيوشك أن يغلب خلق من يعاشره من أهل الشر على ما عنده من خلق الخير، ومن المعلوم أن كثيراً من العسل يفسده قليلٌ من المر، وكثيراً من الطيب يفسده قليلٌ من النتن، وهذا ينبغي له أن يسلك مسلك يحيى عليه السلام؛ فإنه أحوط لدينه، وأبعد عن فتنته؛ فافهم!

وروى ابن عساكر عن ابن المبارك رحمه الله تعالى قال: بلغني أن عيسى بن مريم عليهما السلام مرَّ بقومٍ فشتموه، فقال خيراً، ومرَّ بآخرين فشتموه وزادوا، فزادهم خيراً، فقال رجلٌ من الحواريين:

---

(١) تقدم تخريجه.

كلما زادوك شراً زدتهم خيراً كأنك تغريهم بنفسك؟

فقال عيسى عليه السلام: كل إنسان يُعطي ما عنده[1].

وفي معناه المثل: كل إناءٍ ينضح بما فيه.

وقلتُ مضمِّناً: [من الطويل]

سَتَسْمَعُ مِنِّي صالِحاً ما لَقِيتَنِي
وَأَسْمَعُ مِنْكَ الدَّهْرَ ما لَيْسَ يَصْلُحُ

كِلانا وَفِيٌّ بِالَّذِي فِيهِ كامِنٌ
وَكُلُّ إِناءٍ بِالَّذِي فِيهِ يَنْضَحُ

وروى ابن أبي الدنيا عن مالك بن أنس رضي الله تعالى عنه قال: مرَّ بعيسى بن مريم عليهما السلام خنزير، فقال: مُر بسلام.

فقيل له: يا روح الله! لهذا الخنزير تقول؟

قال: أكره أن أعوِّد لساني الشر[2].

وقيل: [من البسيط]

عَوِّدْ لِسانَكَ قَوْلَ الْخَيْرِ وَارْضَ بِهِ
إِنَّ اللِّسانَ لِما عَوَّدْتَ مُعْتادُ[3]

---

(١) رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤٧/ ٤٣٧).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) انظر: «أدب الدنيا والدين» للماوردي (ص: ٣٢٣).

وروى الإمام أحمد في «الزهد»، والبيهقي في «الشعب» عن سعيد بن جبير رحمه الله تعالى قال: رأيت ابن عباس ﵄ آخذاً بثمرة لسانه وهو يقول: يا لساناه! قل خيراً تغنم، أو اسكت عن شرٍ تسلم قبل أن تندم.

فقال له رجل: مالي أراك آخذاً بلسانك تقول كذا وكذا؟

قال: إنه بلغني أن العبد يوم القيامة ليس هو على شيء أحنق منه على لسانه[1].

وروى ابن أبي الدُّنيا في «الصمت» عن سفيان رحمه الله تعالى قال: قالوا لعيسى بن مريم عليهما السلام: دُلَّنا على عمل ندخل به الجنة.

قال: لا تنطقوا أبداً.

قالوا: لا نستطيع ذلك.

قال: فلا تنطقوا إلا بخير[2].

وروى أيضاً ـ بإسناد جيد ـ عن البراء ﵁ قال: جاء أعرابي إلى النَّبيِّ ﷺ فقال: دُلني على عمل يُدخلني الجنة.

فقال: «أَطْعِمِ الجَائِعَ، وَاسْقِ الظَّمْآنَ، وَأْمُرْ بِالمَعْرُوْفِ، وَانْهَ عَنِ

---

(١) رواه الإمام أحمد في «الزهد» (ص: ١٨٩)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٤٩٤٠).

(٢) تقدم تخريجه.

المُنْكَرِ، فَإِنْ لمَ تَسْتَطِعْ فَكُفَّ لِسَانَكَ إلاَّ مِنْ خَيْرٍ»[1].

وروى الطَّبراني في «الصغير» عن أبي سعيد الخُدْريِّ رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أُخْزُنْ لِسَانَكَ إلاَّ مِنْ خَيْرٍ، فَإِنَّكَ بِذَلِكَ تَغْلِبُ الشَّيْطَانَ»[2].

والحديثان يُرشدان إلى حبس اللسان عن المباح فضلاً عن الشر، وذلك أنَّ ما صرفه العبد من أعضائه فيما لا ثواب فيه كأنه مُضاع.

ومما يُحمد الصمت فيه الاستعجال بالدعاء على النفس أو الولد أو المال؛ فإنه ربما يُستجاب للداعي به فيندم.

قال الله تعالى: ﴿وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ ۖ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا﴾[الإسراء: ١١]؛ أي: ضجراً لا صبر له على سرَّاء ولا ضرَّاء؛ كما روى ابن جرير عن ابن عبَّاس[3].

وقال الله تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٥].

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في «الصمت وآداب اللسان» (ص: ٧٢)، وكذا البخاري في «الأدب المفرد» (٦٩)، وابن حبان في «صحيحه» (٣٧٤).

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الصغير» (٩٤٩). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٣٠١): فيه ليث بن أبي سليم، وهو مدلس، وقد وثق هو وبقية رجاله.

(٣) رواه الطبري في «التفسير» (١٥/ ٤٨).

روى المفسرون، واللالكائي في «السنة» عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: أنَّه قال في الآية: نبتليكم بالشدة والرخاء، والصحة والسقم، والغنى والفقر، والحلال والحرام، والطاعة والمعصية، والهدى والضلالة[1].

والبلاء والابتلاء: الاختبار، وهو معنى الفتنة، ولذلك نُصبت نصب المصدر بـ (نبلوكم).

وذلك أن الله تعالى يبتلي العبد بالنعمة والسَّراء والخير ليظهر شكره أو كفره، كما قال سليمان بن داود عليهما السلام: ﴿لِيَبْلُوَنِيٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ﴾ [النمل: ٤٠].

كما يبتليه بالنقمة والضراء والشر ليظهر صبره أو جزعه.

ولعل فتنة السَّراء أعظم من فتنة الضراء؛ لأن السَّراء معها البطر والغرُور والعجب، وهي موافقة لهوى النفس بخلاف الضراء؛ فإنها تورث الذلة والضعف والمسكنة، وإن كانت تلجىء إلى الجزع والضجر.

ومن هنا قال رسول الله ﷺ: «لأَنَا لِفِتْنَةِ السَّرَّاءِ أَخْوَفُ عَلَيْكُمْ مِنْ فِتْنَةِ الضَّرَّاءِ، إِنَّكُمْ ابْتُلِيْتُمْ بِفِتْنَةِ الضَّرَّاءِ فَصَبَرْتُمْ، وَإِنَّ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضِـرَةٌ». رواه أبو يعلى، والبزار عن سعد بن أبي وقاص رضي الله

---

(١) رواه الطبري في «التفسير» (١٧/ ٢٥)، واللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (٣/ ٥٦٧).

تعالى عنه[1].

وأخرجه أبو نعيم بلفظ: «لأَنَا فِيْ فِتْنَةِ السَّرَّاءِ أَخْوَفُ عَلَيْكُمْ مِنْ فِتْنَةِ الضَّرَّاءِ» . . . إلى آخره[2].

وروى ابن عساكر عن المنكدر بن محمد بن المنكدر قال: بلغني أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «لأَنَا أَشَدُّ عَلَيْكُمْ خَوْفاً مِنَ النِّعَمِ مِنِّي مِنَ الذُّنُوْبِ، أَلاَ إِنَّ النِّعَمَ الَّتِيْ لاَ تُشْكَرُ هِيَ الحَتْفُ القَاضِـيْ»[3]؛ أي: المُهلك.

ولا شك أن المال ـ وإن كان يُسمى خيراً كما في قوله تعالى: ﴿إِن تَرَكَ خَيْرًا﴾[البقرة: ١٨٠]، وقوله: ﴿إِنِّيٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّى﴾[ص: ٣٢] ـ إلا أنَّه يعود شراً إذا جرَّ إلى الشر.

ومن هنا كان أولياء الله تعالى إذا فتحت عليهم الدنيا وَجِلُوا منها خشية أن يغتروا بها، وأن يكون إقبالها عليهم إملاء لهم واستدراجاً لهم، ألا ترى إلى ما يفتح من الدُّنيا على الفجار والفساق؟

وقال الله تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْۚ إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْمًاۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٧٨﴾ مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ

---

(١) رواه أبو يعلى في «المسند» (٧٨٠)، والبزار في «المسند» (١١٦٨). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٢٤٦): رواه أبو يعلى والبزار، وفيه رجل لم يسم، وبقية رجاله رجال الصحيح.

(٢) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١/ ٩٣).

(٣) رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٢٦/ ١٣٥).

﴿مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ ۗ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِ مَن يَشَاءُ ۖ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٩﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [آل عمران: ١٧٨ ـ ١٨٠].

فالبلاء للمؤمن بمنزلة السَّبك للذهب؛ فإنه يخرج بالبلاء عبداً خالصاً له مخلصاً له، كما يخرج الذهب مهما سبك إبريزاً خالصاً ونضاراً محضاً، والمنافق كالدرهم الزيف يخرج بالسبك أسود مظلماً.

ولما كان أهل العمى الذي هو شر العمى وهو عمى القلب والبصيرة كما تقدم في الحديث: «وَشَرُّ الْعَمَىٰ عَمَىٰ الْقَلْبِ»[1] لا يرون المال ومتاع الدنيا إلا خيراً، ولم يفطنوا أنه قد يصير شراً لشر عاقبته، بل لا يرون الخير إلا ما هم فيه، رأوا من لم يكن له مثلما لهم من زخارف الدُّنيا شراراً، حتَّى إنهم يستديمون ذلك إلى ورود الآخرة بدليل ما حكاه الله تعالى عن الطاغين: ﴿وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ الْأَشْرَارِ ﴿٦٢﴾ أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الْأَبْصَارُ﴾ [ص: ٦٢].

نزلت الآية في أصحاب قليب بدر، وفي فقراء المهاجرين؛ كعبدالله بن مسعود، وعمار، وبلال، وصهيب، وخباب رضي الله تعالى عنهم؛ كان صناديد قريش يَعُدُّونهم من أشرار الناس[2]، فلما

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) انظر: «تفسير الطبري» (٢٣/ ١٨٠)، و«تفسير القرطبي» (١٥/ ٢٢٤).

نظروا وهم في النار فلم يجدوهم فيها، وكانوا يرونهم أشراراً، ولا يرون أنفسهم أشراراً، ودخلوا هم النار التي هي دار الأشرار ولم يجدوهم فيها، وكانوا يرونهم أحق منهم بها، فتعجبوا حين لم يروهم فيها، ولم يعلموا أنهم نَجُوا منها من حيث كانوا يعتقدون كلهم أنهم به يلقون فيها؛ فإن الذي كانوا يعتقدون شَرِّيتهم به من الزهد في الدنيا، وإيثار الفقد والفقر فيها، واتباع محمد ﷺ هو الذي أنقذهم منها.

ثم إن قوله تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً﴾[الأنبياء: ٣٥] مما استدلَّ به أهلُ السنة على إثبات القدر.

قال علماء البلاغة: وإنما قُدم الشر على الخير لأنَّ الابتلاء به أكثر، ولأنَّ أكثر الناس لا يعدُّون شيئاً من الخير بلاء بخلاف الشر.

وفي تقديمه مبالغة في الرد على من يقول من القدرية: إن الخير من الله، وإن الشر من الشَّيطان، ويعتقدون أن ذلك تنزيه منهم.

وقد ردَّ عليهم ابن عباس رضي الله تعالى عنهما بأنهم يوافقون أهل السنة في أن الله تعالى خالق إبليس، وهو أبو كل شر وأخوه، فقد لزمهم ما أنكروه.

وقد روى اللالكائي عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جدِّه قال: قال النَّبيُّ ﷺ لأبي بكر رضي الله تعالى عنه: «يَا أَبَا بَكْرٍ! لَوْ أَرَادَ اللهُ أَنْ لاَ يُعْصَىٰ مَا خَلَقَ إِبْلِيْسَ»(١).

---

(١) رواه اللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (٤/ ٦١٩)، وكذا ابن عدي في «الكامل» (٥/ ١١٥).

وروى ابن عدي عن عمر رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «بُعِثْتُ دَاعِياً وَمُبَلِّغاً، وَلَيْسَ إِلَيَّ مِنَ الْهُدَىٰ شَيْءٌ، وَخُلِقَ إِبْلِيْسُ مُزَيِّناً وَلَيْسَ إِلَيْهِ مِنَ الضَّلالِ شَيْءٌ»[1].

وروى الترمذي عن جابر رضي الله تعالى عنه: أنَّه سمع رسول الله ﷺ يقول: «لاَ يُؤْمِنُ عَبْدٌ حَتَّى يُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ، حَتَّى يَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَهُ، وَمَا أَخْطَأَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيْبَهُ»[2].

وروى هو والإمام أحمد، وابن ماجه، والحاكم وصححه، عن علي رضي الله عنه: أن النَّبيَّ ﷺ قال: «لاَ يُؤْمِنُ عَبْدٌ حَتَّى يُؤْمِنَ بِأَرْبَعٍ: يَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله وَأَنِّيْ رَسُوْلُ اللهِ بَعَثَنِيْ بِالحَقِّ، وَيُؤْمِنُ بِالمَوْتِ، وَيُؤْمِنُ بِالبَعْثِ بَعْدَ المَوْتِ، وَيُؤْمِنُ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِه»[3].

وروى اللالكائي عن رافع بن خديج رضي الله تعالى عنه، عن رسول الله ﷺ قال: «سَيَكُوْنُ فِيْ أُمَّتِيْ قَوْمٌ يَكْفُرُوْنَ بِالْقُرْآنِ وَهُمْ لاَ يَشْعُرُوْنَ».

قال: قلت: يقولون ماذا يا رسول الله؟

---

(١) رواه ابن عدي في «الكامل» (٣/ ٣٩) وقال: وفي قلبي من هذا الحديث شيء. وكذا رواه ابن حبان في «المجروحين» (١/ ٢٨١).

(٢) رواه الترمذي (٢١٤٤) وقال: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث عبدالله بن ميمون، وعبدالله بن ميمون منكر الحديث.

(٣) رواه الترمذي (٢١٤٥)، والإمام أحمد في «المسند» (١/ ٩٧)، وابن ماجه (٨١)، والحاكم في «المستدرك» (٩٢).

قال: «يَقُوْلُوْنَ: الخَيْرُ مِنَ اللهِ، وَالشَّرُّ مِنْ إِبْلِيْسَ وَيُقِرُّونَ عَلَىٰ ذَلِكَ كِتَابَ اللهِ، وَيَكْفُرُوْنَ بِاللهِ وَبِالْقُرْآنِ بَعْدَ الإِيمَانِ وَالمَعْرِفَةِ، فَمَا تَلْقَىٰ أُمَّتِيْ مِنْهُمْ مِنَ الْعَدَاوَةِ وَالْبَغْضَاءِ ثُمَّ يَكُوْنُ المَسْخُ فِيْهِمْ عَامّاً، أُوْلَئِكَ قِرَدَةٌ وَخَنَازِيْرُ، ثمَّ يَكُوْنُ الخَسْفُ، قَلَّ مَنْ يَنْجُوْ مِنْهُمْ، المُؤْمِنُ يَوْمَئِذٍ قَلِيْلٌ فَرَحُهُ، شَدِيْدٌ غَمُّهُ»(1).

وفي دعاء القنوت الثابت من رواية الحسن رضي الله تعالى عنه: «وَاكْفِنِي شَرَّ ما قَضَيْتَ»(2).

فإن قلت: ما تصنع بقوله ﷺ في دعاء الاستفتاح الثابت في «صحيح مسلم»: «لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ وَالخَيرُ فِيْ يَدَيْكَ، وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ»(3).

فالجواب عنه كما قال النووي رحمه الله تعالى من وجوه:

أشهرها قاله النضر بن شميل، والأئمة بعده: أن معناه لا يتقرب به إليك.

والثاني: لا يصعد إليك.

---

(1) رواه اللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (٤/ ٦١٧)، وكذا الفريابي في «القدر» (ص: ١٧٨)، والعقيلي في «الضعفاء» (٣/ ٣٥٧) وقال: [رواه] عطية بن أبي عطية عن عطاء بن أبي رباح مجهول بالنقل، وفي حديثه اضطراب، ولا يتابع عليه.

(2) رواه أبو داود (١٤٢٥)، والترمذي (٤٦٤) وحسنه، والنسائي (١٧٤٦)، وابن ماجه (١١٧٨).

(3) رواه مسلم (٧٧١) عن علي ﷺ.

**والثالث**: لا يُضاف إليك، فلا يُقال: يا خالق الشر وإن كان خالقه، كما لا يُقال: يا خالق الخنازير وإن كان خالقها.

**والرابع**: ليس شراً بالنسبة إلى حكمك؛ فإنك تفعل ما تريد[1].

**والخامس**: ولم يذكره النووي: والشر لا يصل إليك ولا يلحقك لأنَّك القدوس.

وأما قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ﴾[آل عمران: ٢٦]، فإنه على حَدِّ قوله تعالى: ﴿سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ﴾[النحل: ٨١]؛ أي: والبرد.

والتقدير: بيدك الخير والشر، حذف ذكر الشر للعلم به وتعليماً لنا كيف نتأدب في خطاب الله تعالى، ولا سبيل إلى غير ذلك لأنه يقول بعد ذلك: ﴿إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[آل عمران: ٢٦]، والشيء شامل للخير والشر.

وقد قال أولاً: ﴿وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ﴾[آل عمران: ٢٦]، والإذلال كله أو بعضه من الشر الذي هو بيده سبحانه وتعالى.

وأما قوله تعالى حكايةً عن الجن: ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾[الجن: ١٠] فإنما حذف الفاعل في قوله:

---

(١) انظر: «شرح مسلم» للنووي (٦/ ٥٩).

﴿أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلْأَرْضِ﴾، والمُريد هو الله تعالى تأدباً مع الله تعالى، وأظهره في قوله: ﴿أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ مذكوراً باسم الرب مضافاً إليهم مبالغة في الثناء عليه، وإشارةً إلى أن إرادة الرشد بهم من تمام ربه إياهم وكمال تربيته لهم ورحمته عليهم، وقد جاء إسناد إرادة الشر إلى الله تعالى إيثاراً للبيان ومبالغة في العِظَة.

وما رواه الترمذي، والحاكم وصححه، عن أنس، والطبراني، والحاكم وصححه، والبيهقي في «الشعب» عن عبدالله بن مغفل، والطبراني في «الكبير» عن عمار بن ياسر، وابن عدي في «الكامل» عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنهم قالوا: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا أَرَادَ اللهُ بِعَبْدٍ خَيراً عَجَّلَ لَهُ الْعُقُوْبَةَ فِيْ الدُّنْيَا، وَإِذَا أَرَادَ اللهُ بِعَبْدِهِ شَرّاً أَمْسَكَ عَنْهُ بِذَنْبِـهِ حَتَّى يُوَافِيَهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[1].

ورواه أبو نصر السجزي في «الإبانة» عن حبان بن أبي جَبَلة رضي الله تعالى عنه، والديلمي عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما: أنَّ

---

(١) رواه الترمذي (٢٣٩٦)، والحاكم في «المستدرك» (٨٧٩٩) عن أنس ﷺ.

والحاكم في «المستدرك» (٨١٦٦) والبيهقي في «شعب الإيمان» (٩٨١٧)، وكذا الإمام أحمد في «المسند» (٤/ ٨٧)، وابن حبان في «صحيحه» (٢٩١١) عن عبدالله بن مغفل ﷺ.

وعزاه الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ١٩٢): إلى الطبراني عن عمار ابن ياسر ﷺ، وقال: إسناده جيد.

وابن عدي في «الكامل» (٥/ ١٨٨) وضعفه، عن أبي هريرة ﷺ.

النَّبيَّ ﷺ قال: «إِذَا أَرَادَ اللهُ بِقَوْمٍ خَيراً أَكْثَرَ فُقَهَاءَهُمْ وَأَقَلَّ جُهَّالَهَمْ، فَإِذَا تَكَلَّمَ الْفَقِيْهُ وَجَدَ أَعْوَاناً، وَإِذَا تَكَلَّمَ الجَاهِلُ قُهِرَ، وَإِذَا أَرَادَ اللهُ بِقَوْمٍ شَرّاً أَكْثَرَ جُهَّالَهُمْ وَأَقَلَّ فُقَهَاءَهُمْ، فَإِذَا تَكَلَّمَ الجَاهِلُ وَجَدَ أَعْوَاناً، وَإِذَا تَكَلَّمَ الْفَقِيْهُ قُهِرَ»[(١)].

وروى البيهقي في «الشعب» عن عائشة رضي الله تعالى عنها، عن النبي ﷺ: «إِذَا أَرَادَ اللهُ بَعَبِيْدِهِ خَيراً رَزَقَهُمْ الرِّفْقَ فِيْ مَعَاشِهِمْ، وَإِذَا أَرَادَ بِهِمْ شَرّاً رَزَقَهُمْ الخَرْقَ فِيْ مَعَاشِهِمْ»[(٢)].

وروى الدَّارقطني في «سننه» عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا أَرَادَ اللهُ بِأَهْلِ بَيْتٍ خَيراً فَقَّهَهُمْ فِيْ الدِّيْنِ، وَوَقَّرَ صَغِيْرُهُمْ كَبِيرَهُمْ، وَرَزَقَهُمْ الرِّفْقَ فِيْ مَعِيْشَتِهِمْ، وَالْقَصْدَ فِيْ نَفَقَاتِهِمْ، وَبَصَّرَهُمْ عُيُوْبَهُمْ فَيَتُوْبُوْنَ مِنْهَا، وَإِذَا أَرَادَ بِهِمْ غَيْرَ ذَلِكَ تَرَكَهُمْ هَمَلاً»[(٣)].

وروى الحكيم الترمذي في «نوادره»، والديلمي عن أبي هريرة

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٦٥٦١).

(٣) رواه الدارقطني في «الأفراد» كما في «أطراف الغرائب والأفراد» لابن طاهر المقدسي (٢/ ٢٣٤)، وكذا الديلمي في «مسند الفردوس» (٩٥٦)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١٨/ ٧٨) من طريق الدارقطني وقال: قال الدارقطني غريب من حديث ابن المنكدر عن أنس، تفرد به ابنه المنكدر عنه.

رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا أَرَادَ اللهُ بِعَبْدٍ خَيْراً جَعَلَ غِنَاهُ فِيْ نَفْسِهِ، وَتُقَاهُ فِيْ قَلْبِـهِ، وَإِذَا أَرَادَ بِعَبْدٍ شَرّاً جَعَلَ فَقْرَهُ بَينَ عَيْنَيْهِ»[1].

روى الطبراني في «الكبير»، والخطيب البغدادي عن جابر رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا أَرَادَ اللهُ بِعَبْدٍ شَرّاً خَضَّرَ لَهُ فِيْ اللَّبِـنِ وَالطِّيْنِ حَتَّى يَبْنِيَ»[2].

وروى أبو داود عن عائشة رضي الله عنها: أن النبي ﷺ قال: «إِذَا أَرَادَ اللهُ بِالأَمِيرِ خَيراً جَعَلَ اللهُ لَهُ وَزِيْرَ صِدْقٍ، إِنْ نَسِيَ ذَكَّرَهُ، وَإِنْ ذَكَرَ أَعَانَهُ، وَإِذَا أَرَادَ بِهِ غَيرَ ذَلِكَ جَعَلَ لَهُ وَزِيْرَ سُوْءٍ، إِنْ نَسِيَ لَمَ يُذَكِّرْهُ، وَإِنْ ذَكَرَ لَمَ يُعِنْهُ»[3].

ويكفي دليلاً على أنه لا يكون خير ولا شر إلا بإرادة الله تعالى: إسناد إرادة الفتنة والسوء والإضلال والمس بالضر إليه سبحانه وتعالى، كما أسندتُ إليه أضدادها مع قوله تعالى: ﴿خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ﴾[الأنعام: ١٠٢].

---

(١) رواه الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» (٢/ ٢١٤)، والديلمي في «مسند الفردوس» (٩٤٠)، وكذا ابن حبان في «صحيحه» (٦٢١٧).

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٧٥٥)، والخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (١١/ ٣٨١). قـال المنـذري في «الترغيب والترهيب» (٣/ ١٣): رواه الطبراني في الثلاثة، بإسناد جيد.

(٣) رواه أبو داود (٢٩٣٢).

﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾[الفرقان: ٢].

﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾[الصافات: ٩٦].

﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾[القمر: ٤٩].

وفي الحديث: «كُلُّ شَيْءٍ بِقَضَاءٍ وَقَدَرٍ حَتَّى الْعَجْزُ وَالْكَيْسُ»[(١)].

ومن هنا نهي عن التطير والتشاؤم، كما روي أنَّ ابن عباس كان عنده رجل، فَنَعَبَ غراب، فقال الرجل: خير خير، فقال ابن عباس: لا خير ولا شر[(٢)].

أي: لا يكون عند نعيب الغراب ولا به خير ولا شر، بل كل شيء فهو من الله تعالى؛ ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾[النساء: ٧٨]، ﴿بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾[المؤمنون: ٨٨].

وروى الإمام أحمد في «الزهد» عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: أنه كان إذا نعَبَ الغراب قال: اللهم لا شرَّ إلا شرك، ولا خير إلا خيرك، ولا إله غيرك[(٣)].

وروى الترمذي وحسنه، عن ابن مسعود ﷺ: أن النبي ﷺ قال: «فِيْ الْقَلْبِ لَمَّتَانِ، لَمَّةٌ مِنْ المَلَكِ إِيْعَادٌ بِالخَيرِ وَتَصْدِيْقٌ بِالحَقِّ، وَلَمَّةٌ

---

(١) رواه مسلم (٢٦٥٥) عن ابن عمر رضي الله عنهما.

(٢) رواه الدينوري في «المجالسة وجواهر العلم» (ص: ١٦٢).

(٣) رواه الإمام أحمد في «الزهد» (ص: ٢٣٨).

مِنَ الْعَدُوِّ ـ يعني: الشيطان ـ إِيْعَادٌ بِالشَّرِّ وَتَكْذِيْبٌ بِالحَقِّ»[1].

وهذا هو القدر الذي يملكه الشيطان من قلب العبد، ولا يقدر على إحداث ضلال فيه ولا شر، وإنما إضلاله وإغواؤه تزيين ووعد وإشارة بما يُوافق الهوى، ولذلك يقول يوم القيامة لمن ضلوا: ﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم﴾[إبراهيم: ٢٢].

وقال الله تعالى: ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾[البقرة: ٢٦٨].

ثم عرفنا طريق النجاة منه بقوله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ﴾[الناس: ١ ـ ٤].

وروى ابن أبي شيبة عن مطرف بن عبدالله رحمه الله تعالى قال: لو كان لي نفسان لقدَّمْتُ إحداهما قبل الأخرى، فإن هجمت على شيء اتبعتها الأخرى وإلا أمسكتُها، ولكن أنا في نفس واحدة ما أدري على ما تهجم خير أو شر[2].

وعنه أنه كان يقول: اللهم إني أعوذ بك من شر السلطان، ومن شر ما تجري به أقلامهم[3].

---

(١) رواه الترمذي (٢٩٨٨) وقال: حسن غريب.

(٢) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٥١٢٢).

(٣) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٥١١٦).

وروى أبو نعيم عن إسحاق بن سويد قال: تعبَّدَ عبدالله بن مطرف، فقال له أبوه: أي عبدالله! العلم أفضل من العمل، والسيئة بين الحسنتين، وشر السير الحَقْحَقَة.

قال أبو نعيم: كذا قال، وقد قيل: الحسنة بين السيئتين[1].

قال في «الصحاح»: والحقحقة: أرفع السير وأتعبه للظهر.

قال ويقال: هو السير أول الليل، ونهي عن ذلك[2].

وذكر الزمخشري من الأمثال: شر السير الحقحقة، وقال: يُضرب في ذم الإفراط[3].

وروى أبو نعيم عن حُميد بن هلال: كان مطرف بن عبدالله يقول: نظرت ما خير لا شرَّ فيه ولا آفة، ولكل شيءٍ آفة، فما وجدته إلا أن يُعافى عبدٌ فيشكر.

ومن الأمثال ما ذكره الزَّمخشري: شر إخوانك مَنْ لا يعاتب، أو من لا يُعاتبك[4].

وبيانه: أنه إذا بلغه عنك شيء يكرهه، فإن عاتبك أعتبته واعتذرت

---

(١) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢/ ٢٠٩).

(٢) انظر: «الصحاح» للجوهري (٤/ ١٤٦٢) (مادة: حقق).

(٣) انظر: «المستقصى في أمثال العرب» للزمخشري (٢/ ١٩٢).

(٤) انظر: «المستقصى في أمثال العرب» للزمخشري (٢/ ١٢٨)، و«مجمع الأمثال» للميداني (١/ ٣٧٣).

إليه، أو تنصلت مما بلغه عنك، فإن لم يُعاتبك حقد عليك وعادَ عدواً.

وفي المثل: شر الرأي الدبري - بالتحريك وياء النسبة -، وهو الذي يسنح أخيراً بعد فوت الحاجة[1].

وروى أبو نعيم عن كعب رحمه الله تعالى قال: والذي فلقَ البحر لبني إسرائيل: إن لفي التوراة مكتوباً: يا ابن آدم! اتقِ ربك، وأبرر والديك، وصِلْ رحمك، أمدُد لك في عمرك، وأُيسر لك يسرك، وأصْرف عنك شرَّك[2].

وعن عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى: أنه قال لابنه عبد العزيز: يا بني! إذا سمعت كلمة من امرئٍ مسلم، فلا تحملها على شيءٍ من الشر ما وجدتَ لها محملاً من الخير[3].

وعن جعونة قال: استعمل عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى عاملاً، فبلغه أنه عمل للحجاج، فعزله، فأتاه يعتذر إليه، فقال: لم أعمل له إلا قليلاً.

فقال له عمر: حسبك من صحبة شر يوم أو بعض يوم[4].

وقلت في المعنى مضمِّناً: [من الرجز]

---

(1) انظر: «المستقصى في أمثال العرب» للزمخشري (٢/ ١٢٨).

(2) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٣/ ١٥٠).

(3) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٥/ ٢٧٨).

(4) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٥/ ٢٨٩).

حَسْبُكَ مِنْ صُحْبَةِ شَرٍّ يَوْمُ    أَوْ بَعْضُ يَوْمٍ، فَهْوَ بِئْسَ اليَوْمُ
فَالشَّرَّ دَعْهُ وَلَوِ اسْتَقْلَلْتَهُ    فَرُبَّمَا نالَكَ مِنْهُ اللَّوْمُ

وروى أبو نعيم عن بكر بن عبدالله المزني رحمه الله تعالى قال: لو انتهيت إلى مسجد وهو ملآن مغص بالرجال فقال لي قائل: أي هؤلاء خير؟ لقلت لقائلي: أي هؤلاء أنصح لجماعتهم؟

فإذا قال: هذا، قلت: هو خيرهم.

ولو انتهيت إلى المسجد يوم الجمعة وهو ملآن مغص، فقال: أي هؤلاء شر؟ لقلت: أيهم أغش لجماعتهم؟

فإذا قال: هذا، قلت: هو شرهم.

وما كنت أشهد على خيرهم أنه مؤمن مستكمل الإيمان إذاً لشهدتُ أنه من أهل الجنة، وما كنت لأشهد على شرهم أنه منافق بريء من الإيمان إذاً لشهدتُ أنه من أهل النار، ولكن أخشى على مُحسنهم، وأرجو لمُسيئهم[١].

وروى الإمام أحمد في «الزهد» عن أبي قلابة عبدالله بن زيد الجرمي رحمه الله تعالى قال: ما من أحد يُريد خيراً أو شراً إلا وجدتَ في قلبه آمراً وزاجراً، آمراً يأمر بالخير وزاجراً يزجر عن الشر، انتهى[٢].

---

(١) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢/ ٢٢٤).

(٢) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢/ ٢٨٣).

وهذا الأمر الزاجر إما الملك يلم بالقلب لمَّة، وإما واعظ من القلب، وهو المُشَار إليه بقول بعض العارفين: من لم يكن له في قلبه واعظ لم تنفعه المواعظ(1).

وروى أبو نعيم عن سليمان التيمي رحمه الله تعالى قال: لو أخذت برخصة كل عالم أو زلَّة كل عالم اجتمع فيك الشرَّ كلَّه(2).

وروى هو والسجزي في «الإبانة» ـ واللفظ لأبي نعيم ـ عن أبي أمامة الباهلي رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «سَيَكُوْنُ فِيْ آخِرِ الزَّمَانِ دِيْدَانُ الْقُرْآنِ، فَمَنْ أَدْرَكَ ذَلِكَ الزَّمَانَ فَلْيَتَعَوَّذْ بِاللهِ مِنَ شَرِّهِمْ»(3).

كأنه شبههم بالدود من حيث إنه يُفسد الطعام إذا نشأ منه، وتقدم الحديث في الباب.

وروى أبو نعيم عن يحيى بن أبي بشر رحمه الله تعالى قال: قال سليمان عليه السلام لابنه: لا تكثر الغيرة على أهلك ولم ترَ سُوءاً، فتُرمى بالشرِّ من أجلك وإن كانت منه بريئة(4).

وعنه قال: خير الإخوان الذي يقول لصاحبه: تعال نصم قبل أن

---

(1) انظر: «ذم الهوى» لابن الجوزي (ص: ٦٦٥).

(2) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢/ ٣٢).

(3) تقدم تخريجه.

(4) تقدم تخريجه.

نموت، وشر الإخوان الذي يقول لصاحبه: تعال نأكل ونشرب حتى نموت[1].

ومعناه: أنَّ خير إخوان المرء من يدعوه إلى الطاعة ومجاهدة النفس، وشرهم من يدعوه إلى شهوات النفس.

وعن أنس رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أَهْلُ الْبِـدَعِ شَرُّ الخَلْقِ وَالخَلِيْقَةِ»[2].

وتقدم أن عيسى عليه السلام قال: واضع الحكمة في غير أهلها كمقلِّد الخنازير الدُّر[3]، والحكمة خيرٌ من الدُّر ومن لا يريدها شر من الخنازير.

وروى أبو نعيم عن أبي الجوزاء رحمه الله تعالى قال: لأن أُجالس القردة والخنازير أحب إليَّ من أن أُجالس رجلاً من أهل الأهواء.

وفي رواية: والذي نفسي بيده لأن تمتلىء داري قردة وخنازير أحبُّ إليَّ من أن يجاورني أحد من أهل الأهواء[4].

---

(١) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٣/ ٧١).

(٢) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٨/ ٢٩١)، وكذا الطبراني في «المعجم الأوسط» (٣٩٥٨). قال ابن حجر في «لسان الميزان» (٥/ ٣٦١): غريب جداً.

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٣/ ٧٨).

فجعلهم شرًّا من القردة والخنازير.

ووجهه: أنها يوم القيامة تكون تراباً، وأهل الأهواء والبدع يُقاسون نكالاً وعقاباً.

ونظيره ما قدمناه عن الواعظ الذي سأله بعض القوم: أنت خير أم الكلب؟

فقال: إن دخلت الجنة فأنا خير من الكلب، وإن دخلت النار فالكلب خيرٌ مني[1].

وروى ابن ماجه عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «أَهْلُ الجَنَّةِ مَنْ مَلأَ اللهُ أُذُنَيْهِ مِنْ ثَنَاءِ النَّاسِ خَيراً وَهُوَ يَسْمَعُ، وَأَهْلُ النَّارِ مَنْ مَلأَ اللهُ أُذُنَيْهِ مِنْ ثَنَاءِ النَّاسِ شَرًّا وَهُوَ يَسْمَعُ»[2].

وروى أبو نعيم عن ابن المبارك رحمه الله تعالى قال: قال محمد ابن علي بن الحسين ـ يعني: أبا جعفر الباقر ـ رحمه الله تعالى: من أُعطيَ الخلق والرفق فقد أُعطي الخير والراحة، وحَسُن حاله في دنياه وآخرته، ومن حُرم الرفق والخلق كان ذلك سبيلاً إلى كل شر وبلية إلا من عصمه الله[3].

وقلتُ في معناه: [من الرجز]

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) رواه ابن ماجه (٤٢٢٤)، وكذا الطبراني في «المعجم الكبير» (١٢/ ١٧٠).

(٣) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٣/ ١٨٦).

مَــنْ مَــنَّ عَلَيْــهِ رَبُّــهُ بِــالرِّفْقِ    فِي كُلِّ أُمُــورِهِ وَحُسْنِ الْخُلْـقِ
بِالرَّاحَـةِ وَالْخَيْـرِ غَـدا مُغْتَبِـطاً    فِي النَّاسِ وَحَسُنَ حالُهُ فِي الْخَلْقِ

وروى أبو نعيم عن سفيان بن عيينة قال: دخل أبو حازم رحمه الله تعالى على أمير المدينة، فقال له: تكلم.

فقال له: انظر الناس ببابك؛ إن أدْنيت أهل الخير ذهبَ أهل الشر، وإن أدْنيت أهل الشر ذهب أهل الخير[1].

وعن أبي حازم: أن رجلاً قال له: ما شكر العينين يا أبا حازم؟

قال: إن رأيت بهما خيراً أَعْلنته، وإن رأيت بهما شراً سترته.

قال: فما شكر الأذنين؟

قال: إن سمعت بهما خيراً وَعَيته، وإن سمعت بهما شراً وقيته.

قال: فما شكر اليدين؟

قال: لا تأخذ بهما ما ليس لهما، ولا تمنع حقاً لله ﷻ هو فيهما.

قال: ما شكر البطن؟

قال: أن يكون أسفله طعام وأعلاه علم.

قال: فما شكر الفرج؟

قال: كما قال الله تعالى: ﴿إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ﴾ إلى قوله: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ﴾[المؤمنون: ٦ ـ ٧].

---

(١) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٣/ ٢٤٠).

قال: فما شكر الرِّجْلين؟

قال: إن رأيت شيئاً غبطته استعملت بهما عمله، وإن رأيت شيئاً مَقتَّه كففتهما عن عمله وأنت شاكرٌ لله ﷻ في كل شيء.

فأما من شكر بلسانه ولم يشكر بجميع أعضائه، فمثله كمثل رجل له كساء، فأخذ بطرفه ولم يلبسه فلم ينفعه ذلك من الحر والبرد والثلج والمطر[1].

وعن يوسف بن أسباط رحمه الله تعالى قال: أخبرني بُجير: أن بعض الأمراء أرسل إلى أبي حازم، فأتاه وعنده الإفريقي والزهري وغيرهما، فقال له: تكلم يا أبا حازم.

فقال: إنَّ خير الأمراء من أحبَّ العلماء، وإنَّ شر العلماء من أحب الأمراء، وإنه كان فيما مضى إذا بعث الأمراء إلى العلماء لم يأتوهم، وإذا أعطوهم لم يقبلوا منهم، وإذا سألوهم لم يرخصوا لهم، وكان الأمراء يأتون العلماء بأبدانهم يسألونهم، وكان في ذلك صلاح الأمراء وصلاح العلماء، فلما رأى ذلك ناسٌ من الناس قالوا: ما لنا لا نطلب العلم حتى نكون مثل هؤلاء، فطلبوا العلم، فأتوا الأمراء، فحدثوهم، فرخصوا لهم، فقبلوا منهم، فخزيت العلماء على الأمراء، وخزيت الأمراء على العلماء[2].

---

(١) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٣/ ٢٤٣).

(٢) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٣/ ٢٤٤).

ومعنى خزيت ـ بفتح الخاء المعجمة، وكسر الزاي ـ: هانت.

وروى أبو نعيم عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: دخل رجلٌ على رسول الله ﷺ المسجد ومعه أسامة بن زيد رضي الله تعالى عنهما، فصلى أسامة بن زيد ركعتين ثم احتبى، فأطال رسول الله ﷺ الصلاة، فلمَّا قضى صلاته قال: «يَا أُسَامَةُ! لَقَدْ أَقْصَرْتَ فِيْ الصَّلاَةِ وَأَطَلْتَ الحَبْوَةَ، كَيْفَ أَنْتَ إِذَا خَلَفْتَ فِيْ قَوْمٍ يَقْصُرُوْنَ الصَّلاَةَ، وَيُطِيْلُوْنَ الحَبْوَةَ، فَيَأْكُلُوْن أَلْوَانَ الطَّعَامِ، ضِحْكُهُمْ القَهْقَهَةُ وَضِحْكُ المُؤْمِنِ التَبَسُّمُ، أُوْلَئِكَ شِرَارُ أُمَّتِيْ، أُوْلَئِكَ شِرَارُ أُمَّتِيْ، أُوْلَئِكَ شِرَارُ أُمَّتِيْ»[1].

وروى الإمام أحمد في «الزهد» عن فضيل بن عياض قال: أخذ بيدي سفيان بن عيينة في هذا الوادي، فقلت له: إن كنت تظن أنه بقي على وجه الأرض شر مني ومنك، فبئس ما نرى[2].

وروى أبو الحسن بن جهضم عن شعيب بن حرب رحمه الله تعالى قال: بينا أنا في الطواف إذ لَكَزَني رجلٌ بمرفقه، فالتفت فإذا أنا بالفضيل بن عياض رحمه الله تعالى، فقال لي: يا أبا صالح!

قلت: لبيك يا أبا علي.

فقال: إن كنت تظن أنه شهد الموسم شر مني ومنك فبئسما ظننت[3].

---

(١) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٣/ ٣٢٣).

(٢) ورواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٨/ ١٠١).

(٣) ورواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٦/ ٣٠٣).

وهذا من باب هضم النفس والحَيدة بها عن التزكية، وقد سبق في ذلك خبر عن موسى عليه السلام.

فالمؤمن متضع في نفسه متواضعٌ لغيره، يحقِرُ نفسه ويتهمها، ويُحسن الظن بغيره ولا يُحقر أحداً من المسلمين.

وقد روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «المُسْلِمُ أَخُوْ المُسْلِمِ، لاَ يَظْلِمُهُ وَلاَ يَخْذُلُهُ وَلاَ يَحْقِرُهُ، التَّقْوَىْ هَهُنَا التَّقْوَىْ هَهُنَا - ويشير إلى صدره - بِحَسْبِ امْرِىءٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ المُسْلِمَ، كُلُّ المُسْلِمِ عَلَىْ المُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ وَعِرْضُهُ وَمَالُهُ»[1].

وروى الإمام أحمد، والبخاري، والنسائي عن أبي سعيد رضي الله تعالى عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «مَا بَعَثَ اللهُ مِنْ نَبيٍّ، وَلاَ اسْتَخْلَفَ مِنْ خَلِيْفَةٍ إلاَّ كَانَتْ لَهُ بِطَانَتَانِ، بِطَانَةٌ تَأْمُرُهُ بِالمَعْرُوْفِ وَتَحُضُّهُ عَلَيْهِ، وَبِطَانَةٌ تَأْمُرُهُ بِالشَّرِّ وَتَحُضُّهُ عَلَيْهِ، وَالمَعْصُوْمُ مَنْ عَصَمَهُ اللهُ»[2].

ورويا ومسلم عن أبي هريرة ﷺ: أن النبي ﷺ قال: «مَا مِنْ نَبيٍّ وَلاَ وَالٍ إلاَّ وَلَهُ بِطَانَتَانِ، بِطَانَةٌ تَأْمُرُهُ بِالمَعْرُوْفِ وَتَنْهَاهُ عَنِ المُنْكَرِ، وَبِطَانَةٌ لاَ تَأْلُوْهُ خَبَالاً، وَمَنْ وَقِيَ شَرَّهَا فَقَدْ وَقِيَ، وَهُوَ مَعَ الَّتِيْ تَغْلِبُ

---

(١) رواه مسلم (٢٥٦٤).

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٣ / ٣٩)، والبخاري (٦٢٣٧)، والنسائي (٤٢٠٢).

عَلَيْهِ مِنْهُمَا»[1].

وأخرجه النسائي، ولفظه: «مَا مِنْ أَمِيرٍ وَلاَ وَالٍ إِلاَّ وَلَهُ بِطَانَتَانِ مِنْ أَهْلِهِ ـ أي من خاصته ـ، بِطَانَةٌ تَأْمُرُهُ بِالمَعْرُوْفِ وَتَنْهَاهُ عَنْ المُنْكَرِ، وَبِطَانَةٌ لاَ تَأْلُوْهُ خَبَالاً، فَمَنْ وَقِيَ شَرَّهَا فَقَدْ وَقِيَ، وَهُوَ مَعَ الَّتِيْ تَغْلِبُ عَلَيْهِ مِنْهُمَا»[2].

والبطانة: السريرة؛ بمعنى: صاحب السريرة.

والبطانة أيضاً: الصاحب، الوليجة.

والوليجة: خاصتك من الرجال، أو ممن تتخذه معتمداً عليه من غير أهلك، كما في «القاموس»[3].

وبطانة الرجل: صاحب سره، وداخلة أمره الذي يشاهده في أحواله، كما في «النهاية»[4].

وتقدم ما ورد في الوزير.

وروى الطبراني بسند جيد، عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه، عن النبي ﷺ قال: «إِذَا تَخَوَّفَ أَحَدُكُمْ السُّلْطَانَ فَلْيَقُلْ: اللهُمَّ رَبَّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيْمِ، كُنْ لِيْ جَاراً مِنْ شَرِّ فُلاَنٍ بْنِ

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢/ ٢٣٧)، والبخاري (٦٧٧٣).

(٢) رواه النسائي (٤٢٠١).

(٣) انظر: «القاموس المحيط» للفيروز آبادي (ص: ٢٦٧) (مادة: ولج).

(٤) انظر: «النهاية في غريب الحديث» لابن الأثير (١/ ١٣٦).

فُلاَنٍ، وَشَرِّ الجِنِّ وَالإِنْسِ وَأَتْبَاعِهِمْ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيَّ أَحَدٌ مِنْهُمْ، عَزَّ جَارُكَ، وَجَلَّ ثَنَاؤُكَ، وَلاَ إِلَهَ غَيرُكَ»[1].

وروى ابن أبي شيبة عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: إذا أتيت سلطاناً مَهيباً تخاف أن يَسْطو بك فقل: الله أكبر، أعز من خلقه جميعاً، أعز مما أخاف وأحذر، أعوذ بالله الذي لا إله إلا هو، الممسك السماوات أن يقعن على الأرض إلا بإذنه من شر عبده فلان ابن فلان وأتباعه وأشياعه من الجن والإنس، اللهم كن لي جاراً من شرهم، جلَّ ثناؤك، وعزَّ جارك، وتبارك اسمك، ولا إله غيرك[2].

وقال الدينوري في «المجالسة»: ثنا أحمد بن عبدان الأزدي قال: ثنا يعلى بن أيوب قال: بينما الرشيد هارون يطوف بالبيت إذ عرض له رجل قال: يا أمير المؤمنين إني أُريد أن أُكلمك بكلامٍ فيه غلظة فاحتمله لي.

قال: لا ولا قرة عين ولا كرامة، قد بعث الله من هو خيرٌ منك إلى من هو شرٌّ مني، فأمره أن يقول له قولاً ليناً[3].

وفي «الإحياء» عن هذه القصة عن المأمون بن الرشيد، وهما

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٩٧٩٥). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ١٣٧): فيه جنادة بن سلم، وثقه ابن حبان، وضعفه غيره، وبقية رجاله رجال الصحيح.

(٢) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٢٩١٧٧).

(٣) انظر: «المجالسة وجواهر العلم» للدينوري (ص: ١٧٢).

واقعتان لهما توافقتا[1].

وروى ابن أبي الدنيا في «الإخلاص» عن عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه قال: ما من عبدٍ يسر سريرةً إلا ردَّاه الله رداءها علانيةً، إن خيراً فخير وإن شراً فشر[2].

ويؤيده ما رواه الإمام أحمد، وابن أبي الدنيا، وأبو يعلى، وابن حبان، والحاكم وصححاه، والضياء في «المختارة» - وهو جيد الإسناد - عن أبي سعيد رضي الله تعالى عنه، عن النبي ﷺ قال: «لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ عَمِلَ فِيْ صَخْرَةٍ لاَ بَابَ لهَا وَلاَ كُوَّةَ، لأَخْرَجَ اللهُ عَمَلَهُ كَائِناً مَا كَانَ»[3].

وروى الطبراني في «الكبير» عن جندب البجلي رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «مَا أَسَرَّ عَبْدٌ سَرِيْرَةً إِلاَّ أَلْبَسَهُ اللهُ رِدَاءَهَا، إِنْ خَيراً فَخَيرٌ، وإِنْ شَرّاً فَشَرٌّ»[4].

---

(١) انظر: «إحياء علوم الدين» للغزالي (٢/ ٣٣٤).

(٢) ورواه الطبري في «التفسير» (٨/ ١٤٩)، وابن أبي حاتم في «التفسير» (٥/ ١٤٥٨).

(٣) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٣/ ٢٨)، وأبو يعلى في «مسنده» (١٣٧٨)، وابن حبان في «صحيحه» (٥٦٧٨)، والحاكم في «المستدرك» (٧٨٧٧).

(٤) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٧٠٢). قال ابن كثير في «التفسير» (٤/ ٢٠٥): فيه محمد بن عبيدالله العرزمي متروك.

وروى الإمام عبدالله بن المبارك في كتاب «الزهد والرقائق» عن أبي جعفر ـ يعني: عبدالله بن مسور الهاشمي ـ رضي الله تعالى عنه[1] قال: جاء رجلٌ إلى النبي ﷺ، فقال: بارك الله للمسلمين فيك، فخُصَّني منك بخاصة خير، قال: «أَمُسْتَوْصٍ أَنْتَ»؟ أراه قال ثلاثاً.

قال: نعم.

قال: «اِجْلِسْ، إِذَا أَرَدْتَ أَمْراً فَتَدَبَّر عَاقِبَتَهُ، فإِنْ كَانَ خَيراً فَأَمْضِهِ، وَإِنْ كَانَ شَرّاً فَانْتَهِ»[2].

فقلت عاقداً للحديث: [من الوافر]

تَدَبَّرْ إِنْ أَرَدْتَ الأَمْرَ وَانْظُرْ ... عَواقِبَهُ وَنَفْسَكَ فِيهِ ناصِحْ

فَدَعْ ما كانَ شَرّاً وَامْضِ فِيما ... إِلَى خَيْرٍ، وَحاوِلْ كُلَّ صالِحْ

وقلت: [من الوافر]

تَدَبَّرْ إِنْ أَرَدْتَ الأَمْرَ وَانْظُرْ ... عَواقِبَهُ، وَكُنْ مِمَّنْ تَدارَكْ

فَدَعْ ما كانَ شَرّاً وَامْضِ فِيما ... إِلَى خَيْرٍ بنا تُوقَى بَوارَكْ

فَذَلِكَ فِي وَصِيَّةِ سَيِّدِ الْخَلْـ ... ـقِ فِي خَبَرٍ رَواهُ ابْنُ الْمُبارَكْ

وفي كتاب الله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰٓ

---

(١) عبدالله بن مسور ليس صحابياً كما يوهم صنيع المصنف ـ رحمه الله ـ، فالحديث مرسل، وقال العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء» (٢/ ٨٦١): عبدالله بن مسور الهاشمي ضعيف جداً.

(٢) رواه ابن المبارك في «الزهد والرقائق» (١/ ١٤).

﴿أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ﴾[البقرة: ٢١٦].

روى ابن جرير عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: كنت رديف رسول الله ﷺ فقال: «يَا ابْنَ عَبَّاسٍ! اِرْضَ عَنِ اللهِ بِمَا يُقَدِّرُهُ وَإِنْ كَانَ بِخِلاَفِ هَوَاكَ، فَإِنَّهُ مُثْبَتٌ فِيْ كِتَابِ اللهِ تَعَالى».

قلت: يا رسول الله! فأين وقد قرأت القرآن؟

قال: ﴿وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[البقرة: ٢١٦][(١)].

ومن الأمثال ما ذكره الزمخشري: شر ما رام امرؤ، مالم ينل؛ قاله الأغلب العجل؛ يضرب في طلب المتعذر[(٢)]؛ وهو كلام صحيح.

وقد ذكر بعض العلماء أن من آداب الدعاء وأسباب إجابته: أن لا يطلب العبد ما لا يليق به مما هو متعذر، كأن يطلب رتبه النبوة.

أو ما هو بعيد في العادة، كأن يطلب الحجَّام مقام السلطنة.

قال في «الصحاح»: وفي المثل: شر ما يجيئك إلى مخ عرقوب[(٣)].

وأورده الزمخشري بلفظ: شر ما أجاءك ـ أي: ألجأك واضطرك ـ

---

(١) رواه الطبري في «التفسير» (٢/ ٣٤٦).

(٢) انظر: «المستقصى في أمثال العرب» للزمخشري (٢/ ١٣٠).

(٣) انظر: «الصحاح» للجوهري (١/ ٤٣٠) (مادة: مخخ).

يُضرب للمضطر جداً، وفي الفاقة والحاجة إلى البخيل[1].

قال الأصمعي في المثل: وذلك أن العرقوب لا مخَّ فيه، وإنما يحوج من لا يقدر على شيء[2].

وفي المثل: شر الغريبة يعلَن، وخيرها يدفن؛ يُضرب في التحذير من الاغتراب، والرغبة في مصاهرة غير الجنس، ومعاشرة الغرباء، والرغبة في غير الأوطان.

وأول من قاله من العرب عتبة بنت مطر البجلي لأختها خود، وقد رغبت في النزوح بمدرك بن مالك وهو من غير قومها[3].

وفي المثل: شر المال القُلْعة؛ ذكره الزمخشري، وقال: هو الذي لا يبقى على صاحبه، وإنما يقلع منه[4].

والقُلْعة ـ بضم القاف، وإسكان اللام ـ: قال في «الصحاح»: المال العارية[5].

قال في «القاموس»: أي: ما لا يدوم[6].

---

(١) انظر: «المستقصى في أمثال العرب» للزمخشري (٢/ ١٣١).

(٢) انظر: «الأمثال» لأبي عبيد (ص: ٥٩).

(٣) انظر: «المستقصى في أمثال العرب» للزمخشري (٢/ ٢٦).

(٤) انظر: «المستقصى في أمثال العرب» للزمخشري (٢/ ١٢٩).

(٥) انظر: «الصحاح» للجوهري (٣/ ١٢٧١) (مادة: قلع).

(٦) انظر: «القاموس المحيط» للفيروز آبادي (ص: ٩٧٥) (مادة: قلع).

قال في «الصحاح»: وفي الحديث «بِئْسَ المَالُ القُلْعَةُ»[1].

أورده بهذا اللفظ حديثاً.

وأورده أيضاً صاحب «النهاية»، وفسره بالعارية لأنه غير ثابت في يد المستعير ومتقلع إلى مالكه[2].

قال في «الصحاح»: وفي المثل: خير الغنى القنوع، وشر الفقر الخضوع[3].

وفي المثل: شر المال ما لا يزكى ولا يذكى؛ يعني: الحمر؛ يُضرب فيما يُعاب من المال؛ ذكره الزمخشري[4].

وقال العقيلي: عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما، عن النبي ﷺ قال: «شَرُّ الحَمِيرِ الأَسْوَدُ القَصِيْرُ»[5].

وفي أمثال العوام: لا يقعد على المعالف إلا شر الدواب.

وأورد يعقوب بن السكيت في «إصلاح المنطق» لكُثيِّر: [من الطويل]

---

(١) انظر: «الصحاح» للجوهري (٣/ ١٢٧١) (مادة: قلع).

(٢) انظر: «النهاية في غريب الحديث» لابن الأثير (٤/ ١٠٢).

(٣) انظر: «الصحاح» للجوهري (٣/ ١٢٧٣) (مادة: قنع).

(٤) انظر: «المستقصى في أمثال العرب» للزمخشري (٢/ ١٣٠).

(٥) رواه العقيلي في «الضعفاء» (٤/ ٢٣٥) وأعله بمبشر بن عبيد، وقال: قال الإمام أحمد: مبشر بن عبيد أحاديثه أحاديث موضوعة كذب.

وَأَنْــتَ الَّــذِي حَبَّبْــت كُــلَّ قَــصِيرَةٍ

إِلَــيَّ وَمَــا تَــدْرِي بِــذاكَ القَــصائِر

عَنَيْــتُ قَــصيراتِ الْحِجــالِ وَلَــمْ أُرِدْ

قِــصارَ الْخُطــا، شَــرُّ النِّــساءِ الْبَحــاتر[1]

أراد بالقصائر: جمع قصيرة، أو قصورة، وهي المحبوبة المحجوبة.

وأما البحاتر، ويروى: البهاتر لهما جميعاً بحتره وبهتره، وهي القصيرة ضد الطويلة، والعرب تذم بزيادة الطول والقصر، وتحمد الرَّبعة من الرجال والنساء، وهي صفة النبي ﷺ.

وروى الحسن المروزي في «زوائد الزهد» للإمام عبدالله بن المبارك عن مكحول ـ مرسلاً ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَا تَوَادَّ اثْنَانِ فِيْ اللهِ إِلاَّ كَانَ أَفْضَلُهُمَا أَشَدَّهُمَا حُبّاً لِصَاحِبِهِ، وَمَا افْتَرَقَا إِلاَّ عَنْ ذَنْبٍ وَأَشَرُّهُمَا المُحَدِثُ».

أي: شرهما الذي أحدث ذلك الذنب؛ استعمل الشر وهو الأصل، والأصل في خير وشر أخير وأشير، إلا أنه أصل متروك.

وروى ابن أبي شيبة عن أبي إسحاق السبيعي، عن رجل من جهينة قال: قال رسول الله ﷺ: «خَيْرُ مَا أُعْطِيَ المُؤْمِن خُلُقٌ حَسَنٌ،

---

(١) انظر: «إصلاح المنطق» لابن السكيت (ص: ١٨٤).

وَشَرُّ مَا أُعْطِيَ الرَّجُلُ قَلْبُ سُوْءٍ فِيْ صُوْرَةٍ حَسَنَةٍ»[1].

وعن الحسن رحمه الله تعالى قال: إنَّ للشر أهلاً، وللخير أهلاً، ومن ترك شيئاً كفيه[2].

وروى أبو نعيم عن سفيان الثوري رحمه الله تعالى، قال: من العجز أن يُظَنَّ بأهل الشر الخير[3].

قلت: ومن الجَور أن يُظَنَّ بأهل الخير الشر.

وقلت في عقد ذلك مع عقد الآية الكريمة: [من الرمل]

ظَنُّكَ الْخَيْرَ بِأَهْلِ الشَّرِّ عَجْزٌ
ظَنُّكَ الشَّرَّ بِأَهْلِ الْخَيْرِ ظُلْمُ
فَاتَّقِ اللهَ عَلا فِي الظَّنِّ وَاقْرَأْ
قَوْلَ رَبِّي: (إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمُ)

وروى الدينوري في «المجالسة» عن مؤرخ قال: دعا أعرابي بعرفة، فسمعته يقول: اللهم إنِّي أعوذ بك من الفقر إلا إليك، ومن الذل إلا لك، فأعطني الخير واجعلني له أهلاً، وجنبني الشر ولا تجعلني للشر مثلاً[4].

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٢٥٣٣١).

(٢) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٥٢٩٣)، وكذا الإمام أحمد في «الزهد» (ص: ٢٨٥).

(٣) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٧/ ٥٢).

(٤) رواه الدينوري في «المجالسة وجواهر العلم» (ص: ٢٨٨).

وروى ابن أبي شيبة عن سليط بن عبدالله قال: قال ابن عمر رضي الله تعالى عنهما: رُوا بالخير ولا ترُوا بالشر[١].

أي: إذا كان لكم رأي فليكن مصحوباً بقصد الخير وإرادته، ولا يكن مصحوباً بإرادة الشر؛ أي: فليكن مستعملاً في الخير.

والباء بمعنى في؛ أي: استعملوا رأيكم في الخير، ولا تستعملوه في الشر؛ فإن الرأي في الحقيقة اجتهاد قد يقع فيه الخطأ، والخطأ في الخير فوات وفي الشر تفويت، والتفويت جناية بخلاف الفوات.

ويحتمل أنه ضمن الرأي معنى الإشارة بالشورى؛ أي: إذا كان لك شورى فلتكن بالخير؛ فإنها مصلحة، ولا تكن بالشر؛ فإنها غش وخيانة.

وروى أبو نعيم عن الأعمش رحمه الله تعالى قال: كنا نَعُدُّ أهل السوق شرارنا، وإنا لنعدهم اليوم خيارنا[٢].

ووجه ذلك: أنهم كانوا في صدر الإسلام وإقبال الدِّين يؤثرون التوكل ويقبلون على العبادة والعلم، فلما وهن كثير منهم وتعرض لمخالطة الملوك والأغنياء طمعاً فيما في أيديهم صار أهل الكسب والاجتزائية عما في أيدي الناس خيراً منهم، وكان أهل السوق إذ ذاك لهم اهتمام بالدين في معاملاتهم وأحوالهم.

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٧/ ١١٨).

(٢) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٥/ ٥٠).

وروى الدينوري في «المجالسة» عن أبي حازم قال: إذا كنت في زمان ترضى فيه من العمل بالقول، ومن العلم بالعمل فأنت في شر زمان وشر ناس[1].

أي: ترضى فيه بالقول والدعوى بدلاً من العمل، وترضى فيه بالعمل كيف كان بدلاً من العلم، ومعناه التعبد على جهل.

وقال الدينوري: حدثنا عباس بن محمد الدوري قال: أنشدنا يحيى بن معين هذا الشعر، وذكر أنه للعمري العابد رحمه الله تعالى:

[من الطويل]

وَما لِي مِنْ عَبْدٍ وَلا مِنْ وَلِيدَةٍ ... وَإِنِّي لَفِي فَضْلٍ مِنَ اللهِ واسِعِ

بِنِعْمَةِ رَبِّي ما أُرِيدُ مَعِيشَةً ... سِوى قَصْدِ حِلٍّ مِنْ مَعِيشَةِ قانِعِ

وَمَنْ يَجْعَلِ الرَّحْمنُ فِي قَلْبِهِ الرِّضا ... يَعِشْ فِي غِنًى مِنْ طَيِّبِ العَيْشِ واسِعِ

وَلَمْ أَبْتَغِ الدُّنْيا بِدِينٍ أَبِيعُهُ ... فَبائِعُ دِينَ اللهِ مِنْ شَرِّ بائِعِ

وَلَمْ تَسْتَمِلْنِي الْمُرْدِياتُ مِنَ الْهَوى ... وَلَمْ أَتَخَشَّعْ لامْرِىءٍ ذِي بَضائِعِ

جَموعٍ لِشَرِّ الْمالِ مِنْ غَيْرِ حِلِّهِ ... ضَنِينٍ بِقَولِ الْحَقِّ لِلزُّورِ راتِعِ

قال يحيى: كنت أظن أن هذا الشعر للعمري حتى قال لي ابنه: هذا قاله عبدالله بن إدريس رحمه الله تعالى[2].

---

(١) رواه الدينوري في «المجالسة وجواهر العلم» (ص: ٢٦٢).

(٢) رواه الدينوري في «المجالسة وجواهر العلم» (ص: ٢٢٦).

وروى ابن أبي الدنيا، والدينوري من طريقه عن أبي عبيدة قال: قال أكثم بن صيفي: الشر بدؤه صغار، فاصفح عنه لكيلا يخرجك إلى أكبر منه[1].

وقلت في معناه: [من المجتث]

الشَّرُّ يَبْدُو صِغاراً فَاصْفَحْ بِحِلْمِكَ عَنْهُ
كَيْلا يَصِيرَ كِباراً يَعْسُرْ خَلاصُكَ مِنْهُ

وروى ابن أبي الدنيا في «العقوبات» عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله تعالى عنه: إذا لم يَلِ الوالي لله، ولم يؤدِّ المولى ما عليه من حق الله، فاحذروا مكر الله وأخذه، فقد اجتمع الشر عليكم.

وروى ابن عساكر في ترجمة أبي جعفر محمد بن عوف بن سفيان الطائي الحمصي عنه قال: كنت ألعب في الكنيسة بالأكرة وأنا حَدَث، فدخلت الكرة إلى المسجد حتى وقعت بالقرب من المعافى ابن عمران، فقال لي: يا فتى! ابن من أنت؟

فقلت: أنا ابن عوف.

قال: ابن سفيان؟

قلت: نعم.

قال: أما إنَّ أباك كان من إخواننا، وكان ممن يكتب معنا الحديث والعلم، والذي كان يشبهك أن تتبع ما كان عليه والدك،

---

(١) رواه الدينوري في «المجالسة وجواهر العلم» (ص: ١٨٢).

فصرتُ إلى أمي فأخبرتها.

فقالت: صدق يا بني! هو صديق لأبيك، فألبستني ثوباً من ثيابه وإزاراً من إزاره، ثم جئت إلى المعافى بن عمران ومعي محبرة وورق، فقال: اكتب: حدثنا إسماعيل بن عياش عن عبد ربه بن سليمان قال: كتبت لي أمُّ الدرداء في لوحي مما تعلمني: اطلبوا العلم صغاراً تعملوا به كباراً؛ فإن لكل حاصدٍ ما زرع ـ خيراً كان أم شراً ـ فكان أول حديث سمعته[1].

وفي معنى كلام أم الدرداء رضي الله تعالى عنها: الحديث الذي أورده النحاة مستشهدين به على حذف فعل الشرط، وعلى حذف كان واسمها: «النَّاسُ مَجْزِيُّونَ بِأَعْمالِهِم؛ إِنْ خَيْراً فَخَيْرٌ، وَإِنْ شَرّاً فَشَرٌّ»[2]؛ أي: إن كان العمل خيراً فجزاؤه خير، وإن كان شراً فجزاؤه شر.

وبهذا اللفظ أخرجه ابن جرير عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما موقوفاً عليه[3].

وروى الديلمي بسند ضعيف، عن علي رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنِ اسْتَوَىٰ يَوْمَاهُ فَهُوَ مَغْبُوْنٌ، وَمَنْ كَانَ آخِرُ

---

(١) رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٥٥/ ٤٩).

(٢) انظر: «الكتاب» لسيبويه (١/ ٢٥٨).

(٣) رواه الطبري في «التفسير» (١/ ٦٨)، وكذا ابن أبي حاتم في «التفسير» (١/ ٢٩)

يَوْمَيْهِ شَرّاً فَهُوَ مَلْعُوْنٌ، وَمَنْ لَمْ يَكُنْ فِيْ الزِّيَادَةِ فَهُوَ فِيْ النُّقْصَانِ»[1].

وروى الغزالي في «الإحياء» بلفظ: «مَنِ اسْتَوَىْ يَوْمَاهُ فَهُوَ مَغْبُوْنٌ، وَمَنْ كَانَ يَوْمُهُ شَرّاً مِنْ أَمْسِهِ فَهُوَ مَلْعُوْنٌ»[2].

وقال العراقي في تخريجه: لا أعرف هذا إلا في منام لعبد العزيز ابن أبي روَّاد.

قال: رأيت رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله! أوصني، فقال ذلك[3].

وروى الدينوري في «المجالسة» عن ابن المبارك قال: إنَّ شاعراً امتدح ابن شهاب الزهري، فأعطاه فأجزل، فقيل له في ذلك، فقال: إنَّ من السخاء في الخير اتقاء الشر[4].

وروى ابن السمعاني في «تاريخه» عن ضميرة قال: جاء رجل إلى علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه يشكو جاره، فقال: الحجارة تجيئني من الليل يرمى بها، فقال: أعدها من حيث تجيئك، ثم قال: إنَّ الشر لا يُصلحه إلا الشر.

وقلت في المعنى:

---

(١) رواه الديلمي في «مسند الفردوس» (٥٩١٠).

(٢) انظر: «إحياء علوم الدين» للغزالي (٤/ ٣٣٥).

(٣) انظر: «تخريج أحاديث الإحياء» للعراقي (٢/ ١١٥٥).

(٤) رواه الدينوري في «المجالسة وجواهر العلم» (ص: ١٨٢).

عَفْوُ الفَتَى عَنِ الوَرى مِنْ فَضْلِهِ إلاَّ مُلِحّاً فِـي الأَذى مِـنْ جَهْلِـهِ
فَإِنَّمـا جَـزاؤُهُ مِـنْ فِعْلِـهِ قَـدْ يُـدْفَعُ الـشَّرُّ بِـشَرٍّ مِثْلِـهِ

وفي معناه قوله تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ﴾[النحل: ١٢٦].

وقوله تعالى: ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة: ١٩٤].

وكذلك المثل: الجزاء من جنس العمل.

وروى ابن عساكر في ترجمة محمد بن وضاح الأندلسي القرطبي عنه قال: سمعت سحنون يقول [سمعت الأشهب يقول]: أغنج النساء المدنيات، وأخبث النساء المكيات، وأعف النساء البصريات، وشر النساء المصريات[1].

قلت: وأشد النساء حياءً الدمشقيات، وأرغب النساء في الرجال الروميات.

وقد تقدم حديث أبي أُذينة: «خَيْرُ نِسَائِكُمْ الْوَلُوْدُ الْوَدُوْدُ، الْمُوَاتِيَةُ الْمُوَاسِيَةُ إِذَا اتَّقَيْنَ اللهَ، وَشَرُّ نِسَائِكُمْ الْمُتَبَرِّجَاتُ الْمُتَخَيِّلاَتُ»[2].

وروى ابن النجار عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه: أن النبي ﷺ قال: «خِيَارُ أُمَّتِيْ مَنْ دَعَا إِلىْ اللهِ وَحَبَّبَ إِلَيْهِ عِبَادَهُ، وَشِرَارُ أُمَّتِيْ التُّجَّارُ مَنْ

(١) رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٥٦/ ١٨٠).

(٢) تقدم تخريجه.

كَثُرَتْ أَيْمَانُهُ وإِنْ كَانَ صَادِقاً»[1].

ويشهد له ما رواه الإمام أحمد، والحاكم وصححه، والبيهقي في «الشعب» عن عبد الرحمن بن شبل رضي الله تعالى عنه: أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ التُّجَّارَ هُمُ الْفُجَّارُ».

فقيل: يا رسول الله! أليس الله قد أحلَّ البيع؟

قال: «نعَمْ، وَلَكِنَّهُمْ يَخْتَلِفُوْنَ فَيَأْثَمُوْنَ، وَيُحَدِّثُوْنَ فَيَكْذِبُوْنَ»[2].

وروى أبو داود الطيالسي، وابن منيع، وابن أبي أسامة في «مسانيدهم»، والديلمي عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «النَّاسُ مَعَادِنُ فِيْ الخَيْرِ وَالشَّرِّ، خِيَارُهُمْ فِيْ الجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِيْ الإِسْلاَمِ إِذَا فَقُهُوْا»[3].

وروى البيهقي، والديلمي عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «النَّاسُ مَعَادِنُ وَالْعِرْقُ دَسَّاسٌ، وَأَدَبُ السُّوْءِ كَعِرْقِ السُّوْءِ»[4].

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٣/ ٤٢٨)، والحاكم في «المستدرك» (٢١٤٥)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٤٨٤٤).

(٣) رواه الطيالسي في «المسند» (٢٤٧٦)، والديلمي في «مسند الفردوس» (٦٨٨٠)، وكذا الإمام أحمد في «المسند» (٢/ ٤٨٥)، وابن حبان في «صحيحه» (٩٢)، وأصله في «الصحيحين».

(٤) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (١٠٩٧٤)، والديلمي في «مسند الفردوس» (٦٨٧٨)، وكذا ابن عدي في «الكامل» (٦/ ٢٠٧) وأعله =

وروى الإمام أحمد، ومسلم عن جابر ﷺ: أن النبي ﷺ قال: «النَّاسُ تَبَعٌ لِقُرَيْشٍ في الخَيرِ وَالشَّرِّ»[1].

وروى أبو نعيم عن سلمان الفارسي رضي الله تعالى عنه أنه قال: إنما الخير والشر بعد اليوم[2].

وأراد باليوم مدة زمان الدنيا؛ أي: لا يكون الخير الحقيقي والشر الحقيقي إلا ما كان في الآخرة.

وروى أبو نعيم بإسنادٍ صحيح، عن كعب رضي الله تعالى عنه قال: يؤتى بالرئيس في الخير يوم القيامة، فيُقال له: أجب ربك، فَيُنطلق به إلى ربه ﷻ فلا يحجب عنه، فيؤمر به إلى الجنة فيرى منزله ومنازل أصحابه الذين كانوا يتابعونه على الخير، فيعينونه عليه بخير، فيقال له: هذه منزلة فلان، وهذه منزلة فلان، فيرى ما أعدَّ الله لهم في الجنَّة، ويوضع عى رأسه تاج، ويغلف من ريح الجنة، ويشرق وجهه حتى يكون مثل القمر.

قال همام: أحسبه قال: ليلة البدر.

قال: فيخرج فلا يراه أهل ملأ إلا قالوا: اللَّهُمَّ اجعله منهم حتَّى

---

= بمحمد بن سليمان بن مشمول، وقال: وعامة مما يرويه لا يتابع عليه في إسناده ولا متنه.

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٣/ ٣٣١)، ومسلم (١٨١٩).

(٢) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١/ ١٩٩).

يأتي أصحابه الذين كانوا يجامعونه على الخير ويُعينونه عليه، فيقولون: بشِّرنا يا فلان.

فيقول لهذا: إنَّ الله أعدَّ لك في الجنة كذا، ولهذا: إنَّ الله أعدَّ لك في الجنة كذا، وأعدَّ لك كذا، فما يزال يُخبرهم بما أعدَّ لهم في الجنة من الكرامة حتى يعلو وجوههم من البياض مثلما علا وجهه، فيعرفهم الناس ببياض وجوههم.

قال: ويؤتى بالرئيس في الشر فيُقال له: أجب ربك، فينطلق به إلى ربه ﷻ، فيُحجب عنه، ويؤمر به إلى النَّار، فيرى منزله ومنزل أصحابه، فيقال: هذه منزلة فلان، وهذه منزلة فلان، فيرى ما أعدَّ لهم فيها من الهوان، ويرى منزلته أشر من منازلهم، قال: فيسود وجهه، وتزرقُّ عيناه، ويُوضع على رأسه قلنسوة من نار.

قال: فيخرج فلا يراه أهل ملأ إلا تعوذوا بالله منه، فيأتي أصحابه الَّذين كانوا يجامعونه على الشر ويعينونه عليه، فما يزال يخبرهم بما أعدَّ لهم في النار حتى يعلو وجوههم من السواد مثل ما علا وجهه، فيعرفهم الناس بسواد وجوههم فيقولون: هؤلاء أهل النار[1].

وإنما يكون الرئيس الخير بالرتبة المذكورة إذا كان عاملاً بما يعلم، مؤتمراً بما يؤمر، مُنتهياً عما يُنهى.

---

(١) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٥/ ٣٧٠)، وكذا ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٥٣٣٤).

وكذلك ينبغي لكل عالم يعلم الناس كما قال بعض السلف: إذا أمرت بخير، فكن آخَذَ الناسِ به، وإذا نهيتَ عن شر، فكن أبعد الناس عنه.

وإلا فإنه من أشد الناس عذاباً، أو هو أشدهم كما في الحديث: «أَشَدُّ النَّاسِ عَذَاباً يَوْمَ القِيَامَةِ عَالِمٌ لَمْ يَنْفَعْهُ اللهُ بِعِلْمِهِ»(١).

وروى الشيخان، وغيرهما عن أسامة بن زيد رضي الله تعالى عنه: أنه سمع النبي ﷺ يقول: «يُؤْتَىْ بِالرَّجُلِ يَوْمَ القِيَامَةِ فَيُلْقَىْ فِيْ النَّارِ، فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُهُ؛ أي أمعاؤه، فَيَدُوْرُ بِهَا كَمَا يَدُوْرُ الحِمَارُ فِيْ الرَّحَا، فَيَطِيْفُ بِهِ أَهْلُ النَّارِ فَيَقُوْلُوْنَ لَهُ: مَالَكَ؟ فَيَقُوْلُ: كُنْتُ آمُرُ بِالخَيرِ وَلاَ آتِيْهِ، وَأَنْهَى عَنِ الشَّرِّ وَآتِيْهِ».

وفي رواية: «آمُرُ بِالمَعْرُوْفِ وَلاَ آتِيْهِ، وَأَنْهَىْ عَنِ المُنْكَرِ وَآتِيْهِ»(٢).

وروى الحاكم في «تاريخه» عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما: أنه كان من دعاء النبي ﷺ «يَا عُدَّتِيْ فِيْ كُرْبَتِيْ، وَيَا صَاحِبِي عِنْدَ شِدَّتِيْ، وَيَا وَلِيَّ نِعْمَتِيْ، يَا إِلَهِيْ وَإِلَهَ آبَائِيْ، لاَ تَكِلْنِيْ إِلى نَفْسِيْ فَأَقْتَرِبَ مِنَ الشَّرِّ وَأَتَبَاعَدَ عَنِ الخَيرِ، وَآنِسْنِيْ فِيْ قَبرِيْ مِنْ وِحْشَتِيْ، وَاجْعَلْ لِيْ عَهْداً يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَسْؤُوْلاً»(٣).

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) ورواه الديلمي في «مسند الفردوس» (٨١٤٥).

وروى الطَّبراني في «الكبير» عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ اللهَ تَعَالى قَالَ: أَنَا خَلَقْتُ الخيرَ وَالشَّرَّ، فَطُوبَىٰ لِمَنْ قَدَّرْتُ عَلَىٰ يَدَيْهِ الخيرَ، وَوَيْلٌ لِمَنْ قَدَّرْتُ عَلَىٰ يَدَيْهِ الشَّرَّ»[1].

وروى عبدالله ابن الإمام أحمد في «زوائد الزهد» عن أسماء بن عبيد رحمه الله تعالى قال: قال لقمان عليه السلام لابنه: اِستعذ بالله من شرار النساء، وكن على خيارهن على حذر؛ فإنهن لا يُسارعن إلى الخير، بل هنَّ إلى الشَّر أسرع[2].

وروى أبو عمرو الداني في «الفتن» عن الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى قال: في آخر الزمان الزموا الصوامع.

قلنا: وما الصوامع؟

قال: البيوت؛ فإنه ليس ينجو من شر ذلك الزمان إلا صفوته من خلقه[3].

وروى الإمام أحمد، والترمذي عن علي رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا فَعَلَتْ أُمَّتِي خَمْسَ عَشْرَةَ خَلَّةً، حَلَّ بِهَا الْبَلاَءُ» قيل: وما هنَّ يا رسول الله؟ قال: «إِذَا كَانَ المَغْنَمُ دُوْلاً، وَالأَمَانَةُ مَغْنَماً، وَالزَّكَاةُ مَغْرَماً، وَأَطَاعَ الرَّجُلُ زَوْجَتَهُ وَعَقَّ أُمَّهُ، وَبَرَّ

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٢٧٩٧). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨/ ١٩٢): فيه مالك بن يحيى النكري، وهو ضعيف.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) رواه أبو عمرو الداني في «السنن الواردة في الفتن» (٢/ ٣٦٧).

صَدِيْقَهُ، وَجَفَا أَبَاهُ، وَارْتَفَعَتْ الأَصْوَاتُ فِيْ المَسَاجِدِ، وَكَانَ زَعِيْمُ الْقَوْمِ أَرْذَلَهُمْ، وَأُكْرِمَ الرَّجُلُ مَخَافَةَ شَرِّهِ، وَشُرِبَتِ الخُمُوْرُ، وَلُبِسَ الحَرِيْرُ، وَاتُّخِذَتِ القِيَانُ وَالمعَازِفُ، وَلَعَنَ آخِرُ هَذِهِ الأُمَّةِ أَوَّلَهَا، فَلْيَرْتَقِبُوْا عِنْدَ ذَلِكَ رِيْحاً حَمْرَاءَ أَوْ خَسْفاً أَوْ مَسْخاً»[1].

وروى أبو عمرو الداني عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال: إنَّ من أشراط السَّاعة أن توضع الأخيار، وترفع الأشرار، ويسود كل قبيلة منافقوها[2].

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: يأتي على الناس زمان، يمتلىء فيه جوف كل امرىءٍ شراً [حتى يجري الشر] فضلاً، ولا يجد جوفاً يلجُ فيه[3].

وعن حذيفة قال: ليأتين على الناس زمان، يمتلىء فيه كل قلب شراً حتى لا تجد قلباً يَعِيْه[4].

وعن الحسن رحمه الله ـ مرسلاً ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «لاَ تَزَالُ هَذِهِ الأُمَّةُ تَحْتَ يَدِ اللهِ وَفِيْ كَنَفِهِ مَا لَمْ يُمَالِىءْ قُرَّاؤُهَا أُمَرَاءَهَا، وَلَمْ يُزَكِّيْ صُلَحَاؤُهَا فُجَّارَهَا، وَمَا لَمْ ينمُّ خِيَارُهَا أَشْرَارَهَا، فَإِذَا فَعَلُوْا

---

(١) تقدم تخريجه، وهو ضعيف.

(٢) رواه أبو عمرو الداني في «السنن الواردة في الفتن» (٤/ ٧٩٩).

(٣) رواه أبو عمرو الداني في «السنن الواردة في الفتن» (٣/ ٦٧٢).

(٤) رواه أبو عمرو الداني في «السنن الواردة في الفتن» (٣/ ٦٧٢).

ذَلِكَ رَفَعَ اللهُ الْكَرِيْمُ يَدَهُ عَنْهُمْ، ثُمَّ سَلَّطَ عَلَيْهِمْ جَبَابِرَتَهُمْ يَسُوْمُوْنَهُمْ سُوْءَ الْعَذَابِ، وَضَرَبَهَمْ بِالْفَقْرِ وَالْفَاقَةِ، وَمَلأَ قُلُوْبَهُمْ رُعْبَاً»[1].

وأورده الماوردي في «أدب الدِّين والدُّنيا» بلفظ: «مَالَمْ يَملل قُرَّاؤُهَـا أُمَرَاءَهَـا، وَلَمْ يُـزَكِّ صُلَحَاؤُهَا فُجَّارُهَا، وَيُمَـالِ أَخْيَارُهَا شِرَارَهَا»[2].

يقال: مالأته على الأمر، ممالأة: ساعدته عليه وشايعته، وتمالؤا: اجتمعوا، ويقال: نميت الشيء على الشيء: إذا رفعته عليه.

والتزكية: المدح والثناء.

وأما الإملال فمعناه زيارة القراء للأمراء حتى يملُّوهم.

وجميع ما في هذا الحديث صفات أهل هذا الزمان.

ومن هنا وقع الناس في وعيده من تسليط الجبارين على النَّاس حتى ساموهم سوء العذاب من تكليفهم الأموال ومضايقتهم في المساكن وانتزاع أملاكهم منهم، ومن وقوع أكثر الناس في الرعب والخوف، وابتلاؤهم بالفقر والفاقة، وإن جمعوا الأموال محقت منهم أُخرى بتغريم الظَّلمة إياهم، واستلاب السُّرَّاق والقطاع إياها منهم، وتسليطهم على أموال أنفسهم بالسرف والتبذير في المعاصي ومالا يُجدي وغير ذلك، وقانا الله الأسواء والسيئات، وكفانا البلاء والخطيئات.

---

(١) رواه أبو عمرو الداني في «السنن الواردة في الفتن» (٣/ ٦٩٦).

(٢) انظر: «أدب الدنيا والدين» للماوردي (ص: ٩٧).

وروى أبو يعلى عن أبي سعيد، وأبي هريرة معاً رضي الله تعالى عنهما: أن النبي ﷺ قال: «لَيَأْتِيَنَّ عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يَكُوْنُ عَلَيْكُمْ أُمَرَاءُ سُفَهَاءُ، يُقَدِّمُوْنَ شِرَارَ النَّاسِ، وَيُظْهِرُوْنَ حُبَّ أَخْيَارِهِمْ، وَيُؤَخِّرُوْنَ الصَّلاَةَ عَنْ مَوَاقِيْتِهَا، فَمَنْ أَدْرَكَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَلاَ يَكُوْنَنَّ عَرِيْفاً وَلاَ شُرْطِيّاً وَلاَ جَابِياً وَلاَ خَازِناً»[1].

وروى سمُّويه عن ثوبان رضي الله تعالى عنه، عن النبي ﷺ قال: «سَيَكُوْنُ أَقْوَامٌ مِنْ أُمَّتِيْ، يُغَلِّطُوْنَ فُقَهَاءَهُمْ بِمُعْضِلِ الْمَسَائِلِ، أُوْلَئِكَ شِرَارُ أُمَّتِيْ»[2].

ورواه الطبراني في «الكبير» ـ وضعف ـ ولفظه: «سَيَكُوْنُ فِيْ أُمَّتِيْ أَقْوَامٌ يَتَعَاطَىْ فُقَهَاؤُهُمْ عُضْلَ المَسَائِلِ، أُوْلَئِكَ أَشْرَارُ أُمَّتِيْ»[3].

والعضل: جمع عُضلة ـ بالضم ـ: وهي الدَّاهية، ثم أطلق على الأمر الشديدِ المُشْكلِ: عضلة.

وروى الطبراني في «الأوسط» بسند جيد، عن حذيفة رضي الله

---

(١) رواه أبو يعلى في «المسند» (١١١٥). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٥/ ٢٤٠): رجاله رجال الصحيح، خلا عبد الرحمن بن مسعود، وهو ثقة.

(٢) ورواه الخطيب البغدادي في «الفقيه والمتفقه» (٢/ ٢١)، والديلمي في «مسند الفردوس» (٨٧٢٣).

(٣) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٤٣١). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ١٥٥): فيه يزيد بن ربيعة، وهو متروك.

تعالى عنه قال: قلت للنبي ﷺ: يا رسول الله! متى يُترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهما سيدا أعمال أهل البر؟

قال: «إِذَا أَصَابَكُمْ مَا أَصَابَ بَنِيْ إِسْرَائِيْلَ».

قلت: يا رسول الله! وما أصاب بني اسرائيل؟

قال: «إِذَا دَاهَنَ أَخْيَارُكُمْ فُجَّارَكُمْ، وَصَارَ الْفِقْهُ فِيْ شِرَارِكُمْ، وَصَارَ المُلْكُ فِيْ صِغَارِكُمْ، فَعِنْدَ ذَلِكَ تَلْبَسُكُمْ فِتْنَةٌ تَكُرُّوْنَ عَلَيْهَا وَتَكُرُّ عَلَيْكُمْ»(١)؛ أي: ترجع عليكم.

وروى الإمام أحمد، والبخاري، والنسائي عن أنس رضي الله تعالى عنه: أنه سمع النبي ﷺ يقول: «لاَ يَأْتِيْ عَلَيْكُمْ عَامٌ وَلاَ يَوْمٌ إِلاَّ وَالَّذِيْ بَعْدَهُ شَرٌّ مِنْهُ حَتىَّ تَلْقَوْا رَبَّكُمْ»(٢).

وروى الدينوري في «المجالسة» عن إسماعيل بن أبي خالد قال: قال هَرِم بن حيَّان رحمه الله تعالى: اللهم إني أعوذ بك من شر زمان يتمرد فيه صغيرهم، ويأمل فيه كبيرهم، وتقرب فيه آجالهم(٣).

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (١٤٤). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٢٨٦): فيه عمار بن سيف؛ وثقه العجلي وغيره، وضعفه جماعة، وبقية رجاله ثقات، وفي بعضهم خلاف.

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٣/ ١٣٢)، والبخاري (٦٦٥٧)، والترمذي (٢٢٠٦).

(٣) رواه الدينوري في «المجالسة وجواهر العلم» (ص: ٦٢).

وقال نعيم بن حمَّاد في «الفتن»: أنا عبد الرزاق عن أمه، عن ميناء مولى عبد الرحمن بن عوف قال: رأيت أبا هريرة رضي الله تعالى وسمع صبياناً يقولون: الآخر شر، الآخر شر، فقال أبو هريرة: إي والذي نفسي بيده إلى يوم القيامة(١).

وأخرج بسند صحيح عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: إن شر الليالي والأيام والشهور والأزمنة أقربها إلى السَّاعة(٢).

وروى الترمذي وحسنه، والحاكم وصححه، عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «بَادِرُوْا بِالأَعْمَالِ سَبْعَاً، مَا تَنْتَظِرُوْنَ إِلاَّ فَقْرَاً مُنْسِياً، أَوْ غِنىً مُطْغِياً، أَوْ مَرَضَاً مُفْسِدَاً، أَوْ هَرَمَاً مُفَنِّدَاً، أَوْ مَوْتَاً مُجْهِزَاً، أَوْ الدَّجَالَ فَإِنَّهُ شَرُّ مُنْتَظَرٍ، أَوِ السَّاعَةُ وَالسَّاعَةَ أَدْهَىْ وَأَمَر»(٣).

وروى الدَّارقطني عن مجاهد، عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا أَحَبَّ الْعَبْدُ لِقَاءَ رَبِّـهِ، أَحَبَّ اللهُ لِقَاءَهُ، وَإِذَا كَرِهَ الْعَبْدُ لِقَاءَ اللهِ كَرِهَ اللهُ لِقَاءَهُ».

قال: فذكر ذلك لعائشة رضي الله تعالى عنها فقالت: يرحمه الله، حدثكم بآخر الحديث ولم يحدثكم بأوله.

قالت عائشة: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا أَرَادَ اللهُ بِعَبْدٍ خَيرَاً، بَعَثَ

---

(١) رواه نعيم بن حماد في «الفتن» (١/ ٤٢).

(٢) رواه نعيم بن حماد في «الفتن» (١/ ٦٥٠).

(٣) تقدم تخريجه.

إِلَيْهِ مَلَكاً فِيْ عَامِهِ الَّذِيْ يَمُوْتُ فِيْهِ، فَيُسَدِّدُهُ وَيُبَشِّرُهُ، فَإِذَا كَانَ عِنْدَ مَوْتِهِ أَتَىْ مَلَكُ المَوْتِ، فقَعَدَ عِنْدَ رَأْسِهِ فقَالَ: أَيَّتُهَا النَّفْسُ المُطْمَئِنَّةُ اُخْرُجِيْ عَلَىْ مَغْفِرَةٍ مِنَ اللهِ وَرُضْوَانٍ، فَتهوَّعُ نَفْسُهُ رَجَاءَ أَنْ تَخْرُجَ، فَذَلِكَ حِيْنَ يُحِبُّ لِقَاءَ اللهِ وَيُحِبُّ اللهُ لِقَاءَهُ، وَإِذَا أَرَادَ بِعَبْدِهِ شَرّاً بَعَثَ إِلَيْهِ شَيْطَاناً فِيْ عَامِهِ الَّذِيْ يَمُوْتُ فِيْهِ، فَأَغْرَاهُ، فَإِذَا كَانَ عِنْدَ مَوْتِهِ أَتَاهُ مَلَكُ المَوْتِ، فقَعَدَ عِنْدَ رَأْسِهِ فقَالَ: أَيَّتُهَا النَّفْسُ اُخْرُجِيْ إِلى سَخَطٍ مِنَ اللهِ وَغَضَبِهِ، فَتَفَرَّقُ فِيْ جَسَدِهِ، فَذَلِكَ حِيْنَ يُبْغِضُ لِقَاءَ اللهِ وَيُبْغِضُ اللهُ لِقَاءَهُ»[1].

قال في «الصحاح»: هاع يَهُوع هواعاً وهيعوعة؛ أي: قاء، والتهيع: التقيؤ[2].

وروى الأستاذ أبو منصور البغدادي في مؤلفه «فيما استدركته عائشة على الصحابة رضي الله عنهم» عن أبي عطية قال: دخلت أنا ومسروق على عائشة رضي الله تعالى عنها، فقال مسروق: قال عبدالله بن مسعود رضي الله تعالى عنه: «مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللهِ أَحَبَّ اللهُ لِقَاءَهُ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللهِ كَرِهَ اللهُ لِقَاءَهُ»، فقالت عائشة: يرحم الله تعالى أبا عبد الرحمن، حدَّث بأول الحديث، ولم تسألوه عن آخره: «إِنَّ اللهَ إِذَا أَرَادَ بِعَبْدِهِ

---

(١) انظر: «الإجابة لما استدركت عائشة على الصحابة» للزركشي (ص: ١٢٤)، والحديث عند مسلم (٢٦٨٥) نحوه.

(٢) انظر: «الصحاح» للجوهري (٣/ ١٣٠٩) (مادة: هوع).

خيراً قَيَّضَ اللهُ لَهُ قَبْلَ مَوْتِهِ بِعَامٍ مَلَكاً يُوَفِّقُهُ وَيُسَدِّدُهُ حَتَّى يَقُوْلَ النَّاسُ: مَاتَ فُلاَنٌ عَلَىْ خَيرِ مَا كَانَ، فَإِذَا حَضَرَ وَرَأَىْ ثَوَابَهُ مِنَ الجَنَّةِ تَهَوَّعُ نَفْسُهُ أَوْ قَالَ تَهَوَّعَتْ نَفْسُهُ، فَذَلِكَ حِينَ أَحَبَّ لِقَاءَ اللهِ وَأَحَبَّ اللهُ لِقَاءَهُ، وَإِذَا أَرَادَ اللهُ بِعَبْدِهِ شَرّاً بَعَثَ اللهُ لَهُ قَبْلَ مَوْتِهِ بِعَامٍ شَيْطَاناً، فَافْتَتَنَهُ حَتَّى يَقُوْلَ النَّاسُ: مَاتَ فُلاَنٌ عَلَىْ شَرِّ مَا كَانَ، فَإِذَا حَضَرَ وَرَأَىْ مَا يَنزِلُ عَلَيْهِ مِنَ الْعَذَابِ فَبَلَعَ نَفسه بِذَلِكَ حِينَ كَرِهَ لِقَاءَ اللهِ وَكَرِهَ اللهُ لِقَاءَهُ»(١).

وقولها: فبلع نفسه ـ بكسر اللام ـ أي: حاول أن يبتلعها ويردها لئلا تخرج.

وروى الإمام أحمد ـ ورواته رواة «الصحيح» ـ عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللهِ أَحَبَّ اللهُ لِقَاءَهُ، وَمَنْ أَبْغَضَ لِقَاءَ اللهِ بَغَضَ اللهُ لِقَاءَهُ».

قلنا: يا رسول الله! كلنا يكره الموت؟

قال: «لَيْسَ كَرَاهَةَ المَوْتِ، وَلَكِنَّ المُؤْمِنَ إِذَا حَضَرَ جَاءَهُ الْبَشِيْرُ مِنَ اللهِ، فَلَيْسَ شَيْءٌ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ أَنْ يَكُوْنَ قَدْ لَقِيَ اللهَ فَأَحَبَّ اللهُ لِقَاءَهُ، وَإِنَّ الْفَاجِرَ أَوِ الْكَافِرَ إِذَا حَضَرَ جَاءَهُ مَا هُوَ صَائِرٌ إِلَيْهِ مِنَ الشَّرِّ أَوْ مَا يَلْقَىْ مِنَ الشَّرِّ، فَكَرِهَ لِقَاءَ اللهِ فَكَرِهَ اللهُ لِقَاءَهُ»(٢).

---

(١) ورواه ابن المبارك في «الزهد» (١/ ٣٤٦)، وانظر: «الإجابة لما استدركت عائشة على الصحابة» للزركشي (ص: ١٣٣).

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٣/ ١٠٧). وصحح ابن كثير إسناده في =

وروى أبو نعيم عن وهب قال: قرأت في بعض الكتب فوجدت أنه تعالى يقول: يا ابن آدم! ما أنصفتني؛ تذكرني وتنساني، وتدعو إلي فتفر مني، خيري إليك نازل، وشرك إليَّ صاعد[1].

وعن وهب في قوله تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ﴾[الأنبياء: ٤٧] قال: إنما توزن من الأعمال خواتيمها، وإذا أراد الله بعبدٍ خيراً خَتَم له بخير عمله، وإذا أراد بعبده شراً ختم له بشر عمله[2].

وعن وهب أيضاً قال: لما أُهبط آدم عليه السلام إلى الأرض استوحش لفقد أصوات الملائكة عليهم السلام، فهبط عليه جبريل عليه السلام فقال: يا آدم! هلا أعلمك شيئاً تنتفع به؟

قال: بلى.

قال: قل: اللهم أَدِم لي النعمة حتى تُهنيني المعيشة، اللهم اختم لي بخير حتى لا تضرني ذنوبي، اللهم اكفني مؤنة الدنيا وكل هول في القيامة حتى تُدخلني الجنة[3].

وروى ابن أبي الدنيا في «المنامات» عن الهيثم بن معاوية قال: حدثني فلان قد سمَّاه قال: رأيت النبي ﷺ في المنام، فقلت:

---

= «التفسير» (٤/ ١٠١).

(١) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٤/ ٢٧).

(٢) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٤/ ٣٣).

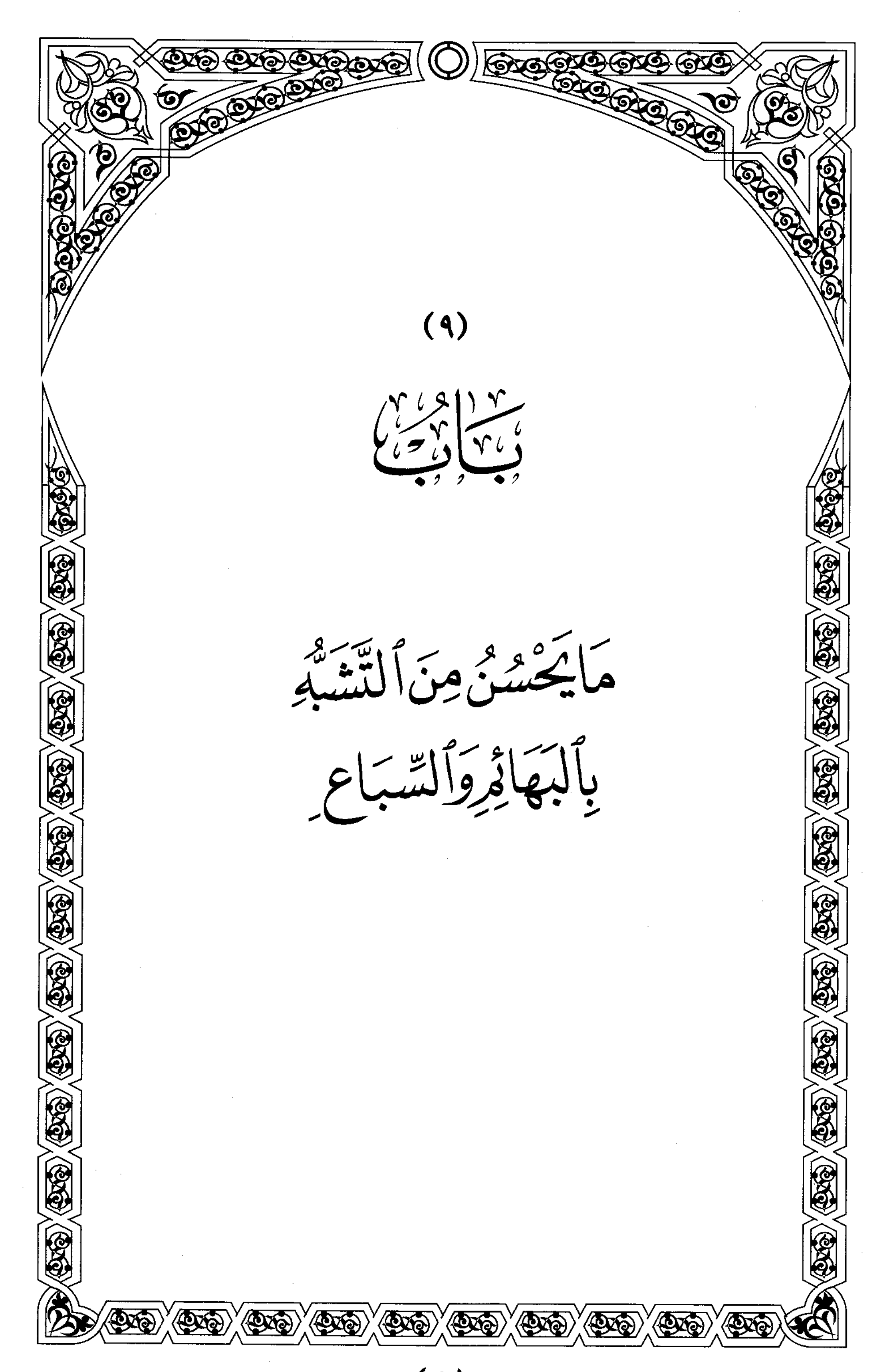
(٣) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٤/ ٢٨).

يا رسول الله! ادع لي بخير، فحَسَر عن ذراعيه ودعا، وقال: ليكن كلما تدعو: اللهم اختم لنا بخير[1].

❐ ❐ ❐

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في «المنامات» (ص: ٧٥)، وعنده: «جل ما تدعو» بدل «كلما تدعو».

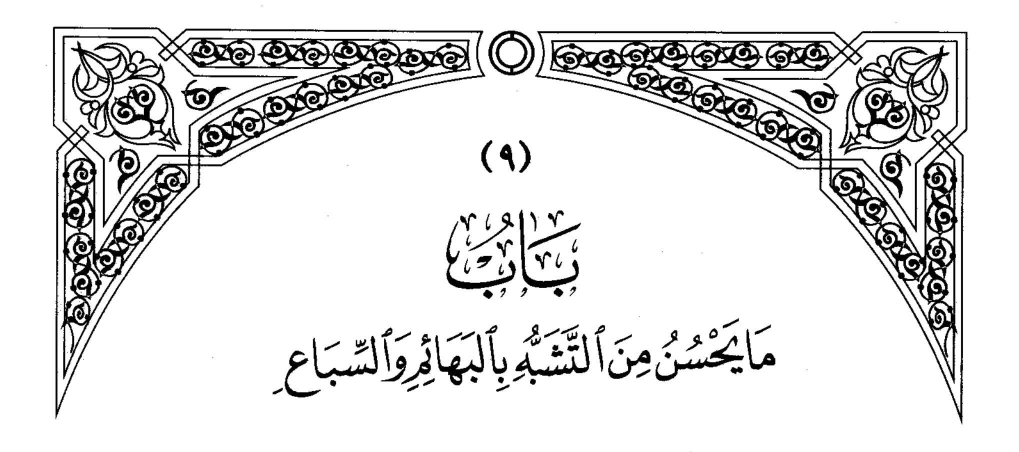


(٩)

# بَابُ

## مَا يَحْسُنُ مِنَ التَّشَبُّهِ بِالبَهَائِمِ وَالسِّبَاعِ






هذا الباب كالتكملة للباب قبله، وذلك أنه قد وردت آثار في الإرشاد إلى التشبه ببعض أشراف الحيوانات كالأسد، والنسر، والبازي، والنمر، والحمام.

وليس ذلك لكمالٍ فيها، لما تقرر لك أن البهائم لا حظ لها في العقل، ولا نصيب لها في التمييز، ولذلك لم تكن مُكلَّفة.

وما جاء في السنة من الاقتصاص من القَرْناء للجَمَّاء، وسؤال العُود: لم خدش العود[1]؟ فقال أبو الحسن الأشعري رحمه الله تعالى: إنه ليس على حقيقته، ولا قصاص على البهائم لأنها غير مكلفة؛ إذ لا تعقل، قال: وإنما ذلك على سبيل المثل والإخبار عن شدة التقصي في الحساب، وأنه لا بد أن يقتص من الظالم للمظلوم.

وقال أبو إسحاق الإسفراييني: يجري القصاص بين البهائم،

---

(١) حديث القصاص هذا رواه الخطيب البغدادي في «الرحلة في طلب الحديث» (١/ ١١٧).

ويحتمل أنها كانت تعقل هذا القدر في دار الدنيا.

وقال غيره: يجوز أن يكون الاقتصاص هنا على حقيقته، وإن لم يكن لها عقل ولا تمييز؛ لأن الله تعالى لا يُسأل عمَّا يفعل[1].

قلت: ولإجراء القصاص بين البهائم والجمادات حكمة، وهي بيان كمال مظهرية اسم الله العدل، والمقسط، والحكم، وسريع الحساب، وأسرع الحاسبين؛ لأنه إذا كثر المحاسبون ذلك اليوم وانقضى حسابهم في يومٍ واحد، أو بعض يوم كان ذلك أبلغ في كمال مظهريته سبحانه بسرعة الحساب بكمال العدل والحكم، والقدرة والعظمة.

وكذلك ما جاء في السنة من نسبة الخوف والإشفاق من قيام الساعة إلى البهائم والدواب محمول على ما جَبَلها الله تعالى عليه من نفارها مما يضرها، وانقيادها لما ينفعها جِبِلَّة وطبعاً لا عقلاً ومعرفة وإحساساً حيوانياً لا إدراكاً فهمياً، كما نصَّ عليه الدميري وغيره[2].

وتقدم لنا فيه كلام مستوفى، فليس الإرشاد إلى التشبه بأشراف الحيوانات لكمالاتها، ولكن من جملة ما جبل الله تعالى عليه بعض البهائم والسباع من الغرائز الحيوانية ما يشبه الأخلاق الشريفة الإنسانية، فإذا خلا الإنسان من تلك الأخلاق الشريفة، وعَرِيَ عن تلك الصفات

---

(١) انظر: «سراج الملوك» للطرطوشي (ص: ١٣٢ ـ ١٣٣).

(٢) انظر: «حياة الحيوان الكبرى» للدميري (ص: ٢٣١).

اللطيفة، مع اتصَاف بعض البهائم والسباع أو الطير بما يُلائمها، فقد رضي لنفسه بحال يكون بها أَدْوَن من هذه الحيوانات المخصوصة.

فإرشاد العبد إلى التشبه بالأسد مثلاً في الشجاعة والأَنَفَة، ونزاهة الطبع إشارة إليه بأن يزداد بنفسه إلى خلق يوجد مثله في الأسد الذي هو سبع من سِباع الله تعالى، سمَّاه النبي ﷺ في بعض ألفاظه كلباً[1]، مع أنَّ الإنسان بهذه الأخلاق الشريفة أولى من الأسد، ومن سائر الحيوانات غير الإنسان، فحسن بذلك الإرشاد إلى التشبه بالأسد وغيره من أشراف الحيوانات في الأخلاق الشريفة.

ووجهٌ آخر، وهو أن الأخلاق الحميدة التي طبعت على ما يلائمها أجناس من الحيوانات غير الإنسان، فقد جبلت النفوس الزكية على محبتها واستحسانها وطلبها ودعوى الاتصاف بها والتمدح بها وإن كانت عارية عنها، واستكملتها العقول بالطبع والجبلة، حتى إنَّ العقلاء والحكماء لتنشرح صدورهم إلى المسامرة بذكرها وبذكر المتصفين بها من العقلاء كالأناسي، ومن غير العقلاء كذكر الأسد بوصف الشجاعة والنزاهة، وذكر الغزال بوصف الحَذَاقة واللطانة والرشاقة، إلى غير ذلك، ولم تأنف النفوس الزكية الأبيَّة السنية من تمثيلها وتشبيهها بالحيوانات المتصفة بهذه الأوصاف الشريفة، بل تنشرح لمن يصفها بها، وتحب لو كانت متصفة بتلك الأوصاف متحلية بتلك الأخلاق؛ ليكون الوصف موافقاً للاتصاف والتشبيه موافقاً للتشبه.

---

(١) كما في «مستدرك الحاكم»، وقد تقدم.

وكفاك شاهداً على ذلك: أن الله ﷻ شبه نبيه ﷺ بالأسد، ولو لم يكن ذلك من أكمل الثناء وأبلغ المدح لم يشبهه به، وذلك في قوله تعالى: ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ﴾ [المدثر: ٤٩ ـ ٥١].

روى البزار بإسناد صحيح، عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: القسورة: الأسد[1].

وروى الثعلبي عن ابن عباس قال: بلسان العرب: الأسد، وبلسان الحبشة: القسورة، وبلسان فارس: شير، وبلسان القبط: ارثا[2].

قال السمرقندي في «تفسيره»: وذلك أن الحمر الوحشية إذا عاينت الأسد هربت، فكذلك هؤلاء المشركون إذا سمعوا النبي ﷺ يقرأ القرآن هربوا منه، انتهى[3].

وقد يشير إلى ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا﴾ [الإسراء: ٤٦].

قلت: واختير لفظ القسورة في الآية لمناسبة رؤوس الآي، ولأنه

---

(١) قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ١٣٢): رواه البزار ورجاله ثقات.
ورواه الطبري في «التفسير» (٢٩/ ١٧٠)، وذكره البخاري (٤/ ١٨٧٤) معلقاً.

(٢) رواه الثعلبي في «التفسير» (١٠/ ٧٩).

(٣) انظر: «تفسير السمرقندي» (٣/ ٤٩٦).

من القسر وهو القهر، سُمي به الأسد لأنه يقهر السباع كلها، وكذلك النبي ﷺ ذَلَّتْ لسلطانه رقابُ المشركين وسائر المتمردين.

وقد ألمَّ كعب بن زهير بن أبي سلمى رضي الله عنه في قصيدته حيث يقول: [من البسيط]

فَلَهْوَ أَخْوَفُ عِنْدِي مُذْ أكلِّمُه
وَقِيلَ إِنَّكَ مَنْسُوبٌ وَمَسْؤُولُ

مِنْ ضَيْغَمٍ بِضراءِ الأَرْضِ مَخْدرُه
فِي بَطْنِ عثر غيل دُوْنَه غيلُ

يَغْدُو فَيلحمُ ضِرغامَيْنِ عَيْشَهما
لَحمٌ مِنَ النَّاس مَعْفورٌ خَراديلُ

إِذا يُساورُ قِرْناً لا يَحلُّ بِهِ
أَنْ يتركَ القِرْنَ إلاَّ وَهُوَ مغلولُ

مِنْهُ تَظلُّ حَميرُ الْجوِّ نافرةً
وَلا تَمَشَّى بوادِيه الأراجيلُ[1]

ووقع تشبيه النبي ﷺ عمه حمزة رضي الله عنه بالأسد، وذلك فيما رواه الطَّبراني بإسناد صحيح، عن يحيى بن عبد الرَّحمن بن أبي لبيبة، عن

(١) انظر: «جمهرة أشعار العرب» لأبي زيد القرشي (ص: ٢٣٩)، و«المستدرك» للحاكم (٦٤٧٧).

أبيه، عن جدِّه رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «وَالَّذِيْ نَفْسِيْ بِيَدِهِ إِنَّهُ لَمَكْتُوْبٌ عِنْدَ اللهِ تَعَالىٰ فِيْ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ المُطَّلِبِ أَسَدُ اللهِ وَأَسَدُ رَسُوْلِهِ»[1].

وروى الطبرانيُّ أيضاً ـ بإسناد رجاله رجال «الصحيح» ـ عن عمير ابن إسحاق ـ مرسلاً ـ قال: كان حمزة بن عبد المطلب يقاتل بين يدي رسول الله ﷺ بسيفين، ويقول: أنا أسد الله وأسد رسوله[2].

وروى الديلمي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «خَالِدُ بْنُ الْوَلِيْدِ سَيْفُ اللهِ وَسَيْفُ رَسُوْلِهِ، وَحَمْزَةُ أَسَدُ اللهِ وَأَسَدُ رَسُوْلِهِ، وَأَبُوْ عُبَيْدَةَ أَمِيْنُ اللهِ وَأَمِيْنُ رَسُوْلِهِ، وَحُذَيْفَةُ بْنُ الْيَمَانِ مِنْ أَخِصَّاءِ الرَّحْمَنِ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ مِنْ تجَّارِ الرَّحمَنِ»[3].

واتفق تمثيل حمزة رضي الله تعالى عنه بالأسد، وعلي رضي الله تعالى عنه بالصقر في أبيات قالتها هند بنت أثاثة بن عباد بن عبد المطلب رضي الله تعالى عنها، أجابت بها عن أبيات قالتها هند بنت

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٢٩٥٢). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٩/ ٢٦٧): ويحيى وأبوه لم أعرفهما، وبقية رجاله رجال الصحيح.

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٢٩٥٣)، وكذا الحاكم في «المستدرك» (٤٩٠٠).

(٣) رواه الديلمي في «مسند الفردوس» (٢٩٦٧).

عتبة يوم أحد قبل إسلامها : [من الرجز]

خَزِيتِ فِي بَدْرٍ وَبَعْدَ بَدْرِ ... يا بِنْتَ وَقَّاعٍ عَظِيمِ الكُفْرِ
صَبَّحَكِ اللهُ غَداةَ الفَجْرِ ... بِالْهاشِمِيِّينَ الطِّوالِ الزُّهْرِ
بِكُلِّ قَطَّاعٍ حُسامٍ يَفْرِي ... حَمْزَةُ لَيْثِي وَعَلِيٌّ صَقْرِي[1]

وقال حسان بن ثابت رضي الله عنه في النبي ﷺ، وأصحابه رضي الله تعالى عنهم : [من البسيط]

لا يَفْخَرُونَ إِذا نالُوا عَدُوَّهُمُ ... وَإِنْ أُصِيبوا فَلا خَوْرٌ وَلا هَلَعُ
كَأَنَّهُمْ فِي الوَغا وَالْمَوْتُ مُكْتَنِبٌ ... أُسْدٌ بِحلية فِي أَرْساغها فدَعُ[2]

وروى الشيخان عن أبي قتادة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ قَتَلَ قَتِيْلاً لَهُ عَلَيْهِ بَيِّنَةٌ فَلَهُ سَلَبُهُ».

وكنت قتلت قتيلاً من المشركين، فقمت، فقلت: من يشهد لي؟

ثم جلست، فأعادها، فقمت وقلت: من يشهد لي؟

ثم جلست فأعادها الثالثة، فقال رجل: صدق يا رسول الله! سلبه عندي فأرضه عني.

فقال أبو بكر رضي الله تعالى عنه: لا ها اللهِ، إذاً لا يعمِدُ إلى أسدٍ من أسد الله يُقاتل عن الله ورسوله يعطيك سلبه.

---

(١) انظر: «السيرة النبوية» لابن هشام (٤/ ٤٠).

(٢) انظر: «السيرة النبوية» لابن هشام (٥/ ٢٥٦).

فقال رسول الله ﷺ: «صَدَقَ، فَأَعْطِهِ».

قال: فبعث الدِّرع، فابتعت به مخرفاً في بني سلمة؛ فإنه لأول مال تأثَّلته في الإسلام[1].

وروى الدِّينوري في «المجالسة» عن أبي المنهال قال: سأل عمر ابن الخطاب عمرو بن معدي كرب عن صفة سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه.

فقال: متواضع في جبايته، عربي في نمرته، أسد في تاموره، يعدل في القضية، ويقسم بالسَّوية، ويبعد في السَّرية، ويعطف علينا عطف الأم البرَّة، وينقل إلينا حقنا نقل الذَّرَّة[2].

وقال الفرزدق في آل البيت رضي الله عنهم: [من البسيط]

هُـــمُ الغُيُـــوثُ إِذا مـــا أَزْمَـــةٌ أَزِمَـــتْ
وَالأُسْـــدُ أُسْـــدُ الـــشَّرى وَالنَّـــاسُ كُلُّهُـــمُ

وورد تشبيه هذه الأمة في التوراة وغيرها من الكتب بالأسود.

وروى الطبراني في «الكبير»، وأبو نعيم في «الدلائل» عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «صِفَتِيْ أَحْمَدُ المُتَوَكِّلُ، لِيْسَ بِفَظٍّ، وَلاَ غَلِيْظٍ، يُجْزِىءُ بِالحَسَنَةِ الحَسَنَةَ، وَلاَ يُكَافِىءُ بِالسَّيِّئَةِ، مَوْلِدُهُ مَكَةَ، وَمُهَاجِرُهُ طَيْبَةَ، وَأُمَّتُهُ الحَمَّادُوْنَ،

(١) رواه البخاري (٢٩٧٣)، ومسلم (١٧٥١).

(٢) رواه الدينوري في «المجالسة وجواهر العلم» (ص: ٣٤٥).

يَأْتَزِرُوْنَ عَلَىٰ أَنْصَافِهِمْ، وَيُوَضِّئُوْنَ أَطْرَافَهُمْ، أَنَاجِيْلُهُمْ فِيْ صُدُوْرِهِمْ، رُهْبَانٌ بِاللَّيْلِ، لُيُوْثٌ بِالنَّهَارِ»[1].

وروى ابن أبي حاتم، وأبو نعيم عن وهب بن منبه رحمه الله تعالى قال: إن الله تعالى أوحى إلى شعْيَاء بصفة النبي ﷺ وصفة أمته، فقال فيهم: يُطهرون الوجوه والأطراف، ويشدون الثياب إلى الأنصاف، ويهلون على التِّلال والأشراف، قربانهم دماؤهم، وأناجيلهم صدورهم، رهباناً بالليل، ليوثاً بالنهار. في حديث طويل[2].

وقال ابن أبي الدُّنيا في كتاب «الحذر»: أنشدني شيخ من تميم:

[من البسيط]

لَقَدْ نَجا أَهْلُ تَقْوى زادُهُم عَمَلُ
بـاعُوا الشُّكُوكَ فَقَدْ نَجَّاهُمُ الْحَذَرُ

قَرَّتْ عُيُونُ الْمُطِيعِينَ الَّذِينَ هُمُ
رُهْبانُ لَيْلٍ، وَأُسْدٌ فِي الوَغا سُعُرُ

شابَتْ نَواصِيهِمُ مِنْ ذِكْرِ رَبِّهِمُ
وَحُفِّرَتْ فِي جُفُونٍ مِنْهُمُ الدُّرَرُ

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٠٠٤٦). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨/ ٢٧١): فيه من لم أعرفهم.

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «التفسير» (١٠ / ٣١٤١)، وكذا الطبري في «التفسير» (١٥/ ٢٦).

مَرْضـــى وَلا مَـــرَضٌ فِـــيهِمْ وَلا سَـــقَمٌ

إِلاَّ الْحِـــدادَ لِيَـــومٍ حَـــرُّهُ سَـــقَرُ

ومن ألطف ما قيل في هذا الباب ما ذكره الدِّينوري في «المجالسة» قال: أنشدنا أحمد بن عباد قال: أنشدني أبو سعيد المدني في العفو بعد القدرة: [من مجزوء الكامل المرفّل]

أَسَـــــدٌ علـــــى أَعْدائِـــــهِ

مـــا إِنْ يَلِـــينُ وَلا يَهـــونُ

فَـــإِذا تَمَكَّـــنَ مِـــنْهُمُ

فَهُنـــاكَ أَحْلَـــمُ مـــا يَكُـــونُ[1]

وجاء في الكتب أيضاً تشبيه تلاوة هذه الأمة بدوي النحل، وحبهم الذكر وإسراعهم إليه بحب الحمام والنسور أوكارها، وإسراع الإبل إلى وِردها، وبغضبهم لله بغضب النمر.

روى الدارمي عن كعب رحمه الله تعالى قال: في السطر الأول من التوراة: محمدٌ رسول الله عبدي المختار، لا فظ، ولا غليظ، ولا سَخَّاب في الأسواق، ولا يجزىء بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويغفر، مولده بمكة، ومهاجره بطيبة، وملكه بالشام.

وفي السطر الثاني: محمدٌ رسول الله، أمته الحمادون لله في

---

(١) رواه الدينوري في «المجالسة وجواهر العلم» (ص: ٤٣٠).

السَّراء والضَّراء، يحمدون الله في كل منزلة، ويُكبرون الله على كل شرف، رعاة الشمس، يصلون الصَّلاة إذا جاء وقتها ولو كانوا على رأس كناسة، ويأتزرون على أوساطهم، ويوضئون أطرافهم، أصواتهم بالليل في جو السماء كأصوات النحل[1].

وروى الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» عن عبدالله بن عمرو رضي الله تعالى عنهما قال: أجد في الكتب أن هذه الأمة تحب ذكر الله كما تحب الحمامة وُكْرها، وهم أسرع إلى ذكر الله من الإبل إلى وردها يوم ظمئها[2].

وروى أبو الشَّيخ عن قتادة: أن موسى عليه السلام قال: يا رب! إنِّي وجدتُ في التوراة نعت قومٍ يأوون إلى ذكرك ويتحاثون عليه كما تأوي النسور إلى وكورها، فمن هم؟

قال: تلك أمة أحمد ﷺ.

قال: يا رب! إنِّي وجدت في التوراة نعت قومٍ إذا غضبوا هلَّلوك، وإذا تنازعوا سبَّحوك، فمن هم؟

قال: تلك أمة أحمد.

قال: يا رب! إني وجدت في التوراة نعت قومٍ يغضبون لك كما يغضب النمر الحَرِب لنفسه، فمن هم؟

---

(١) رواه الدارمي في «السنن» (٧).

(٢) رواه الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» (١/ ١٥٤).

قال: تلك أمة أحمد[1].

وكذلك شبه النَّبيُّ ﷺ إسراعَ فقراء أمته إلى الله يوم القيامة بإسراع الحمام إلى أوكارها أو مبيتاتها فيما روى الطبراني، وأبو الشيخ في «الثواب» بإسناد جيد، عن سعيد بن عائذ رضي الله عنه: أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ فُقَرَاءَ المُسْلِمِيْنَ يُزَفُّوْنَ ـ يعني: إلى الجنة ـ كَمَا تُزَفُّ الحَمَامُ، فَيُقَالُ لهم: قِفُوْا لِلْحِسَابِ، فَيَقُوْلُوْنَ: وَاللهِ مَا تَرَكْنَا شَيْئاً نُحَاسَبُ بِهِ، فَيَقُوْلُ اللهُ تَعَالىْ: صَدَقَ عِبَادِيْ فَيَدْخُلُوْنَ الجَنَّةَ»[2].

**فينبغي أن نشير هنا إلى جملة ما يحسن التخلق بأخلاقه من الحيوانات.**

**ـ فمن ذلك الأسد؛** فإن من أخلاقه القوة، والصولة، والشهامة، والشجاعة، وشدة الإقدام، وشدة البأس، ولذلك قالوا: أكرم من الأسد[3]، وأبخر من الأسد، وأجرأ من الأسد، ومن أسامة، وهو علم على الأسد[4]، وهي أخلاق محمودة من الإنسان وقد اجتمعت هذه

---

(1) ورواه الطبري في «التفسير» (9/ 65)، وابن أبي حاتم في «التفسير» (5/ 1565).

(2) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (5508). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (10/ 261): في إسناده يزيد بن أبي زياد، وقد وثق على ضعفه، وبقية رجاله ثقات.

(3) انظر: «المستقصى في أمثال العرب» للزمخشري (1/ 294).

(4) انظر: «المستقصى في أمثال العرب» للزمخشري (1/ 45).

الأخلاق كلها في بيت النبوة.

ولذلك قال الفرزدق في وصف آل البيت: [من البسيط]

هُـــمُ الغُيــوثُ إذا مــا أَزْمَــةٌ أزمــتْ

وَالأُسْــدُ أُسْــدُ الــشَّرى والبــأسُ محتــدِمُ

ومن شهامة الأسد وقوة نفسه: أنه لا يأكل من فريسة غيره، ولا يشرب من ماء ولغ عليه كلب، فكذلك ينبغي للإنسان أن يأكل من كسب يمينه، ويتنزه عن الصَّدقات وفضلات أموال الناس.

ومن هنا حرمت الزكاة على النَّبيِّ ﷺ وآله الكرام لما علمت أنهم الأُسْد، قال ﷺ: «هَذِهِ الصَّدَقَاتُ إِنَّمَا هِيَ أَوْسَاخُ النَّاسِ، وَإِنَّهَا لاَ تَحِلُّ لِمُحَمَّدٍ وَلاَ لآلِ مُحَمَّدٍ». رواه [مسلم] من حديث عبد المطلب ابن ربيعة رضي الله تعالى عنه[1].

ولقد أحسن القائل: [من الوافر]

وَأَتْــرُكُ حُبَّهــا مِــنْ غَيْــرِ بُغْــضٍ

وَلَكِــنْ كَثْــرَةُ الــشُّرَكاءِ فِيــهِ

إِذا وَقَــعَ الــذُّبابُ عَلــى طَعــامٍ

رَفَعْــتُ يَــدِي وَنَفْــسِي تَــشْتَهِيهِ

---

(١) رواه مسلم (١٠٧٢).

وَتَجْتَنِبُ الأُسُودُ وُرودَ مَاءٍ

إِذا كَانَ الكِلابُ يَلَغْنَ فِيهِ[1]

ومن بلاغات المتنبي: [من البسيط]

وَمَا حمدتكَ فِي هَولٍ ثَبَتَّ لَهُ

حَتَّى بَلَوْتُكَ وَالأَبْطَالُ تَمْتَصعُ

فَقَدْ يُظَنُّ شُجاعاً مَنْ بِهِ خَرَقٌ

وَقَدْ يُظَنُّ جَباناً مَنْ بِهِ ذمعُ

إِنَّ السِّلاحَ جَمِيعُ النَّاسِ تَحْمِلُهُ

وَلَيْسَ كُلُّ ذواتِ الْمِخْلَبِ السَّبُعُ[2]

وقال الدينوري: سمعت ابن قتيبة يقول: قرأت في كتب الهند: ذو المروءة يُكرم وإن كان معدماً، كالأسد يُهاب وإن كان رابضاً، ومن لا مروءة له يُهان وإن كان موسراً، كالكلب وإن طوق وحُلي[3].

وذكر التجاني في «تحفة العروس» عن الهيثم بن عدي قال:

---

(١) انظر: «مدارج السالكين» لابن القيم (٢/ ١٧)، و«حياة الحيوان الكبرى» للدميري (١/ ١١).

(٢) انظر: «شرح ديوان المتنبي» للواحدي (ص: ٢٣٠).

(٣) انظر: «المجالسة وجواهر العلم» للدينوري (ص: ٣٦١)، و«عيون الأخبار» لابن قتيبة (ص: ١٠٥).

قدمت امرأة بمكة وكانت من أجمل النِّساء، فنظر إليها عمر بن أبي ربيعة فوقعت في قلبه، فكلمها فلم تجبه، فلما كان في الليلة الثانية تعرَّض لها فقالت: إليكَ عني؛ فإنك في حرم الله وفي أيامٍ عظيمة الحرمة، فألحَّ عليها في الكلام فخافت الشهرة، فقالت لأخيها في الليلة الثالثة: اخرج معي فأرني المناسك، فتعرَّض لها عمر، فلمَّا رأى أخاها معها أعرض عنها، فتمثلت بقول الشاعر: [من البسيط]

تَعْدُو الذِّئابُ عَلى مَنْ لا كِلابَ لَهُ
وَتَتَّقِي صَوْلَةَ الْمُسْتَأْسِدِ الضَّارِي

قال: وسمع أبو جعفر المنصور هذا الخبر، فقال: وددت لو أنه لم تبقَ فتاة إلا سمعت هذا الخبر.

والبيت للزبرقان بن عمرو؛ كما ذكره ابن خلكان، وذكر القصة(١).

وقيل لبعض العرب: ما بالكم تُسَمون عبيدكم بأحسن الأسماء؛ تسمونهم سارا، وميسرة، وسعيداً، ومسعدة، ورباحاً، وتسمون أولادكم بأسوء الأسماء؛ تسمونهم كلباً، وكلاباً، وأسداً، وفهداً؟

فقال: لأننا نسمي عبيدنا لنا، ونسمي أولادنا لأعدائنا.

وقال في «القاموس»: وادي السباع بطريق الرقة مرَّ به وائل بن

---

(١) انظر: «حياة الحيوان الكبرى» للدميري (١/ ٤٩٩).

قاسط على أسماء بنت أبي رويم، فهمَّ بها حين رآها منفردة في الخباء، فقالت: والله لئن هممت بي لدعوت أسبعي.

فقال: ما أرى في الوادي غيرك.

فصاحت ببنيها: يا كلب! يا فهد! يا ذئب! يا دب! يا سرحان! يا سيد! يا سبع! يا نمر! فجاؤوا يتعادون بالسيوف.

فقال: ما أرى هذا إلا وادي السِّباع[1].

* **فائِدَةٌ:**

روى الطبراني، والديلمي عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، عن النبي ﷺ قال: «أَتَدْرُوْنَ مَا يَقُوْلُ الأَسَدُ فِيْ زَئِيْرِهِ؟».

قالوا: الله ورسوله أعلم.

قال: «إِنَّهُ يَقُوْلُ: اللَّهُمَّ لا تُسَلِّطْنِيْ عَلَىْ أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْمَعْرُوْفِ»[2].

وروى ابن منيع في «شفاء الصدور» عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما: أنه خرج في سفر، فبينما هو يسير إذا هو بقومٍ وقوف، فقال: ما لهؤلاء؟

قالوا: أسد على الطريق قد أَخَافهم.

---

(١) انظر: «القاموس المحيط» للفيروز آبادي (ص: ٩٣٨) (مادة: سبع).

(٢) رواه الطبراني في «مكارم الأخلاق» (ص: ١٤١)، والديلمي في «مسند الفردوس» (٢٣٣٧).

فنزل عن دابته، ثم مشى إليه حتى أخذ بأذنيه ونحَّاه عن الطريق، ثم قال: ما كذب عليك رسول الله ﷺ، إنما سلطت على ابن آدم من مخافة غير الله، ولو أن ابن آدم لم يخف إلا الله تعالى لم تُسلط عليه، ولو لم يرج إلا الله لما وَكَله إلى غيره[1].

قلت: ويؤخذ من ذلك أن الخوف من الله تعالى يُعطي القوة والشَّجاعة، والأمن من غير الله تعالى، وأن تسليط المخلوقات على ابن آدم بسبب خوفه منها دون الله تعالى، بل ينبغي لمن يخاف من شيء أن يكون خوفه من الله تعالى أن يُسلط ذلك المخوف عليه.

وتقدم حديث: «مَنْ خَافَ اللهَ خَوَّفَ مِنْهُ كُلَّ شَيْءٍ، وَمَنْ خَافَ غَيْرَ اللهِ خَوَّفَهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ»[2].

وروى أبو نعيم، والديلمي عن شداد بن أوس رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «حَسْبِيَ اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيْلُ أَمَانُ كُلِّ خَائِفٍ»[3].

وروى اللالكائي في «كرامات الأولياء» من كتاب «السنة» عن

---

(١) ورواه ابن أبي حاتم في «علل الحديث» (٢/ ١٢٣) وقال: سألت أبي عنه فقال: ليس هذا إسناداً، وبكر بن حذلم ليس بشيء.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) رواه أبو نعيم في «تاريخ أصبهان» (١ / ٣٣٦). قال الذهبي في «سير أعلام النبلاء» (١٦/ ٥١٨): لم يصح.

عامر بن عبد قيس: أنه مرَّ بقافلة قد حبسهم أسد من بين أيديهم على طريقهم، فلما جاء عامر نزل عن دابته، فقالوا: يا أبا عبدالله! إنا نخاف عليك من الأسد.

فقال: إنما هو كلب من كلاب الله ﷻ؛ إن شاء الله يُسلطه سلطه، وإن شاء أن يكفه كفه، فمشى إليه حتى أخذ بيديه أذني الأسد، فنحاه عن الطريق وجازت القافلة، وقال: إني أستحيي من ربي ﷻ أن يرى من قلبي أني أخاف من غيره[1].

وروى الدينوري في «المجالسة» عن عبد الجبار بن كليب قال: كنا مع إبراهيم بن أدهم في سفر، فعرض لنا الأسد، فقال إبراهيم رحمه الله تعالى: قولوا: اللَّهُمَّ احرسنا بعينك التي لا تنام، واحفظنا بركنك الذي لا يُرام، وارحمنا بقدرتك علينا، لا نهلك وأنت رجاؤنا يا الله يا الله يا الله.

قال: فولَّى الأسد عنا.

قال: وأنا أدعو به عند كل مخوف، فما رأيت إلا خيراً[2].

ورواه اللالكائي، وقال في أوله: قيل لإبراهيم بن أدهم رحمه الله تعالى: هذا السبع قد ظهر لنا.

قال: أرونِيهِ.

---

(١) رواه اللالكائي في «كرامات الأولياء» (ص: ٢٠٦).

(٢) رواه الدينوري في «المجالسة وجواهر العلم» (ص: ٤٠).

فلما رآه قال: يا قسورة! إن كنت أُمرت فينا بشيء فامضِ لما أُمرت به، وإلا فعودك على يديك.

قال: فولى السبع ذاهباً، قال: فعجبنا كيف ذهب، قال: قولوا؛ فذكر الدُّعاء[1].

وذكر حجة الإسلام في «الإحياء» عن إبراهيم الرقِّي قال: قصدتُ أبا الخير الثينائي مسلِّماً عليه، فصلى صلاة المغرب فلم يقرأ الفاتحة مستوياً، فقلت في نفسي: ضاعت سفرتي، فلما أصبحت خرجت إلى الطهارة، فقصدني السبع، فعدت إليه، وقلت: إن الأسد قد قصدني، فخرج وصاح على الأسد، وقال: ألم أقل لك لا تتعرض لأضيافي؟

فتنحى الأسد، فتطهرت، فلما رجعت قال: اشتغلتم بتقويم الظاهر فخفتم الأسد، واشتغلنا بتقويم الباطن فخافنا الأسد[2].

وقلت في المعنى: [من الرجز]

شَتَّانَ بَيْنَ مَنْ يَخافُ أَسَداً وَبَيْنَ مَنْ يَخافُ مِنْهُ الأَسَدُ
فَخَفْ مِنَ الأَحَدِ لا تَخَفْ سِوَاهُ أَحَداً يُؤْمِنْكَ مِنْهُ الأَحَدُ

---

(١) رواه اللالكائي في «كرامات الأولياء» (ص: ٢٤٣).

(٢) انظر: «إحياء علوم الدين» للغزالي (٣ / ٢٥)، ورواه القشيري في «رسالته» (ص: ٣٨٧).

وروى ابن سعد في «طبقاته»، والبزار، وأبو يعلى، والحاكم في «المستدرك»، وأبو نعيم، والبيهقي عن سفينة مولى النبي ﷺ قال: ركبت سفينة في البحر فانكسرت، فركبتُ لوحاً فأخرجتني إلى أَجَمة فيها أسد، فأقبل إلي فقلت: أنا سفينة مولى رسول الله ﷺ وكنتُ تائهاً، فجعل يغمزني بمنكبه حتى أقامني على الطَّريق، فهمهم، فظننت أنه السَّلام[1].

وروى اللالكائي عن محمد بن المنكدر: أن سفينة أخطأ الجيش بأرض الروم، أو أمسى في أرض الروم، فانطلق هارباً يطلب الجيش فإذا هو بالأسد، فقال: أبا الحارث! أنا مولى رسول الله ﷺ كان من أمري كيت وكيت، فأقبل الأسد له بصبصة حتى قام إلى جنبه، فلما سمع صوته أهوى إليه ثم أقبل يمشي إلى جنبه، فلم يزل كذلك حتى بلغ الجيش، ثم رجع الأسد[2].

وروى ابن عساكر عن أنس قال: بعث رسول الله ﷺ سفينة بكتاب إلى معاذ باليمن، فذكر نحو القصة[3].

وهذا يدل أن الأسد عرض لسفينة مرتين أو مرات، وهو مسخر

---

(١) رواه الحاكم في «المستدرك» (٦٥٥٠)، وأبو نعيم في «معرفة الصحابة» (٣/ ١٣٩٢)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٦/ ٤٥). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٩/ ٣٦٧): رواه البزار والطبراني ورجالهما وثقوا.

(٢) رواه اللالكائي في «كرامات الأولياء» (ص: ١٥٩).

(٣) رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١٠/ ٤٧٣).

له في كلها، وهو أبلغ في الكرامة.

وروى أبو نعيم عن ثور بن يزيد قال: بلغني أن الأسد لا يأكل إلا من أتى محرَّماً[1].

وروى الغافقي في كتاب «نفحات الأزهار ولمحات الأبرار» عن علي رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «هَبَطَ عَلَيَّ جِبْرِيْلُ عَلَيْهِ السَّلامُ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ سَيِّداً، وَسَيِّدُ فَارِسَ سَلْمَانُ، وَسَيِّدُ الْحَبَشِ بِلالُ، وَسَيِّدُ الشَّجَرِ السِّدْرُ، وَسَيِّدُ الطَّيْرِ النَّسْرُ، وَسَيِّدُ الشُّهُوْرِ رَمَضَانُ، وَسَيِّدُ الأَيَّامِ يَوْمُ الْجُمُعَةِ، وَسَيِّدُ الْكَلامِ الْمُعْرِبُ، وَسَيِّدُ الْعَرَبِـيَّةِ الْقُرْآنُ، وَسَيِّدُ الْقُرْآنِ سُوْرَةُ الْبَقَرَةِ»[2].

**ـ واعلم أن التشبه بالنسر من حيث إنه سيد إنما يكون بالاجتهاد على تحصيل السيادة، ثم العمل بمقتضياتها.**

فأما السيادة فإنما تحصل للعبد بالعلم والدِّين والكرم.

وأما العمل بمقتضياتها فاحتمال الكل، وفك العاني، واكتساب المعدم، وبذل الجاه، والحلم، والعفو، والصبر، ومناصرة العشيرة من غير إثم، وصلة الأرحام، والإفضال على الجيران.

وحسن المعاشرة هو بذل النصيحة من غير فضيحة.

ولا تكون السيادة في جنس البشر إلا بهذه الأخلاق الكريمة،

---

(١) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٦/ ٩٥).

(٢) انظر: «حياة الحيوان الكبرى» للدميري (٢/ ٤٧٥).

وطالبها إن كان له سلف فيها وحسب فبالحري أن يسعى في تحصيلها، وإلا فإن طريقها ليس بمنسد عنه.

وقد قال بعض الحكماء: لأن يشرف بي قومي أحب إلي من أن أشرف بقومي.

وقد قيل: [من الكامل]

إِنَّ الـــسَّرِيَّ هُـــوَ الـــسَّرِيُّ بِنَفْـــسِهِ

وَابْـــنُ الـــسَّرِيِّ إِذا ســـرى أَســـراهُما[1]

ويقال: الشبل من الأسد.

وقال الدينوري في «المجالسة»: عن ابن أبي الدُّنيا قال: أنشدني محمد بن الحسين للقيط بن زُرارة: [من الطويل]

وَإِنِّـــي مِـــنَ القَـــوْمِ الَّـــذِينَ عَـــرَفْتَهُمْ

إِذا مـــاتَ مِـــنْهُمْ سَـــيِّدٌ قـــامَ صـــاحِبُهْ

نُجـــومُ سَـــماءٍ كُلَّمـــا غـــابَ كَوْكَـــبٌ

بَـــدا كَوْكَـــبٌ تَـــأْوِي إِلَيْـــهِ كَواكِبُـــهْ

أَضـــاءَتْ لَهُـــمْ أَحْـــسابُهُمْ وَوُجُـــوهُهُمْ

دُجـى اللَّيْـلِ حَتَّـى نَظَّـم الجَـزْعَ ثاقِبُـهْ[2]

---

(١) انظر: «البصائر والذخائر» لأبي حيان التوحيدي (١/ ١٣٠).

(٢) انظر: «المجالسة وجواهر العلم» للدينوري (ص: ٢٥٧).

ومن أوصاف النسر أنه أشد الجوارح هيبة، بحيث إنها تخافه وترهب منه، فما ظنك ببقية الطير؟

وكذلك ينبغي للعبد أن يُربي لنفسه الهيبة والوقار بالطَّاعة لله، والعمل والصَّمت، وحسن السمت لا بالشرة والعدوان، والكبر والافتخار، وأسُّ ذلك الخوف من الله تعالى كما تقدم في الحديث: «مَنْ خَافَ اللهَ خَوَّفَ اللهُ مِنْهُ كُلَّ شَيْءٍ»[1].

فإن العبد إذا خاف مقام ربه أطاعه بجهده، وحذر من قليل معصيته وكثيرها، ولم يمتد في دعابة ولا مزح ولا لهو، فيُلقي الله تعالى هيبته في قلوب الخلق ويكسوه الوقار، ويكون مثاله في البشر كمثال النسر في الطير تخافه الطير وتنجمع عن الانبعاث، فكذلك يهاب العالم التقي فلا يستطيع أحد أن ينبعث في لهو أو لعب أو رخصة في حضرته، وهذا في زماننا قليل.

روى الإمام أحمد، والطبراني في «الكبير» بإسناد حسن، عن عبدالله بن بسر رضي الله تعالى عنه قال: لقد سمعت حديثاً منذ زمان، إذا كنت في قومٍ عشرين رجلاً أو أقل أو أكثر، فتصفحت وجوههم فلم ترَ فيهم رجلاً يُهاب في الله تعالى، فاعلم أن الأمر قد رقَّ[2].

وما أحسن قول بعضهم في الإمام مالك بن أنس رضي الله تعالى

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) تقدم تخريجه.

عنه: [من الكامل]

يَـأْتِي الْجَـوابَ فَمـا يُراجِـعُ هَيْبَـةً
وَالـسَّائِلُونَ نَـواكسُ الأَذْقـانِ

أدبُ الوقـارِ وَعِـزُّ سُـلْطانِ التُّقَـى
فَهْـوَ الْمُطـاعُ وَلَـيْسَ ذا سُـلْطانِ

ومن لطائف الشيخ يحيى الخباز: [من المتقارب]

وَقـالُوا: امْتَـدِحْ رُؤَسـاءَ الزَّمـانِ
فَقُلْـتُ: نِظـامِي عِنـدِي أجَـلّ

مَـدَحْتُ النُّسورَ مُلـوكَ الطُّيـورِ
فَأَرْضَـى امْتِـداحَ فِـراخِ الْحَجَـلْ

* تَنْبِيهٌ:

إنَّما كان العالم التقي موقَّراً لأنَّه موقِّرٌ لله تعالى، وكان جزاؤه من جنس عمله، والتوقير التعظيم.

وقد قال الله تعالى حكايةً عن نوح عليه السلام معاتباً لقومه: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ [نوح: ١٣]؛ أي: لا تخافون لله عظمةً؛ كما في «الصِّحاح» عن الأخفش[١].

---

(١) انظر: «الصحاح» للجوهري (٢/ ٨٤٩) (مادة: وقر).

والرجاء يكون بمعنى الخوف ضِدٌّ.

وفي معناه قول ابن عبَّاس رضي الله تعالى عنهما في الآية: لا تخشون له عظمة[1].

ومن أوصاف النسر أنه أشد الطير طيراناً وأقواها جناحاً حتى قيل: إنه ليطير ما بين المشرق والمغرب في يوم واحد[2]، فينبغي التشبه به في ذلك بأمرين:

**الأول**: أن يكون الإنسان قوي الهمة، بعيدها في تحصيل المعالي والكمالات فلا يستبعد شيئاً أن يحصل له، ولا يستصغر نفسه عن طلب شيء من الفضائل الممكن تحصيلها؛ فإنه إن لم يحصل على ذلك حصل على ثوابه بدليل الحديث الصَّحيح: «إِذَا هَمَّ الْعَبْدُ بِحَسَنَةٍ تُكْتَبْ لَهُ حَسَنَةٌ وَاحِدَةٌ، فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ لَهُ عَشْرَاً»[3].

وقال بعضهم: [من مجزوء الرجز]

جَمِيعُ مَا قَدْ خَلَقَ اللـ ـهُ وَمَا لَمْ يَخْلُقِ

(١) رواه الطبري في «التفسير» (٢٩/ ٩٥).

(٢) انظر: «حياة الحيوان الكبرى» للدميري (٢/ ٤٧٤).

(٣) رواه البخاري (٦١٢٦)، ومسلم (١٣١) ولفظهما: «إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ، ثُمَّ بَيَّنَ ذلك، فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فلم يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا الله عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، وَإِنْ هَمَّ بها فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا الله ﷻ عِنْدَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ إلى سبعمئة ضِعْفٍ إلى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ، وَإِنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فلم يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا الله عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، وَإِنْ هَمَّ بها فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا الله سَيِّئَةً وَاحِدَةً».

مُحْتَقَـــرٌ فِـــي هِمَّتِـــي        كَـــشَعْرَةٍ فِـــي مفرقِـــي

رُوِيَ أن الشبلي كان يتمثل به.

والمعنى: إن كل ما خلق الله تعالى من تمتعات الدنيا والآخرة محتقر في همتي، فلا أطلبه دون الله تعالى.

ورُوِيَ أن عمر بن عبد العزيز كان يقول: قيمة كل عالم همته[1]، فقال الشيخ أبو عبدالله القرشي: فمن كانت همته الدُّنيا فقيمته أقل من جناح بعوضة، ومن كانت همته الله ففضله وشرفه ماله قيمة.

وسُئِلَ الشبلي رحمه الله تعالى: هل يقنع المحب بشيء من حبيبه دون مشاهدته؟ فأنشد: [من السريع]

وَاللهِ لَـــوْ أَنَّـــكَ تَـــوَّجْتَنِي        بِتَـاجِ كِسْرى مَلِـكِ الْمَـشْرِقِ

وَلَوْ بِأَمْوالِ الـوَرى جُـدْتَ لِـي        أَمْـوالِ مَـنْ بـادَ وَمَـنْ قَـدْ بَقِـي

وَقُلْـتَ لِـي: لا نَلْتَقِـي سـاعَةً        لاخْتَرْتُ يا مَوْلايَ أَنْ نَلْتَقِـي[2]

**الأمر الثاني**: أن يكون العبد راجعاً إلى الله تعالى رجوع النسر إلى وكره، مسرعاً إلى طاعة الله تعالى كإسراع النسر إلى هواه.

روى الإمام عبدالله بن المبارك في «الزهد» عن معمر، عن رجل من قريش قال: قال موسى عليه السلام: يا رب! أخبرني عن أهلك

---

(١) رواه السلمي في «طبقات الصوفية» (ص: ٢٤٥) من قول إبراهيم القصار.

(٢) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٦٦/ ٦٥).

الذين هم أهلك.

قال: هم المتحابون في، الذين يعمرون مساجدي، ويستغفروني بالأسحار، الذين إذا ذُكِرت ذكروا بي، وإذا ذُكِروا ذكرت بهم، هم الذين يثوبون إلى طاعتي كما تثوب السنور إلى ركودها، الذين اذا استحلت محارمي غضبوا كما يغضب النمر إذا حرِب[1].

وروى الطَّبراني في «الأوسط» عن عائشة رضي الله تعالى عنها، عن النَّبيِّ ﷺ قال: «إِنَّ مُوْسَى عَلَيْهِ السَّلامُ قَالَ: يَا رَبِّ! أَخْبِرْنِي بِأَكْرَمِ خَلْقِكَ عَلَيْكَ.

قَالَ: الَّذِيْ يُسَارِعُ إِلَىْ هَوَايَ إِسْرَاعَ النَّسْرِ إِلَىْ هَوَاهُ، وَالَّذِيْ يَأْلَفُ عِبَادِيَ الصَّالِحِيْنَ كَمَا يَأْلَفُ الظَّبِيُّ النَّاسَ، وَالَّذِيْ يَغْضَبُ إِذَا انْتُهِكَتْ مَحَارِمِيْ كَغَضَبِ النَّمْرِ لِنَفْسِهِ، فَإِنَّ النَّمْرَ لا يُبَالِيْ إِذَا غَضِبَ أَقَلَّ النَّاسُ أَمْ كَثُرُوا»[2].

وقد اشتمَل هذا الحديث على أمرين آخرين يرشد إلى التشبه ببعض الحيوانات فيهما:

**فالأول**: التشبه بالظبي في ألفة الصَّالحين إذا تآلف بالنَّاس ألفهم، وإن كان في أول أمره نفوراً حتَّى لا يقدر بعد ذلك على الوحشة.

وفي المثل: آلف من الظبي بالحرم، وآلف من حمام مكة؛

---

(١) رواه ابن المبارك في «الزهد» (١/ ٧١).

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٢/ ٢٣٤).

أوردها الزمخشري[1].

وفي الحديث: «الْمُؤْمِنُ يَأْلَفُ وَيُؤْلَفُ، وَلا خَيْرَ فِيْمَنْ لا يَأْلَفُ وَلا يُؤْلَفُ، وَخَيْرُ النَّاسِ أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ». رواه الدارقطني في «الأفراد»، والضياء المقدسي في «المختارة» عن جابر رضي الله عنه[2].

الأمر الثاني: التشبه بالنمر في الغضب، إلا أن غضب العبد يكون لله تعالى، وغضب النمر لنفسه، وشدة الغضب لله تعالى ممدوحة بحيث لا تأخذك في الله لومة لائم، ولا تبالي أَقَلَّ الناس أم كثروا.

وكان النبي ﷺ لا يغضب لنفسه أو كان لا يغضب إلا لله، فإذا غضب لا يقوم لغضبه شيء[3].

وكان عمر رضي الله عنه كما هو موصوف في التوراة قرناً من حديد، لا تأخذه في الله لومة لائم[4].

وكذلك يرشد إلى التشبه بالنمر بالجد والاجتهاد خصوصاً في أمور الآخرة؛ فإن العرب تقول في المثل: جد واتزر والبس جلد النمر، يُضرب في الأمر بالجد والاجتهاد والجَلَد في تحصيل المراد[5].

---

(١) انظر: «المستقصى في أمثال العرب» للزمخشري (١/ ٩).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) انظر: «الشمائل المحمدية» للترمذي (ص: ١٨٥).

(٤) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٢٠).

(٥) انظر: «مجمع الأمثال» للميداني (ص: ٣٦٢).

**ـ ومن أوصاف النسر: الحنين إلى الوطن، والحزن على فراق الإلف؛ فإنه أشد الطير حزناً على فراق إلفه إذا فارق أحدهما مات حزناً.**

وروى الإمام عبدالله بن المبارك في «الزُّهد والرقائق» عن معمر، عن رجل من قريش قال: قال موسى عليه السَّلام: يا رب! أخبرني عن أهلك الذين هم أهلك.

قال: المتحابون فيَّ، الذين يعمرون ويستغفروني، الذين إذا ذكرت ذكروا بي، وإذا ذكروا ذكرت بهم، الذين يُنيبون إلى طاعتي كما تُنيب النسور إلى وكورها... الحديث، وتقدم سابقاً.

يثوبون ـ بالمثلثة، والواو ـ من: ثاب يثوب: إذا رجع بعد ذهابه، وثاب النَّاس: اجتمعوا وجاؤوا.

وأما يُنيبون في هذه الرواية: بالنون والياء: من الإنابة، وهي الإقبال على الله والتوبة.

وروى البيهقي في «الشعب» عن عبد الرحمن الهندي قال: سمعت الجنيد ﷺ يقول: حق الشكر أن لا يعصى الله بنعمته فيما أنعم، ومَنْ كان لسانه رطباً بذكر الله تعالى دخل الجنة وهو يضحك، قال: وقال: إن لله عباداً يأوون إلى ذكر الله تعالى كما يأوي النسر إلى وكره[1].

---

(١) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٦٠٤٥).

ـ **ومن أوصاف النسر: أنه أطول الطير عمراً** حتى قيل: إنه يبقى ألف سنة، ولذلك اختار لقمان ابن عاد حين سأل طول العمر وخير، فطلب أعمار سبعة أنسر كما تقدم.

وقالوا في المثل: أعمر من نسر[1].

ومع ذلك فإنه يقول في صياحه: ابن آدم! عش ما شئت فإن الموت مُلاقيك؛ كما رواه الثعلبي عن الحسن بن علي رضي الله تعالى عنهما[2].

فينبغي للإنسان أن يتشبه بالنسر خصوصاً إذا كان معمَّراً في أنه لا يغتر بإنسائه في الأجل وطول عمره، ولا يطول أمله، بل يعلم أنه ميت آخراً ومُجازى على أعماله، وليعلم أن طول العمر نعمة، فلا ينبغي أن يصرف في غير الشكر وهو الطاعة.

وقد روى أبو داود الطيالسي عن جابر رضي الله تعالى عنه: أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ رُوْحَ الْقُدُسِ نَفَثَ فِيْ رُوْعِيْ، أَحْبِبْ مَنْ شِئْتَ فَإِنَّكَ مُفَارِقُهُ، وَعِشْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مَيِّتٌ، وَاعْمَلْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مُجَازَى»[3].

---

(١) انظر: «جمهرة الأمثال» للعسكري (٢/ ٧٥).

(٢) انظر: «حياة الحيوان الكبرى» للدميري (٢/ ٤٧٤).

(٣) رواه الطيالسي في «المسند» (١٧٥٥)، وكذا البيهقي في «شعب الإيمان» (٧/ ٣٤٨).

وتقدم في الحديث: «خَيْرُ النَّاسِ مَنْ طَالَ عُمُرُهُ وَحَسُنَ عَمَلُهُ، وَشَرُّ النَّاسِ مَنْ طَالَ عُمُرُهُ وَسَاءَ عَمَلُهُ»(١).

وروى الإمام أحمد عن طلحة بن عبيدالله رضي الله تعالى عنه: أن النبي ﷺ قال: «لَيْسَ أَحَدٌ أَفْضَلَ عِنْدَ اللهِ ﷻ مِنْ مُؤْمِنٍ يُعَمَّرُ فِي الإِسْلامِ لِتَكْبِيْرِهِ وَتَحْمِيْدِهِ وَتَسْبِيْحِهِ وَتَهْلِيْلِهِ»(٢).

**ـ ومن ذلك البازي:**

قال في «حياة الحيوان»: يُضرب به المثل في نهاية الشرف، كما قال الشاعر: [من الوافر]

إِذا مـا اعْتَـزَّ ذُو عِلْـمٍ بِعِلْـمٍ ... فَعِلْـمُ الفِقْـهِ أَشْـرَفُها اعْتِـزازا
وَكَمْ طِيـبٍ يَفُـوحُ وَلا كَمِـسْكٍ ... وَكَـمْ طَيْـرٍ يَطِيـرُ وَلا كَبـازا(٣)

وذكر الشَّيخ أبو إسحاق الشيرازي في «طبقاته»: أن أبا العباس ابن سريج رحمه الله تعالى كان يُقال له: الباز الأشهب(٤).

ونقل الحافظ الذهبي، وغيره عن الشيخ داود بن يحيى بن داود الجريري ـ وكان صدوقاً ـ قال: كان الشيخ أحمد بن الرفاعي

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١/ ١٦٣)، وكذا النسائي في «السنن الكبرى» (١٠٦٧٤).

(٣) انظر: «حياة الحيوان الكبرى» للدميري (١/ ١٥٨).

(٤) انظر: «طبقات الفقهاء» للشيرازي (ص: ١١٨).

رحمه الله تعالى قد دار النخل الذي له وعين واحدة منها، وقال لأصحابه: إذا استوت هذه أهديناها إلى الشيخ أرسلان، فمرَّ بها بعد مدة فوجد أكثر ما عليها قد ذهب، فسألهم فقالوا: لم يطلع إليها أحد، ولكن في كل يوم يجيء باز أشهب يأكل منها ولا يقرب غيرها، ثم يطير.

فقال لهم: الباز الأشهب هو الشيخ أرسلان، فلذلك يُقال له: الباز الأشهب[1].

قلت: وهذا تشكل الأبدال وتبدلها في صور مختلفة[2].

وذكر الشيخ عبدالله اليافعي في «كفاية المعتقد» أبياتاً للشيخ عبد القادر الكيلاني رحمه الله تعالى سمَّى نفسه فيها الباز الأشهب، ووصف نفسه فيها بأنه بلبل الأفراح، وهي هذه الأبيات: [من الكامل]

مـــا فِــي الْمَناهِـــلِ مَنْهـــلٌ مُـــسْتَعْذَبُ

إلاَّ وَلِـــي فِيـــهِ الأَلَـــذُّ الأَطْيَـــبُ

أَوْ فِـــي الوِصـــالِ مَكانـــةٌ مَخْـــصُوصَةٌ

إلاَّ وَمَنْزِلَتِـــــي أَعَـــــزُّ وَأَقْـــــرَبُ

---

(١) انظر: «تاريخ الإسلام» للذهبي (٣٨/ ٣٤٦).

(٢) تقدم التعليق على مثل هذا الاعتقاد في مبحث: التشبه بالملائكة، فلينظر.

وَهَبَتْ لِيَ الأَيَّامُ رَوْنَقَ صَفْوِها

فَحَلَتْ مَناهِلُها وَطابَ الْمَشْرَبُ

وَغَدَوْتُ مَخْطُوباً لِكُلِّ كَرِيْمَةٍ

لا يَهْتَدِي فِيها اللَّبِيبُ وَيَخْطِبُ

أَنا مِنْ رِجالٍ لا يَخافُ جَلِيسُهُمْ

رَيْبَ الزَّمانِ، وَلا يَرى ما يَرْهَبُ

قَوْمٌ لَهُمْ فِي كُلِّ مَجْدٍ رُتْبَةٌ

عُلْوِيَّةٌ، وَلِكُلِّ جَيْشٍ مَوْكِبُ

أَنا بُلْبُلُ الأَفْراحِ أَمْلأُ دَوْحَها

طَرباً، وَفِي العَلْياءِ بازٌ أَشْهَبُ

أَضْحَتْ جُيوشُ الْحُبِّ تَحْتَ مَشِيئَتِي

طَوْعاً، وَمَهْما رُمْتُهُ لا يَعْزُبُ

أَصْبَحْتُ لا أَمَلاً وَلا أُمْنِيَّةً

أَرْجُو وَلا مَوْعُودَةً أَتَرَقَّبُ

ما زِلْتُ أَرْتَعُ فِي مَيادِينِ الرِّضا

حَتَّى وُهِبْتُ مَكانَةً لا تُوْهَبُ

أَضْحَى الزَّمانُ كَحُلَّةٍ مَرْقُومَةٍ
تَزْهُو، وَنَحْنُ لَها الطِّرازُ الْمُذْهَبُ
أَفَلَتْ شُموسُ الأَوَّلِينَ وَشَمْسُنا
أَبداً عَلى فَلَكِ العُلى لا تَغْرُبُ[1]

قال: ولمَّا أَنشد الشيخ عبد القادر هذه الأبيات أجابه الشيخ أبو المظفر الواعظ المعروف بجرادة رحمه الله تعالى منشداً: [من البسيط]

بِكَ الشُّهورُ تُهَنَّى وَالْمَواقِيتُ
يا مَنْ بِأَلْفاظِهِ تَغْلُو اليَواقِيتُ
البازُ أَنْتَ فَإِنْ تَفْخَرْ فَلا عَجَبٌ
وَسائِرُ النَّاسِ فِي عَيْنِي فَواخِيتُ
أَشَمُّ مِنْ قَدَمَيْكَ الصِّدْقَ مُجْتَهِداً
لأَنَّهُ قَدمٌ فِي نَعْلِهِ الصِّيتُ

وقال في «حياة الحيوان»: قال الشيخ الزاهد أبو العباس القسطلاني: سمعت الشيخ أبا شجاع زاهر بن رستم الأصبهاني إمام مقام إبراهيم بمكة المشرفة يقول: سمعت الشيخ أحمد خادم الشيخ حمَّاد يقول: دخل الشيخ عبد القادر على الشَّيخ حماد الدباس يزوره، فنظر إليه الشيخ وكان قد رأى أنه اصطاد بازياً، فأثَّرت نظرة الشيخ فيه،

---

(١) وانظر: «مرآة الجنان» لليافعي (٣/ ٣٥٠).

فخرج من عنده وتجرد عن أسبابه وكان من أكابر أصحابه قال: ولهذا كان الشيخ عبد القادر رحمه الله تعالى يقول: [من الكامل]

أَنَــا بُلْبُــلُ الأَفْــراحِ أَمْــلأُ دَوْحَهــا
طَربــاً، وَفِــي العَلْيــاءِ بــازٌ أَشْــهَبُ(١)

وفي معنى كلام أبي المظفر المذكور آنفاً ما روي أن بكر بن سوادة قال في خالد بن صفوان: [من الطويل]

عَلِــيمٌ بِتَنْزِيــلِ الكِتــابِ مُلَقَّــنٌ
ذَكُــورٌ بِمــا أَسْــداهُ أَوَّلَ أَوَّلا

يُــرَى خُطَبــاءُ النَّــاسِ يَــومَ ارْتِجالِــهِ
كَــأَنَّهُمُ الكِــرْوانُ عــايَنَ أَجْــدَلا(٢)

الكروان ـ بكسر الكاف، وإسكان الراء ـ: جمع كَرَوان ـ بفتحهما ـ على غير قياس، وهو طائر شبيه بالبط لا ينام الليل؛ سمي بضده من الكَرَى؛ يُضرب به المثل في الجبن لأنه إذا قيل له: [من مجزوء الرجز]

أَطْــرِقْ كَــرا، أَطْــرِقْ كَــرا
إِنَّ النَّعــامَ فِــي القُــرى

(١) انظر: «حياة الحيوان الكبرى» للدميري (١/ ١٥٩).

(٢) انظر: «البيان والتبيين» للجاحظ (١/ ١٧٩).

التصق بالأرض، فيُلقى عليه ثوب فيُصاد[1].

**والأجدل من أسماء الصقر**، ويُقال له: الأجذل، وهي صفة غالبة.

وفي المثل: بيض القطا يحضنه الأجدل؛ يُضرب للشريف يأوي إليه الوضيع فيتقوى به ويشرف، فيكون مدحاً[2].

والتشبه بالأجدل في ذلك بأن يربأ الإنسان إلى معالي الأمور والأخلاق، وإذا انضم إليه دنيء حقير عظم به وحمى ذِمامه، وتعلم من أخلاقه، وزكَت نفسه به، ويحمد لذلك الحقير انضمامه إليه تحصيلاً لكمال نفسه كما قيل: [من الطويل]

عَلَيْكَ بِأَرْبابِ الصُّدُورِ فَإِنَّ مَنْ
يُضافُ لأَرْبابِ الصُّدُورِ تَصَدَّرا

فَرَفْعُ أَبُو مِنْ ثَمَّ جَرٌّ مُؤثِّل
يُبَيِّنُ قَوْلِي مُغْرِياً وَمُحَذِّرا

أو يُضرب للشريف إذا ضم إليه الوضيع ليكون وصلة له إلى تحصيل الدنيا ومجاوزة الحدود، فيكون ذمّاً، فلا ينبغي التشبه بالأجدل في ذلك، وقد قيل: [من الطويل]

---

(١) انظر: «المستقصى في أمثال العرب» للزمخشري (١/ ٤٥).

(٢) انظر: «حياة الحيوان الكبرى» للدميري (١/ ٢٦٧).

وَمَــنْ رَبَــطَ الكَلْــبَ العَقُــورَ بِبابــهِ

فَــإِنَّ بَــلاءَ النَّــاسِ مِــنْ رابِــطِ الكَلْــبِ[1]

وقريبٌ من هذا المثل قولهم في المثل الآخر: إنَّ البغاث بأرضنا تستنسر؛ أي: من جاورنا عزَّ بنا[2].

والبغاث ـ مثلث الأول، وغينه معجمة، وثاؤه مثلثة ـ: طائر أغبر، جمعه: بغثان كغزلان، أو هو شرار الطير.

وقال الزمخشري: يستنسر؛ أي: يصير نسراً، فلا يقدر على صيده؛ يُضرب في قوم أعزاء، يتصل بهم الذليل فَيُعَز بجوارهم، انتهى[3].

فإن كان حين عزَّ بجوارهم استطال على الناس بالأذى، فالمثل ذم.

وإن كان حين عزَّ بهم صفا عيشه، وأطاع ربه وسلم بانضيافه إليهم من يحاول امتهانه واستذلاله، فالمثل مدح.

وفي المثل معنى آخر: أنَّ الضعيف يتقوى علينا؛ إما لضعفنا ولين جانبنا، وقلة استنصارنا وأنصارنا، وإما لعدم رواج الخير الذي منا عنده وعدم اكتراثه بنا.

---

(١) انظر: «سراج الملوك» للطرطوشي (ص: ١١٧).

(٢) انظر: «العقد الفريد» لابن عبد ربه (٣/ ٣٤).

(٣) انظر: «المستقصى في أمثال العرب» للزمخشري (١/ ٤٠٢).

ولنا في وصف الزمان: [من المتقارب]

أَرى عَصْرَنا الزَّمِنَ الأَغْبَرا وَكُلَّ بُغاثٍ بِهِ اسْتَنْسَرا

فَكَمْ مِنْ كَرِيْمٍ يَمَلُّ الْحَياةَ لِكُلِّ لَئِيمٍ قَدِ اسْتَقْدَرا

حَلا فِي ذَوِيهِ الْمَرِيرُ الكَرِيهُ وَطابَ الَّذِي كانَ مُسْتَقْذَرا

وَما فِيهِ لِلْحَقِّ مِنْ ناصِرٍ وَلَوْ كُنْتَ لِلْحَقِّ مُسْتَنْصِرا

فَكُنْ بِاعْتِزالِكَ مُسْتَأْثِراً وَفِي طاعَةِ اللهِ مُسْتَبْصِرا

ـ ومن أوصاف البازي: أنه لا يقنع في الصيد بالأمور الجزئية، بل همته ترتفع عن صيد نحو جرادة أو ذبابة.

وقد قيل كما تقدم: [من الوافر]

وَلِلزُّنْبُورِ وَالبازِيِّ جَمِيعاً لَدى الطَّيَرانِ أَجْنِحَةٌ وَخَفْقُ

وَلَكِنْ بَيْنَ ما يَصْطادُ بازٌ وَما يَصْطادُهُ الزُّنْبُورُ فَرْقُ

وكذلك ينبغي للإنسان أن يربأ بهمته عن سفساف الدنيا ودنيء ما فيها، وكل ما فيها دنيء عند العارفين لأنها لا تساوي عند الله جناح بعوضة، فما كان رفيع الهمة بدون دار القرار داراً، وبدون الجنة عقاراً.

وقد قدمنا في صدر الكتاب: أن رجلاً قال لبعض الحكماء: فلان بعيد الهمة.

قال: إذاً لا يرضى بمنزلة دون الجنة.

ولامرىء القيس: [من الطويل]

وَلَوْ أَنَّ ما أَسْعَى لأَدْنَـى مَعِيـشَةٍ كَفاني، وَلَمْ أَطْلُبْ قَلِيلاً مِنَ الْمالِ
وَلَكِنَّمـا أَسْـعَى لِمَجْـدٍ مُؤَثَّـلٍ وَقَدْ يُدْرِكُ الْمَجْدَ الْمُؤَثلَ أَمْثالِي[1]

* لَطِيفَةٌ:

لا ينبغي للإنسان إذا كان تام القوة وافر الهمة أن يضيع أيامه، والقوة ناهضة والهمة مكينة، ممكنة في غير طاعة الله تعالى، بل يغتنم الفرص قبل وقوع الغصص بضعف الهمة وفتور القوة، ويكون كما قال الشاعر: [من الطويل]

وَكُنْتُ كَبازِ السَّوْءِ قُصَّ جَناحُـهُ يَرى حَسَراتٍ كُلَّمـا طـارَ طـائِرُ
يَرى طائِراتِ الْجَوِّ يَخْفِقْنَ حَوْلَهُ فَيَذْكُرُ إِذْ رِيشُ الْجَناحَيْنِ وافِرُ[2]

* لَطِيفَةٌ أُخْرى:

قالوا في المثل: وهل ينهض البازي بغير جناح؟

يُضرب لمن قلَّ أنصاره، ولمن يدعي علماً ليس معه آلته؛ قاله الزمخشري[3].

والاعتبار فيه أن الإنسان ـ وإن كان قوي الجاه وافر القوة ـ لا يستغني عن العشيرة، فلا ينبغي له أن يغفل عن أمر أقاربه، ولا يعرض

---

(١) انظر: «العقد الفريد» لابن عبد ربه (٢/ ٣١٧).

(٢) انظر: «أدب الدنيا والدين» للماوردي (ص: ٢٤٢).

(٣) انظر: «المستقصى في أمثال العرب» للزمخشري (٢/ ٣٩٢).

عن إصلاح شأنهم، ولا يرفض أصحابه ويترك تعهد عشائره، فربما احتاج إلى صديقه وقريبه وعشيرته يوماً ما، وكذلك لا ينبغي أن يتجاوز في دعواه مقدوره من علم أو غيره.

وأصل المثل من قول مسكين الدارمي: [من الطويل]

وَمــا طالِــبُ الْحاجــاتِ إلاَّ مُخــاطِرٌ
وَمــا نــالَ شَــيْئاً طالِــبٌ كَنَجــاحِ

أَخــاكَ أَخــاكَ إِنَّ مَــنْ لا أخــا لَــهُ
كَــساعٍ إِلَــى الْهَيْجــا بِغَيْــرِ سِــلاحِ

وَإِنَّ ابْــنَ عَــمِّ الْمَــرْءِ فَــاعْلَمْ جَناحُــهُ
وَهَــلْ يَــنْهَضُ البــازِيْ بِغَيْــرِ جَنــاحِ[1]

وروى ابن أبي الدنيا في كتاب «الإخوان»، والعسكري في «الأمثال» عن سهل بن سعد رضي الله تعالى عنهما، والديلمي، والقضاعي عن أنس رضي الله تعالى عنه: أن النبي ﷺ قال: «الْمَرْءُ كَثِيْرٌ بِأَخِيْهِ»[2].

---

(١) انظر: «الأغاني» للأصبهاني (٢٠/ ٢٢٣).

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في «الإخوان» (ص: ٧١) عن سهل بن سعد رضي الله عنه.
والديلمي في «مسند الفردوس» (٦٦٢٥)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (١٨٦) عن أنس رضي الله عنه. قال ابن طاهر المقدسي في «ذخيرة الحفاظ» (٤/ ٢٤٥٨): رواه النخعي سليمان بن عمرو، وهو كذاب.

ـ ومن ذلك **الباشق** ـ بكسر المعجمة، وفتحها ـ معرب باشه، وهو نوع من الصقر، والواشق لغةٌ فيه، وهو يأنس تارةً وينفر أخرى.

وذكر في «القاموس»: أنه يعجز عن الطيران في المطر[1].

والاعتبار في ذلك أن يكون الإنسان مستأنساً بالخير منقاداً له، نافراً عن الشر مستوحشاً منه.

وقد قال بعض الحكماء: إن خيراً من الخير الراغبُ فيه، وشراً من الشر الطالب له.

وأن يسكن في محل يحمد فيه السكون كالنمل، وأوقات شدة الحر وشدة البرد، وهيجان الريح، واسترسال الأمطار والثلوج المؤذية؛ فإن الله تعالى جعل لنا الليل سكناً وخلفة لنسكن فيه، وامتنَّ علينا بالمساكن والبيوت والدِّثار والشِّعار، فلا ينبغي تعطيل هذه الحكمة ورد هذه النعمة.

ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلْأَنْعَٰمِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ ۙ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَآ أَثَٰثًا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٨٠﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ﴾ [النحل: ٨٠ ـ ٨١].

---

(١) انظر: «القاموس المحيط» للفيروز آبادي (ص: ١١٢١) (مادة: بشق).

ولا يرد على ذلك ما جاءت به السنة من استحباب البروز لأول المطر؛ فإن ذلك يكون ساعة لطيفة من الزمان مرة واحدة للتبرك بأول الغيث، فأما البروز للأمطار الدائمة لغير ضرورة فإنَّ فيه تعرُّضاً لإتلاف المال والنفس.

قال تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾[البقرة: ١٩٥].

- **ومن ذلك الصقر**: وهو كل ما يصطاد به من الجوارح إلا النسر والعقاب؛ قاله النضر بن شميل، وأبو حاتم.

فهو شامل للباز، والباشق، والحر، والشاهين، والفرزان، والبيدق، وهو أصغرها وأضعفها لا يصيد إلا العصافير ونحوها.

وسميت قطع الشطرنج بأسماء الحيوانات المشهورة بالقوة والصيد، وهي: الرخ، والفرزان، والبيدق، والحيوانات المعتمد عليها في الحرب، وهي: الفيل، والفرس لأن موضوع الشطرنج للتمرين في ذلك.

ولقد أحسن القائل مشيراً إلى خلو الزمان من الأماثل، وتصدر الأصاغر، وارتفاع الأداني: [من مجزوء الكامل المرفّل]

خَلَتِ الرِّقاعُ مِنَ الرِّخا ... خِ وَفَرْزَنَتْ فِيها البَيادِقْ

وَتَسابَقَتْ عُرُجُ الْحَمِيـ ... ـرِ فَقُلْتُ مِنْ عَدَمِ السَّوابِقْ

وقلت: وهو من نظم الصبا: [من السريع]

لا غَرْوَ إِنْ طالَ عَلى ماجِدٍ ... نَذْلٌ دَعِيٌّ ما لَهُ سِنْخُ

كَـمْ بَيْـدَقٍ فَـرْزَنَ فِـي رُقْعَـةٍ فَـصارَ مَقْهُـوراً لَـهُ الـرَّخُّ

ومن أوصاف الصقر: أنه إذا انبعث لا يكاد يرجع إلا بصيد، ولذلك قالوا: أنجز من صقر من النجاز، وربما قالوا: أبخر[1]؛ ولعله تصحيف.

وقيل: إن الصقر كالأسد أبخر.

وقالوا: صقرٌ يلوذ حَمَامُه بالعوسَج؛ يُضرب بهذا المثل لمن تهابه الرجال.

ولذلك قالت هند بنت أثاثة في كلامها المتقدم:

حمـزة ليثـي وعـلي صقـري

وحُكِيَ عن عثمان بن مرة، عن أبيه قال: سمعت الجن تنوح عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه فوق مسجد رسول الله ﷺ ثلاث ليالٍ، فكان مما قالوه: [من مجزوء الكامل المرفّل]

لَيلَـةَ الحَـصْبَةِ إِذْ يَرْمُـونَ بِالـصَّخْرِ الـصِّلابِ

ثُـمَّ جـاؤُوا بُكْـرَةً ـغونَ صَـقْراً كَالـشِّهابِ

زيـنَهمْ فِـي الْحَـيِّ وَالْـ ـمَجْلِسِ فَكَّـاكَ الرِّقـابِ[2]

وروى الخطابي في «الغريب» عن عروة بن الزبير، عن أبيه رضي الله عنه:

(١) انظر: «المستقصى في أمثال العرب» للزمخشري (١/ ١٠).

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في «الهواتف» (ص: ٨٧).

أنه قاتل غلاماً ـ يعني: وهو غلام ـ فكسر الزبير يديه وضربه ضرباً شديداً، فمرَّ به على صفية وهو يُحمل فقالت: وما شأنه؟

فقالوا: قاتل الزبير، فأشعره ـ أي: أدماه ـ فقالت: [من مجزوء الرجز]

كَيْـــفَ رأيـــتَ زَبْـــراً

أَأَقِطـــــاً أَمْ تَمـــــراً

أَوْ مُـــشْمَعِلاً صـــقْرا

قال الخطابي: تقول وجدته مما يؤكل كالأقط، والتمر، أم رأيته كالصقر الذي يختطف الصيد[1].

والمشمعل: السريع الماضي.

ومن أنواع الصقر: الحر.

وقال النضر بن شميل، وأبو حاتم، وابن سيده: هو طائر نحو الصقر، أغبر أسفع، قصير الذنب، عظيم المنكبين والرأس، يضرب إلى الخضرة وهو يصيد.

ومن أمثال العوام: الحر إذا وقع لا يتلبط؛ يعنون: لا يضطرب ولا يتحرك.

أرادوا أن الحر إذا وقع في شبكة القانص رسب وصبر، والمراد

---

(١) انظر: «غريب الحديث» للخطابي (٢/ ٢٠٩).

به الصقر، أو فرخ الحمام، أو ولد الظبية.

والاعتبار في ذلك أن الرجل الكامل، أو العارف إذا نزل به أمر لا يستطيع دفعه صبر واستسلم.

أو أرادوا: أن الحر أو الصقر خاصة إذا وقع على الفريسة لزمها وثبت عليها، ولم يبالِ بها إذا اضطربت، ولا بما يكفُّه عنها.

والاعتبار في ذلك أن الرجل إذا أمكنته الفرصة لم يفرط واغتنمها، وهذا من الحزم.

- ومن أنواع الصقر: المَضْرَحي - بفتح الميم، والراء، بينهما ضاد معجمة ساكنة، وبالحاء المهملة -: وهو الصقر الطويل الجناح.

ويقال للسيد الكريم: مضرحي تشبيهاً له بالصقر.

والمضرحي: الأبيض من كل شيء.

وروى الإمام أحمد بسند جيد، عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، عن النبي ﷺ «إِنَّ داود عَلَيْهِ السَّلامُ لَمَّا مَاتَ أَظَلَّتِ الطَّيْرُ جَنَازَتَهُ، وَغَلَبَتْ عَلَيْه المَضْرَحية، أو غَلَبَتْ عَلَىْ التَّظْلِيْلِ عَلَيْه»[1].

ويحصل الشبه بها في شهود جنائز الصالحين، والمزاحمة على الخير والمسابقة إليه.

- ومن أنواع الصقر: الشاهين، وهو معرب، ولا يكاد يُضرب به

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢/ ٤٩١).

المثل فيما يمدح، بل يُضرب به المثل كثيراً في اقتناص الأموال.

ولعبدالله بن المبارك رحمه الله تعالى؛ أنشده ابن خلكان، وغيره يخاطب من وَلِيَ من أصحابه: [من البسيط]

قَدْ يَفْتَحُ الْمَرْءُ حانُوتاً لِمَتْجَرِه ... وَقَدْ فَتَحْتَ لَكَ الْحانُوتَ بِالدِّينِ

بَيْنَ الأَساطينِ حانوتاً بِلا غَلَقٍ ... تَبْتاعُ بِالدِّينِ أَمْوالَ الْمَساكِينِ

صَيَّرْتَ دِينَكَ شاهِيناً تَصِيدُ بِهِ ... وَلَيْسَ يُفْلِحُ أَصْحابُ الشَّواهِينِ[1]

وقلت: [من المنسرح]

اعْجَبْ لِهَذا الزَّمانِ وَالْحِينِ ... أَكْثَرُ أَهْلِيهِ كَالشَّواهِينِ

قَدِ اسْتَحَلُّوا الْحَرامَ وَاعْتَمَدُوا ... فِيهِ عَلى أَضْعَفِ البَراهِينِ

أَكْثَرُ مَنْ يَدَّعِي العُلُومَ عَلى الإِ ... كْثارِ مِنْ صُحْبَةِ السَّلاطِينِ

لِيَكْسِبوا الْجاهَ بِالْمُلوكِ عَلى اقْـ ... ـتِناصِ ما كانَ لِلْمَساكِينِ

كَمْ مُؤْمِنٍ فِيهِ خافَ كَما ... تَخافُ شاةٌ سَطا السَّراحِينِ

فَالعاقِلُ الْمُنْزَوِي بِناحِيَةٍ ... عَنْهُمْ فِراراً بِالعِرْضِ وَالدِّينِ

وَإِنْ تَكُنْ مُبْتَلَى بِصُحْبَتِهِمْ ... فَاصْبِرْ قَنوعاً بِالعِيشَةِ الدُّونِ

- ومن أنواع الصقر: اليؤيؤ - بياء تحتانية مضمومة، وهمزة مكررتين - وجمعه: يآيىء - بتقديم الياء - وجاء تأخيرهما في الشعر؛ أنشد الجوهري: [من الرجز]

---

(١) انظر: «وفيات الأعيان» لابن خلكان (٣/ ٣٣).

حَفِـظَ الْمُهَـيْمِنُ يُؤْيُـؤِيَّ وَرَعـا     مـا فِـي اليـآئِي يُؤْيُـؤ شَـروا[1]

واليأياء ـ كالصلصال ـ صياح اليؤيؤ؛ ذكره في «القاموس».

وهو طائر من الجوارح كالباشق كما في «الصحاح»، و«القاموس»[2].

وقال آخرون: طائر صغير قصير الذنب.

وقد قيل: إنه أشجع من الصقر.

قيل: وأول من صاد به بهرام جور من ملوك الفرس، شاهده يوماً يُطارد قنبرة، ويُراوغها، ويرتفع معها وما تركها حتى صادها، فاتخذه وأدبه وعلمه.

والتشبه به أن لا يزدري الإنسان نفسه، ويقعد عن بلوغ مآربه بهمته وإن كان صغيراً في نفسه، فإن عظم اليؤيؤ بهمته لا بجثته.

ومن هنا تجد الدَّهاء أكثر ما يوجد في صغار الرجال.

ومن كلام بعض الأدباء: إنما الإنسان بجَدِّه لا بقَدِّه.

وقال بعضهم: من جدَّ وجد.

وروى الإمام أحمد في «الزهد» عن قتادة رحمه الله تعالى قال: مكتوب في الحكمة: اتق تُوقه، وابتغ تجد، واشرب لتشبع.

وقال بعض الحكماء: لكل مجتهد نصيب.

---

(١) انظر: «حياة الحيوان الكبرى» للدميري (٢/ ٥٥٧).

(٢) انظر: «القاموس المحيط» للفيروز آبادي (ص: ٧٣) (مادة: يأيأ).

وقلت: [من مجزوء الكامل المرفّل]

| | |
|---|---|
| بِالْجِـــدِّ تَبْلُـــغُ مَـــا يَعِـــزُّ | وَتَنْجَلِـــي عَنْـــكَ الكُـــرُوبُ |
| فَاصْبِـــرْ وَبِـــاللهِ اسْـــتَعِنْ | وَلِكُـــلِّ مُجْتَهِـــدٍ نَـــصِيبُ |
| وَاقْــصِدْ إِلَهَــكَ فِــي الأُمُــو | رِ فَــإِنَّ قَــصْدَكَ لا يَخِيــبُ |

**- ومن ذلك: العُقاب.**

وفي الحديث: «العُقَابُ سَيِّدُ الطَّيْرِ وَالنَّسْرُ عَرِيْفُهَا». أخرجه ابن عدي في «الكامل»[1].

وهو حديد البصر جداً، ولذلك قالوا في المثل: أبصر من عقاب ملاع، بالإضافة إلى ملاع كقطام، وهي الصحراء، وعقابها أبصر من عقاب الجبال؛ إذ لا يَحُول في الصحراء بين بصره وبين ما يبصره شيء.

قال الزمخشري: وبصر العقاب أنها تعرف من سكاك الجو أنثى الأرنب من ذكرها؛ لأن الذكر يلتوي على عنقها فيقتلها[2].

وكذلك يقولون في المثل: أبصر من بازي، وأبصر من نسر.

قال الزمخشري: ليس في الطير أبصر منه؛ تزعم الفرس أنه إذا حلق أبصر الجيفة من مَسافة أربع مئة فرسخ[3].

---

(١) وانظر: «حياة الحيوان الكبرى» للدميري (٢/ ١٧٣).

(٢) انظر: «المستقصى في أمثال العرب» للزمخشري (١/ ٢١).

(٣) انظر: «المستقصى في أمثال العرب» للزمخشري (١/ ٢٢).

وقالوا أيضاً: أبصر من غراب.

قال الزمخشري: يغمض إحدى عينيه اجتزاءً بالواحدة[1].

والعرب تسميه أعور لذلك على طريق القلب، كأن حدَّة بصرها تناهت حتى انقلبت إلى العكس.

وقال الشاعر: [من الطويل]

وَقَدْ ظَلَمُوهُ حِينَ سَمَّوْهُ سَيِّدا ... كَما ظَلَمَ النَّاسُ الغُرابَ بِأَعْوَرا[2]

وقالوا: أبصر من كلب، وأبصر من فرس[3].

وربما قالوا:

أبـــصر مـــن فـــرس ... فـــي ظلمـــاء ليـــل وغَلَـــس

وقالوا: أبصر من فرس بيهماء في غلس.

قال الزمخشري: تزعم الفرس أنه ليس في الدواب أبصر من الفرس؛ فإنه لو أجريَ في الضباب الكثيف، ومُدت في طريقه شعرة لوقف عند انتهائه إليها[4].

والتشبه بهذه المبصرات بأن يكون الإنسان بصيراً بالأمور، حذوراً يُبصر الحق ويتبعه، ولا يقدم على أمر حتى ينظر في عواقبه،

---

(١) انظر: «المستقصى في أمثال العرب» للزمخشري (١/ ٢١).

(٢) انظر: «مجمع الأمثال» للميداني (١/ ١١٥).

(٣) انظر: «مجمع الأمثال» للميداني (١/ ١١٦).

(٤) انظر: «المستقصى في أمثال العرب» للزمخشري (١/ ٢٢).

ولا يمشي قدماً؛ فإنه إنما خلق له البصر ليبصر به.

قال الله تعالى في تقريع الإنسان وتوبيخه: ﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ۝٨ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ۝٩ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾[البلد: ٨ ـ ١٠].

وقال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا﴾[الحج: ٤٦]، أو أبصار ينظرون بها، ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾[الحج: ٤٦].

وقد روى الطبراني، وغيره عن عبدالله بن مسعود ﷺ قال: دخلت على النبي ﷺ قال: «يَا ابْنَ مَسْعُوْد! أَيُّ عُرَىْ الإِيْمَانِ أَوْثَقُ؟».

قلت: الله ورسوله أعلم.

قال: «أَوْثَقُ عُرَىْ الإِيْمَانِ الْوِلايَةُ فِيْ اللهِ وَالحُبُّ فِيْ اللهِ وَالْبُغْضُ فِيْ اللهِ».

ثم قال: «يَا ابْنَ مَسْعُوْد».

قلت: لبيك يا رسول.

قال: «أَتَدْرِيْ أَيُّ النَّاسِ أَفْضَلُ؟».

قلت: الله ورسوله أعلم.

قال: «أَفْضَلُهُمْ عَمَلاً إِذَا فَقُهُوا فِيْ دِيْنِهِمْ».

ثم قال: «يَا ابْنَ مَسْعُوْد».

قلت: لبيك يا رسول الله.

قال: «أَتَدْرِيْ أَيُّ النَّاسِ أَعْلَمُ؟».

قلت: الله ورسوله أعلم.

قال: «إِنْ أَعْلَمَ النَّاسِ أَبْصَرُهُمْ بِالْحَقِّ إِذَا اخْتَلَفَ النَّاسُ، وَإِنْ كَانَ مُقَصِّرَاً فِيْ عَمَلِهِ، وَإِنْ كَانَ يَزْحَفُ عَلَىْ اسْتِهِ زَحْفَاً»، الحديث[1].

وقلت في عقد هذه الجملة الأخيرة منه: [من الخفيف]

أَعْلَمُ النَّاسِ أَبْصَرُ النَّاسِ بِالْحَـ ـقِّ إذا ما رَأَيْتَ فِي النَّاسِ خُلْفا

ذاكَ ما ضَرَّهُ وَلا نالَ مِنْهُ نَقْصُ أَعْمالِهِ وَلَوْ سارَ زَحْفا

ـ ومن أوصاف العقاب: الحزم حتى قالوا: أحزم من عقاب.

وقيل لبشار بن برد: لو خيرت أن تكون حيواناً ما كنت تختار؟

قال: العقاب لأنها تلبث حيث لا يبلغها سبع ولا ذو أربع، وتحيد عنها سباع الطير[2].

وإنما ضربوا المثل بفرخ العقاب في الحلم والحزم، فقالوا: أحزم من فرخ العقاب، وأحلم من فرخ العقاب لأنه يكون وكره في عُرض جبل، والجبل ربما كان عموداً فلو تحرك من مجثمه، أو أقبل عليه أبواه لهوى إلى الحضيض، وهو على صغره يعرف أن الصواب

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٠٣٥٧). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ٩٠): فيه ليث بن أبي سليم، والأكثر على ضعفه.

(٢) انظر: «حياة الحيوان الكبرى» للدميري (٢/ ١٧٤).

في ترك الحركة، فيترك الحركة أخذاً بالحزم[1].

وحقيقة الحزم: ضبط الرجل أمره، والأخذ بالثقة، والتثبت بالتبين.

وفي كتاب الله تعالى: ﴿إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾[الحجرات: ٦].

وقُرِىء: ﴿فتثبتوا﴾.

وفي الحزامة أمانٌ من الندامة.

ومن طباع العقاب ما ذكره الدميري، والسيوطي: أنها إذا صادفت الأرانب تبدأ بالصغار قبل الكبار[2].

والتشبه بها في ذلك بأن يبدأ الإنسان في صيد العلم بصغار العلم قبل كباره، وكذلك إذا عَلَّمَ غيره بدأ في تعليمه بالأسهل فالأسهل، وعلمه الصغار قبل الكبار تدريجاً؛ أي: انتقالاً من درجة إلى أرفع منها.

ومنه تدريج الصبي الصغير على المشي بالدراجة.

واعلم أنه كما يتدرج في الخير من صغيره إلى كبيره، كذلك الشر إذا تابعت صغيره جرَّكَ إلى كبيره.

ألا ترى أن العبد إذا ركب صغيرة من المعاصي، ولم يحسم

---

(١) انظر: «مجمع الأمثال» للميداني (١/ ٢٢١).

(٢) انظر: «حياة الحيوان الكبرى» للدميري (٢/ ١٧٤).

مادتها بالتوبة، بل عاودها، تدرَّب عليها، ثم جرَّته إلى غيرها حتى يرتكب العظائم، وإذا سمع كلمة السوء الصغيرة، فإن أغضى عنها وعفا عنها ذهب شرها، وإن قلبها في فكره وتأثر في نفسه منها، دعته إلى الانتقام من التكلم بها والانتصار، فربما ردَّ عليها بمثلها فسمع أقوى منها.

فأول الحرب الكلام، وأول الحريق الشرر، وأول العشق النظر، وأول الشجرة النواة.

وفي المثل أيضاً: الشر يبدؤه صغاره؛ أي: ينشأ كبيره من صغيره، فاحتمل الصغير لئلا يخرجك إلى الكبير؛ يُضرب في الحلم وكظم الغيظ[1].

وقال مسكين الدارمي: [من مجزوء الكامل المرفّل]

وَلَقَــدْ رَأَيْــتُ الــشَّرَّ بَيْــ ... ـنَ الْحَـيِّ يَبْـدَؤُهُ صِـغارُه

فَلَــوْ انَّهُـــمْ يَأســـونَهُ ... لَتَنَهْنَهَـتْ عَـنْهُمْ كِبـارُهْ[2]

وكذلك لا يحقر الإنسان عدوه لِصغره أو صُغْره، ولا يغتر بكبر نفسه وكبره.

وقد قال القائل: [من البسيط]

---

(١) انظر: «جمهرة الأمثال» للعسكري (١/ ٢٥٨).

(٢) انظر: «المستقصى في أمثال العرب» للزمخشري (١/ ٣٢٦).

لا تَحْقِرَنَّ صَغِيراً فِي مُخاصَـمَةٍ          إِنَّ الذُّبابَـةَ أَدْمَـتْ مُقْلَـةَ الأَسَـدِ

ـ **ومن ذلك الجوارح**: وهي من الطير، والسباع ذوات الصيد، جمع جارحة للذكر والأنثى؛ سميت بذلك لأنها تكتسب من: جرح، واجترح عمل بيده، واكتسب، ومنه سميت أعضاء الإنسان التي يكتسب بها جوارح.

ومنه قوله تعالى: ﴿وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ﴾[الأنعام: ٦٠]؛ أي: اكتسبتم.

والاجتراح والاكتساب نتيجة العقل، وأحق ما يوصف به الإنسان لأنه هو العاقل المدرك بنهيته وهمته طرق الكسب.

وإنما سميت جوارح الطير جوارح: لأنها في الإدراك قريبة من الإنسان الكاسب، ولذلك يُنسب إليها العلم اللازم لقوله تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ﴾[المائدة: ٤].

فلا ينبغي للإنسان أن يكون أعجر من كواسب الطير والسباع في اكتساب ما ينفعه دون ما يضره؛ ألا ترى أن العقاب يصطاد إناث الأرانب دون ذكرانها لأن الذكر يلتوي على عنق العقاب فيقتلها كما تقدم؟

والهر إذا أكل الحية اجتنب موضع السم منها.

والأيل يأكل الحيات أكلاً ذريعاً فلا تضره إلا إذا شرب الماء، فلذلك يجتنب الماء إذا أكلها حتى تنهضم عنه، فإذا عطش حام حول

الماء ولا يشرب منه.

فإذا كان الإنسان يتناول ما يضره مع علمه بمضرته فهو من أحمق الناس، كما قال بعض العارفين: أحمق الناس من يسره ما يضره.

وقال بيان الحمال رحمه الله تعالى: من كان يسره ما يضره كيف يفلح[1].

وقلت مُلماً بذلك من دوبيت:

أَلْفَيْتُكَ مُغْرَمَاً بِجَمْعِ الضرَّةْ ... تَحْتَجُّ بِأَنَّ ذاكَ خَوْفَ الضَّرَّةْ

ما ضَرَّكَ مِنْ دُنْياكَ فَاحْذَرْ ضرَّهُ ... هَلْ يُفْلِحُ مَنْ يَسُرُّهُ ما ضَرَّهْ

الضرة في المصراع الأول هي: المال الكثير، وفي الثاني: الاسم من الاضطرار، وهي بمعنى سوء الحال أيضاً.

وضره في المصراع الثالث: الضر ضد النفع مضافاً إلى الضمير العائد إلى ما، وفي المصراع الرابع: فعل ناصب لهاء الضمير.

وللضَّرة ـ بالفتح ـ معان: القطعة من المال، والإبل، والغنم، والمال تعتمد عليه وهو لغيرك، والضرة للمرأة، وزوجتاك؛ الزوجتان كل واحدة ضرة الأخرى، والدنيا والآخرة ضرتان كما في الخبر.

وقلت أيضاً: [من الرجز]

(١) رواه السلمي في «طبقات الصوفية» (ص: ٢٢٥).

يــا مَــنْ جَمَــعَ الأَمْــوالَ خَــوْفَ الــضَّرَّة

حَتَّــى اجْتَمَعَــتْ مِنْهــا لَــدَيْكَ الــضَّرَّة

مــــا الــــضَّرَّةُ يـــا أُخَـــيَّ إِلاَّ الــــضَّرَّة

لا تَجْتَمِــــعُ الـــدُّنْيا مَعــــاً وَالـــضَّرَّة

وحكى حجة الإسلام في «الإحياء»: أن عيسى عليه السَّلام كان يقول: الدنيا والآخرة ضرتان؛ فإذا أرضيت أحدهما أسخطت الأخرى[1].

وفي معناه ما رواه الإمام أحمد، والبزار، والطبراني، وابن حبان، والحاكم وصححه، عن أبي موسى الأشعري ﷺ: أن النبي ﷺ قال: «مَنْ أَحَبَّ دُنْيَاهُ أَضَرَّ بِآخِرَتِهِ، وَمَنْ أَحَبَّ آخِرَتَهُ أَضَرَّ بِدُنْيَاهُ، فَآثِرُوا مَا يَبْقَى عَلَىٰ مَا يَفْنَىٰ»[2].

فينبغي للعاقل أن ينظر لنفسه في دنياه ويجترح ما يحمد عقباه؛ فإن الله تعالى يقول: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْۗ﴾[البقرة: ٢٨٦].

---

(١) انظر: «إحياء علوم الدين» للغزالي (١/ ٦٠).

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٤/ ٤١٢)، وابن حبان في «صحيحه» (٧٠٩)، والحاكم في «المستدرك» (٧٨٥٣). قال المنذري في «الترغيب والترهيب» (٤/ ٨٤): رواه أحمد ورواته ثقات، والبزار وابن حبان والحاكم والبيهقي في «الزهد» وغيره، كلهم من رواية المطلب بن عبدالله ابن حنطب عن أبي موسى، والمطلب لم يسمع من أبي موسى، والله أعلم.

واعلم أن الدنيا مزرعة الآخرة، فما زرعت فيها حصدته في آخرتك؛ إن خيراً فخير، وإن شراً فشر.

كاسبان لا يستويان؛ كاسب خير، وكاسب شر.

قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾ وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾[الجاثية: ٢١ ـ ٢٢].

ثم الجوارح منها: ما لا يصيد إلا كبيراً كالنسر، والعقاب، والفهد.

ومنها ما يصيد صغيراً: وهو الأسد، والصقر؛ فإنهما يصيدان صغيرين، ولذلك قالوا في المثل: إن الشبل من الأسد، وإن هذا الشبل من ذاك الأسد.

وقال كشاجم: [من الرجز]

إن الفرازين من البيادق[١]

وفي المثل: القرم من الأفيل.

قال الزمخشري: يُضرب في كون الشيء الجليل في بدئه صغيراً، انتهى[٢].

---

(١) انظر: «نهاية الأرب» للنويري (١٠/ ١١٧).

(٢) انظر: «المستقصى في أمثال العرب» للزمخشري (١/ ٤٠٩).

والأفيل يُجمع على أفال كجمال، وأفائل: وهو صغار الإبل بنات المخاض ونحوها.

والقرم، ويقال له: مقرم ـ كمكرم ـ وهو البعير لا يُحمل عليه، ولا يُذلل، وإنما هو للفحلة.

قال في «الصحاح»: ومنه قيل للسيد: قرم، ومقرم تشبيهاً بذلك[1].

والمعنى في ذلك: أنه لا ينبغي أن تستصغر أولاد الأشراف عن بلوغ مراتب آبائهم، وإنما تقال تلك الأمثال لولد النجيب مدحاً له وترغيباً له في مثل نجابة أبيه؛ لأن كل إنسان يميل إلى ما كان عليه آباؤه من الخير لأنه يعجب بآبائه، كما قالوا في المثل: كل فتاةٍ بأبيها مُعجبة[2].

ونظر إلي بعض العلماء وأنا في أوائل الطلب، فوجد مني فهماً وحذقاً، فقال: لا يُستكثر عليه ذلك؛ فإنه ابن فلان، ثم تمثل بالمثل، فقال: إن هذا الشبل من ذاك الأسد، فلم يزل ذلك يبعثني على طلب العلم والميل إلى التقوى والخير إلى يومنا هذا، وإلى الممات إن شاء الله تعالى بحيث إني أقول: [من مجزوء الرمل]

أَعْـــرَضَ القَلْـــبُ أَبِـــيّاً          عَـــنْ هَـــوى لُبْنَـــى وَلَيْلَـــى

---

(١) انظر: «الصحاح» للجوهري (٥/ ٢٠٠٩) (مادة: قرم).

(٢) انظر: «جمهرة الأمثال» للعسكري (١/ ٣٥٠).

وَلَقَــــدْ شَــــمَّرْتُ حَزْمــــاً فِــي رِضَــى مَــولايَ ذَيْــلا

مَــــائِلاً عَمَّــــا سِــــواهُ فِــي بَقايــا العُمْــرِ مَــيْلا

أَمْتَطِــي مِــنْ هِمَّــةِ القَلْــــ ــــبِ إِلَــى لُقيــاهُ خَــيْلا

طائِعـــاً رَبِّـــي نَهـــاراً بِالَّـــذِي يَرْضَــى وَلَــيْلا

عائِـــذاً مِـــنْ أَنْ أُلاقِـــي يَــوْمَ أَلْقَــى اللهَ وَيْــلا

وروى الحاكم في «مناقب الإمام الشافعي» ﷺ عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مِنْ سَعَادَةِ الْمَرْءِ أَنْ يُشْبِهَ أَبَاهُ»[1].

يعني: في عمل الخير والأخذ به؛ فإن الخير هو الآخذ بيد أبيه إلى السعادة.

وقال رؤبة في عدي بن حاتم رضي الله تعالى عنه: [من الرجز]

بِأَبِهِ اقْتَدَى عَدِيٌّ فِي الكَرَمْ وَمَنْ يُشابِهْ أَبَهُ فَما ظَلَمْ

وروى الشيرازي في «الألقاب» عن إبراهيم النخعي رحمه الله تعالى ـ مرسلاً ـ: قال رسول الله ﷺ: «إِنْ مِنْ نِعْمَةِ اللهِ عَلَىْ عَبْدِهِ أَنْ يَشْبَهَهُ وَلَدُهُ»؛ أي: في كل خير.

فأمَّا تشبه الولد بأبيه فيما هو بسبب الشقاوة، فهو من أبلغ أسباب

---

(١) كذا عزاه ابن حجر في «الإصابة في تمييز الصحابة» (٣/ ٢٣) إلى الحاكم في «مناقب الشافعي»، ورواه القضاعي في «مسند الشهاب» (٢٩٩).

الشقاوة، ولذلك ذمَّ الله تعالى المقلدين لآبائهم في الكفر والمعاصي، والعادات المخالفة للحق في مواضع كثيرة من كتابه العزيز كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۗ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾[البقرة: ١٧٠]؛ أي: أَوَ لَوْ كان آباؤهم مُلْحَقِين بالبهائم في الجهالة والضلالة يتبعونهم ويدعون الحق الذي أنزله الله تعالى.

وقالت العرب في المثل في عكس ما تقدم، وهو شبه الولد بأبيه في الشر: لا تلد الحية إلا حُيية[1].

وهو في معنى قول نوح عليه السلام: ﴿وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾[نوح: ٢٧].

وقال الشيخ قطب الدين القسطلاني: [من الطويل]

إذا طابَ أَصْلُ الْمَرْءِ طابَتْ فُروعُهُ
وَمِنْ عَجَبٍ جاءَتْ يَدُ الشَّوْكِ بِالوَرْدِ
وَقَدْ يَخْبُثُ الفَرْعُ الَّذِي طابَ أَصْلُهُ
لِيَظْهَرَ صُنْعُ اللهِ فِي العَكْسِ وَالطَّرْدِ[2]

واعلم أن الماجد إذا رغب في مجد أبيه فقد يكون ذلك لمقتضى طبعه، وقد يكون لتحرك نفسه للخير توفيقاً من الله تعالى، وهذا أفضل

(١) انظر: «مجمع الأمثال» للميداني (٢/ ٢٥٩).

(٢) انظر: «طبقات الشافعية الكبرى» للسبكي (٨/ ٤٤).

من الأول؛ لأن المرء إذا جاء ما يأتي به على وفق طبعه فهو غير ممدوح عليه ذلك المدح؛ فإن الطبع قاهره كما يحمل صاحبه على مقتضاه وهو شريف ممدوح، كذلك يحمله عليه وهو قبيحٌ مذموم؛ ألا ترى أنَّ جرو الذئب ذئب، وفرخ الحية حية؟

وقد سبق قول الأعرابي: [من الوافر]

فمـــن أدراك أنَّ أبـــاك ذيـــب

وقولهم: ومن يُشابه أباه فما ظلم؛ أي: من حيث إنه مقهورٌ بطبعه، ومن حيث إنه وضع الشيء في محله، والظلم وضع الشيء في غير محله.

* **تنْبِـيهٌ:**

من أمثال الناس: من العجيب: نجيبٌ من نجيب.

والنجيب: الكريم من الناس ومن الإبل.

وإنما قيل ذلك لأن مخالفة الأنجال للآباء كثيرة، والحكمة في ذلك بيان أنَّ قدرة الله هي المؤثرة كما قال الله تعالى: ﴿ يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ ﴾[الروم: ١٩]؛ أي: المؤمن من الكافر، والكافر من المؤمن، والصالح من الطالح، والطالح من الصالح لأنه فعَّال لما يريد.

وتقول العرب: أنجبت المرأة إذا ولدت نجيباً، وربما قالوا: أنجب: إذا ولد غير نجيب.

وقد قلت: [من المجتث]

عَجِيبٌ مِنْ عَجِيبِ ... نَجِيبٌ مِنْ نَجِيبِ
وَكَمْ مِنْ بارعٍ لَيْـ ... ـسَ ذا جَدٍّ حَسِيبِ
وَحُكْمُ اللهِ يَمْضِي ... عَلى وَجْهٍ غَرِيبِ
فَسَلِّمْ ما تَرى فِي الـ ... ـوُجُودِ مِنَ الضُّروبِ
فَرَدُّ الأَمْرِ لِلَّـ ... ـهِ مِنْ شَأْنِ الأَرِيبِ

ـ ومن ذلك **الديك**: من أخلاقه السَّخاء والإيثار لأنه يأخذ الحبة بمنقاره ولا يأكلها، وإنما يُلقيها إلى الدجاج ويُؤثرهن، ولذلك قالوا في المثل: أسخى من الديك؛ ذكره الزمخشري[1].

وقال القمي: من أمثالهم: أسخى من لافظه؛ قال الخليل: يعني: الديك[2].

والتشبه به في ذلك بالقيام على الأهل والعيال بالكفاية؛ فإن كفاية العيال من أفضل أنواع الكرم، وأي كرم لمن يُجيع عياله، ومن ذا الذي يرجو بعد ذلك نواله؟

كما قال أبو العتاهية: [من مخلَّع البسيط]

مَنْ ذا الَّذِي يَرْتَجِي الأَقاصِي ... إِنْ لَمْ يَنَلْ فَضْلَهُ الأَدانِي[3]

---

(١) انظر: «المستقصى في أمثال العرب» للزمخشري (١/ ١٥٩).

(٢) انظر: «العين» للخليل (٨/ ١٦٢).

(٣) انظر: «الشعر والشعراء» لابن قتيبة (ص: ١٧٠).

وفي الحديث: «وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُوْلُ»[1].

«كَفَىْ بِالْمَرْءِ إِثْمَاً أَنْ يُضَيِّعَ مَنْ يَعُوْلُ»[2].

وقلت: [من الوافر]

أَقُولُ لِقاعِدٍ عَنْ كَسْبِ مالٍ ... يُفِيدُ بِهِ العِيالَ قضاء حاجِ

أَلَيْسَ الدِّيكُ أَكْرَمَ مِنْكَ يَسْعَى ... فَيَلْقُطُ ثُمَّ يَلْفِظُ لِلدَّجاجِ

ومن طباع الديك: الإيناس والاستئناس، ولذلك سمي: الأنيس، والمؤانس.

والتشبه به بأن تؤنس من يستحق الأنس بك لكونه مطيعاً لله تعالى، وتستأنس بأهل الله تعالى وأهل طاعته.

روى الديلمي عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ خَرَجَ مَعَ أَخٍ لَهُ فِيْ طَرِيْقٍ مُوْحِشَةٍ فَكَأَنَّمَا أَعْتَقَ رَقَبَةً»[3].

وأحق الناس بإيناسك أبواك، وأهلك، وأولادك، ومن يليك، وأحق الناس بأن تأنس به أهل طاعة الله تعالى، ولا تكاد تجد الآن من تأنس به الأنس المحمود شرعاً.

وفي «الرسالة» للأستاذ أبي القاسم القشيري: قال ابن خبيق رحمه

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) رواه الديلمي في «مسند الفردوس» (٥٤٩١).

الله تعالى: وحشة العباد عن الحق أوحشت منهم القلوب، ولو أنهم استأنسوا بربهم لاستأنس بهم كل أحد[1].

* **لَطِيفَةٌ:**

روى الإمام أحمد في «الزهد» عن موسى بن أبي عيسى: أن مريم عليها السلام فقدت عيسى عليه السلام، فدارَتْ تطلبه، فلقيت حائكاً فلم يرشدها، فدَعَتْ عليه، فلا تزال تراه تائهاً، فلقيَتْ خياطاً فأرشدها، فدعَتْ له، فهم يؤنس إليهم[2].

وروى ابن جهضم في «بهجة الأسرار» عن محمد بن يوسف الجوهري قال: سمعت بِشْراً ـ يعني: الحافي ـ رحمه الله تعالى يقول في جنازة أخته: إذا قصر العبد فيما بينه وبين الله تعالى أخذ منه من كان يؤنسه[3].

وقال الإمام أحمد في «الزهد»: حدثنا أبو معاوية الهمداني، ثنا بعض أصحابنا قال: كان عبدالله بن عامر بن كريز وهو أمير إذا صلَّى بالناس رجع إلى بيته، فيمر برجل به عرجة في مؤخر المسجد فيقول: كيف أنت يا فلان؟

فيقول: بخير، على أنَّ أهل الخير قد أصبحوا مستوحشين.

---

(١) انظر: «الرسالة القشيرية» (ص: ٤٧).

(٢) ورواه الإمام أحمد في «المسند» (٥/ ٣٨٢).

(٣) ورواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٨/ ٣٤٦).

فيقول: ما أوحشهم؟

فيقول: فقدوا أحوالهم فاستوحشوا.

وقلت في المعنى: [من الرمل]

أَصْبَحَ الأَخْيارُ فِي وَحْشَتِهِمْ ... مِنْ زمانٍ عضّهم قَدْ دهشُوا

لا تَسَلْ بِاللهِ عَنْ وَحْشَتِهِمْ ... فَقَدُوا إِخْوانَهُم فَاسْتَوْحَشوا

**- ومن حميد خصال الديك: معرفة مواقيت الصلاة.**

روى الطبراني، وابن عدي، والبيهقي عن جابر رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ للهِ دِيْكاً رِجْلاهُ فِيْ التُّخُوْمِ وَعُنُقُهُ تَحْتَ الْعَرْشِ مُنْطَوِيَةٌ، فَإِذَا كَانَتْ هَنَةٌ مِنَ اللَّيْلِ صَاحَ: سُبُّوْحٌ قُدُّوْسٌ، فَصَاحَتِ الدِّيَكَةُ»[1].

ومعرفة أوقات الصلاة مما مدح الله تعالى به هذه الأمة في التوراة، فقال: هم الحمادون رعاة الشمس؛ كما رواه أبو نعيم في «الدلائل»[2].

وروى الطَّبراني - واللفظ له - والبزار، والحاكم وصححه، عن

---

(١) رواه ابن عدي في «الكامل» (٥/ ١٨٤) وقال: حديث غير محفوظ، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٥١٧٥) وقال: تفرد بإسناده هذا علي بن أبي علي اللهبي، وكان ضعيفاً.

(٢) ورواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٥/ ٣٨٥) عن كعب الأحبار عن موسى عليه السلام.

ابن أبي أوفى رضي الله تعالى عنه: أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «إِنَّ خِيَارَ عِبَادِ اللهِ الَّذِيْنَ يُرَاعُوْنَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لِذِكْرِ اللهِ»[1].

**ـ ومن خصال الديك: التذكير بالله تعالى.**

روى أبو الشيخ عن فرقد السبخي رحمه الله تعالى قال: مرَّ سليمان بن داود عليهما السلام ببلبل ساقط على شجرة، يُحرك رأسه ويُميل ذنبه، فقال لأصحابه: أتدرون ما يقول هذا؟

قالوا: الله ونبيه أعلم.

قال: يقول: أكلت نصف تمرة وعلى الدنيا العفاء.

ومرَّ بديك يسقع، فقال: أتدرون ما يقول هذا؟

قالوا: الله ونبيه أعلم.

قال: يقول: اذكروا الله يا غافلين[2].

وتقدم نحو ذلك عن النبي ﷺ مع فوائد أخرى في التشبه بالشياطين.

**ـ ومن خصال الديك: الإيقاظ للصلاة.**

روى الإمام أحمد، وأبو داود، وابن ماجه بإسناد جيد، عن زيد

---

(1) رواه الطبراني في «الدعاء» (ص: ٥٢٤)، والبزار في «المسند» (٣٣٥١)، والحاكم في «المستدرك» (١٦٣). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ٣٢٧): رواه الطبراني في «الكبير» والبزار ورجاله موثقون، لكنه معلول.

(2) رواه أبو الشيخ في «العظمة» (٥/ ١٧٤٠).

ابن خالد الجهني رضي الله تعالى عنه: أن النبي ﷺ قال: «لا تَسُبُّوْا الدِّيْكَ؛ فَإِنَّهُ يُوْقِظُ لِلصَّلاةِ»[1].

قال الحليمي: فيه دليل على أنه كل من استفيد منه خير لا ينبغي أن يُسب ويُستهان، بل حقُّه أن يُكرم ويشكر[2].

قلت: وأبلغ من ذلك في الاستدلال على ذلك الأحاديث الواردة في النهي عن سب البرغوث.

روى الإمام أحمد، والبزار، والبيهقي عن أنس: أن رسول الله ﷺ سمع رجلاً يسبُّ برغوثاً فقال: «لا تَسُبَّهُ؛ فَإِنَّهُ أَيْقَظَ نَبِيّاً لِلصَّلاةِ»[3].

وروى الطبراني عنه قال: ذُكر البراغيت عند رسول الله ﷺ فقال: «إِنَّهَا لَتُوْقِظُ لِلصَّلاةِ»[4].

وروى الطبراني عن عليٍّ رضي الله تعالى عنه قال: نزلنا منزلاً فآذتنا البراغيث، فسببناها، فقال: «إِنَّهَا لَتُوْقِظُ لِلصَّلاةِ».

وروى الطبراني عن علي رضي الله تعالى عنه قال: نزلنا منزلاً

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٥/ ١٩٢)، وأبو داود (٥١٠١).

(٢) انظر: «حياة الحيوان الكبرى» للدميري (١/ ٤٧٩).

(٣) ورواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٥١٨٠)، وكذا البخاري في «الأدب المفرد» (١٢٣٧).

(٤) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٥٧٣٢). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨/ ٧٧): في سعيد بن بشير ضعف.

فآذتنا البراغيث، فسببناها، فقال رسول الله ﷺ: «لا تَسُبُّوهَا؛ فَنِعْمَتِ الدَّابَةُ أَيْقَظَتْكُمْ لِلصَّلاةِ»[1].

قلت: فيه تنبيه على أنَّ الإنسان لا ينبغي له أن يسُبَّ شيئاً من مخلوقات الله تعالى إلا من حيث أُذِنَ له في السب؛ فإنَّ العبد مهما طالع صنع الله تعالى في مخلوقاته بعين الرضا، واعتبار الحكمة في خلقها ظهرت له من كل مصنوع كل مليحة؛ فإن الله تعالى لم يخلق شيئاً إلا وفيه فائدة؛ ألا ترى أنه خلق إبليس وابتلى النَّاس بعداوته، وابتلاه بإغواء الإنسان حتى يجاهده الإنسان ويُخالفه فيُثابُ ويؤجر، ولولا ابتلى الله آدم بإبليس حتى وقعت منه الزلة لم يظهر آدم عليه السلام بالتوبة التي هي أول مقامات الأولياء، والوسيلة إلى محبة الله تعالى؛ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾[البقرة: ٢٢٢].

فإن أطاع الإنسان الشيطان ولم يجاهده ظهرت حجة الله تعالى عليه.

وكذلك خلق الله تعالى العصاة لتظهر حجة الله تعالى عليهم ليكونوا عبرة لأهل الطاعة.

وكذلك خلق القردة والخنازير والأباعر ليظهر فضله عليك في أن خلقك إنساناً ولم يخلقك كذلك فيزداد شكرك، ولذلك كان رسول الله ﷺ

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٩٣١٨) وعنده: «لذكر الله» بدل «للصلاة». قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨/ ٧٨): فيه سعد بن طريف، وهو متروك.

إذا رأى القرد خَرَّ ساجداً. رواه ابن عدي، والحاكم، والبيهقي من حديث جابر رضي الله تعالى عنه[1].

وكنت في مجلس فاغتابوا رجلاً، ووصفوه بأوصاف هي فيه من الشِره والشَره، والهَلَع والجشع، والظلم والبغي، وغير ذلك، وأنا ساكت أتألم بما يتكلمون به، ولم أجد للإنكار عليهم مساغاً حتى قال لي بعض أهل المجلس: ما تقول فيه أنت؟

فقلت: أقول فيه: إنه من كمال الكون، وجمال الوجود.

فقيل لي في ذلك، وتعجَّبوا أن يكون كما ذكرت وهم يعرفون منه كل قبيحة.

فقلت: يا سبحان الله! ألستم تستقبحون هذه الأمور وتستبشعون منه هذه الأخلاق؟

قالوا: بلى.

قلت: فإذا كنتم تستقبحونها فإنكم لا تتصفون بها، فاتصاف هذا المذكور بهذه الأوصاف القبيحة كان لظهور قبحها لكم حتى تنزهتم عنها، فهو من كمال الكون بهذا لاعتبار.

وأيضاً فإن مدح النبي ﷺ البرغوث بقوله: «نِعْمَ الدَّابَّةُ»[2] مُعللاً

---

(١) رواه ابن عدي في «الكامل» (٧/ ١٥٥)، والحاكم في «المستدرك» (١٠٢٥).

(٢) تقدم تخريجه قريباً.

لمدحه بأنه أيقظهم للصلاة من باب تعويد الألسنة خيراً وتنزيهها عن عادة الشر.

كما روى ابن أبي الدُّنيا في «الصمت» عن مالك بن أنس رحمه الله تعالى قال: مرَّ بعيسى بن مريم عليهما السلام خنزير، فقال: مُرْ بسلام.

فقيل: يا روح الله! لهذا الخنزير تقول؟

قال: أكره أن أعوِّد لساني الشر[1].

وروى هو والطبراني بإسناد حسن، عن أسود بن أصرم الحاربي رضي الله تعالى عنه قال: قلت: يا رسول الله! أوصني.

قال: «أَتَمْلِكُ يَدَكَ؟».

قلت: فما أملك إن لم أملك يدي؟

قال: «أَتَمْلِكُ لِسَانَكَ؟».

قال: فما أملك إن لم أملك لساني؟

قال: «لا تَبْسُطْ يَدَكَ إِلاَّ إِلَىْ خَيْرٍ، وَلا تَقُلْ بِلِسَانِكَ إِلاَّ مَعْرُوْفَاً»[2].

وقال الشاعر: [من البسيط]

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في «الصمت وآداب اللسان» (ص: ٤٥)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٨١٨).

عَوِّدْ لِسانَكَ قَوْلَ الْخَيْرِ وَارْضَ بِهِ ... إِنَّ اللِّسانَ لِما عَـوَّدْتَ يَعْتـادُ[1]

وقال بعضهم: [من السريع]

لا تَـشْتُمِ البُرْغُـوثَ إِنَّ اسْـمَهُ ... بِـرٌّ وَغَـوْثٌ لَـكَ لَـوْ تَـدْرِي

فَبِــرُّهُ مَــصُّ دَمٍ فاسِــدٍ ... وَغَوْثُــهُ الإِيْقــاظُ لِلْفَجْــرِ

وأيضاً: فإن في قوله ﷺ وقد ذكرت البراغيث: «إِنَّهَا تُوْقِظُ لِلصَّلاةِ»، وقوله: «لا تَسُبُّوْهَا؛ فَإِنَّهَا أَيْقَظَتْكُمْ لِذِكْرِ اللهِ» إشارة من النبي ﷺ وتعليم منه لنا أنَّا إذا أردنا ذكر مخلوق بصفة مستكرهة وله صفة مستحسنة، فذِكْرُه بالصفة المستحسنة أولى لأن ذكر المحاسن لا يضر، بخلاف ذكر المثالب.

ومن هذا القبيل ما رواه عبدالله ابن الإمام أحمد رضي الله تعالى عنهما عن مالك بن دينار رحمه الله تعالى قال: مرَّ عيسى عليه السَّلام والحواريون على جيفة كلب، فقال الحواريون: ما أنتن ريح هذا!

فقال عيسى عليه السلام: ما أشد بياضَ أسنانه؛ يعظهم وينهاهم عن الغيبة[2].

وقلت في هذا المعنى: [من السريع]

إِنْ تَلْـفَ مَخْلُوقـاً لَـهُ سَـيِّءٌ ... مِـنْ عَمَـلٍ لَكِـنْ لَـهُ صـالِحُ

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) تقدم تخريجه.

فَامْحُ بِما يَصْلُحْ ما لَيْسَ بِالصَّـ ـــالِح، نِعْـمَ الرَّجُـلُ الْمـادِحُ

فَـذِكْرُكَ الـصَّالِحَ مـا ضَـرَّ مـا يَـضُرُّ ذِكْـرُ الطَّـالِحِ القــادِح

لِسانَكَ اجْعَـلْ قالَـهُ الْخَيْـرَ مِـن عادَتِـــهِ، أَنْـــتَ إِذاً رابـــحُ

عَذْبٌ فُراتٌ قَوْلُكَ الْخَيْـرَ وَالـ ـــملحَ الَّـذِي قَـدْ قالَـه الْمـالِحُ

إِنَّ مَقــالَ الـــسُّوْءِ لا يَنْبَغِـــي حَتَّــى وَلَــوْ جــاءَ بِــه مــازِحُ

والمالح في البيت: المغتاب.

قال في «القاموس»: مَلَحَه ـ كمنعه ـ: اغتابه[1]، وفيه تورية.

تقول العوام: فلان مالح؛ يعنون به أنه خارج عن القبول، مستثقل به، ولا يُغبط بوجوده.

وأيضاً فإن ذم البرغوث وغيره من المخلوقات المستبشعة عادةً كالقرد، والكلب ربما أدى بالعبد إلى السخرية، والطعن في الخلقة، وقد قال تعالى: ﴿ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ﴾[السجدة: ٧].

وقال ابن مسعود رضي الله تعالى عنه: لو سَخِرْتَ من كلب خشيت أن أكون كلباً. رواه الإمام عبدالله بن المبارك في «الزهد»[2].

وقد أفضى الاسترسال في استقباح الأمور وتعييبها بعض المبتدعة إلى الكفر الصراح، ونسبة الذات العلية إلى الظلم في القضية.

---

(١) انظر: «القاموس المحيط» للفيروز آبادي (ص: ٣١٠) (مادة: ملح).

(٢) رواه ابن المبارك في «الزهد» (١/ ٢٥٧).

وحُكي أن بعض هؤلاء الضلال كان في بستان، فنظر إلى شجرة الجوز وارتفاعها وكبرها، وإلى صغر ثمرها، وإلى شجرة اليقطين وانطراحها وكبر ثمارها، فقال: لو كانت هذه الثمرة على هذه الشجرة، وهذه الثمرة على هذه الشجرة كان أقرب إلى العدل!

فجاء طائر فقطع واحدة من ثمر الجوز فسقطت على جبهته فآلمته، فقيل له: تأدب؛ فلو كانت هذه الجوزة في مقدار القرعة أو البطيخة كانت قتلتك.

فقال: نعم.

وروى الإمام أحمد، والبخاري في «الأدب المفرد»، والترمذي، وأبو يعلى، والطَّبراني في «الكبير»، وابن حبان، والحاكم وصححه، عن ابن مسعود، والبيهقي في «الشعب» عنه، وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنهما قالا: قال رسول الله ﷺ: «لَيْسَ الْمُؤْمِنُ بِالطَّعَّانِ، وَلا اللَّعَّانِ، وَلا الْفَاحِشِ، وَلا الْبَذِيْءِ»[1].

وسمع بعض العلماء ولده يقول لكلب يُضايق أباه في الطريق: إخسأ يا كلب!

فقال له: لا تقل ذلك؛ فإنه من خلق الله تعالى.

فقال له: إنه أليس كلباً؟

قال: نعم، ولكنك أخرجت كلامك مخرج الذم.

---

(١) تقدم تخريجه.

وأما ما رواه ابن ماجه عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: لدغَتْ النبي ﷺ عقرب وهو في الصلاة، فقال: «لَعَنَ اللهُ الْعَقْرَبَ؛ مَا تَدَعُ مُصَلِّيَاً وَلا غَيْرَ المُصَلِّيَ، اقْتُلُوْهَا فِيْ الْحِلِّ وَالْحَرَمِ»[1].

وروى أبو نعيم في «الطب» عن علي رضي الله تعالى عنه قال: لدغت النبي ﷺ عقرب وهو يصلي فقال: «لَعَنَكِ اللهُ؛ لا تَدَعِيْنَ نَبِيَّاً وَلا غَيْرَهُ»، ثم دعا بماء وملح ورَشه عليها[2].

فإن سبب لعنه للعقرب تعرضها له في الصلاة باللدغ لتشغله عنها، فقد لعنها معللاً للعنها بقيد ما علل به النهي عن سبِّ الديك والبرغوث وإن كان فيه ما يدعو إلى سبه من القرص؛ فإنَّ قرصه لطيف لا يؤثر أكثر من إيقاظ النائم للصَّلاة، فحسنته تُذهب سيئته بخلاف العقرب، والحية، والكلب العقور، والحدأة، والغراب الأبقع، والفأرة، وهي الفواسق؛ فإنها متمحضة للإيذاء، فلذلك تُقتل في الحل والحرم، ويقتلها المحرم والحلال.

ومن هنا ساغ سبُّها كما يسوغ سب الكفار والظلمة لتمحضهم للشر والأذية، وإنما لم يَجُزْ لعن كافر بعينه ولا ظالم بعينه إلا أن يموت على الكفر لأن خاتمته مُغَيَّبة عنا.

والذي تلخص لنا: أن ما يتمحض للأذية والشر من الحيوانات

---

(١) رواه ابن ماجه (١٢٤٦)، وكذا الطبراني في «المعجم الأوسط» (٧٣٢٩).

(٢) ورواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٥٨٩٠). وحسن الهيثمي إسناده في «مجمع الزوائد» (٥/ ١١١).

كالعقرب، والزنبور يجوز لعنه، وما لا يؤذي كالنمل، والشاة، أو لا تتمحض للأذية كالبرغوث، أو ما نفعه أكثر من ضرره كالدابة الشموس، فلا ينبغي أن تُلعن أو تُسب، ومن ثم نهى النبي ﷺ عن لعن الدابة.

- **ومن ذلك الهدهد:** وقصته مع سليمان عليه السلام، ومحاورته معه في كتاب الله، والقرآن ناطقٌ بأنه كان رسولاً إلى ملكة سبأ.

والتشبه به بأن يكون العبد حسن المحاورة خصوصاً مع الأكابر والملوك ناصحاً لهم.

وفي الحديث: «الدِّيْنُ النَّصِيْحَةُ».

قيل: لمن يا رسول الله؟

قال: «للهِ وَلِرَسُوْلِهِ وَلأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِيْنَ وَعَامَّتِهِمْ». رواه مسلم، وغيره من حديث تميم الداريِّ رضي الله تعالى عنه[1].

وقصة سليمان عليه السلام هذه أصل في إرسال الملوك الرسل، والبريد في مآربهم.

وينبغي لمرسل الرسول أن يختاره حسن الاسم حسن الوجه، حسن العبادة، كامل العقل؛ فإن سليمان عليه السلام اختار الهدهد لذلك لما رأى فيه من الكفاءة ولحسن اسمه وصورته؛ فإن اسمه كأنه منقول من الأمر مِنْ هاد: إذا رجع مكرراً.

---

(١) تقدم تخريجه.

ومن لطائفِ الزمخشري في «الكشاف»: [من المجتث]

يــا طالِــبَ اللهِ هَــدْ هِــدْ وَاسْــجُدْ كَأَنَّــكَ هُدْهُــدْ[1]

وروى البزار، والطَّبراني في «الأوسط» عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه: أن النبي ﷺ قال: «إِذَا بَعَثْتُمْ إِلَيَّ رَجُلاً فَابْعَثُوْهُ حَسَنَ الْوَجْهِ حَسَنَ الاسْمِ»[2].

وروى البزار عن بريدة رضي الله تعالى عنه: أن النبي ﷺ قال: «إِذَا أَبْرَدْتُمْ إِلَيَّ بَرِيْدَاً فَابْعَثُوْهُ حَسَنَ الْوَجْهِ حَسَنَ الْوَسْمِ»[3].

وينبغي للمرسل أن يحسن البلاغ ويُبينه، وما على الرسول إلا البلاغ المبين.

- ومن أوصاف الهدهد ما يذكر أنه يرى الماء في باطن الأرض كما يراه الإنسان من باطن الزجاج، وأنه كان دليل سليمان عليه السلام على الماء، ولهذا توعَّده لما فقده.

وروى ابن عدي، والبيهقي في «الشعب»: أن نافع بن الأزرق سأل ابن عباس رضي الله تعالى عنهما عن سليمان عليه السلام مع ما خوَّله الله تعالى من الملك وأعطاه، كيف عني بالهدهد مع صغره؟

---

(١) انظر: «الكشاف» للزمخشري (٢/ ١٥٦)، وعنده: «يا راكب الذنب» بدل «يا طالب الله».

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) كذا عزاه السخاوي في «المقاصد الحسنة» (ص: ١٤٩) إلى البزار.

فقال له ابن عباس: إنه احتاج إلى الماء، والهدهد كانت له الأرض كالزجاج.

فقال له ابن الأزرق: قف يا وقاف، كيف ينظر الماء من تحت الأرض، ولا يرى الفخ إذا غطي له بقدر إصبع من تراب؟

فقال ابن عباس: إذا نزل القضاء عَمِيَ البصر[1].

ومن لطائف قول بعضهم: [من البسيط]

جـاءَتْ سُـلَيمانَ يَـومَ العَـرْضِ هُدْهُـدَةٌ

أَهْـدَتْ إِلَيْـهِ جَـراداً كـانَ فِـي فِيْهـا

وَأَنْشَدَتْ بِلِسانِ الْحالِ قائِلَةً

إِنَّ الْهَـدايا عَلَـى مِقْـدارِ مُهْـدِيها

لَـوْ كـانَ يُهْـدى إِلَـى الإِنْـسانِ قِيمَتُـهُ

فَأَنْـتَ قِيمَتُـكَ الـدُّنْيا وَمـا فِيهـا

والاعتبار في ذلك أن الهدية تستعطف القلوب، وهي مطلوبة مالم يكن المطلوب بها إبطال حق إلى التوصل إلى باطل؛ فإنها تنقلب رشوة وتكون سُحتاً.

---

(١) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٢٤٩)، وكذا ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣١٨٥٢)، والطبري في «التفسير» (١٩/ ١٤٤)، والحاكم في «المستدرك» (٣٥٢٦) بمعناه.

قال رسول الله ﷺ: «تَهَادُوْا تَحَابُّوْا». رواه البخاري في «الأدب المفرد»، والطيالسي، والبيهقي في «الشعب» عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه[1].

- **ومن ذلك الحمام**: وهو كل ما عبَّ وهدر.

روى الثعلبي عن وهب رحمه الله تعالى في قوله ﷻ: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ﴾[القصص: ٦٨] قال: اختار من الغنم الضأن، ومن الطير الحمام[2].

- **فمن أوصاف الحمام: البلاهة**، وتقدم الحديث: «أَكْثَرُ أَهْلِ الْجَنَّةِ الْبُلْهُ»[3].

وروى الإمام أحمد في «الزهد» عن يزيد بن ميسرة رحمه الله تعالى: أن المسيح عليه السلام كان يقول لأصحابه: أن تكونوا بلهاً في الله مثل الحمام.

قال: وكان يقول: إنه ليس شيء أَبْله من الحمام؛ إنك تأخذ فرخَيْه فتذبحها، ثم يعود إلى مكانه ذلك فتفرخ فيه[4].

---

(١) رواه البخاري في «الأدب المفرد» (٥٩٤)، والبيهقي في «الشعب» (٨٩٧٥). قال العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء» (١/ ٣٨٦): سنده جيد.

(٢) رواه الثعلبي في «التفسير» (٧/ ٢٥٨).

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) ورواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٥/ ٢٣٩).

وروى الدينوري في «المجالسة» عن مصعب الزبيري، عن أبيه، عن جده قال: قال عيسى عليه السلام: كن لربك كالحمام الألوف؛ تُذبح فراخه ولا يطير عنهم[1]؛ أي: عن أهله الذي يألفهم.

ـ **ومن أوصاف الحمام أيضاً: الأُنس بالناس، والألفة بهم،** كما في هذا الأثر.

وروى ابن عدي عن جابر رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا كَانَ أَحَدُكُمْ فِيْ بَيْتِهِ خَالِيَاً فَلْيَتَّخِذْ فِيْهِ زَوْجَ حَمَامٍ»[2].

وروى الطبراني في «الكبير» بسند جيد، عن عبادة بن الصامت رضي الله تعالى عنه قال: شكا رجل إلى النبي ﷺ الوحشة، فقال له رسول الله ﷺ: «اتَّخِذْ زَوْجَاً مِنْ حَمَامٍ»[3].

وروى ابن السني، وابن عساكر عن معاذ بن جبل رضي الله عنه: أنه شكا إلى النبي ﷺ الوحشة، فأمره أن يتخذ زوج حمام، ويذكر الله عند هديره[4].

---

(١) رواه الدينوري في «المجالسة وجواهر العلم» (ص: ٣٠٠).

(٢) رواه ابن عدي في «الكامل» (٥/ ٢٣٨) وأعله بعاصم بن سليمان الكوزي، وقال: يعد فيمن يضع الحديث.

(٣) قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٤/ ٦٧): رواه الطبراني في «الكبير» وفيه الصلت بن الحجاج، وهو ضعيف.

(٤) رواه ابن السني في «عمل اليوم والليلة» (ص: ٢٧٠).

وروى وكيع في «الغرر»، وابن عدي في «الكامل» عن علي رضي الله تعالى عنه: أنه شكا إلى رسول الله ﷺ الوحشة، قال: «أَلَا اتَّخَذْتَ زَوْجاً مِنْ حَمَامٍ فَآنَسَكَ، وَأَكَلْتَ مِنْ فِرَاخِهِ، أَوْ اتَّخَذْتَ دِيْكاً فَآنَسَكَ، وَأَيْقَظَكَ لِلصَّلَاةِ»(١).

* **فائِدَةٌ:**

كان عبدالله بن الزبير رضي الله تعالى عنهما يلقب بحمامة المسجد؛ لملازمته المسجد الحرام، وكثرة هديره بتلاوة القرآن(٢).

**- ومن أوصاف الحمام: أنها لا تحكم عشها، فإذا هبت الريح كان ما يُكسر أكثر مما يسلم.**

أنشد ابن قتيبة لعبيد بن الأبرص: [من مجزوء الكامل المرفّل]

عَيُّوا بِأَمْرِهِمُ كَمَا ... عيَّتْ بِبَيْضَتِها الْحَمامَةْ

جَعَلَتْ لَهَا عُودَيْنِ مِنْ ... نَشَمٍ وَآخَرَ مِنْ ثُمامَةْ(٣)

والتشبه بالحمام في ذلك أنه لا ينبغي للمؤمن أن يهتم بتشييد المساكن، بل يقتصر على ما يكنه من الحر والقَر؛ فإن الأمر قريب، والثَّوى في الدنيا قليل.

---

(١) رواه ابن عدي في «الكامل» (٦/ ٤١٥) وقال: منكر.

(٢) انظر: «سير أعلام النبلاء» للذهبي (٣/ ٣٦٧).

(٣) انظر: «أدب الكاتب» لابن قتيبة (ص: ٥٤).

روى أبو داود، والترمذي وصححه، وابن ماجه، عن عبدالله بن عمرو رضي الله تعالى عنهما قال: مرَّ علينا رسول الله ﷺ ونحن نُعالج خُصّاً لنا قد وهى، فقال: «مَا هَذَا؟».

فقلنا: خُصٌّ لنا قد وهى.

فقال: «أَرَى الأَمْرَ أَعْجَلَ مِنْ ذَلِكَ»[1].

وروى أبو داود في «المراسيل» عن عطية بن قيس رحمه الله تعالى قال: كان حجر أزواج رسول الله ﷺ بجريد النخل، فخرج النبي ﷺ في مغزى له وكانت أم سلمة رضي الله تعالى عنها موسرة، فجعلت مكان الجريد لَبِناً، فقال النبي ﷺ: «مَا هَذَا؟».

قالت: أردت أن أكف عني أبصار الناس.

فقال: «يَا أُمَّ سَلَمَةَ! إِنَّ شَرَّ مَا ذَهَبَ فِيْهِ مَالُ الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ الْبُنْيَانُ»[2].

وروى البيهقي في «الشعب» عن المهاجر الرقي قال: لبث نوح عليه السلام في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً في بيت من شَعر.

فقيل: يا نبيَّ الله! ابْنِ بيتاً.

---

(١) رواه أبو داود (٥٢٣٦)، والترمذي (٢٣٣٥) عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما.

وابن ماجه (٤١٦٠) عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما.

(٢) رواه أبو داود في «المراسيل» (ص: ٣٤٠).

فيقول: أموتُ غداً[1].

وروى فيه: أن نوحاً بنى بيتاً من قصب، فقيل له: لو بَنَيْتَ غير هذا.

فقال: هذا كثيرٌ لمن يموت[2].

وروى الإمام أحمد في «الزهد» عن الشعبي، ونحوه عن مجاهد قال: كان عيسى عليه السلام يلبس الصوف، ويأكل الشجر، ويبيتُ حيث أمسى، ليس له بيت يخرب، ولا ولد يموت، ولا يدخر شيئاً لغد[3].

وعن سفيان: [أن] عيسى عليه السلام قيل له: ألا تتزوج؟

قال: أتزوج امرأة تموت؟

قيل له: ألا تبني؟

قال: إنني على طريق السبيل[4].

وروى البيهقي في «الشعب» عن ميسرة قال: ما بنى عيسى عليه السلام بيتاً.

فقيل له: ألا تبني؟

---

(١) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (١٠٧٥٠).

(٢) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (١٠٧٥١).

(٣) ورواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٧/ ٢٧٣).

(٤) ورواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٧/ ٢٧٣).

قال: لا أترك من الدنيا شيئاً أُذكر به[1].

- **ومما وصفت العرب به الحمام: الحزن**، وتزعم أن هديلها وهو صوتها كالهدير - بالراء - لفقد هديلها.

والهديل: الذكر من الحمام.

قال في «الصحاح»: والهديل: فرخ كان على عهد نوح عليه السلام، فصاده جارح من جوارح الطير؛ قالوا: فليس من حمامةٍ إلا وتبكي عليه[2].

قال الشاعر: [من الوافر]

ومـا مَـنْ تَهْتِفِـينَ بِـهِ لِنَـصْرٍ     بِأَسْـرَعَ جابـةً لَـكِ مِـنْ هَـدِيلِ

وحكى في «القاموس» قولاً آخر: أن الهديل مات عطشاً[3].

والحزن إما لفقد محبوب كالولد وغيره، وهو جبلة في الإنسان لا يُلام عليه إلا أنه ينبغي له التصبر بقدر إمكانه، فأما التحزن وتكلف الحزن بالندب ونحوه فذلك مذمومٌ مكروه.

وروى أبو عبيد القاسم بن سلام، وابن سعد في «طبقاته»، وابن أبي شيبة، وابن المنذر عن يونس قال: لما مات سعيد بن الحسن

---

(١) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (١٠٧٤٩).

(٢) انظر: «الصحاح» للجوهري (٥/ ١٨٤٨) (مادة: هدل).

(٣) انظر: «القاموس المحيط» للفيروز آبادي (ص: ١٣٨٢) (مادة: هدل).

ـ يعني: البصري ـ حزن عليه الحسن حزناً شديداً، فكلم الحسن في ذلك، فقال: ما سمعت الله عاب على يعقوب الحزن[1].

وروى ابن جرير عن الحسن مرسلاً: أن النبي ﷺ سُئِلَ: ما بلغ وَجْدُ يعقوبَ على ابنه؟

قال: «وَجْدَ سَبْعِيْنَ ثَكْلَىْ».

قيل: فما لَه من الأجر؟

قال: «أَجْرُ مِئَةِ شَهِيْدٍ، وَمَا سَاءَ ظَنُّهُ بِاللهِ سَاعَةً مِنْ لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ»[2].

وروى ابن أبي الدنيا في «الحزن» عن الحسن بن علي رضي الله تعالى عنهما، عن خاله هند بن أبي هالة رضي الله تعالى عنه قال: كان رسول الله ﷺ متواصل الأحزان، دائم الفكرة، ليس له راحة، طويل السكت، لا يتكلم في غير حاجة[3].

وروى هو والطبراني في «الكبير»، والحاكم وصححه، عن أبي الدَّرداء رضي الله تعالى عنه، والديلمي عن معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه: أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ اللهَ يُحِبُّ كُلَّ قَلْبٍ حَزِيْنٍ»[4].

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٣٩٤٢).

(٢) رواه الطبري في «التفسير» (١٣/ ٤٦).

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في «الهم والحزن» (ص: ٢٧).

(٤) رواه ابن أبي الدنيا في «الهم والحزن» (ص: ٢٨)، والطبراني في «مسند الشاميين» (١٤٨٠)، والحاكم في «المستدرك» (٧٨٨٤)، وكذا الديلمي =

وهو شامل للحزن على فقد المحبوب، والحزن على ما فات من العمر ضائعاً في غير طاعة الله تعالى، والحزن من الذنوب، والحزن خوفاً من الوقوع في الذنب، وخوفاً من المكر، وخوفاً من العذاب، وعقبى هذه الأحزان جميلة وفيها كفارة.

قال أبو هريرة رضي الله تعالى عنه: إنَّ العبد ليذنب الذنب، فإذا رآه الله قد أحزنه ذلك غفر له من غير أن يُحدث صلاة ولا صدقة. رواه ابن أبي الدنيا[1].

وقال أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه: يا رسول الله! كيف الصلاح بعد هذه الآية: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾[النساء: ١٢٣]؟

فقال النبي ﷺ: «أَلَسْتَ تَمْرَضُ؟ أَلَسْتَ تَحْزَنُ؟ أَلَسْتَ تَنْصَبُ؟ أَلَسْتَ تُصِيبُكَ اللأْوَاءُ؟ فَذَلِكَ الَّذِيْ تُجْزَوْنَ بِهِ». رواه الإمام أحمد، وهنَّاد بن السَّرِي، وعبد بن حميد، وابن أبي الدنيا، وابن السني، والحكيم الترمذي، وأبو يعلى، وابن حبان في «صحيحه»، وابن جرير، وابن المنذر[2].

وروى الإمام أحمد عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت:

---

= في «مسند الفردوس» (٥٧٢) كلهم عن أبي الدرداء رضي الله عنه.

(١) رواه ابن أبي الدنيا في «الهم والحزن» (ص: ٧٦).

(٢) تقدم تخريجه.

قال رسول الله ﷺ: «إِذَا كَثُرَتْ ذُنُوْبُ الْعَبْدِ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ مَا يُكَفِّرُهَا ابْتَلاهُ اللهُ بِالْحُزْنِ فَيُكَفِّرَهَا»[1].

وقال عبد الرحمن بن السائب: قدم علينا سعد بن مالك رضي الله تعالى عنه بعدما كفَّ بصره، فأتيته مسلماً، فانتسبني فانتسبت له، فقال: مرحباً يا ابن أخي، بلغني أنك حسن الصوت بالقرآن، وسمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ نَزَلَ بِحُزْنٍ، فَإِذَا قَرَأْتُمُوْهُ فَابْكُوْا، فَإِنْ لَمْ تَبْكُوْا فَتَبَاكَوْا»[2].

وقال ابن مسعود رضي الله تعالى عنه: ينبغي لحامل القرآن أن يعرف بحزنه إذا الناس يفرحون، وببكائه إذا الناس يضحكون[3].

وقال أيضاً: ينبغي لحامل القرآن أن يكون باكياً محزوناً، حكيماً حليماً، سكيناً ليناً، ولا ينبغي لحامل القرآن أن يكون خائناً ولا غافلاً، ولا سَخَّاباً ولا صَيَّاحاً[4].

وقال الأسود بن شيبان: كان عمار بن ياسر رضي الله تعالى عنه رجلاً طويل الحزن والكآبة، وكان عامة كلامه: عائذ

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٦/ ١٥٧)، وفيه ليث بن أبي سليم مختلف فيه.

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في «الهم والحزن» (ص: ٦٧)، وكذا ابن ماجه (١٣٣٧).

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في «الهم والحزن» (ص: ٨٦).

(٤) رواه ابن أبي الدنيا في «الهم والحزن» (ص: ٩٢).

بالرحمن من فتنه[1].

وقال النضر بن عربي: دخلت على عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعـالى وكـان لا يكـاد يتكىء، إنما هو منقبض أبداً كأنَّ عليه حزن الخلق[2].

وقال شميط بن عجلان رحمه الله تعالى: كل يوم ينقص من عمرك وأنت لا تحزن! وكل يوم تستوفي رزقك وأنت لا تحزن[3]!

وقال عمر بن بكير شيخ ابن أبي الدُّنيا: عن شيخ من قريش: كان إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام لا يرفع طرفه إلى السماء إلا اختلاساً، ويقول: اللهم نغِّصْ عيشي بطول الحزن فيها[4].

وقال صالح بن شعيب رحمه الله تعالى: أوحى الله ﷻ إلى عيسى ابن مريم عليهما السلام: أكحل عينيك بطول الحزن إذا ضحك البطَّالون[5].

وقال مكحول الله تعالى: أوحى الله ﷻ إلى موسى عليه السلام أن اغسل قلبك.

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في «الهم والحزن» (ص: ٤٤).

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في «الهم والحزن» (ص: ٤٩).

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في «الهم والحزن» (ص: ٦٥).

(٤) رواه ابن أبي الدنيا في «الهم والحزن» (ص: ٧٦).

(٥) رواه ابن أبي الدنيا في «الهم والحزن» (ص: ٨٤).

قال: يا رب! بأي شيءٍ أغسله؟

قال: بالغم والهم[1].

وقال عبدالله بن شَوذَب رحمه الله تعالى: قال داود النبي عليه السلام: يا رب! أين ألقاك؟

قال: تلقاني عند المنكسرة قلوبهم[2].

وقال سفيان: كان الحسن رحمه الله تعالى يقول: أفضل العبادة طول الحزن[3].

وقال عبدالله بن مرزوق: قلت لعبد العزيز بن أبي رواد: ما أفضل العبادة؟

قال: طول الحزن في الليل والنهار[4].

وقال عطاء رحمه الله تعالى: لا يتمُّ للمؤمن فرح يوم[5].

وقال الحسن بن عميرة: اشترى عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى جارية أعجمية، فقالت: أرى الناس فرحين، ولا أرى هذا يفرح.

فقال: ما تقول لُكَع؟

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في «الهم والحزن» (ص: ٨٤).

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في «الهم والحزن» (ص: ٥٦).

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في «الهم والحزن» (ص: ٧٣).

(٤) رواه ابن أبي الدنيا في «الهم والحزن» (ص: ٨٥).

(٥) رواه ابن أبي الدنيا في «الهم والحزن» (ص: ٩٤).

فقيل له: إنها تقول كذا وكذا.

فقال: ويحها! حدثوها أن الفرح أمامها؛ يعني: يوم القيامة[1].

وقال يونس: قال الحسن: إن المؤمن والله ما يصبح إلا حزيناً، ولا يُمسي إلا حزيناً.

قال: وكان الحسن قلَّ ما تلقاه إلا وكأنه قد أصيب بمصيبة حديثاً[2].

وقال الحجاج بن دينار: كان الحكم بن حجل صديقاً لمحمد بن سيرين، فلما مات محمد حزن عليه حتى جعل يعاد كما يعاد المريض، قال: فحدث بعده، قال: رأيت أخي محمداً ـ يعني: ابن سيرين ـ في المنام، فقلت: أي أخي! قد أراك في حال تسرني، فما فعل الحسن؟

قال: رفع فوقي بسبعين درجة.

قلت: ولم ذاك وقد كنا نرى أنك أفضل منه؟

قال: ذاك بطول حزنه[3].

وقال يزيد بن مذعور: رأيت الأوزاعي في منامي، فقلت: يا أبا عمرو! دُلَّني على أمر أتقرب به إلى الله ﷻ.

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في «الهم والحزن» (ص: ١٠٠).

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في «الهم والحزن» (ص: ٤٥).

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في «الهم والحزن» (ص: ٤٦).

قال: ما رأيتُ هناك درجة أرفع من العلماء، ومن بعدها درجة المحزونين[1].

روى هذه الآثار ابن أبي الدُّنيا في «الحزن».

**- ومن أوصاف الحمام: الصبر على المصيبة وعدم الجزع**؛ فإن الحمامة إذا ذُبحت فراخها لم تنفر من وكرها، ولم تَطِرْ منه، بل تبقى على ألفة أهلها وملازمتهم.

قرأت من خط البرهان بن جماعة في «تذكرته»: قال عيسى عليه السلام: يا بني إسرائيل! تكون في بيوتكم الحمام تفرخ وتذبحون فراخها، فلا تنفر عنكم لما أسلفتم من العلف والماء والإحسان، يأخذ الله بعض أولادكم فتسخطون عليه، وتفرون منه؟ فبئس المثل لكم! انتهى.

فلا ينبغي للمؤمن أن يكون أعجز من الحمام في الصبر وعدم الجزع، بل يصبر إذا أُصيب بولده ونحوه، ويسترجع ويحمد الله على كل حال.

نعم، جرت عادة الأدباء بنسبة الشَّجن والحزن والنوح إلى الحمام، ولعل الأصل في ذلك ما ذكره الأستاذ أبو القاسم القشيري في «التحبير»: أن يوسف عليه السلام كان له زوج حمام، فلما فارق

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في «الهم والحزن» (ص: ٩٥).

يوسف يعقوب عليهما السلام، فكلما أراد يعقوب أن يتبسم أو يخاطب أحداً أو يتكلم، جاء الحمام ووقع بحذائه، فذكره عهد يوسف بهديره، فكان يُنَغص عيشه.

فلا يبعد أن يكون هذا أصلاً فيما اعتاده أهل الأدب من نسبة الأحزان والأشجان للحمام.

كما قال نصيب: [من الطويل]

لَقَــدْ هَتَفَــتْ فِــي جُـنْحِ لَيْــلٍ حَمامَــةٌ
عَلَــى فَــنَنٍ وَهنــاً وَإِنِّــي لَنــائِمُ

وَأَزْعُــــمُ أَنِّــي هــائِمٌ ذُو صَــبابَةٍ
بِلَيْلَــى وَلا أَبْكِــي وَتَبْكِــي البَهــائِمُ

كَــذَبْتُ وَبَيْــتِ اللهِ لَــوْ كُنْــتُ عاشِــقاً
لَمــا سَــبَقَتْنِي بِالبُكــاءِ الْحَمــائِمُ

وقال عدي بن الرقاع العاملي: [من الطويل]

وَهَــيَّجَ وَجْــدِيَ بَعْــدَ مــا كُنْــتُ نائِمــاً
هَتُــوفُ الــضُّحَى مَــشْغوفَةٌ بِــالتَّرَنُّمِ

بَكَــتْ سـاقَ حُــرٍّ قَــدْ نَـأى، فَتَبــادرَتْ
إِلَيْهــا دُمُــوعُ العَــيْنِ مِــنْ كُــلِّ مُنْتَمِــي

وَلَــوْ قبــلَ مَبْكاهــا بَكَيْــتُ صَــبابةً

بِــسُعْدَى شَــفَيْتُ العَــيْنَ قَبْــلَ التَّنَــدُّمِ

وَلَكِــنْ بَكَــتْ قَبْلــي فَهَــيَّجَ لِــيَ البُكــا

بُكاهــا، فَقُلْــتُ: الفَــضْلُ لِلْمُتَقَــدِّمِ

وقال مجنون ليلى، أو غيره: [من الطويل]

وَلَــوْ لَــمْ يَرُعْنِــي الرَّائِحُــونَ لَهــاجَنِي

حَمــائِمُ وُرْقٌ فِــي الــدِّيارِ وقــوعُ

تَــداعَيْنَ شَــتَّى مِــنْ ثَــلاثٍ وَأَرْبــعِ

وَواحِــدَةٍ حَتَّــى أســين جميــعُ

تَجــاوَبْنَ فَاسْــتَبْكَيْنَ مَــنْ كــانَ ذا هَــوى

نَــوائحُ لا تَجْــرِي لَهُــنَّ دُمــوعُ(١)

وقال حميد بن ثور: [من الطويل]

ومــا هــاجَ هَــذا الــشَّوْقَ إلاَّ حَمامَــةٌ

رَقَــتْ ســاقَ حُــرٍّ تَرْحَــةً وَتَرَنُّمــا

عَجِبْــتُ لَهــا أَنَّــى يَكُــونُ غِناؤُهــا

فَــصِيحاً وَلَــمْ تَفْغَــرْ بِمَنْطِقِهــا فَمــا

---

(١) انظر: «الحيوان» للجاحظ (٣/ ٢٠٧).

وَلَـــمْ أَرَ مَحْزُوناً لَــهُ مِثْــلُ صَــوْتِها
وَلا عَرَبِــيّاً شــاقَهُ صَــوْتُ أُعْجِمــا[1]

وقال توبة : [من الطويل]

حَمامَــةَ بَطْــنِ الــوادِيَيْنِ تَرَنَّحِــي
سَــقاكِ مِــنَ الغُــرِّ الغَــوادِي مَطيرُهــا
أَبِــيْنِي لَنــا لا زالَ بَيْتُــكِ ناعِمــاً
وَلا زِلْــتِ فِــي خَــضْراءَ غَــضٍّ نَــضِيرُها

وأنشد أبو عمرو الشيباني المجنون : [من الطويل]

دَعــاكِ الْهَــوى وَالــشَّوْقُ لَمَّــا تَرَنَّمَــتْ
هَتُــوفُ الــضُّحى بَــيْنَ الغُــصونِ طَــروبُ
تُجــاوِب وُرْقــاً قَــدْ أَرعــنَ لِــصَوْتِها
فَكُـــلٌّ لِكُـــلٍّ مُـــسْعِدٍ وَمُجِيـــبُ
أَلا يــا حَمــامَ الأَيْــكِ مــا لَــكَ باكِيــاً
أَفارَقْــتَ إِلْفــاً أَمْ جَفــاكَ حَبِــيبُ[2]

(١) انظر : «العقد الفريد» لابن عبد ربه (٥/ ٣٧٧).
(٢) انظر : «ديوان مجنون ليلى» (ص : ٦).

وقال جهم بن خلف: [من المتقارب]

وَقَدْ شاقَنِي نَوْحُ قُمْرِيَّةٍ ... طَروبِ العَشِيِّ هَتُوفِ الضُّحَى
مِنَ الوُرْقِ هَتَّافَةٌ باكَرَتْ ... عَشِيَّةَ يَومٍ بِذاتِ الغَضا
فَغَنَّتْ عَلَيْهِ بِلَحْنٍ لَها ... يُهَيِّجُ لِلصَّبِّ ما قَدْ مَضَى
مُطَوَّقَةٌ كَسَبَتْ زِينَةً ... بِدَعْوَةِ نُوحٍ لَها إِذْ دَعا
فَلَمْ أَرَ ناطِقَةً مِثْلَها ... تَبْكِي وَدَمْعَتُها لا تُرى
أَطافَتْ بِفَرْخٍ لَها هالِكٍ ... وَقَدْ عَلِقَتْهُ حِبالُ الرَّدَى
فَلَمَّا بَدا اليأسُ مِنْهُ بَكَتْ ... وَماذا يَرُدُّ عَلَيْها البُكا[1]

وقال اليافعي: سُئِلَ الشيخ الكبير العارف بالله أبو بكر الشبلي: ما بال الرجل يسمع الشيء وربما لا يفهم معناه، ويتواجد عليه؟ فأنشأ يقول: [من الرمل]

رُبَّ وَرْقاءَ هَتُوفٍ فِي الضُّحَى ... ذاتِ شَجْوٍ صَدَحَتْ فِي فَنَنِ
ذَكَرَتْ إِلْفاً وَدَهْراً صالِحاً ... فَبَكَتْ حُزْناً وَهاجَتْ حَزَنِي
فَبُكائِي رُبَّما أَرَّقَها ... وَبُكاها رُبَّما أَرَّقَنِي
وَلَقَدْ تَشْكُو فَما أَفْهَمُها ... وَلَقَدْ أَشْكُو فَما تَفْهَمُنِي

---

(١) انظر: «الحيوان» للجاحظ (٣/ ١٩٩).

فَتَرانِــــي بِــــالْجَوى أَعْرِفُهـــا          وَهِيَ أَيْضاً بِـالْجَوى تَعْرِفُنِـي[1]

وقال حجة الإسلام في «الإحياء»: رُوِيَ أنه كان أبو الحسين النوري في دعوة، فجرت بينهم مسألة في العلم وأبو الحسين ساكت، ثم رفع رأسه، فأنشدهم:

رُبَّ وَرْقاءَ هَتُوفٍ فِـي الـضُّحَى          . . . إلى آخر الأبيات

قال: فما بقي في القوم أحد إلا قام وتواجد، ولم يحصل لهم هذا الوجد من العلم الذي خاضوا فيه وإن كان العلم جداً وحقاً[2].

وقال الشيخ العارف بالله المحيوي بن العربي رحمه الله تعالى:

[من الكامل]

ناحَــتْ مُطَوَّقَــةٌ فَحَــنَّ حَـزِينُ          وَشَــجاهُ تَرْجِيــعٌ لَهــا وَحَنِــينُ

جَرَتِ العُيُونُ مِنَ العُيُونِ تَفَجُّعاً          لِحَنِينِهـــا فَكَـــأَنَّهُنَّ عُيُـــونُ

طارَحْتُها ثَكْلَـى لِفَقْـدِ وَحِيـدِها          وَالثُّكْلُ مِنْ فَقْدِ الوَحِيـدِ يَكُـونُ

طارَحْتُها وَالوَجْـدُ يَمْـشِي بَيْنَنـا          مــا إِنْ تُبِــينُ، وَإِنَّنِـي لأُبِــينُ

وقال الشيخ العارف بالله أبو الحجاج الأقصرائي ـ كما قرأت من خط العارف بالله الحافظ صلاح الدين العلائي الأقصرائي ـ: كان الشيخ أبو الحسن الصباغ رضي الله تعالى عنه سائراً في بعض الأيام وقت الضحى بين بساتين قُوص، فرأى حمامة على شجرة تغرد بصوتٍ شج، فوقف

---

(١) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٦٦/ ٧٠).

(٢) انظر: «إحياء علوم الدين» للغزالي (٢/ ٢٩٩).

يسمعها، ثم تواجد واستغرق في وجده، وأنشد: [من المتقارب]

حَمــامَ الأَراكِ أَلا فَاخْبــرِينا ... بِمَــنْ تَهْتِفِــينَ، وَمَــنْ تَنْدُبــينا

فَقَدْ شِقْتِ بِالنَّوْحِ مِنَّا القُلُوبَ ... وَأَرْدَفْـتِ وَيْحَـكِ مـاءً مَعِينـا

تَعــالَي نُقِــمْ مَأْتَمـاً لِلْفِـراقِ ... وَنَنْــدُبَ أَحْبابَنَــا الظَّاعِنِينــا

وَأَسْـعَدُ بِـالنَّوْحِ كَـيْ تُـسْعِدِينا ... كَذاكَ الْحَـزِينُ يُواسِـي الْحَزِينـا

قال: ثم بكى رحمه الله تعالى طويلاً، وأنشد: [من الطويل]

أَيَبْكِي حَمامُ الأَيْكِ مِنْ فَقْدِ إِلْفِهِ ... وَأَصْبِـرُ عَنْـهُ كَيْـفَ ذاكَ يَكُـونُ

وَلِمْ لا أُبَكِّي، ثُمَّ أَنْدُبُ ما مَضَى ... وَذاكَ الْهَوى بَيْنَ الضُّلُوعِ دَفِـينُ

وَإِنْ كانَ قَلْبِي قَبْلَ ذلكَ قاسِـياً ... فَإِنْ دامَـتِ البَلْـوَى بِـهِ سَيَبِـينُ

أَلا هَــلْ عَلــى الـشَّوْقِ المُبَـرِّحِ ... وَهَلْ لِي عَلى الوَجْدِ الشَّدِيدِ مُعِينُ

سَلامٌ عَلى قَلْبٍ تَعَرَّضَ بِالْهَوى ... سَــلامٌ عَلَيْـهِ أَحْرَقَتْـهُ شُــجُونُ

وَعَذَّبَــهُ هَــمٌّ يُهَــيِّجُ حُزْنَــهُ ... فَلِلْهَــمِّ وَالأَحْـزانِ فِيـهِ فُنـونُ

ثم خرَّ مغشيّاً عليه، فلمَّا أفاق أنشد: [من الخفيف]

غَنِّنِي فِي الفِـراقِ صَـوْتاً حَزِينـاً ... إِنَّ بَـيْنَ الـضُّلُوعِ شَـوْقاً دَفِينـاً

ثُمَّ جُدْ لِـي بِـدَمْعِ عَيْنَيْـكَ باللـ ... ـهِ وَكُنْ لِي عَلـى البُكـاءِ مُعِينـا

فَسَأَبْكِي الدِّماءَ فَضْلاً عَنِ الدَّمْـ ... ـعِ، وَمِثْلُ الفِراقِ أَبْكَى العُيونـا

فَكُـلُّ أَمْـرِ الـدُّنا حَقِيـرٌ يَـسِيرٌ ... غَيْـرَ فَقْـدِ القَـرِينِ فِيهـا القَرِينـا

قال: فجرى الدمع من مُقلتيه، وسقطت الحمامة إلى الأرض بين يديه، وجعلت تُصَفق بجناحيها حتى ماتت، فأنشد رحمه الله تعالى:

[من الطويل]

وَرَدْنـا عَلـى أَنَّ الْهَـوى مَـشْرِبٌ عَـذْبُ
وَحَـطَّ بِـهِ لِلـسَّيْرِ أَشْـواقَهُ الرَّكْـبُ

فَلَمَّـا وَرَدْنـا مـاءَهُ أَلْهَـبَ الظَّمـا
فَيـا مَـنْ رَأى ظَمْـآنَ أَلْهَبَـهُ الـشُّرْبُ

أَكَـبَّ الْهَـوى يُـذْكِي عَلَـيَّ زِنـادَهُ
أَيـا قادِحـاً أَمْـسِكْ فَقَـدْ عَلِـقَ الْحِـبُّ

وَلَـوْ أَنَّنِـي أَخْلَيْـتُ قَلْبِـي لِغَيْـرِكُمْ
مِـنَ النَّـاسِ مَحْبُوبـاً لَمـا وَسِـعَ الْقَلْـبُ

تُـرى تَـسْمَحُ الأَيَّـامُ مِـنْكُمْ بِنَظْـرَةٍ
فَتُلْقَـى عَـنِ الأَيْـدِي الرَّسـائِلُ وَالكُتْـبُ

أُعـاتِبُكُمْ لا عَـنْ قِلَّـى وَمَلامَـةٍ
وَلَكِـنْ إِذا صَـحَّ الْهَـوَى حَـسُنَ الْعَتْـبُ

وذكر ابن خلكان في «وفيات الأعيان»: أنَّ المسعودي حكى عن جماعة من أهل البصرة قالوا: خرجنا نريد الحج، فلمَّا كان ببعض الطريق إذا غلام واقف على المحجة وهو ينادي: يا أيها الناس! هل

فيكم أحدٌ من أهل البصرة؟

قال: فعَدَيْنا إليه، وقلنا له: ما تريد؟

قال: إنَّ مولانا لما به يريد أن يوصيكم، فملنا إليه، فإذا بشخصٍ مُلقى على بُعدٍ من الطريق تحت شجرة لا يحير جواباً، فجلسنا حوله، فأحس بنا، فرفع طرفه وهو لا يكاد يرفعه ضعفاً، وأنشأ يقول: [من المنسرح]

يـا غَرِيـبَ الـدَّارِ عَـنْ وَطَنِـهْ　　مُفْـرَداً يَبْكِـي عَلـى شَـجَنِهْ

كُلَّمـا جَـدَّ البُكـاءُ بِـهِ　　دبَّـتِ الأَسْـقامُ فِـي بَدَنِـهْ

ثم أُغميَ عليه طويلاً ونحن جلوسٌ من حوله إذ أقبل طائرٌ، فوقع أصل شجرة، وجعل يُغرد، ففتح عينيه، وجعل يسمع تغريد الطائر، ثم أنشأ يقول: [من المنسرح]

وَلَقَـدْ زادَ الفُـؤادَ جَـوًى　　طَـائرٌ يَبْكِـي عَلـى فَنَنِـهْ

شَـفَّهُ مـا شَـفني، فَبَكـى　　كُلُّنـا يَبْكِـي عَلـى سَـكَنِهْ

قال: ثم تنفس تنفساً فاضت نفسه منه، فلم نبرح من عنده حتى فرغنا من دفنه، فسألنا الغلام عنه، فقال: هذا العباس بن الأحنف رحمه الله تعالى(١).

والتشبه بالحمام في البكاء والنوح يحسن من الإنسان إذا كان من

---

(١) انظر: «وفيات الأعيان» لابن خلكان (٣/ ٢٦).

التفريط في العمر في غير طاعة الله تعالى، ومن التقصير في طلب مرضاة الله تعالى والعمل بمقتضى حب الله تعالى المشروط في صحة الإيمان؛ كما حُكي أن أبا بكر الشبلي مرَّ في المقابر على امرأة تنوح وتقول: ويلاه من فقد الولد!

فقال الشبلي: ويلاه من فقد الأحد!

وكذلك البكاء من خشية الله تعالى؛ ومنه البكاء عند قراءة القرآن من القارىء والمستمع كما وصف الله تعالى الذين أنعم الله عليهم من النبيين بقوله: ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾[مريم: ٥٨].

والعلماءَ بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾[الإسراء: ١٠٧ ـ ١٠٩].

قال عبد الأعلى التيمي رحمه الله تعالى: إن من أوتي من العلم ما لا يبكيه لخليق أن قد أوتي من العلم ما لا ينفعه؛ لأن الله تعالى نعت أهل العلم فقال: ﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ﴾[الإسراء: ١٠٩]. رواه ابن أبي شيبة، والمفسرون[١].

وروى الترمذي وحسنه، عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «عَيْنَانِ لا تَمَسُّهُمَا النَّارُ؛ عَيْنٌ بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٥٣٦٠)، والطبري في «التفسير» (١٥/ ١٨٢)، وكذا الدارمي في «السنن» (٢٩١).

اللهِ، وَعَيْنٌ باتَتْ تَحْرسُ فِيْ سَبِيْلِ اللهِ»[1].

وفي الباب أحاديث صحيحة كثيرة.

وقال شهر بن حوشب رحمه الله تعالى: كان داود عليه السلام يسمَّى: النَّواح[2].

وقال وهب بن منبه رحمه الله تعالى في قوله تعالى: ﴿يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ﴾[سبأ: ١٠] قال: نوحي معه، والطير تساعدك على ذلك، وكان داود إذا نادى بالنياحة أجابت الجبال بصداها، وعكفت الطير عليه من فوقه، قال: فصدى الجبال الذي يسمع الناس من ذلك[3].

وقال زيد بن أسلم رحمه الله تعالى: كان داود عليه السلام إذا رفع صوته بقراءة الزبور تركت الطير أوكارها، وعكفت عليه حول محرابه، حتى يفْرُغَ من قراءته، وكان يبكي حتى تجريَ دموعُه على الأرض، وكان إذا أُتي بالشراب بكى حتى يمتزج شرابه بدموعه.

وقال الأوزاعي: بلغني أن داود عليه السلام كان إذا رفع صوته عكفت الوحوش والسباع حول محرابه، يموت بعضها هزلاً قبل أن تفارقه.

---

(١) رواه الترمذي (١٦٣٩) وحسنه.

(٢) انظر: «العظمة» للأصبهاني (٥/ ١٧٤٧).

(٣) انظر: «تفسير القرطبي» (١٤/ ٢٦٥).

وقال وهب: كان داود عليه السلام إذا رفع صوته بالزبور لم يسمعه شيء إلا حَجَل؛ أي: رقص. رواه ابن أبي الدنيا في «البكاء»[1].

وروى الإمام عبدالله بن المبارك في «الزهد» وابن أبي الدنيا عن أبي أمامة رضي الله تعالى عنه قال: قال عقبة بن عامر رضي الله تعالى عنه: يا رسول الله، ورواه الترمذي وحسنه، وغيره من حديث عقبة بن عامر رضي الله تعالى عنه قال: قلت: يا رسول الله! ما النجاة قال: «أمسِكْ عليكَ لسانَك»، وفي لفظ: «أملِكْ عليكَ لِسَانَكَ، وليسَعْكَ بيتُكَ، وابْكِ على خطيئتكَ»[2].

وروى الطبراني في «الأوسط» و«الصغير» ـ وحسن إسناده ـ عن ثوبان رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «طُوبى لِمَنْ مَلَكَ لسانَه، ووسِعَهُ بيتُه، وبَكَى على خطيئه»[3]

وروى ابن أبي الدنيا في «البكاء» عن مالك بن دينار رحمه الله تعالى قال: لو ملكت البكاء لبكيت أيامَ الدنيا، ولولا أن يقول الناس مجنون، لوضعت التراب على رأسي، ثم نُحْتُ على نفسي في الطرق

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في «الرقة والبكاء» (ص: ٢٤٩)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١٧/ ٩٩).

(٢) رواه الإمام أحمد في «الزهد» (ص: ١٥)، وابن أبي الدنيا في «الرقة والبكاء» (ص: ١٣٩)، والترمذي (٢٤٠٦).

(٣) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٢٣٤٠)، و«المعجم الصغير» (٢١٢).

والأحياء حتى تأتيني منيَّتي[1].

وقال أبو العتاهية: [من مجزوء الرمل]

أحـــــسَنَ الله بنـــــا أنَّ الخطايـــــا لا تفُـــوحُ

فـــــإذا المـــستور منَّـــا بـــين ثوبيـــه فَـــضُوح

نُـــحْ علـــى نفـــسك يـــا مـــسكينُ إن كنـــتَ تنُّـــوح

لتمـــــوتنَّ ولـــــو عُمِّـــرتَ مـــا عُمِّـــرَ نُـــوْحُ

- **ومن أنواع الحمام: القمرية**، ومن أخلاقها الوفاء وهو مندوب إليه الإنسان.

قرأت من خط البرهان بن جماعة ما نصه: يقال: إنه ليس في الدنيا أوفى من القمرية، فإذا مات ذكرها لم تقرب ذكراً آخر بعده، ولا تزال تنوح عليه حتى تبلى حزناً.

وفي «حياة الحيوان» وغيره، عن ابن أبي عبدالله التميمي أنه قال: ليس في جميع الطيور أوفى من القمري والقمرية، وذلك أنه إذا مات أحد الزوجين تعزَّب الآخر بعده، ولا يستأنس إلى غيره، ولا يأنس رفيقاً ولا سكناً، ولا يزال باكياً فرداً إلى أن يموت، وفي المثل: الوفاء من الله بمكان، أورده الزمخشري.

وقال الشاعر: [من الطويل]

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في «الرقة والبكاء» (ص: ١٨٩).

فَمـا حَمَلَـتْ مِـنْ ناقَـةٍ فَـوْقَ رَحْلِهـا

أَحَـقَّ وَأَوْفَـى ذِمَّـةً مِـنْ مُحَمَّـدِ

وقال الغزالي في «الإحياء» في حقوق الصحبة والأخوة: ومعنى الوفاء الثبات على الحب، وإدامته إلى الموت معه؛ أي: مع الأخ أو الخليل، وبعد الموت مع أولاده وأصدقائه؛ فإن الحب إنما يُراد للآخرة، فإن انقطع بعد الموت حبط العمل وضاع السَّعي[1].

وروى الحاكم ـ وصححه على شرط الشيخين، قال العراقي: وليس له علة[2] ـ عن عائشة رضي الله تعالى عنها: أن النبي ﷺ أكرم عجوزاً دخلت عليه، فقيل له في ذلك، فقال: «إِنَّهَا كَانَتْ تَأْتِينَا أَيَّامَ خَدِيْجَةَ، وَإِنَّ حُسْنَ الْعَهْدِ مِنَ الإِيْمَانِ»[3].

ـ **ومن ذلك العصفور**: من أوصافه ما ذكره الدميري، والسيوطي أنه ليس في الأرض طائر سبع ولا بهيمة أحنى منه على ولده، وكذلك فهو حنو على أنثاه.

روى البيهقي، وابن عساكر عن أبي مالك قال: مرَّ سليمان عليه السلام بعصفور يدور حول عصفورة، فقال لأصحابه: أتدرون ما يقول؟

---

(١) انظر: «إحياء علوم الدين» للغزالي (٢/ ١٨٧).

(٢) انظر: «تخريج أحاديث الإحياء» للعراقي (١/ ٤٨٢).

(٣) رواه الحاكم في «المستدرك» (٤٠)، وكذا الطبراني في «المعجم الكبير» (٢٣/ ١٤).

قالوا: وما يقول يا نبي الله؟

قال: يخطبها إلى نفسها، ويقول: تزوجيني أُسكنك أيَّ قصور دمشق شئت؟

قال سليمان: وغرف دمشق مبنية بالصخر لا يقدر أن يسكنها، ولكن كل خاطب كذاب[1].

قلت: هذا يدل أن أبنية دمشق كانت في ذلك الزمان كلها أو أكثرها قباباً معقودة من الصخر، ثم هي كانت تبني أبنيتها من الطين والأخشاب بُرْهة من الزمان، حتى اعتاد أهل دولتها الآن وهم أجناد الروم عقدها بالصَّخر والآجر، وآثروا ذلك على بنائها بالطين والخشب كأنهم استطالوا أعمارهم ومدة بقاء الدنيا، سبحان الله! هكذا يلقى الآمال على الناس كلما قربَتْ أيامهم من الساعة وهم يرون غيرهم يبنون ويعلون، ثم يموتون ويخلون، وهكذا يفعلون.

ثم التشبه بالعصفور بالحنو على الأهل والولد مطلوب.

روى ابن عساكر رضي الله تعالى عنه [عن أنس ﷺ] قال: كان رسول الله ﷺ أرحم الناس بالصبيان والعيال[2].

وروى الإمام أحمد، والشيخان عن أبي هريرة رضي الله تعالى

---

(١) رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٢٢/ ٢٣٢).

(٢) رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤/ ٨٨).

عنه: أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «خَيْرُ نِسَاءٍ رَكِبْنَ الإِبِـلَ نِسَاءُ قُرَيْشٍ، أَحْنَاهُ عَلَىٰ وَلَدٍ فِيْ صِغَرِهِ، وَأَرْعَاهُ عَلَىٰ زَوْجٍ فِيْ ذَاتِ يَدِهِ»[1] وحقيقة الحنو: العطف والشفقة؛ يُقال: حَنَت عليه، وأحنت؛ أي: عطفت.

قال في «الصحاح»: وفلان أحنى الناس ضلوعاً عليك؛ أي: أشفقهم[2].

وفي «الصحاح» أيضاً يقول: أرعيت عليه إذا أبقيت عليه ورحمته[3]، فهي أرعاه على زوج ذات يد؛ أي: أحفظ لماله، وأبقى عليه، وهو في النساء قليل، لا تكاد امرأة تشفق ولا تبقى على بعلها، فإن فعلت كانت من خير النساء؛ لأن النبي ﷺ بيَّن وجه خيرية نساء العرب، وهنَّ اللاتي يركبن الإبل أنه كونهن أحنى على الأولاد، وأرعى وأبقى على الأزواج.

- **ومن طباع العصافير**: ما ذكره الدميري، والسيوطي: أنه إذا خَلَتْ مدينة من أهلها ذهبت العصافير منها، وإذا عادوا عادت، فهي على ضدٍّ من حال البوم ونحوه.

والتشبه بالعصافير في ذلك بأن يؤثر سكنى المدن مع الناس على

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢/ ٣١٩)، والبخاري (٥٠٥٠)، ومسلم (٢٥٢٧).

(٢) انظر: «الصحاح» للجوهري (٦/ ٢٣٢١) (مادة: حنو).

(٣) انظر: «الصحاح» للجوهري (٦/ ٢٢٨٣) (مادة: بقي).

الانفراد في الكهوف والغيران، ولا يمنعه ذلك من العزلة عن الناس إذا كانت أنفع له؛ لأن النبي ﷺ قال: «وَلْيَسَعْكَ بَيْتُكَ»[1]، ولم يرشد إلى ترك البيوت، ففي سُكنى المدن الحصول على الجمعة، والجماعة، والتعلم والتعليم.

وقد قالوا: اسكن المدن ولو جارت، واتبع الطرق ولو دارت، وانكح البكر ولو بارت.

وقالوا: لا تصلح السُّكنى إلا في مدينة فيها سلطان حاكم، وفقيه عالم، وطبيب حاذق، وسوق قائمة.

**- ومن صفات العصافير: القناعة بقوت يوم، وذكر الله تعالى.**

روى أبو نعيم عن أبي حمزة الثمالي قال: كنت عند علي بن الحسين رضي الله تعالى عنهما وإذا عصافير يَطُفْنَ حوله ويَصْرُخن، فقال: يا أبا حمزة! هل تدري ما تقول هذه العصافير؟

قلت: لا.

قال: إنها تذكر ربها، وتسأل قوت يومها[2].

وروى أبو الشيخ في «العظمة» عن أبي جعفر قال: تدرون ما تقول العصافير قبل طلوع الفجر؟

قالوا: لا.

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٣/ ١٤٠).

قال: تُسبح ربها، وتطلب قوت يومها[1].

وكذلك ينبغي للإنسان أن يتشبه بالعصفور ونحوه في القناعة بالبُلْغة، والاجتزاء بقوت يوم.

روى الطبراني في «الأوسط» عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الْقَنَاعَةُ مَالٌ لا يَنْفَدُ، وَكَنْزٌ لا يَفْنَى»[2].

وأخرجه العسكري في «الأمثال»، والقضاعي مقتصرين على الجملة الأولى[3].

وروى البخاري في «الأدب المفرد»، والترمذي وحسنه، وابن ماجه عن عبيدالله بن محصن رضي الله تعالى عنه: أن النبي ﷺ قال: «مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِناً فِيْ سِرْبِـهِ، مُعَافَى فِيْ جَسَدِهِ، عِنْدَهُ قُوْتُ يَوْمِهِ، فَكَأَنَّمَا حِيْزَتْ لَهُ الدُّنْيا»[4].

وأنشدوا: [من الهَزَج]

إذا القُوتُ تَأَتَّى لَـ ... ـكَ وَالصِّحَّةُ وَالأَمْنُ

وَأَصْبَحْتَ أَخا حُزْنٍ ... فَلا فارَقَكَ الْحُزْنُ[5]

---

(1) رواه أبو الشيخ في «العظمة» (٥/ ١٧٣٩).

(2) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٦٩٢٢) عن جابر رضي الله عنه.

(3) رواه القضاعي في «مسند الشهاب» (٦٣).

(4) رواه البخاري في «الأدب المفرد» (٣٠٠)، والترمذي (٢٣٤٦) وحسنه، وابن ماجه (٤١٤١).

(5) لمنصور الفقيه، كما في «الزهد الكبير» للبيهقي (ص: ٩٠).

- **ومن طباع العصفور: سرعة الحركة والتقلب.**

روى الحاكم وصححه، والبيهقي في «الشعب» عن أبي عبيدة بن الجراح رضي الله تعالى عنه: أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «إِنَّ قَلْبَ ابْنِ آدَمَ مِثْلُ الْعُصْفُوْرِ، يَتَقَلَّبُ فِيْ الْيَوْمِ سَبْعَ مَرَّاتٍ»[1].

والمراد: يتقلب في كل ساعة، وهي تبين ما أشرت إليه، وحيث كان قلب ابن آدم كالعصفور في التقلب، فينبغي أن يكون تقلبه مع الحق يدور معه كيف دار.

كما قال بعض العارفين: المنافق يدوم على عمل يستحسن منه، والمؤمن يكون في كل عمل يخلص فيه، وكل عمل بعد تأدية فرض الوقت يصلح فيه قلبه مع الله تعالى أقبل عليه.

- **ومن لطائف العصفور**: ما رواه أبو الشيخ في «العظمة» عن عمرو بن قيس المُلائي رحمه الله تعالى قال: مرَّ سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام بعصفور وهو يَسْفِد أنثاه، وهو يصيح ذلك الصياح؛ قال: أتدرون ما يقول هذا العصفور لأنثاه؟

قالوا: لا يا نبي الله.

قال: يقول: تابعيني على ما أريد، فوالله ما أريد تلذذاً، وما أريد إلا أن يخلق الله تعالى بيننا خلقاً يُسبحه[2].

---

(١) رواه الحاكم في «المستدرك» (٧٨٥٠)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٧٥٥).

(٢) رواه أبو الشيخ في «العظمة» (٥/ ١٧٦٦).

وقال الشيرازي في «الألقاب»: حدثنا الفضل العطار، ثنا أبو جعفر الخالدي، ثنا الجنيد، ثنا السري السقطي، ثنا معروف الكرخي قال: سمعت جعفر الصَّادق ﷺ يقول: كان سليمان عليه الصلاة والسلام قاعداً على سرير ملكه وبين يديه عصفورتان تلعبان، فضحك، فقيل له: يا نبي الله! لماذا ضحكت من العصفورتين؟

قال: قال الذكر للأنثى: إني لا أُجامعك لحظِّ نفسي، بل أُجامعك ليكون بيننا ولد يُسبح الله ويذكره.

ثم حلف وقال: والذي رفع السماء وبسط الأرض! إني لا أريد أن تلدي ولداً لا يُسبحه ولي ملكُ فرعون، وإن ولدت ولداً يُسبحه كان أحبَّ إليَّ من ملك سليمان الذي هو قاعدٌ هنا.

فلا ينبغي أن يكون العصفور أكْيَسَ من العبد المؤمن، فيأتي أهله غافلاً عن ذكر ربه ولا بغير نية صالحة، بل لمجرد قضاء الوطر، بل ينوي بالجماع حصولَ ولد يطيع الله، ويكاثر به النبيُّ ﷺ يوم القيامة؛ فإنه يُكاثر الأمم يومئذٍ بأمته، كما رويناه: أن عمر ﷺ كان يقول: والله إني لآتي أهلي وما بي حاجةٌ إلى النكاح إلا ليولد لي من يُكاثر به النبي ﷺ يوم القيامة(١).

وقد تقدم أن سليمان عليه السلام قال للحراث الذي استعظم ملكه: لَتسبيحةٌ تُسبحها خيرٌ من ملك آل داود(٢).

---

(١) انظر: «تفسير القرطبي» (٩/ ٣٢٨).

(٢) تقدم تخريجه.

وقلت: [من السريع]

لَوْ كانَ لِي مِنْ بَعْضِ مَوْجُودِي ... مُلْكُ سُلَيْمانَ بْنِ داوُدِ

لَمْ يُغْنِنِي عَنْ حُسْنِ ظَنِّي بِمَوْ ... لايَ وَلا عَنْ ذِكْرِ مَعْبُودِي

فَإِنَّ كَنْزِي حُسْنُ ظَنِّي بِهِ ... أُكْفَى بِهِ عَنْ كُلِّ مَفْقُودِ

وَذِكْرُهُ حِرْزِي وَمالِي وَلِي ... مِنْ شُرْبِهِ أَعْذَبُ مَوْرُودِ

لِلَّهِ تَسْبِيحِي وَتَحْمِيدِي ... لِلَّهِ تَكْبِيرِي وَتَوْحِيدِي

وَالذِّكْرُ بابُ اللهِ مَنْ يَأْتِهِ ... فَإِنَّهُ لَيْسَ بِمَرْدُودِ

- **ومن لطائف العصفور**: ما رواه أبو الشيخ في «العظمة» عن معقل قال: بنى سليمان عليه السلام قبة أربعين في أربعين، وقعد فيها مع أصحابه وأظلته الطير، فراود عصفور عصفورة فقالت: أما تستحي تراودني وسليمان يسمعنا؟

فقال: لي تقولين ذاك؟ ولو أمرتني أن أقتلع القبة من أسفلها لاقتلعتها.

فسمع سليمان عليه السلام كلامهما، فدعا بهما، فقال: من القائل منكما كذا وكذا؟

قال: أنا.

قال: وما حملك على ذلك؟

قال: إن المحبَّ لا يُلام.

فخلَّى سبيلهما[1].

قلت: يُشير قوله: إن المحب لا يُلام إلى حالة شريفة تكلم عليها الصوفية وهي حال الغلبة، ويكون سببها إما فرط المحبة، وإما فرط الغضب.

**فأما الأول:** فإنَّ المحبة تغلب على المحب حتى يتكلم بما لا يكون، ومن هنا جاء الحديث: «لا يَصْلُحُ الْكَذِبُ إلاَّ فِيْ ثَلاثٍ: الْحَرْبِ، وَالرَّجُلِ يُصْلِحُ بَيْنَ اثْنَيْنَ، وَالرَّجُلِ يُكَلِّمُ زَوْجَتَهُ»[2].

وقلت: [من المتقارب]

إذا وَثَبَ الْحُبُّ يَوْماً عَلى ... فُؤادِ الْمُتَيَّمِ حَتَّى غَلَبْ
فَلا عَتَبٌ عِنْدَ أَهْلِ الْهَوى ... عَلَيْهِ إذا اخْتَلَّ شَرْطُ الأَدَبْ

**وأما الثاني:** فإذا كان الغضب في حق الله تعالى وغلب على العبد حتى صار منه ما لا يحسن في غير تلك الحالة كما روي أن عمر رضي الله تعالى عنه أخذ برداء النبي ﷺ حين أراد أن يُصلي على عبدالله ابن أُبي بن سلول، وقال له: يا رسول الله! لا تصلِّ على هذا المنافق، ونزلت الآية على وفق كلامه[3].

❒❒❒

(1) رواه أبو الشيخ في «العظمة» (٥/ ١٧٦٧).

(2) رواه الترمذي (١٩٣٩) بمعناه عن أسماء بنت يزيد رضي الله عنها.

(3) رواه ابن أبي حاتم في «التفسير» (٦/ ١٨٥٣).





# فهرس الموضوعات

| الموضوع | الصفحة |
|---|---|

تابع

(٨)

باب

النهي عن التشبه بالبهائم والسباع والطير والهوام

| الموضـــوع | الصفحة |
| --- | --- |

| الموضـــوع | الصفحة |
| --- | --- |

| الموضـــوع | الصفحة |
| --- | --- |

| الموضـــوع | الصفحة |
| --- | --- |

| الموضـــوع | الصفحة |
| --- | --- |

| الموضـــوع | الصفحة |
| --- | --- |

| الموضـــوع | الصفحة |
| --- | --- |

| الموضـــوع | الصفحة |
| --- | --- |

| الموضـــوع | الصفحة |
| --- | --- |

